هذا تفسير ابي البقا بن احمد ابن الضيا
القريشي العدوي الحنفي
عامله الله بلطفه الخفي

تملكه الفقير الى لطف ربه المنعام
ابراهيم الامام بجامع سروار احمد بنا
رسموعر الله له ولمساتيذه
امين

تملكه الفقير الى لطف ربه المنعام
الشيخ مصطفى ابن الشيخ محمد بن تمام
مولى بلطفه تام

وقف عبد الله مصطفى

٤٢

مالف كاسه الفقير الى الله تعالى ابن البقا بن الضيا الحنفي
عامله الله بلطفه الخفي حامدا الله تعالى ومصليا على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه اجمعين

فيه من السورة طه ٥ الانبيا ٥ الحج ٥

علم التفسير بحث فيه عن مراد الله تعالى من القرآن المجيد وهو منحصر في قسمين التفسير
والتاويل لان بيان معاني القرآن اما بالنقل عن النبي ﷺ او عن الصحابة وهو
التفسير واما بحسب قواعد العربية وهو التاويل وبالجملة التفسير ما يتعلق بالرواية
والتاويل ما يتعلق بالدراية وعلى هذا امكن ان يوجه قوله عليه السلام من فسر القرآن
برايه فقد كفر بوجهين احدهما ان المراد من التفسير لما كان النقل فمعنى فسر لا يكون الا النقل
فمعنى الحديث انه من نقل معنى القرآن عن النبي ﷺ او عن اصحابه برايه وهو رجم فقد كفر
لانه افترى على النبي ﷺ والثاني انه القرآن لا يجب الرواية بل بمجرد رايه فرضح قيل الاهي

SÜLEYMANİYE E. G. KÜTÜPHANESİ
Esad ef.
60
2971

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه

مكية في قول الجميع وهي مائة واربعون او واثنان او مائة وخمس وثلاثون آية والف وثلاثمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة الاف ومائتان واثنان واربعون حرفا **اعلم** ان من جملة ما يدل على اتصال هذه السورة بما قبلها هو ان عيسى عليه السلام وموسى عليه السلام مشتركان في الغموم والهموم لسبب الولادة وفي الالهام من الحضرة الالهية بعد هما في حقهما وفي حق والديهما على ما عرف ومن تلك الجملة ايضا ان المقصود من تلك السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر وفي هذه السورة ما يدل عليها كذلك ووجه اتصال اول هذه السورة بآخر السورة قبلها انه لما كان المقصود بيان هذه الامور بين الله سبحانه وتعالى في آخر تلك السورة انه يسر ذلك البيان بلسان البشير وبشر فقال انما يسرناه بلسانك الآية وهذا من النعم العظيمة والتشريفات الكريمات في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول بالغ في العبادات ليلا ونهارا واتعب نفسه شكرا لذلك فخاطبه في اول هذه السورة بقوله طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قال النسفي قال القرطبي في تفسيره نزلت هذه السورة قبل اسلام عمر رضي الله عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال خرج عمر متقلدا السيف فقيل له ان ختنك واختك قد صبوا فاتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب وكانوا يقرؤن طه فقال اعطوني الكتاب الذي عندكم فاقرأه وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقرأ الكتب فقالت له اخته انك نجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل او توضأ فقام

قصة اسلام عمر رضي الله عنه

فقام عمر فتوضأ ثم اخذ الكتاب فقرأه وذكره ابن اسحاق مطولا وان عمر خرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله فلقيه نعيم بن عبد الله فقال اين تريد يا عمر قال اريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب آلهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا افلا ترجع الى اهلك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله اسلما وبايعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة يقرأهما عليهما فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او في بعض البيت واخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا صلى الله عليه على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له اخته وختنه نعم قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك فلما رأى عمر ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لاخته اعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن آنفا انظر ما هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له انا نخشاك عليها

قال لها لا تخافي وحلف لها ما آلهته ليردنها اذا قرأها فلما قال
ذلك طمعت في اسلامه فقال له يا اخي انك نجس على شركك
وانه لا يمسها الا المطهرون فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة
وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما احسن هذا
الكلام واكرمه فلما سمع بذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر
والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله
عليه وسلم فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام
بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند
ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم فذكر الحديث
قال العرطي اسند الدارمي في مسنده عن علي بن ابي طلحة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرأ طه
ويس قبل ان يخلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة
القرآن قالت طوبى لامة ينزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل
هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا قال ابن فورك معنى قوله
ان الله تعالى قرأ طه ويس اي اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد
من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت وعلى هذا يكون الكلام سابقا
وقرأته اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة يجدثها وهو
معنى قولنا قرأنا كلام الله ومعنى قوله فاقرؤوا ما تيسر منه وقيل
معنى قوله قرأ اي تكلم به وهو مجاز والاول اصح قال وعلى الخبر لان
كلام الله تعالى ازلي قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسمع وافهم
من اراد من خلقه ما اراد في الاوقات والازمنة لا غير كلامه

يتعلق وجوده بزمان وبمدة وزمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت السوره التي
فيها البقرة من
الاول واعط
والطواسين من
موسى واعطي
العراف وحوا
البقره مركبتر
واعطيت الم

بسم الله الرحمن الرحيم طه

فخم الطاء لاستعلائها
واما ل الهاء ابو عمرو واما لهما حمزة وعلي وخلف وابو بكر وفخمهما
على الاصل غيرهم قال القرطبي احلف العلماء في معناه فقال
الصديق رضي الله عنه هو من الاسرار ذكره الغزنوي قال ابن عباس
معناه يا رجل ذكره البيهقي وقيل انها لغة معروفة في عكل
وقيل في عك ذكره الغزنوي وقال قطرب هو بلغة طي وكذلك
قال الحسن معنى طه يا رجل وقال عكرمة هو بالسريانية كذلك وحكى
الطبري انه بالنبطية يا رجل قال
اي يا رجل ان السفاهة طه من خلا يتكلم لا قدس الله اخلاق الملاعين
وقال عكرمه هو لغة لك يا رجل بلسان الحبشة ذكره الثعلبي والصحيح
انها وان وجدت في لغة اخرى فانها من لغة العرب كما ذكرنا وانها
لغة يمنية في عكل وعك وطي وقيل هو اسم من اسماء الله
تعالى وقسم اقسم به وهو مروي عن ابن عباس ايضا وقيل هو اسم
النبي صلى الله عليه وسلم سماه به الله تعالى كما سماه محمدا وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء فذكر ان منها طه ويس
وقيل هو اسم للسورة ومفتاح لها وقيل انه اختصار
من كلام خص الله تعالى رسوله بعلمه وقيل انها حروف مقطعة
يدل كل حرف منها على معنى واختلف في ذلك فقيل الطا شجرة
طوبى والها النار الهاوية والعرب تعبر عن الشيء كله ببعضه كانه
اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير الطا هو افتتاح

وفي رواية لا يا وكرا
2 القوم الملا

اسمه طاهر • والها افتتاح اسمه هادی • وقيل طا يا طامع
الشفاعة للامة • ها يا هادي الخلق الى الملة • وقيل الطا
من الطهارة • والها من الهداية • كانه يقول لنبيه • ياطاهرا
من الذنوب • يا هادي الخلق الى علام الغيوب • وقيل
الطا طبول الغزاة • والها هيبتهم في قلوب الكافرين • بيانه
قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب • وقوله وقذف
في قلوبهم الرعب • وقيل الطا ضرب اهل الجنة • والها
هوان اهل النار في النار • وقيل معنى طه طوبى لمن اهتدى بك
قاله محمد بن علي بن الحنفية • وقيل معناه طاء الارض وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت
قدماه تتورم ويحتاج الى التروح من قدميه فقيل له طاء اي لا
تتعب حتى تحتاج الى التروح حكاه ابن الانباري • وذكر الفاضي
الارض ح
الله عياض في الشفا انه امر من الوطء والها كناية عن الارض اي
اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم
واحدة • وعن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طاء الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفيا مما في هذا كله من الاكرام
وحسن المعاملة انتهى كلام القرطبي • وقال الغرنوي في عين المعاني
قال عبد الله بن عمر وطه اي يا حبيبي بلغة عك • وقال ابو سهل
قسم بالطاهر الهادي • قال في التحرير والتنوير والصحيح
ان هذه الكلمة عربية بلغة عك وعكل ومعناها يا رجل • قال

قال الكلبي لو قلت في عك لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه
قال شاعرهم • دعوت بطه في القتال فلم يجب • فقلت عليه
ان يكون مواويلا • ويروى مواويلا •
وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يربطون الحجارة
في صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام فنسخ ذلك بالفرض
فنزلت هذه الاية • وقال الكلبي لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل
الليل كله زمانا حتى نزلت هذه الاية فامره الله ان يخفف عن نفسه
فيصلي وينام فنسخت هذه الاية قيام الليل فكان بعد هذه الاية
يصلي وينام • وقال مقاتل والضحاك لما نزل القران على النبي صلى الله
عليه وسلم قام هو واصحابه فصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله هذا
القران على محمد الا ليشقى فانزل الله تعالى طه اي يا رجل ما انزلنا عليك
القران لتشقى اي لتتعب • وقيل معنى طه يا بدر لان الها بالجمل
تسعة والطا خمسة تصير اربعة عشر والبدر يكمل عند اربعة عشر
• وقد وقع مثله في الحروف التي في اوائل السور • فان اليهود سالوا محمدا عن الحروف
وحسبوها على حساب الجمل انتهى كلام المحرر والمنور • وقال
السلمي في تفسيره قال ابن عطاء في قوله طه هديت لباس القربة
والانس • وقال الواسطي في قوله طه قال هو مستخرج من الطاهر
الهادي اي انت طاهر بنا هادي الينا • وقال محمد بن عيسى الهاشمي اي
طوى عن سر محمد الاكوان كلها وهدى الى الاشتغال بمكونها
• وقال محمد بن علي الترمذي في قوله طه اي طوبى لمن اهتدى بك • انتهى كلام السلمي

مآ انزلنا عليك القرآن ان جعلت طه تحديدا للاسماء الحروف
فهو ابتداء كلام • وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون
خبرا عنها • وهي في موضع المبتدا • والقرآن ظاهرا وقع موقع
الضمير لانها قرآن • وان يكون جوابا لها وهو قسم قاله الزمخشري
لتشقى لتتعب لفرط تاسفك عليهم وتحسرك على ان يومنوا •
او لقيام الليل • فانه روى انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل
حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فارفها عليك
حقا • اى ما انزلناه لتشقى نفسك بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية
السمحة • قال السهيلي ذكروا في سبب نزول هذه
الاية وجوها • احدها قال مقاتل ان ابا جهل والوليد
بن المغيرة ومطعم بن عدي والنضر بن الحارث قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال
صلى الله عليه وسلم بعثت رحمة للعالمين قالوا بل انك لتشقى
فانزل الله هذه الاية ردا عليهم • وثانيها انه عليه السلام
صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام
ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه لتتعبك نفسك
بالعبادة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة • وقيل انه عليه
السلام كان يسهر طول الليل فاراد الله تعالى بقوله لتشقى ذلك
• قال القاضي وهذا بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ما فعل
ذلك الا بامر الله واذا كان بامره فلا يصح ان يقال ما امرناك بذلك
• وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد مما لا تشق على نفسك

ولا تعذبها بالاسف على كفرهم آ فانا انما انزلنا عليك القرآن
لتذكر به فمن آمن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره
فما عليك الا البلاغ • ورابعها انه لا يلام على كفر قومه
كقوله لست عليهم بمسيطر • وما انت عليهم بوكيل اى ليس
عليك كفرهم اذا بلغت • وخامسها ان هذه السورة من اوائل
ما نزلت بمكة • وفي ذلك الوقت كان عليه السلام مقهورا تحت ذل
اعدائه • فكانه سبحانه قال لا تظن انك تبقى ابدا على هذه
الحالة فانا ما انزلنا عليك هذا القرآن لتشقى بل تصير معظما
مكرما ولتعز ك وتفتح عليك البلاد • ووصل هذا بقصة موسى
لانه قاسى من قومه شدائد فكانت النصرة له عليهم من بعد
الا تذكرة استثناء منقطع اى لكن انزلناه تذكرة • او حال
لمن يخشى اى لمن يخاف الله • او لمن يؤول امره الى الخشية • ونظيره
انما انت منذر من يخشاها • وقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب • وخص من
يخشى بالذكر لانه هو الذي ينتفع اكثر استعدادا لقبول التذكرة والرجوع الى
الموعظة تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان
مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه • ويجوز ان ينتصب بنزل
مضمرا • وان ينتصب على المدح • وان ينتصب بيخشى مفعولا به
اى انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن • واعراب
بين ممن خلق الارض والسموات من تتعلق بتنزيلا صلة له •
قال الزمخشري فان قلت ما فائدة الانتقال من لفظ المتكلم

الى لفظ الغائب فلك غيره واحدة • منها عادة الافنان
في الكلام وما تعطيه من الحسن والروعة • ومنها ان هذه
الصفات انما تتردد مع لفظ الغيبة • ومنها انه قال
اولا انزلنا فعظم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع • ثم ثنى
بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد • فضوعفت الفخامة
من طريقين انتهى • قال الامام فخر الدين انه تعالى عظم
حال القرآن بان نسبه الى تنزيل ممن خلق الارض وخلق السموات
على علوها • وانما قال لان تعظيم الله تعالى بتعظيم خلقه ونعمه
• وانما عظم القرآن ترغيبا في تدبره والتامل في معانيه وحقائقه
وذلك معتاد والشاهد فان تعظيم الرسالة بعظم حال المرسل
انتهى • العلى جمع العليا تانيث الاعلى • قال في المحرر والتحبير تترى
تقدير الكلام تتنزيلا من اله خلق الارض وخلق السموات العلى
بقدرته وحكمته • قال الزمخشري وصف السموات بالعلى
دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها
الرحمن على العرش استوى خبر مبتدا محذوف استوى قال
حافظ الدين النسفي في العقيدة انه تعالى ليس بمتمكن في مكان • وعند
المشبهة والكرامية متمكن على العرش • دليلنا ان التمكن
عن المكان ثابت في الازل لعدم تقدم المكان فلو تمكن بعد
خلق المكان لتغير ولحدث فيه مماسة • والتغير وقبول
الحوادث من امارات الحدث • وذا مستحيل على القديم • واما
قوله تعالى الرحمن على العرش استوى • فالنص محتمل اذ الاستواء

يذكر للتمام كما قال تعالى ولما بلغ اشده واستوى اى تم • والاستيلاء
كما يقال استوى الملك على البلد اى استولى • والاستقرار كما قال
تعالى واستوت على الجودي اى استقرت • ويقال استوى على ظهر
دابته اى استقر • المحتمل لا يكون حجة في المظنونات فكيف
يكون حجة في الاعتقاديات • مع ان الترجيح للاستيلاء لانه تعالى
تمدح به • والاستواء للمدح فيما بيننا يفهم منه الاستيلاء كقول
الشاعر قد استوى بشر بن مروان •

قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •

• قال حافظ الدين وقد تمسكت المجسمة بظواهر النصوص
والاخبار ومذهب السلف ان نصدقها ونفوض تاويلها الى الله
تعالى مع التنزيه عن التشبيه • والخلف ان نؤولها بما يليق به
تعالى ولا نقطع بانه مراد الله تعالى والاولى اسلم والثاني احكم
• وقال في المدارك لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك
مما يرد فيه الملك جعلوه كناية عن الملك • فقالوا استوى فلان
على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة • قالوه
ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك وان كان اشرح
وابسط وادل على صورة الامر • ونحوه قولك يد فلان مبسوطة
ويد فلان مغلولة • يعني انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين
الا فيما قلت • حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال اولم تكن له
يد رأسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد
• ومنه قول الله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو بخيل

بل يداه مبسوطتان ای هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط
والتفسير بالنعمة والتمحل للتشبيه من ضيق العطن والمسافرة
عن علم البيان مسيرة اعوام ان وقال حافظ الدين في المدارك
والمذهب قول علي رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير
معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة لانه تعالى كان
ولا مكان فهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان
انتهى وقال فارس ليس على الكون من الله اثر ولا من الكون
على الله اثر وقال العشري عرشه في السما معلوم وعرشه في الارض
العرش قلوب العارفين الموحدين قال الله تعالى وتحمل عرش ربك
فوقهم يومئذ ثمانية وعرش القلوب كرسي بني آدم وحملتهم في البر
والبحر واما عرش السما قال الرحمن على العرش استوى وعرش القلوب
فان الرحمن عليه استولى وعرش السما قبلة دعا الخلق وعرش
القلب محل نظر الرحمن كذا في التحرير والتبصير له ما في السموات وما في الارض
خبر مبتدا ومعطوف وما بينهما اى ذلك كله ملكه وما تحت
الثرى بعد الكلام له ملك ما في السموات وملك ما في الارض
وملك ما بينهما وعلم ما تحت الثرى وخص السموات والارض
بالذكر لانهما اعظم ما شاهدناه من مخلوقاته وانما خص ما
تحت الثرى بالذكر لانه لا يعلم ما تحت الثرى الا هو سبحانه
وتعالى الا ملكة ههنا كما قسم الارزاق في سورة مريم ولم يذكر
الفوق لان التحت كل عليه وقال في التحرير والتبصير
القسمة تقتضي ان يكون له ما في السموات وما فوقها والارض

ولقد

وما تحت

وما تحت الثرى وما بينهما وانما ترك ذكر ما فوقها لدلالة قوله
وما تحت الثرى فان التحتية تقتضي الفوقية اولا ربما فوق السما
خلاء على قول من قال الخلا والملا فلهذا لم يتعرض لذكره واختلف
المفسرون في المراد بهذه القسمة هل المراد معرفة جميع المخلوقات
والعلم بها او الاختصاص بها والملك لها قال جماعة من
المفسرين له ما في السموات وما في الارض وما بين ذلك ملكا وقهرا
وقال قوم من اهل العلم اراد ان علمه محيط بجميع ذلك لانه
بارئها ومنشئها لما علم من الحكمة والمصلحة وقالت قوم له
ما في السموات وما في الارض انه يرجع الى ملكه يوم القيمة حين ينقطع
املاك الملائكة فالله تعالى ملك ما في الارض بما فيها من الانس والجن
وما في السموات بمن فيها من الملائكة ويوم القيمة ترجع هذه الاملاك
كلها له وتصير اليه ملكها وما لكها قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وكما قال تعالى
لمن الملك اليوم فلا يجيب احد فيجيب نفسه بنفسه فيقول لله الواحد
القهار وقوله وما تحت الثرى الثرى التراب الندي
والمراد به ما تحت الارض السابعة وقيل المراد الصخرة التي
تحت الارض السابعة وهي صخرة خضرا لا يعلم ما تحتها الا الله
تعالى وعن السدي انه السجين الذي فيه الكتاب المرقوم للفجار
قال في التحرير والتبصير وقد حكى المفسرون في قوله تعالى وما
تحت الثرى احاديث ونقلوا اخبارا لم يستقر سي منها من وجه
صحيح قالوا يريد ما تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها الا الله تعالى

وما تحت

وحكوا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الارض على نون والنون
على البحر وان طرف النون راسه وذنبه يلتقيان تحت العرش
والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي التي قال الله تعالى
فيها فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله والصخرة
على قرن والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله تعالى
ثور ص وقال وهب منبه على وجه الارض سبعة ابحر والارضون
سبع بين كل ارض بحر فالبحر الاسفل مطبق على شقر جهنم
ولولا عظمه وكثرة مايه وبرده لاحرقت جهنم كل من عليها
قال وجهنم على متن الريح والريح على حجاب من الظلمة لا يعلم
عظمه الا الله تعالى وذلك الحجاب على الثرى والى الثرى انتهى علم
عظمه ص الخلائق وحكوا عن كعب انه سئل ما تحت الارض قال ما قيل
فما تحت الما قال ارض قيل فما تحت الارض قال ما حتى يبلغ سبع
ستة ارضين قيل له ما تحت الارض السابعة قال ما قيل وما
تحت الما قال كاهل صخرة قيل فما تحت الصخرة قال هي على منكب ملك
قيل فما تحت الملك قال هو قائم على وسط حوت معلق طرفاه بالعرش
قيل فما تحت الحوت قال ما هو الا ظلمات وانقطع العلم وروى
عن كعب الاحبار قال ان الملس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره
الارضون كلها ووصل الى قلبه فقال هل ترى ما على ظهرك الدنيا بما فيها
على ظهرك ص من الامم والشجر والدواب والناس والجبال لو التقتهم عن ظهرك
كلهم فان فيهم قوما تفعل كذا فبعث الله دابة فدخلت في منخره
حتى خلت دماغه فصاح الى الله منها فخرجت قال وكان كعب
يقول

والذي نفسي بيده انه لينظر اليها بين يديه وينظر اليه
ان همّ بشيء من ذلك عادت حيث كانت وانما قال صاحب
التحرير وانما ذكرت هذه الاقوال ليلا يعتقد صحتها ويعول عليها
انتهى كلامه وقد ذكر هذه الاقوال القرطبي في تفسيره
وقال الشيخ كمال الدين الدميري في حياة الحيوان في الكلام
على الثور قال وهب بن منبه كانت الارض كالسفينة فحمل الله
ملكا في نهاية العظم والقوة وامره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه
فاخرج يده من المشرق ويده من المغرب وقبض على اطراف الارض
فامسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوته
حمراء في وسطها سبعة الاف ثقبة فخرج من كل ثقبة شجر لا يعلم
عظمه الا الله تعالى ثم امر الصخرة حتى دخلت تحت قدمي الملك
ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما له اربعة الاف
عين ومثلها آذان ومثلها انوف وافواه والسنة وقوائمه ما بين
كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام فامر الله تعالى هذا الثور ان يحمل
تحت الصخرة فحملها على ظهره واسم هذا الثور كيوثا ثم لم
اسم الثور الذي على ظهره الارض كيوثا
يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر احد ينظر اليه
لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى قيل لو وضعت البحار كلها في احدى
مناخره لكانت كخردلة في فلاة فامر الله تعالى الحوت ان يكون قواما
لقوائم الثور واسم الحوت بهموت ثم جعل قراره الما وتحت
الما الهوى وتحت الهوى ما وتحت الما ظلمات ثم انقطع علم
الخلائق عما تحت الظلمات هكذا نقله العلامة شهاب الدين ابن فضل الله

ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع
المخلوقات في علمه كنفس واحدة انتهى قال في البحر والتجهر الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان تجهر بالقول فانه كان اذا صلى بلك
الصلاة التي تورمت فيها قدماه ورفع صوته فيها بالقراءة وجهر بها
يتاذى المشركون من ذلك لان في قراءته تسفيه احلامهم وسب
الهتهم وبيان فساد معتقدهم فاخذوا في اذاه وبالغوا وسبوه وسبوا
دينه وقرآنه فامره الله تعالى بالقراءة سرا قال الحبر انما يكون لمن لا
يسمع ولا يعلم والله تعالى يعلم ويسمع فالسر والجهر عنده سواء
قال في البحر وقال مجاهد السر العمل الذي يسره الانسان واخفى
منه الوسوسة وقيل السر هو العزمة واخفى ما يخطر على القلب
ولم يعزم عليه وفي الكلام محذوف تقديره تعلم السر واخفى من السر
وجواب الشرط محذوف ايضا تقديره وان تجهر بالقول تودي
فلا حاجة لك به فاني اعلم السر واخفى قال صاحب البحر
وهذه الاقوال متداخلة متقاربة في المعنى يجمعها ثلاثة اقوال
احدها ان الجهر رفع الصوت به ليسمعك من لا جانبك واخفى
ان تتكلم به من غير ان يسمع احد الثاني ان السر ما حدثت به
غيرك حديثا خفيا واخفى منه ما حدثت به نفسك الثالث
ان السر ما حدثت به نفسك والجهر ما حدثت به الناس قال
الامام فخر الدين اعلم ان الله سبحانه وتعالى عالم لذاته وعالم
بكل المعلومات في كل الاوقات وعالم بكل المعلومات بعلم واحد
وذلك العلم غير متعين وذلك العلم من لوازم ذاته من غير ان يكون

في كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار في الجزء السابع والعشرين
منه قال السهيلي وهذا الحوت هو الذي ينحر لاهل الجنة
قبل ان يدخلوا الجنة فيأكلون من كبده وفيه من باب التذكر
والاعتبار ان الحوت لما كان عليه قرار هذه الارض وهو حيوان
سابح استشعر اهل هذه الدار انهم في منزل بلغة وليست
بدار قرار فاذا نحر لهم قبل ان يدخلوا الجنة فاكلوا من كبده
كان في ذلك اشعار لهم بالراحة من دار الزوال وانهم قد صاروا
الى دار القرار كما يذبح لهم الكبش الاملح على الصراط ليعلموا انه لا موت
وورد في الحديث ان الشهداء حين يدخلون الجنة تخرج لهم حوت وثور
من الجنة فينحر لهم الثور والحكمة في ذلك ان الثور آلة الحرث واهل
الدنيا لا يخلون من احد هذين الحرثين حرث لدنياهم وحرث
لاخراهم ففي نحر الثور هناك اشعار بارتياحهم من الكدين وفراغهم
من نصب الحرثين انتهى كلام السهيلي وان تجهر بالقول ترفع
صوتك به فانه يعلم السر ما اسررته الى غيرك واخفى منه وهو
ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك مما ستسره فيها
وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى
عنهم ما يعلمه هو لقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما وليس هذا القول بذاك قال الزمخشري قال
العرضي انت تعلم ما تسر به نفسك اليوم ولا تعلم ما تسره به غدا
والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسره به غدا والمعنى الله يعلم
السر واخفى ما اخفى على ابناء ادم مما هو فاعله وهو يعلمه فالله يعلم

واخفى منه وهو

على

ذلك

ان يكون موصوفا بالحدوث والامكان ۞ والعبد لا يشارك الرب الا في
الاول فانه قسم لمائته اقسام ۞ لائه واضدادها وهو اصل العلم
۞ ثم هذا السدس بينه وبين عباده نصفان ۞ فخمسة دقائق ونصف
جزء من العلم مسلم له ۞ والجزء الواحد مسلم لعباده ۞ ثم هذا
الجزء الواحد مشترك بين الخلائق كلهم من الملائكة الكروبيين والروحانيين
وحملة العرش وسكان السموات وملائكة الرحمة وملائكة العذاب
وكذا جميع الانبياء الذين ولهم آدم واخرهم النبي صلى الله عليه وسلم
وكذا جميع الخلائق في علومهم الضرورية والكسبية والحرف والصناعات
وجميع الحيوانات في ادراكاتها والاهتداء الى مصالحها في اغذيتها
ومنافعها ومضارها ۞ فالحاصل لك من ذلك الجزء اقل من الذرة
۞ ثم انك بتلك الذرة تعلم اسرار الالهية وصفاته الكاملة والواجبة
والمستحيلة فاذا كنت بهذه الذرة عرفت الاسرار فكيف يكون علمه
بخمسة دقائق ونصف افلا يعلم بذلك العلم اسرار عبوديتك ۞ فهذا
تحقيق قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ۞ بل الحق ان الدنيا
بتمامها له لان الذي علمته فانما علمته بتعليمه على ما قال انزله بعلمه
وقال الا يعلم من خلق ۞ وهذا له مثال وهو الشمس فان ضوءها
جعل العالم مضيا ولم ينقص منها شيء البتة وكذلك ههنا ۞ وكيف
لا يكون عالما بالسر والاخفى فان من تدبر آياته انه خلق الاشجار والنباتات
والحيوانات وكيفية نشوها ونموها اسرارا عجيبة واثارا عجيبة
۞ وقد مر من قبل بيان طرف من تلك الاسرار في الاشجار وامتصاص
غذائها من العروق الى الاغصان ومن الاغصان الى الاوراق وخلق هذه
الاشياء

الا شيأ لا يمكن الا لمن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال اي هو واحد
بذاته وان افترقت عبارات صفاته ۞ رد لقول من زعم انك تدعو الهة
حين سمعوا اسماءه تعالى ۞ قال صاحب التحرير لما قال سبحانه انه
يعلم السر واخفى قالوا هذا الضمير يعود على من فقال له قل لهم الذي
يعود عليه الضمير الله الذي لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ۞ والحسنى
مانث الاحسن ۞ والقياس ان يقول الاسماء الحسان والمحاسن
وانما انثها لان الجموع مؤنثة والجماعة توصف بصفة المؤنثة الواحدة
كقوله تعالى حدائق ذات بهجة ۞ وقوله مآرب اخرى ۞ قال الكرماني
اراد بالاسماء ههنا اسماء صفاته ۞ واراد بالحسنى ههنا في الاذان والعلو
۞ قال الزمخشري والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء
دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال
التي هي النهاية في الحسن انتهى ۞ قال صاحب التحرير واختلفوا في المراد
بهذه الاسماء الحسنى ۞ فقيل هي التي وردت في الحديث وهو قوله
صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة
۞ اي من حفظها ۞ وقيل من اقر بها ۞ وقيل من قالها معتقدا الصحة
۞ وقيل ان اسماءه تعالى كلها حسنى ۞ وقيل ان الله سبحانه قسم
اسماءه بثلاثة اقسام ۞ قسم جعله للدعاء وهي هذه التسعة والتسعون اسما
۞ وقسم اطلع على معانيه الخواص من عباده ۞ وقسم استاثر به لم يطلع
عليه احدا ۞ واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اسألك بكل اسم هو لك سميت به
ذو النون ۞ او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك

على الا

قال الامام فخر الدين اعلم ان ما يدل على التوحيد سيأتي من بعد
في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ۞ وانما ذكر
هذه الآية هنا ليبين ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه
الذي تقدم هو واحد لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره
۞ ثم الامام الفاضل رحمه الله ذكر من الابحاث المتعلقة بهذا
الباب مسايل ۞ الاولى اعلم ان مراتب التوحيد اربعة
احدها الاقرار باللسان ۞ والثاني الاعتقاد بالقلب ۞ والثالث تاكيد
ذلك الاعتقاد بالحجة ۞ والرابع ان يصير المرء مغمورا في عرفان
في بحر التوحيد بحيث لا يخطر بباله شيء سوى عرفانه
۞ اما الاقرار باللسان فان كان مجردا عن الاعتقاد بالقلب
فذلك هو النفاق ۞ واما الاعتقاد بالقلب فان كان مجردا عن
الاقرار باللسان ففيه صور ۞ الاولى من نظر وعرف الله تعالى وكما
عرفه مات قبل ان يمضي عليه من الوقت ما يمكنه التلفظ بكلمة الشهادة
فعال قوم انه لا تنفعه امانته والحق انه ينفعه لانه اتى بما كلف به وعجز
عن التلفظ فلا يبقى مخالفا به ۞ ورأيت في الكتب ان ملك الموت
مكتوب على جبهته لا اله الا الله لكي اذا رآه المؤمن تذكر الشهادة
فيلقنه ذلك التذكر ۞ الصورة الثانية من عرف الله تعالى ومضى عليه
من الوقت ما يمكنه التلفظ بكلمة الشهادة ولكنه قصر فيه فعال قوم
انه كافر والحق انه مؤمن فان المقصود هو المعرفة فامتناعه عن التلفظ
كامتناعه عن الصلاة والصوم والزكوة ۞ الصورة الثالثة من اقر باللسان
واعتقد بالقلب من غير دليل فهو مقلد والاختلاف في صحة ايمانه مشهور

واما المرتبة

واما المرتبة الثالثة وهو اثبات التوحيد بالدليل والبرهان
فالكلام فيها يذكر في تفسير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
۞ واما المرتبة الرابعة وهو الفناء في بحر التوحيد ۞ فال
المحققون هي الصفات التي هي صفات الحق بالذات المريدة بالصدق
منتهية الى الواحد القهار بحر الوقوف هذه الكلمات محيطة بالقصى
نهايات درجات السالكين الى حضرة الله سبحانه ۞ المسئلة
الثانية في الاخبار الواردة في التهليل ۞ عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال افضل الذكر لا اله الا الله ۞ وافضل الدعا استغفر الله ترتلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
وللمومنين وللمومنات ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق ملكا
من الملايكة قبل ان يخلق السموات والارض وهو يقول اشهد ان لا اله
الا الله ماد ايها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها
امر اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيمة بعظمة الله تعالى ۞
وقال صلى الله عليه وسلم ما زلت اشفع الى ربي ويشفعني واشفع اليه
واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله
قال يا محمد ليس ذلك لك ولا لاحد وعزتي وجلالي لاخرجن احدا من النار
قال لا اله الا الله ۞ وقال سفيان الثوري سالت جعفر بن محمد
عن حمد عسق فقال الحاء حكمه والميم ملكه والعين عظمته والسين سناوه
والقاف قدرته ۞ يقول الله تعالى بحكمي وملكي وعظمتي وسناي وقدرتي
لا اعذب بالنار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ۞ وعن ابن عمر
قال قال صلى الله عليه وسلم من قال في السر لا اله الا الله وحده لا شريك له

فضل التهليل

متوسط

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنه ومحى عنه الف الف سيئه
وبنى له بيتا في الجنه ● وعن ابي هريره رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون او بضع وستون افضلها لا اله الا
الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة من الايمان شعبة ج
● وعن معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر
كلامه لا اله الا الله دخل الجنه ● وفي حديث اخر من مات يعلم انه
لا اله الا الله دخل الجنه ● وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم
وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ● وقال الامام فخر الدين وينبغي
لاهل لا اله الا الله ان يحصلوا اربعة اشياء حتى يكونوا من اهل لا اله
الا الله التصديق والتعظيم والاجلال والحرمة ● فمن ليس له تصديق
فهو منافق ● ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ● ومن ليس له اجلال
فهو مرائي ومن ليس له الحرمة فهو فاجر ● وقال بعضهم في الدر
تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اعلم انه لا اله الا الله
اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله ● وتواصوا بالحق لا اله الا
الله ● انما اعظكم بواحدة لا اله الا الله ● وقفوهم انهم مسئولون
عن قول لا اله الا الله ● بل جا بالحق وصدق المرسلين هو لا اله الا الله
● يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
هو لا اله الا الله ● وقال موسى بن عمران يا رب علمني شيئا اذكرك به

قال قل

قال قل لا اله الا الله قال انما اردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو ان
السموات السبع وما فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا
اله الا الله ● المسئله الثالثه قال بعضهم تصور الثبوت مقدم على تصور
السلب فان السلب ما لم يضف الى الثبوت لا يمكن تصوره فكيف
قدم السلب ● والجواب المشهور لما كان هذا السلب موكدا
الثبوت لا جرم قدم عليه ● والاولى ان يقال المقصود من هذا الكلام هو
نفي الغير فكان النفي اهم والنفي والا هو مقدم ● المسئله
الرابعه في البحث عن اسما الله تعالى وفيه احاث ● الاول قال صلى الله
عليه وسلم اذا كان يوم القيمه نادى منادٍ ايها الناس ان جعلت
لكم نسبا وانتم جعلتم لانفسكم نسبا ان جعلت اكرمكم اتقاكم وانتم
جعلتم اكرمكم اغنياكم فالان ارفع نسبي واضع نسبكم اين المتقون
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ● اعلم ان الاشيا في قسمة
المعقول على اربعة اقسام ● كامل لا يحتمل النقصان وهو الله تعالى
وذلك في حقه بالوجوب الذاتي ● ويعبده الملائكة قال كما لهم انهم لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يستغفرون للذين امنوا ● وناقص
لا يحتمل الكمال وهو الجماد والنبات والبهايم ● ومتوسط وهو الذي يقبل
الامرين ● ومتوسط يحتمل الامرين جميعا وهو الانسان تارة في الترقي
حيث يخبر عنه بانه في مقعد صدق عند ملك مقتدر ● وتارة في التسفل
حيث يقال فيه ثم رددناه اسفل سافلين ● واذا كان كذلك استحال
ان يكون الانسان كاملا لذاته والكمال والنقصان امر نسبي يمكن ان يكون
الشي كاملا بالنسبة الى شي وناقصا بالنسبة الى شي آخر فاذا كان كمال الشي

ومتوسط

بالنسبة الى حضرة الله تعالى وقربه منه كان ذلك الشئ في مدح ما يكون
منتسبا اليه من الملائكة او من اكابر او من الانس ٥ ولما كان ذلك
المدح لا ينافي ما اشار اليه تعالى بقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
٥ الثاني في تفسير اسماء الله تعالى اعلم ان الاسم الواقع على
الشئ اما ان يكون بحسب ذاته ٥ واما ان يكون بحسب ما يكون داخلا
في ذاته ٥ واما ان يكون بحسب ما يكون خارجا عن ذاته ٥ اما
الاول فقد اختلفوا في انه هل لله تعالى اسم على هذا الوجه ٥ وهذا
الاختلاف مبني على ان حقيقة الله تعالى هل هي معلومة للبشر امر لا ٥ فمن
قال انها معلومة فقد قال ان لذاته تعالى اسما ٥ ومن قال انها غير معلومة
للبشر قال ليس لذاته المخصوصة اسم ٥ لان المقصود من الاسماء ان يشار
به الى المسمى فاذا كانت الذات المخصوصة غير معلومة امتنعت الاشارة
اليها بالعقل اليها وامتنع وضع الاسم لها ٥ واما الثاني فذلك محال
والا لكانت ذاته تعالى متجزية وكانت مركبة والواجب لذاته لا يمكن
ان يكون مركبا ٥ واما الثالث وهو ما يكون خارجا عن ذاته فذلك
من اسماء الصفات الخارجة عن الذات ٥ فالصفات اما ان يكون ثبوتية
حقيقية او ثبوتية اضافية او سلبية ٥ او ثبوتية مع اضافية ٥
او ثبوتية مع سلبية ٥ او اضافية مع سلبية ٥ او ثبوتية واضافية
وسلبية ٥ ولما كانت الاضافات الممكنة غير متناهية والسلوب
كذلك امكن ان يكون للبارئ اسماء متباينة غير متناهية فهذا هو السبب
على المذهب ٥ الثالث يقال اربعة آلاف اسم ٥
الف لا يعلمها الا الله ٥ والف لا يعلمها الا الله والملائكة ٥ والف
يعلمها الا الله والملائكة والانبياء ٥ واما الالف الرابعة فان المؤمنين
يعلمونها

فلثمانية في التوراة ٥ ولثمانية في الانجيل ٥ ولثمانية في الزبور
٥ وما بقي في القرآن تسعة وتسعون ظاهرة ٥ وواحد مكنوم من احصاها
دخل الجنة ٥ البحث الرابع الاسماء الواردة في القرآن منها ما ليس
لانفراده ثناء ومدح كقوله جاعل وفالق وصانع فاذا قيل فالق
الاصباح وجاعل الليل سكنا صار مدحا ٥ واما الاسم الذي يكون
مدحا فمنه ما اذا اقرن بغيره صار ابلغ كقولنا حي فاذا قلت
الحي القيوم او الحي الذي لا يموت كان ابلغ ٥ وايضا بديع فانك اذا قلت
بديع السموات والارض ازداد المدح ٥ ومن هذا الباب ما كان
اسم مدح ولكن يجوز افراده كقولنا دليل وكاشف فاذا قيل
يا دليل المتحيرين وكاشف الضر والبلوى جاز ٥ ومنه ما يكون
اسم مدح مفردا او مقرونا كقولنا الرحمن الرحيم ٥ البحث
الخامس من الاسماء ما يكون تفاريها احسن كقولك الاول الاخر ٥ المبدئ
المعيد ٥ الظاهر الباطن ٥ مثاله قوله تعالى ذكاه عن المسيح وان يغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم انهى كلام الامام فخر الدين ٥ وهل وقد
اى وقد اتاك حديث موسى خبره ٥ تفشاه بقصة موسى عليه
السلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة والصبر على المكاره ليبلغ
الدرجة العليا كما نالها موسى ٥ قال صاحب التحرير وجه
ارتباط هذه الايات بما قبلها انه سبحانه وتعالى لما عظم حال
القرآن وحال الرسول مما كلفه اتبعه بما يقوي قلب رسوله
من ذكر احوال الانبياء تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله وكلا نقص عليك
من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ٥ وكرر قصة موسى لان المحنة له

وفتنة كانت اعظم ليسلي قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك
ويصبره على حمل المكاره • وما يشي موسى عليه السلام بما ناله من
قومه من الاذى فعال وهل اتاك حديث موسى • وهل ههنا فيها
اقوال الاول انها استفهام بمعنى التقرير فانه سبحانه اراد ان
يقرر في ذهنه من قصة موسى ما يكون سببا لتسليته • وقيل
التقدير ليس قد اتاك • الثاني قيل هو استفهام تضمن الحث
على الاصغاء الى ما يخبر عنه • الثالث قال الكلبي معنى الكلام لم يأتك
فهو استفهام بمعنى النفي تقديره ما اتاك حديث موسى قال الكلبي
لم يكن اتاه حديثه بعد ثم اخبره به • الرابع قال الكلبي هل بمعنى
قد اي وقد اتاك حديث موسى قال ولم يكن اتاه حديثه بعد وانما
عرفه في وقته تسلية له لانه كان في حال ضيقة فوسعها الله عليه
• وفي حال وحشة فآنسه الله • وحال وحدة فكثر جمعه • واعتصم
بالصبر ففاز بالنصر • قال صاحب المحرر وهذه السورة مكية
بلا خلاف • والظاهر انه سبحانه لم يكن اطلعه على قصة موسى قبل هذا
والظاهر ان الاستفهام بمعنى التقرير لا بمعنى التحقيق • وموسى هو
موسى بن عمران عليه السلام بلا خلاف • والحديث والقصة بمعنى
واحد • وكان من حديثه انه لما قضى اكمل الاجلين وسار باهله
وهو متجه من مدين يريد مصر وكان قد اخطأ الطريق وكان موسى رجلا
غيورا يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا يروا
امرأته فاخطأ الرفقة لما سبق في علم الله وكانت ليلة مظلمة
• وقال مقاتل ليلة الجمعة في الشتاء • وقال وهب بن منبه

استأذن

استأذن موسى شعيبا في الرجوع الى والدته فأذن له فخرج باهله
وغنمه فولد له في الطريق غلام في ليلة شاتية باردة مثلجة
وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته فقدح موسى النار فلم تور
القدح شيئا اذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق • فقال
لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي ابصر
• وقال ابن عباس فلما توجه نحو النار فاذا النار في شجرة
عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك
الشجرة فلا شدة حمرة النار تغير خضرة الشجرة • ولا كثرة ما الشجرة
تغير حسن ضوء تلك النار • وذكر المهدوي فرأى النار فيما
روى وهي في شجرة من العليق فقصدها فانحرفت عنه فرجع
واوجس في نفسه خيفة ثم دنت منه • وكلمه الله عز وجل
من الشجرة • قال الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت
عند الله نورا كذا قاله القرطبي • قال في المحرر قال وهب ولد
له ابن في الطريق • قال وهب فلما قضى موسى الاجل خرج وهو
غمه وهو زنده وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهارا فاذا
امسى اقتدح نارا فبات عليها هو واهله وغنمه • فاذا اصبح سار
باهله وغنمه يتوكأ على عصاه • فلما كانت الليلة التي اراد
الله تعالى بموسى كرامته اخرج زنده ليقتدح نارا لاهله ليبيتوا
عليها حتى تصبح ويتعلم وجه سبيله فقدح حتى اعيى فلاحت
النار فرآها فقال لاهله اني انست نارا ولعلي آتيكم منها بخبر او
آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلم يؤ
نارا وخيل له انها نار • قال الامام فخر الدين والصحيح

انه رآى نارا ليكون صادقا فى خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبيآ
اهى ٥ وقال ٢ زهره الرياض يقال لما قضى موسى الاجل
وسار باهله ٥ وضع موسى الرحل على بقرة عند خروجه ٥ واركب
امراته على بقرة ٥ وجعل الغنم قدامه ٥ وكان معها صبى صغير
٥ وكان بامراة موسى حبل فاخذها الطلق فى الطريق
وساروا من اول النهار الى اخره فضلوا الطريق ٥ وكانت
المراة قالت لو اخذنى الطلق فى الطريق ماذا نعمل فقال لها موسى
لا تفكرى فانا نحمل معنا القداحة والحجر والحراقة ونوقد
النار ونجمع الغنم ونصلح شانك ٥ فلما اقبل الليل اشتد
بها الوجع فقالت الغياث يا موسى فاخرج موسى القداحة
وحجر الزند والحراقة فامر الله الروح فهبت وذهبت الحراقة
من جانب والزند من جانب والقداحة من جانب ٥ وهربت
الغنم كلها فى المفاوز ٥ وهربت البقر الذى كان عليه الرحل
واخذ الصبى فى البكآ واخذت المراة فى البكآ الولاده
وضاق الامر على موسى عليه السلام ٥ واوحى الله الى نار الدنيا
كلها فى تلك الليلة ان لا توقدى لعالم شامها وشرق الارض وغربها
وبرها وبحرها ولا سراج ولا شمع ٥ فلما عجز موسى عليه السلام
عن حل الربوبيه اظهر الرب كرم الربوبيه ٥ فانس من جانب الطور نارا
فلما انتهى راى نورا عظيما ممتدا من عنان السما الى شجرة عظيمه هناك
٥ ويقال انها العوسجة ٥ ويقال العناب ٥ فتحير موسى وارتعد
فرائصه ٥ حيث راى نارا لا دخان لها تلتهب من نور جوف فرائصه

شجره

شجرة خضرآ ٥ لا تزداد النار الا عظما والشجرة الا خضرة ٥ فنودى
من شاطى الوادى الايمن فى البقعه المباركه من الشجره ان يا موسى
فنظر فلم ير احدا فنودى انى انا الله ٥ فلما سمع النداآ ورا
تلك الهيبه خفق قلبه وكل لسانه وصار جبانا كالميت الا ان روح
الحيوة تتردد فيه ٥ وارسل الله تعالى ملكا يشد ظهره ويقوى قلبه
٥ فلما تاب الله عقله فقيل له انى انا ربك ٥ فلما قيل له انى نظر
الى الاسفل ٥ فلما نودى انا نظر الى الاعلى فلم ير فى الاسفل ولا
فى الاعلى شيا فقيل له دع الاعلى والاسفل وانظر الى فانى انا
انا الله ٥ وفى الاخبار ان موسى سئل ربه رفعت ان المتكلم
كان هو الله ٥ قال لا كلام المخلوق يسمع من جانب واحد فلما
قيل يا موسى سمعت من الاسفل والاعلى والقدام والخلف جميعا
دفعة واحده فعلمت ان الرب هو المتكلم ٥ ثم قال له اخلع
نعليك انك بالوادى المقدس طوى ٥ وقيل كانا من جلد حمار
ميت غير مدبوغ ٥ وقيل كى تمس راحته قدميه الارض الطيبة
٥ ولان الخفوة من امارة التواضع ٥ وقيل النعل عباره عن المراة
يعنى اخرج همها امرانك وولدك من قلبك ٥ يا موسى اذا وجدتنى فما
تصنع بالاهل والمال ٥ جعلت الذياب حارسة غنمك ٥ والحور
العين قابلة اهلك ٥ والملايكة حارسة اولادك ٥ من كان لى كنت
له ٥ وفى كتاب العرايس قال كعب كان بين موسى وبينه سبعون
الف حجاب فرفعها كلها الا حجابا واحدا فاستجلى موسى كلام
ربه واشتاق الى رويته ٥ قال رب ارنى انظر اليك ٥ فقال الله تعالى

لن تراني ولن تطيق ٥ وليس لبشر ان يطيق النظر الى في الدنيا من نظر
الى السمات ٥ فقال الهي وكيف انظر اليك وانت احب الي من ان
اعيش ولا اراك ٥ فقال الله له انظر الى الجبل فان استقر مكانه
فسوف تراني الايه ٥ وقيل ان موسى لما استلذ الكلام حمله
لذة الكلام على سوال الروية فقال رب ارني الايه لطيب
كلامه وغلبة شوقه لان الحق قربه وشوقه فلما غلب عليه
الشوق قال رب ارني الايه ٥ ويقال مكث موسى بعدما غشيه
نور الرب لا يراه احد الا مات حتى اخذ برقعا يبدي وجهه لاحد
مخافة ان يموت ٥ اعلم ان عشرة نفر خرجوا الى طلب عشرة
اشيا فوجدوا بدلها عشرة اخرى ٥ اصحاب الكهف طلبوا الفرار
من صحبة دقيانوس فوجدوا صحبة الرب وتقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال اي نحوهم من جنب الى جنب كما يحرك الصبي امه في المهد
٥ والثاني طالوت خرج لطلب الجهاد ٥ فوجد الملك من الجياد ٥ قوله
اني يكون له الملك علينا الايه القصة بطولها ٥ والثالث خرج داود
لطلب اخوته فوجد دليلا على نبوته وهو قول الحجر خذني الى ان قال
وقتل داود جالوت ٥ والرابع خرج يوسف على نية اللعب ٥ فوجد
الجب والسجن ٥ وبعد ذلك مملكة مصر ٥ والخامس خرج بلقيس
لنظر ملك سليمان عليه السلام فوجدت المعرفة ٥ ولكل واحد قصة
في التفسير ٥ والسادس خرج اسعد لما وادي غير ذي زرع
فوجد الكعبة ٥ والسابع خرج محمد صلى الله عليه وسلم الى جبل حرا لرعاية غنم
خديجة فوجد الرسالة ٥ قوله اقرا باسم ربك ٥ والثامن خرج عمر لقتل

سليمان عليه السلام

محمد صلى الله

محمد صلى الله عليه وسلم فوجد الاسلام ٥ قوله طه ما انزلنا عليك القران لتشقى
٥ والتاسع سحرة فرعون خرجوا لتبطلوا معجزة موسى عليه السلام والتاسع
فوجدوا الاسلام ٥ قوله والق العصا فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا
ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون ٥ والعاشر خرج موسى لطلب النار فوجد النور
٥ وخرج للاصطلاء فوجد الله اصطفاه ٥ قوله تعالى انست
نارا لعلي اتيكم ٥ قال الله يا موسى كيف تراني على البساط الفاني
اصبر حتى اجعلك باقيا حتى تراني ٥ يا موسى منذ عشر سنين صرت
راعيا للشعيب والعلنسوة على راسك والعصا في يدك لاجل بنت شعيب
وصرت اجيرا عشر سنين حتى وجدتها ٥ وصمت اربعين يوما تطلب
مني الروية ٥ يا موسى سالت عني بالامس نصف سؤال ٥ قوله اني لما
انزلت الي من خير فقير الايه ٥ فالآن تسال عني الروية والروية غاية
الكرامة ٥ وغاية الكرامة هي لاكرم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ٥ يا موسى
جعلت هرون واسطة بينك وبين قومك فعلت اخلفني في قومي
الايه وجعلت الجبل بيني وبينك واسطة لتنظر الى الجبل ٥
يا موسى جوابك في سوالك الروية مكتوب في فص خاتمك ٥ وكان مكتوب
على فص خاتمه لكل اجل كتاب ٥ ولما رجع موسى عن الجبل راى الجبل
قد تحول عقيقا ٥ قال يا جبل مالك حين مررت بك كنت حجرا
فالآن صرت عقيقا ٥ قال الجبل يا موسى مالك حين مررت بي
كنت راعيا فالآن صرت نبيا وكليما انهر كالازهرة الرياض
اذ رأى نارا يجوز ان ينصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او مضمر
اي حين راى نارا كان كيت وكيت ٥ او مفعولا لاذكر ٥ قال

شعلة من نار ه قال الزمخشري ح

بقبس القبس النار المقتبسة في رأس عود او فتيلة او غيرهما
او اجد على النار هدى قال الفراء هاديا فذكره بلفظ المصدر
ه قال الزمخشري هدي اي قوما يهدون الطريق او ينفعونني
بهداهم في ابواب الدين ه وذلك لان افكار الابرار معمورة بالهمة
الدينية فرجع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل ه والمعنى ذوي
هدى ه او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ه قال
النسفي فكانه قال اجد على النار ما اهتدي به من دليل او علامة
ه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان
القريب منها كما قال سيبويه مررت بزيد انه لفوق سطح
يقرب من زيد ه او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تلفعوها
قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ه ومنه قول الاعشى
وبات على النار الندى والمحلق ح اسم رجل ه

فلما اتاها اي النار وجد نارا بيضاء تتوقد من شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها ه وكانت شجرة العناب ه وقيل العوسج ه وقيل
كانت من العلّيق ه ولم يجد عندها احدا ه وروي انه كلما طلبها
بعدت عنه فاذا تركها قربت منه ه فوقف متعجبا من حسن تلك
النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا شدة حر النار تغير حسن
خضرة الشجرة ولا كثرة ما الشجرة ولا الخضرة تغير حسن ضوء النار
ه قال البغوي في المعالم قال اهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى
نارا بل كان نورا اذ كر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه
نارا ه وقال اكثر المفسرين انه نور الرب وهو قول ابن عباس

قال النار زكي او اجد على النار اي على الطريق ح
هدى اي ذوي هدى لانهم كانوا
على مكان عال ه او بمعنى عند
الزمخشري

في القداحه ونار ما كل سوب وهو نار خرى ص

في البحر والتجبر قيل النار اربعة اقسام ه نار تاكل ولا تشرب
وهي نار الدنيا ه ونار تشرب ولا تاكل وهي النار في الجنة ه
ه ونار لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام ه وقيل
النار ايضا اربعة اقسام ه احدها نار لها نور بلا حرقة وهي
نار موسى عليه السلام ه وثانيها نار لها حرقة بلا نور وهي نار
جهنم ه وثالثها نار لها حرقة ونور وهي نار الدنيا ه ورابعها
نار لا حرقة لها ولا نور وهي نار الاشجار ه فلما راى النار توجه
نحوها ه قال في المدارك اذ رآى نارا في زعمه فكان نورا
فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم ه ولم يقل اقعدوا لان الاقامة
تعم المنبت ه والمكث يطلق على القليل والكثير ه قال في البحر
فلم خاطب بذلك المراة وحدها زوجته وولده والخادم الذي
معهم ه ويجوز ان يكون خاطب بذلك المراة وحدها لكن خرج على لفظ
ظاهر لفظ الاهل فان الاهل يقع على الجميع ه وايضا فقد خاطب
الواحد بلفظ الجماعة لعظمه اله إني آنست ابصرت نارا والايناس
رؤية شيء يونس به ه وقال الزمخشري الايناس الابصار البين الذي
لا شبهة فيه ه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس
لظهورهم ه كما قيل الجن لاستتارهم انتهى لعلي آتيكم منها قال
الزمخشري لما وحد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم
بكلمة إن ليوطنوا انفسهم ه ولما كان الايناس بالقبس ووجود
الهدى متوقفين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع
وقال لعلي فيقول اني آتيكم ليلا بعد ما ليس ليتيقن الوفاء به

ولم يقطع ح

بقبس

وعكرمه وعمرهما ۞ وقال سعيد بن جبير هي النار بعينها ۞ وهو احد
حجب الله تعالى ۞ يدل عليه ما روى عن ابي موسى الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه ۞ وفي القصة ان موسى اخذ
شيا من الحشيش ليابس وقصد الشجره فكان كلما دنا ناءت
منه النار واذا ناءى دنت فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة
وألقيت عليه السكينة انتهى ۞ قال الرهاوي السعي وراى
نورا عظيما فظن موسى انها نار فاخذ من دقاق الحطب ليقتبس منها
فمالت الله كانها تريده فنأ حر عنها بردنا منها فما حرت عنه ثم
لم يكن اسرع من خمودها كانها لم تكن فرمى موسى ببصره الى فرعها
فاذا احضر تها ساطعة في السما واذا نور من السما الى الارض تكل
عنه الابصار ۞ فلما راى موسى ذلك وضع كل يديه على عينه فنودي
يا موسى ۞ قال القاضي ياخبر النار لا يمكن الا بعد النبوه اذ هو
معجزة له او لغيره اهـ كلام السعي ۞ وفي قوله وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى دلالة على انه في هذه الحالة اوحى الله تعالى اليه وجعله نبيا
۞ وعلى هذا الوجه بعد ما ذكروه من تاخر النار عنه ۞ وقوله
تعالى فلما اتاها نودي يا موسى يدل على فساد التاخر لانه لو صح لما
بقي لفا التعقيب فايده ۞ والقاضي نفى هذا الاعتراض على مذهبه
من ان الارهاص غير جايز عند اهل السنه ۞ واما فا التعقيب
فالتخلل بين المجي والنداء بالزمان القليل لا يقدح اهـ كلام السعي
نودي موسى يا موسى اني بكسر الهمزه اي نودي فقيل يا موسى اني

وان الله آ
قال

انا الله آ صرف من القول فعومل معاملته ۞ وبالفتح على انه عمرو
اي نودي بانني ۞ وفي سوره القصص نودي من الشجره اي من جهتها
وناحيتها ۞ ثم قال في التحرير والتنوير ۞ من المشابه وهذه
السورة قوله بعد وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا فقال لاهله
امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى ۞
وفي النمل اذ قال موسى لاهله اني انست نارا سا تيكم منها بخبر
او آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ۞ وفي القصص فلما قضى موسى
الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست
نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوه من النار لعلكم تصطلون ۞ هذه
الايات الثلاث تشتمل على ذكر رويه موسى النار ۞ وامره اهله بالمكث
واخباره اياهم انه آنس نارا ۞ واطماعه اياهم في اتيانهم بنار يصطلون
بها او خبر يهتدون به الى الطريق الذي ضلوا عنه ۞ لكنه نقص من النمل
ذكر رويه موسى النار وامره اياهم بالمكث اكتفاء بما تقدم ۞ وزاد
في القصص فلما قضى موسى الاجل المضروب وسيره باهله لما صدر
عن الشيء قد يجمل ثم يفصل وقد يفصل ثم يجمل ۞ وربما فصل واجمل
في النمل ثم فصل في القصص وبالغ فيه ۞ وقوله في هذه السوره
او اجد على النار هدى اي من يخبرني بالطريق فيهديني اليه ۞ وانما اخر
ذكر الخبر فيها وقدمه في غيرها مراعاة لفواصل الآي في السور جميعا
۞ وكرر لعل في القصص وهنا لفظا وفي النمل معنى ۞ لان قوله او اجد
على النار هدى نائب عن لعل وسا تيكم بمعنى لعل ۞ وفي القصص او
جذوه من النار ۞ وفي النمل بشهاب قبس ۞ وفي هذه السوره بقبس

لان الجذوه من النار خشبة فی راسها قبس له شهاب • فهی فی هذه
السور الثلاث عبارة عن معنی واحد ن وهذا برهان لا مع ن
ن وهد وایضا من المشابه • قال فی هذه السورة فلما اتاها
وفی النمل فلما جاءها • وفی النمل جاءها القصص اتاها • واتاها وجاءها
بمعنی واحد لکن لفظ الاتیان فی طه کثیر • کوفا تیناه •
فلنا تینک بمرانی بموصفا • حیث انی ن ولفظ جاء فی النمل
اکثر کوفلما جاءتهم • وجیئتک من سباء فلما جاء سلیمان ن فالحق
القصص بطه لقرب ما بینهما ن وقال فی هذه السوره فرجعناک
الی امک • وفی القصص فرددناه الی امه لان الرجع الطف فخص طه به
ن وخص القصص بقوله فرددناه تصدیقا لقوله سبحانه انا اردوه
الیک انتهی کلام صاحب التحریر ن وقال البارزی فی اسولة
القران ووقع اختلاف الالفاظ فی هذه السور وقد اخبر الله تعالی انه
لو کان من عند غیر الله لوجدوا فیه اختلافا کثیرا فما وجه هذا الاختلاف
فی قصة الاخبار عن قصة واحدة ن مرة قال لاهله لعلی اتیکم منها
بقبس او اجد علی النار هدی ن ومرة قال سآتیکم لاغیر ذلک فوقع
الاختلاف فیما قال لاهله • وفیما خوطب به ن والجواب ان الله
تعالی لم یخاطب موسی علیه السلام الا باللغة العربیة حتی یؤدی اختلاف
الالفاظ الی اختلاف المعانی • ولا اخبر بمجموع القصة فی کل سورة
بل اخبر بالبعض فی البعض • وبالبعض الاخر فی البعض الاخر ن ولیس بدفع
بعضه بعضا ن واما قوله یؤدی یا موسی انی انا ربک فاخلع نعلیک
الایه فیما جری ولم یخبر به فی غیر هذه السورة • وکذلک القول فی العصا

وسوالہ

~~لان الجذوه من النار خشبة فی راسها قبس له شهاب فهی فی هذه~~
السور الثلاث عبارة عن معنی واحد ن وهذا برهان لا مع ن وایضا
من المشابه قال فی هذه السوره فلما اتاها وفی النمل فلما جاءها
وفی القصص اتاها واتاها وجاءها بمعنی واحد لکن لفظ الاتیان فی طه
کثیر کوفاتیناه فلنا تینک بمرانی بموصفا حیث انی ن
ولفظ جاء فی النمل اکثر کوفلما جاءتهم وجیئتک من سباء فلما جاء
سلیمان ن فالحق القصص بطه لقرب ما بینهما وفی هذه السورة
قال فرجعناک الی امک وفی القصص فرددناه الی امه لان الرجع الطف
~~فخص طه به وخص القصص بقوله فرددناه تصدیقا لقوله سبحانه انا اردوه~~
الیک انتهی کلام صاحب التحریر ن وسواله وتقریره علی وصفها الهی
کلامه ن نودی موسی یا موسی انی انا بکسر الهمزه ای نودی
فقیل یا موسی انی لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته
ن وبالفتح مکی وابو عمرو ای بنودی انی ن وفی سوره القصص نودی
من الشجره ای من جهتها وناحیتها انا ربک انا مبتدا وتوکیدا وفصل
ن وکرر الضمیر فی انا ربک لتوکید الدلالة وتحقیق المعرفة
واماطة الشبهة ن روی انه لما نودی یا موسی قال من المتکلم
فقال الله تعالی انا ربک • وان ابلیس وسوس الیه لعلک تسمع
کلام شیطان فقال انا عرفت انه کلام الله تعالی فانی اسمعه
من جمیع جهاتی الست • واسمعه بجمیع اعضائی ن وقال
وهب نودی من الشجرة فقیل یا موسی فاجاب سریعا ما یدریک من دعاه
فقال انی اسمع صوتک ولا اری مکانک فاین انت فقال انا فوقک

انی ص

ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك
لا ينبغي الا لله عز وجل فايقن به ٭ قال حافظ الدين في العقيده
النسفيه عند الاشعري كلامه مسموع ٭ وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله
غير مسموع لاستحالة سماع ما ليس بصوت ٭ وعند الشيخ ابي منصور
ان موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى ٭
وخص موسى بكونه كليم الله لانه بغير واسطة الكتاب والملك
اسهى ٭ قال البرهان النسفي قال الاشعري انه تعالى اسمعه
الكلام القديم الذي ليس بحرف ولا صوت ٭ واما المعتزله
فانهم انكروا وجود ذلك الكلام ٭ وقالوا انه تعالى خلق ذلك
النداء في جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها ٭ واما اهل السنة
من اهل ما وراء النهر فقد اثبتوا الكلام القديم الا انهم زعموا ان
الذي سمعه موسى صوت خلقه الله تعالى في الشجرة ٭ واحتجوا
بالآية على ان المسموع هو الصوت المحدث قالوا ان الله تعالى رتب
النداء على انه اتى النار والمرتب على المحدث محدث فالنداء محدث
٭ واختلفوا في ان موسى عليه السلام كيف عرف ان المنادي هو الله
تعالى فقال اهل السنه يجوز ان يخلق الله له علما ضروريا بذلك ٭
ويجوز ان يعرفه بالمعجزة ٭ واختلفوا في ذلك المعجز فمنهم من قال
حر نعلم قطعا انه تعالى عرفه ذلك بواسطة المعجزة ٭ ولا حاجة
لنا ان نعرف ان ذلك المعجز ما هو ٭ وقيل ان موسى عليه
السلام لما شاهد النور الساطع من السما الى الشجرة وسمع تسبيح الملائكه
وضع يده على عينه ونودي يا موسى فقال لبيك اني اسمع صوتك

ولا اراك

ولا اراك فاين انت ٭ فقال انا معك وامامك وخلفك ومحيط بك واقرب
اليك منك ٭ ثم ان ابليس اخطر بباله ما يدريك انك تسمع كلام الله
فقال لاني اسمعه من قدامي ومن خلفي وعن يمني وعن شمالي كما اسمع
من قدامي فعلمت انه ليس من كلام المخلوقين فسمعته بجميع اجزائي
وابعاضي كان كل عضو منه صار اذنا ٭ وقيل انه عليه السلام
راى النار في الشجرة الخضرا الرطبة الطرية ٭ وهذا مما لا يقدر عليه
احد الا الله ٭ وقيل انه سمع النداء من جماد كالحصى مثلا
فيكون ذلك معجزة ٭ انتهى كلام النسفي ٭ قال السلمي قال
جعفر قيل لموسى عليه السلام كيف عرفت ان النداء هو النداء الحق قال
لانه افناني وشملني ٭ فكان كل شعرة مني كانت مخاطبة بندائين
جميع الجهات ٭ وكانها تعبر عن نفسها بجواب ٭ فلما شملني انوار
الهيبة واحاطت بي انوار العزة والجبروت علمت اني مخاطب من جهة
الحق فلما كان اول الخطاب اني ثم بعده انا علمت انه ليس لاحد ان
يخبر عن نفسه بالفطن جميعا متتابعا الا الحق فاذ هشت وهو كان
محل الفنا ٭ فقلت انت انت الذي لم تزل ولا تزال وليس لموسى
معك مقام ولا له جرأة الكلام ٭ الا ان تبقيه ببقائك ٭ وتنعته
بنعوتك ٭ فتكون انت المخاطب والمخاطب جميعا ٭ فقال
لا يحمل خطابي غيري ولا يجيبني سواي ٭ انا المكلم وانا المكلم
وانت في الوسط شيخ يقع بك محل الخطاب انتهى كلام السلمي ٭

فاخلع نعليك امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت
غير مدبوغ قاله السدي وقتاده ٭ وقيل لانهما كانتا من جلد البقر الذي تقدم به

متبرکا به ۞ وقیل لان الخشوع تواضع لله تعالی ۞ ومن شرط
السلف باللعبة جافین ۞ ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعلیه
وکان اذا اندر منه الدخول متنعلا تصدق ۞ والقرآن یدل علی
ان ذلک احترام للبقعة وتعظیم لها وتشریف لقدسها ۞
ن والخلع النزع ۞ والنعل ما جعلته وقایة لقدمیک من الارض
ن واختلف العلماء فی السبب الذی من اجله امر بخلع نعلیه
فقیل کانتا من جلد حمار میت فلذلک امر بخلعهما صیانة للوادی غیر
المقدس ولذلک قال عقبه انک بالوادی المقدس وهذا قول علی
ومعامل والکلبی والضحاک وقاده والسدی ۞ وروی الترمذی
عن عبد الله بن مسعود عن النبی صلی الله علیه وسلم قال کان علی موسی
یوم کلمه ربه کساء صوف وجبة صوف وکمة صوف وسراویل
صوف وکانت نعلاه من جلد حمار میت ۞ قال هذا حدیث غریب
۞ والکمة القلنسوة الصغیرة ۞ وقیل انما امر بخلعهما لینال
قدماه برکة الوادی قاله الحسن وسعید بن جبیر ومجاهد ۞ قال
ع المحرر ولیشکل علی هذا قوله صلی الله علیه وسلم للذی سمعوا خفق نعالهم
۞ وقیل امر بخلع النعلین للتواضع والخشوع عند مناجاة الله تعالی
۞ وقیل اعظاما لذلک الموضع عن ان یطاه الا حافیا لیکون معظما له
یؤیده قوله عقیبه انک بالوادی المقدس وهذا یفید التعلیل کانه قال
اخلع نعلیک لانک بالوادی المقدس ۞ کما ان الحرم لا یدخل بنعلین اعظاما
له ۞ قال سعید بن جبیر قیل له طاء الارض حافیا کما تدخل الکعبة
حافیا والعرف عند الملوک ان یخلع النعال ومبلغ الانسان لا غایه الوا
وکان

فکان موسی اراد ذلک ولا یبالی کانت نعلاه من میتة او غیرها
۞ وقد کان مالک رحمه الله لا یری لنفسه رکوب دابة بالمدینة النبویه
اعظاما لتربتها المحتویة علی الاعظم الشریفه والحبه الکریمة ۞ وقال
ارباب الاشارات المراد بالنعلین هنا الزوجة لان النعل فی النوم والولد
یعبر عنه بالزوجة والولد فهو اشارة الی ان لا یلتفت بخاطره الی
الزوجة والولد ۞ وقیل المراد بخلع النعلین ترک الالتفات فیه
لا الدنیا والاخره کانه امره بان یصیر مستغرق القلب بالکلیه فی معرفة
الله تعالی ولا یلتفت بخاطره الی ما سوی الله تعالی ۞ وعلی هذا القول
یکون المراد بالوادی المقدس تقدیس جلال الله تعالی کانه قال اذا وصلت
الی الوادی المقدس فلا تلتفت الی المخلوقات ۞ قاله فی التحریر ۞ قال
السلمی قال ابو سلیمان اخلع نعلیک لیصیب قدمک برکة الوادی
والوادی برکة قدمیک ۞ وقال الشبلی اخلع الکل منک تصل
الینا بالکلیة فتکون ولا تکون فتحقق بغیر الجمع فیکون اخبارک
عنا وفعلک فعلنا ۞ وقیل اخلع نعلیک فانک بعین موجدک ۞
وقال جعفر اقطع عنک العلائق فانک بأعیننا ۞ وقال ابن عطا
اخلع نعلیک ای اسقط عنک محل الفصل والوصل فقد حصلت فی وادی
المقدس وهو الذی یطهر عن الاحوال الجمع ۞ ویرد الی مخولها علیک
۞ وقیل فی قوله تعالی بالوادی المقدس طوی ای اطوعنک بساط
المخالفات ۞ فمن حصل فی هذا الوادی طوی عن قلبه ما لا یکون مقدسا
۞ قال ابن عطا اخلع نعلیک انزع عنک قوة الاتصال والانفصال
انک بالوادی المقدس ای بوادی الانفراد معی لیس معک احد سوای

والولد ۞ یصح ذکر هذا ایضا

۞ یصح ذکر هذا ایضا

نحشر لکونهما

۞ یصح ذکر هذا ایضا

۞ یصح معنی هذا ایضا

۞ یصح ذکر هذا ایضا

عند ملاقاتهم

قال القرطبي ويحتمل ان موسى أمر بخلع نعليه وكان ذلك اول فرض
عليه مما قبل لمحمد صلى الله عليه وسلم فمر فاذكر وربك وكبر وثيابك فطهر
والرجز فاهجر والله اعلم بالمراد من ذلك قال القرطبي وفي الخبر
ان موسى عليه السلام خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقال
ابو الاحوص زار عبد الله ابا موسى في داره فاقيمت الصلاة فقال
ابو موسى لعبد الله تقدم فقال له عبد الله تقدم انت فانك في دارك فتقدم
ونزع نعله فقال عبد الله أبا الوادي المقدس انت وفي صحيح
مسلم عن سعيد بن يزيد قال قلت لانس اكان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي في نعليه قال نعم ورواه النسائي عن عبد الله بن السائب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح فوضع نعله عن يساره وروى ابو داود
من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى القوم ذلك
خلعوا نعالهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم على
القائكم نعالكم قالوا رأيناك القيت نعليك فالقينا نعالنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما قذرا وقال اذا جاء
احدكم المسجد فلينظر فان رأى في نعليه قذرا او اذى فليمسحه ولي صل
فيهما صححه ابو محمد بن عبد الحق وهو كما من الحديث قبله وترفع منهما
التعارض ولم يخالف العلماء في جواز الصلاة في النعال اذا كانت طاهرة
مذكى حتى لقد قال بعض العلماء الصلاة فيهما افضل وهو معنى قوله
تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد عما تقدم وعن ابراهيم النخعي
في الذين يخلعون ودت ان محتاجا جاء واخذها قال القرطبي

تعالى م

قال خلعتهما

فان خلعتهما فاخلعهما بين رجليك فان ابا يزيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليخلع نعليه بين رجليه وقال
ابو هريرة للمقبري اخلع نعليك بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما
وقد روى عبد الله بن السائب انه صلى الله عليه وسلم جعلهما عن
يساره فانه كان امامنا فان كنت امامنا او وحدك فافعل ذلك
ان احببت وان كنت مأموما في الصف فلا تؤذ بهما احدا على
يسارك ولا تضعهما بين قدميك فيشغلاك ولكن قدام قدميك
وروى عن حبيب بن طهمان انه قال وضع الرجل نعليه بين
قدميه بدعة قال القرطبي فان تحقق فيهما نجاسة مجمع
على تنجسها كالدم والعذرة من بول بني ادم لم يطهرها الا الماء
عند مالك والشافعي واكثر العلماء وان كانت النجاسة مختلفا فيها
كبول الدواب وارواثها الرطبة فهل يطهرها المسح بالتراب من النعل
والخف امر فيه قولان عندنا وقال ابو حنيفة رحمه الله يزيله
الحك والفرك والرطب لا يزيله الا الغسل ما عدا البول فلا
يجزئ فيه عنده الا الغسل وقال الشافعي لا يطهر شيء من ذلك
كله الا بالماء انتهى كلام القرطبي انك بالوادي المقدس
المطهر او المبارك قال القرطبي والارض المقدسة المطهرة
سميت بذلك لان الله اخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين قال
القرطبي وقد جعل الله تعالى لبعض الاماكن زيادة فضل على بعض كما
قد جعل لبعض الازمان زيادة فضل على بعض ولبعض الحيوان كذلك
ولله ان يفعل ما يشاء وعلى هذا فلا اعتبار بكونها مقدسة باخراج

المشركين واسكان المومنين فعدشاركه في ذلك غيره طُوًى حيث
كان مثنون بد شامي وكوفي لانه اسم علم للوادي ه وهو بدل ه
وغيرهم بغير تنوين بتاويل البقعه ه وقرا ابو زيد بكسر الطاء
بلا تنوين ه قال الجوهري وطوى اسم موضع بالشام يكسر
طاوه وتضم يصرف ولا يصرف ه فمن صرفه جعله اسم واد ومكان
وجعله نكره ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفه
وقال الواحدي قوله المقدس طُوًى طُوًى مرتين اي قدّس ه وقال
الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ه وذكر المهدوي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له طوى كلم موسى طواه بالليل اكمن
مرتين فارتفع الاعلى الوادي وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة ه وانا
اخترناك حمزة فاستمع لما يوحى اليك ه ما موصوله اي للذي
يوحى ه او مصدريه اي للوحي ه واللام متعلق باستمع ه او باخترتك
ه قال ابن عطيه وحدثني ابي رحمه الله قال سمعت ابا الفضل
الجوهري رحمه الله يقول لما قيل لموسى عليه السلام استمع لما يوحى
وقف على حجر ووضع يمنه على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف
ليستمع وكان كل لباسه صوفا ه قال القرطبي حسن
الاستماع كما تحب قد مدحه الله تعالى فقال الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله ه ولذلك ذم على خلاف
هذا الوصف فقال نحن اعلم بما يستمعون به الاية ه فمدح المنصت
لسماع كلامه مع حضور العقل وامر عباده بذلك ادبا لهم
فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا ه وقال هنا
فاستمع لما يوحى لان بذلك تنال الفهم عن الله تعالى ه روى

(عن وهب)

الوادي ما انخفض
من الارض بين جبلين
او هضبتين وهو ايضا مسيل
الماء

اي قدّس الوادي
كرة بعد كرة ص

والرسالة ص

قال النسفي بعثاه اخترناك
للرسالة والكلام المخصوص
بك ه وهذه الاية تدل
على ان ذلك المنصب
العالي انما حصل لانه
تعالى اختاره له ابتداء
ه وقال السلمي في تفسيره
قال الواسطي قوله
وانا اخترتك اختارك من جهة
مرهونة ومصطفيه ومصطفيه
ومربيه على يدي اعدائه
والملقى محبته في قلوب
عباده فلم يستطيعوا له
الا محبة والمطلع لسانه
على العقده والميسر له
امره فلا عسر عليه مطلوب
حال ه كل هذا يقدم
اليه وممن به عليه ليكون
ثابتا عند مخاطبة الخطاب
ومواجهة الوحي والكلام ص

بغيره ص

عن وهب من منبه انه قال من ادب الاستماع سكون الجوارح
وغض البصر والاصغاء بالسمع وحضور العقل والعزم على
العمل بذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى ه وهو ان يكف
العبد جوارحه ولا يشغلها فيشغل قلبه عما يسمع ه ويغض
طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى ه ويحضر عقله فلا يحدث نفسه
بشيء سوى ما يستمع اليه ه ويعزم على ان يفهم فيعمل بما يفهم
ه وقال سفيان من علمه اول العلم الاستماع ثم الفهم
ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر ه فاذا استمع العبد الى كتاب الله
عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بنيه صادقة على ما يحب
الله افهمه كما يحب وجعل له في قلبه نورا اهـ كلام القرطبي
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وحدني واطعني ه وعبادتي
العباده بمعنى التوحيد في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
معناه ليوحدون ه قال صاحب التحرير وقوله فاعبدني لفظ
عام بينا ولجميع ما كلفه الله به من عبادته فبداء منها بالصلاة
فقال اقم الصلاة لذكري لانها افضل الاعمال الى الله واحبها له وانفعها
للعبد في الاخره ه قال البرهان السقي وقوله اني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني يدل على ان علم الاصول مقدم على علم الفروع اذ التوحيد من
الاصول والعباده من الفروع ه وايضا الفاء في قوله فاعبدني يدل
على ان عبادته لازمه لالهيته ه امره بالتوحيد اولا ثم بالعباده ثانيا
ثم بالصلاة ثالثا ه امره بالعباده ولم يبين كيفية العبادة وامره
بالصلاه ولم يبين كيفيتها ه وهذا يدل على ان تاخير البيان عن الخطاب جايز

قال القاضي لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التي امر الله تعالى بها شعيبا وغيره من الانبياء والحوالة ان حمل مثل هذا الخطاب العظيم على فايدة جديدة اولى من حمله على الذي كان من قبل ٥ قال البيلي قوله اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني قال الواسطي لا تشغل قلبك بغيري قولا وفعلا ولا تكن من ابناء الافعال والاحصاء والاعمار والدهور كن من ابناء الازل والابد طالعا لما سبق في الاولية وجرى لك في الاخرية وان كان كلاهما واحدا ٥ وقال ابن عطا اشارة الى تحقيقه الحق اذ الازل والابد علة ٥ وذكر الاوقات والدهور علة ٥ وقال الواسطي اظهر الله تعالى هذا الخلق في شموخ وعلو في انفسهم وامرهم لعلة الفاقة لا لعلة الاستغناء تبسما لرؤية الاضطرار ٥ قال الله تعالى يا موسى اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني احب ان يريه عجزه ٥ قيل للواسطي بالعبرانية خاطب موسى بوصف لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني هل تلونت الصفة بذلك قال لو لونتها اختلاف اللغات لتلونت في اختلاف الاوامر والنواهي ٥ وقال الحسن لا اله الا الله تنطف السر عن الالهة واذا خلا السر عن عظم غيره فلا وجه لهذا القول ٥ وقال الواسطي في هذه الاية ابتدأه بالتوحيد وختم بلسان الطاعة انتهى كلام السلمي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي اي لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار ٥ او لاني ذكرتها في الكتب وامرت ٥ او لِأَنْ أَذْكُرَكَ بالمدح والثناء ٥ او لذكري خاصة

في البحر قال اولا تاركك ٥ وما نبأنا اني الله لتكرر المضمر بدل المرموسه وكقتها وهيه وبيانا للوحدانيه ش ص

ش لشوبه

لا تشوبه بذكر غيري ٥ او لتكون لي ذاكرا غير ناس ٥ او لاقامتي ذكري وهي موافقة الصلاة كقوله ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا ٥ وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها ٥ وذا يصح بتقدير حذف مضاف اي لذكر صلاتي لقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الله عز وجل بعقب امر الصلاة لذكري رواه مالك وغيره ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال كفارتها ان يصليها اذا ذكرها ٥ وروى الدارقطني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نسي صلاة فوقتها اذا ذكرها ٥ وقوله فليصلها اذا ذكرها دليل على وجوب القضاء على الناسي والغافل كثرت الصلاة او قلت وهو مذهب عامة العلماء ٥ وقد حكي خلاف شاذ لا يعتد به ان ما زاد على خمس صلوات لا يلزمه قضاؤه ٥ قال القرطبي امر تعالى باقامة الصلاة ونص على اوقاتها معينة فقال اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وعمرها من الاتي ومن اقام ما لله ما امر به فاتته بالنهار او بالعكس لم يكن فعله مطابقا لما امر به ولا ثواب له على فعله وهو عاص ٥ وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضاء ما فات وقته ٥ ولو لا قوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها لم ينفع احدا بصلاة وقعت في غير وقتها وبهذا الاعتبار كان اداؤها قضاء لا اداء لان القضاء بامر متجدد وليس بالامر الاول ٥ واما من ترك الصلاة متعمدا فالجمهور على وجوب القضاء عليه وان كان عاصيا ٥ الا عند داود ٥ قال القرطبي وقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها الحديث يخص عموم

قوله صلى الله عنه رفع القلم عن ثلاثه عن النائم حتى يستيقظ ٥ والمراد
بالرفع هنا رفع المانع لا رفع الفرض عنه ٥ وليس هذا من باب قولك
وعن الصبي حتى يبلغ وان كانا جاريان على واحد فيف على هذا الاصل
انتهى كلام القرطبي ٥ وقال صاحب المحرر اختص الصلاه
بالذكر دون سائر العبادات لانها افضلها ٥ واول ما يحاسب العبد
عليها ٥ ولا يسقط اداؤها كال ٥ ولانها جمعت ٥ جميع عبادات الملائكه
ولان المصلي يناجي ربه ٥ وامور اخر يتميز بها على سائر الطاعات انتهى ٥
إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ" لا محالة "أَكَادُ" أريد قاله الاخفش ٥ وقيل
صلة "أُخْفِيهَا" قيل هو من الاضداد اى اظهرها ٥ او معناه استرها
عن العباد فلا اقول هي آتية لغرض اردت اخفاءها ولولا ما في الاخبار
بانيانها مع تعميه وقتها لما اخبرتك به ٥ قال الزمخشري
وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ٥ ولا دليل في الكلام على هذا
المحذوف ومحذوف "لا دليل عليه مطرح" ٥ والذي غرهم منه
ان في مصحف ابي "اكاد اخفيها من نفسي" ٥ وفي بعض المصاحف
اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها ٥ قال في المحرر
الساعة ههنا يوم القيمه بلا خلاف ٥ وانما سمي يوم القيمه ساعة
لسرعة الفراغ من الحساب والقضاء ٥ وقد جرت عادة العرب
بالتعبير عن الواقع بالوقوع في ساعة ٥ واراد زمان الوقوع على ساعة
زمانيه ٥ وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما خاطب
موسى بقوله فاعبدني واقم الصلاه لذكري اتبعه بقوله ان الساعة اتية
اكاد اخفيها ٥ وما اليق هذا بتاويل من تاول قوله لذكري اى

اى الساعة اتية
اخفيها من

وقتها من الحكمة م
وهي انهم اذا لم يعلموا
متى تقوم كانوا على
وجل منها في كل وقت م

لذكرك

لذكرك بالاقامة والاثابة والكرامة ٥ فعلى عقيبه ان الساعة آتيه لانها
وقت الاثابه ووقت المجازاه انتهى ٥ قال القرطبي قيل
معنى قول من قال اكاد اخفيها من نفسي اى ان اخفاها كان من قبلي
ومن عندي لا من قبل نفسي غيري انتهى ٥ قال الامام فخر الدين
فان قلت ما الحكمه في اخفا الساعه واخفا وقت الموت ٥
الجواب عنه انه تعالى وعد قبول التوبه فلو عرف وقت الموت
لاشتغل بالمعصية الى قرب من ذلك الوقت فتعريف وقت الموت
كالاغراء لفعل المعصيه وهو لا يجوز انتهى لتجزى اللام متعلقة
بآتيه" ٥ انه لما حكم بمجيء يوم القيمه ذكر الدليل عليه وهو انه
لولا القيمة لما تميز المطيع عن العاصي والمحسن عن المسيء وذلك
غير جايز كل نفس بما تسعى بسعيها من خير او شر فلا يصدنك
خطاب لموسى عليه السلام على قول جمهور المفسرين ٥ وحكى النقاش
انه عايد على النبي صلى الله عليه وسلم ٥ وفيه بعد ٥ واما الضمير
في قوله عنها وفي قوله بها على ما ذا يعود فيه اقوال قيل على الساعه
وهو الذي يدل عليه سياق الايه اى فلا يصرفنك عن العمل للساعة ٥
وقيل عايد على الصلاة في قوله اقم الصلاه لذكري ٥ فعلى الاول
يكون المراد بذلك منكري الساعة ٥ وعلى الثاني منكري دين الاسلام
وشرايعه لانها التي تحصل بسببها الجزا في يوم الساعة بدليل قوله
لتجزى كل نفس بما تسعى والصلاة اكبر المشاعر ٥ وحاصل المعنى فلا يصدنك
عن الايمان بالقيامة من لا يؤمن بها لا يصدق بها ٥ قال النسفي
المقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ٥ ولكن ظاهر اللفظ

تقتضي نهي من لم يؤمن عن صد موسى عليه السلام ٥ والاية تدل على
ان تعلم الاصول واجب لان قوله فلا يصدنك يرجع معناه الى صلابته
في الدين وتلك الصلابه ان كان المراد بها التقليد لم يتميز المبطل
فيه من المحق فلا بد ان يكون المراد بها كونه قويا في تحقيق الاحكام
الدينيه وتقرير الادله عليها واتبع هواه في مخالفة امره يعني
هوى نفسه ٥ وهوى النفس مقصور وتثنيته هويان ٥ وكتابته بالياء
٥ واما الذي بين الفضاء ممدود وتثنيته هوآن وكتابته بالالف
وفي ذلك اشاره الى ان انكارهم للساعة او للصلاة انما كان من قبل
انفسهم وقيل اغراضهم لا بدليل قام عليه ولا بحجة اتضحت ٥ وهذا
من اعظم الدلايل على صحة التقليد فساد التقليد لان المقلد متبع للهوى
لا للحجة فتردي فتهلك والردى الهلاك ٥ اي فتردى ان صددت
فقبلت فليس الا الهلاك بالنار ٥ قال في المحرر وليس موسى
عليه السلام مرادا بمضمون هذا الخطاب لان منصبه وعصمته
لا تمنعهما ان يوصف بهذا الوصف ٥ والخطاب اذا ورد على من
ليس اهلا له انصرف الى من هو له اهل ٥ فعلى هذا يكون المراد
بالاية امته صلى الله عليه ٥ وهذا مثل قوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لئن اشركت ليحبطن عملك الخطاب للنبي والمراد امته ٥ قال
الامام فخر الدين اعلم ان المتوغلين في اسرار المعرفه قالوا المقام على قسمين
احدهما مقام المحو والفنآ عما سوى الله تعالى ٥ والثاني مقام البقآء
والاول مقدم على الثاني لان من اراد ان يكتب شيا في لوح مشغول
بكتابة اخرى لا يمكنه الا بازالة تلك الكتابة ٥ والحق سبحانه وتعالى
هذا

ومنصوب
جواب النهي

هذا الترتيب احسن في هذا الباب لانه قال تعالى قال لموسى اولا اخلع
نعليك لان هذا اشارة الى تطهير السر عما سوى الله تعالى بعد ذلك
امره بتحصيل ما يجب تحصيله ٥ واصول هذا الباب ترجع
الى ثلاثة ٥ علم المبدا ٥ وعلم الوسط ٥ وعلم المعاد ٥ فعلم
المبدا هو معرفه الحق سبحانه ٥ وهو المراد بقوله اني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني ٥ واما علم الوسط فهو علم العبوديه وهو المراد
بقوله فاعبدني الامر الذي يجب ان يشتغل به الانسان في هذه
الحياة الجسمانيه ٥ وهو المراد بقوله فاعبدني واقم الصلاه
لذكري فقوله فاعبدني اشاره الى الاعمال الروحانيه الجسمانيه
وقوله لذكري اشاره الى الاعمال الروحانيه ٥ واما علم
المعاد فقوله ان الساعة اتية ٥ ثم اعلم انه تعالى افتتح هذه
التكاليف بمحض اللطف ٥ وهو قوله اني انا ربك ٥ واختمها بمحض
القهر وهو قوله فلا يصدنك عنها من لا يومن بها تنبيها على ان رحمته
سبقت غضبه ٥ واشارة الى ان العبد لا بد له في العبوديه من
الرغبة والرهبه والرجآ والخوف ٥ وعند الوقوف على هذه الجملة
يعرف ان هذا الترتيب في غايه الحسن وان ذلك لا يتاتى الا من العالم
بجميع المعلومات ٥ انتهى كلام الامام فخر الدين وما تلك بيمينك يا موسى
ما مبتدا وتلك خبره ٥ وهي بمعنى هذه ٥ وبيمينك حال عمل فيها
معنى الاشارة اي قارة او ماخوذة بيمينك ٥ او تلك موصول
صلته بيمينك ٥ اعلم ان قوله بعد وما تلك اشارة الى العصا
وقوله بيمينك اشارة الى اليد ٥ وفيه نكت ٥ منها انه تعالى

لما اشار اليها جعل كل واحد منهما معجزا قاهرا وبرهانا باهرا
ونقله من حد الجمادية الى مقام الكرامة والله سبحانه ينظر الى
قلب العبد كل يوم بلمحاته وستين مرة ۞ فاى عجب لو صار القلب
العاصى بنظر واحد مطيعا ۞ ومنها ان العصا كانت فى يمين
موسى فبركة يمينه انقلبت ثعبانا وبرهانا ۞ وقلب المومن
من اصبع من اصابع الرحمن فلا يبعد ان ينقلب من ظلمة التمرد
الى نور التعبد ۞ ثم هنا سؤالان ۞ السؤال الاول
قوله تعالى وما تلك بيمينك استفهام والاستفهام انما يكون لطلب
الفهم وذلك على الله محال ۞ والجواب ان هذا الاستفهام
معناه التقرير والايناس والافهام لا سوال استكشاف
ولا استعلام لان موسى يعلم ما هى والله اعلم بحقيقتها ۞ وقيل
استفهام معناه التقريب والتعجب ۞ والمعنى ما التى هى كما ترى فى يمينك
۞ وقيل انه سوال توطين وتسكين ليلا يهوله انقلابها حية
۞ وقال حافظ الدين فى المدارك والسوال للتنبيه ليقع المعجز
بها بعد التثبت فيها ۞ اولتوطين ليلا يهوله انقلابها حية ۞ او
للايناس ورفع الهيبة فى المكالمة انتهى ۞ وقال فى التحرير
والتنوير وفى المعنى الذى ساله الله تعالى عنها وهو اعلم وجوه
۞ الاول ان يقرر المخاطب به ليقوم الحجة عليه ويواخذه باقراره
ولا يمكنه بعد ذلك انكاره ۞ ومثل هذا ان تقول لصاحبك ما فى وعاءك
فتقول متاع فلا يمكنه بعد ذلك ان يقول غير متاع ۞ فعلى هذا يكون
الفايدة انه قرر موسى انها عصى لما اراد ربه من قدرته فى انقلابها حية

توقع

من اراد ص

توقع المعجز هنا بعد التثبت فى امرها ۞ الثانى انه لما اطلع
الله تعالى على ما فى قلب موسى من الهيبة والاجلال حين التكليم اراد
ان يوانسه لمخاطبته ويخفف عنه ثقل ما كان فيه من الخوف فاجرى
هذا الكلام للاستيناس ۞ وهذا القول ضعيف لان الله تعالى
انسه فى ذلك بقوله يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد
المقدس الى قوله وما تلك بيمينك يا موسى وذلك كاف فى التانيس
۞ الثالث ان يظهر من الشى الحقير شيا شريفا فانه ياخذه ويعرضه
على الحاضرين ويقول لهم هذا ما هو فيقولون ذلك الشى الفلانى ۞ ثم
انه بعد اظهار صنعته الفايقة يقول لهم خذوا منه كذا وكذا ۞ فالله
تعالى اراد ان يظهر من العصى تلك الاياة الشريفة كانقلابها حية
وغير ذلك فقال وما تلك بيمينك وضربها البحر حتى انفلق عرضه اولا
على موسى عليه السلام وكانه قال يا موسى هل تعرف حقيقة هذا
الذى فى يدك فانه خشبة لا تضر ولا تنفع ۞ ثم انه قلبه ثعبانا
عظيما فيكون هذا الطريق ادنى الى العقول على كمال قدرته ونهاية
حكمته من حيث انه اظهر هذه الايات العظيمة من اهون الاشياء
عنده ۞ الرابع انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار الصاعدة
من الارض الى السماء واسمعه تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه
۞ ثم مزج اللطف بالقهر فلطفه بقوله وانا اخترتك ۞ ثم قهره
بايراد التكليف الشاق عليه ۞ والزامه على المبدا والوسط
والمعاد ۞ ثم ختم الكل بالتهديد العظيم فتحير موسى فقال
ان الساعة آتية فتحير موسى عليه السلام ودهش فلما غلبت الحيرة

والدهشة عليه تكلم معه بكلام البشر ازالة للك الحيرة
والدهشه تعالى وما تلك بيمينك ٥ الخامس انه تعالى
لما عرّف موسى كمال العينة اراد ان يعرّفه نقصان البشرية فساله
عن منافع العصا فذكر بعضها فعرّفه الله تعالى ان فيها من المنافع اعظم
مما ذكرت تنبيها على ان العقول قاصرة عن معرفة خواص الشي
٥ السادس فايدة هذا السوال ان يقرر عليه ان العصا
خشبة حتى اذا قلبها ثعبانا لا يخافها ٥ السوال الثاني
قوله تعالى وما تلك بيمينك خطاب من الله تعالى لموسى مع موسى
بلا واسطة ولم تجعل ذلك لمحمد فيلزم ان يكون موسى افضل من محمد ٥
والجواب انه تعالى كما خاطب موسى عليه السلام فقد خاطب
محمدا صلى الله عليه وسلم في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ٥ الا ان الفرق
بينهما ان الذي ذكره مع موسى افشاه الى الخلق والذي ذكره مع
محمد كان سرا لم يبتاهل له احد من الخلق ٥ السوال
الثالث ٥ قال القرطبي قيل كان قوله وما تلك بيمينك
خطابا من الله لموسى وحيا لانه قال فاستمع لما يوحى وقد يدل لنبي
في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه فاراه في العصى
وفي نفسه ما اراه لذلك ٥ ويجوز ان يكون ما اراه من الشجرة آية
كافية له في نفسه ثم يكون اليد والعصى زيادة توكيد وبرهانا
يلقى بها قومه ٥ وفي بعض الآثار ان الله تعالى عتب على موسى
اضافة العصى الى نفسه في الموطن فقيل له القها لترى منها
العجب فتعلم انه لا ملك لك عليها ولا تضاف اليك اشر كلامه

تعالى

٥ ثم انه تعالى لما سال موسى عن ذلك اجاب موسى عليه السلام
باربعة اشياء ٥ ثلاثة على التفصيل ٥ وواحدة على الاجمال
٥ الاول قوله هي عصاي ثم انه عليه السلام لما قال هي عصاي قال م
قال تعالى القها فلما القاها فاذا هي حية تسعى ليعلم ان كل ما سوى الله
تعالى فالالتفات اليه شاغل وهو كالحية المهلكة لك ٥ ولهذا
قال الخليل عليه السلام فانهم عدو لي الا رب العالمين ٥ وايضا
انه عليه السلام لما قال هي عصاي قد تم الكلام الا انه عليه السلام
ذكر الوجوه الاخر لانه كان يحب المكالمة مع ربه ٥ الثاني
قوله اتوكا عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت
على رأس القطيع ٥ وعند الفترة ٥ الثالث قوله واهش اي الوثبة
بها على غنمي اخبط ورق الشجر على غنمي لتاكله ٥ المعنى اخبط بها
فاضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها فتاكله الغنم ٥ واعلم قال الشاعر
ان غنمه رعيته ٥ فبدا بمصالح نفسه في قوله اتوكا عليها ٥ ثم بمصالح اهش بالعصى
رعيته في قوله واهش بها على غنمي لان رعاية مصالح الرعية مفتقرة من ناعجة الارا
الى قوة نفسه ٥ فكذلك القمه بدا بنفسه فيقول نفسي نفسي والبشامة م
ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل الا باصلاح الرعية ٥ قال
السلمي في قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الانه قال فارس سمع موسى
كلاما لا يشبه كلام الخلق فلما سمع ذلك الكلام كاد ان يهيم
فمرة اضاف العصى الى نفسه ٥ ومرة اجاب عما ليسان كذلك الهيمان
وقال لما غلب عليه لذعات الصفات ردّه الحق الى المخلوق
ليسكن به فقال وما تلك بيمينك يا موسى شغله بالاجابة عما يملكه

ولولا ذلك لتفسخ عند ورود الخطاب عليه ۞ وقال
الواسطي استدل بالخطاب فاخذه عن التمييز فاجاب عما سئل
وعما لم يسال فقيل له وما تلك بيمينك عندك فقال عصاى
قال فالقها فان لك فيها ايات ۞ هى عندك عصىً وهى عندنا حية
تسعى ۞ قال ابن عطاء فى قوله وما تلك بيمينك يا موسى
انفرد الله تعالى بعلم الغيب فللخلق من اله شيا ظواهرها
وحقيقتها عند الله تعالى ۞ كان عند موسى عليه السلام انها عصى
وعند الحق تعالى انها حية ۞ فقال وما تلك بيمينك يا موسى ليعرّفه
بذلك مقدار علمه ۞ وان يعلم ان حقائق الامور لا يعلمها الا الله
۞ فقال عصاى ۞ فقال بل محلاً لاظهار قدرتنا فيه ۞ قال
الحسن فى قوله وما تلك بيمينك قال اثبته بالصفة ۞ فقال له
اعد النظر اليه فاعاد النظر حتى تيقن انها عصاه ۞ فقال
عصاى فلما اجاب بالحقيقة انه عصا قلب عينها فاجالها عن
حالها فاعجزه ذلك فقيل اعجازها للامة ۞ وسمعت منصور
بن عبد الله يقول سمعت ابا بكر بن طاهر يقول فى قوله وما تلك
بيمينك يا موسى قال انبسط اليه فى السوال ليربط على قلبه
لعلمه بما يبتدهه فى شهود الكبريا ۞ وقال ايضا احب
الله تعالى ان ينبسط موسى فى الكلام كى لا يحتشم فى السوال
۞ قال الجنيد فى قوله عصاى اتوكا عليها فقال له الق
كلما تعتمد عليه قلبك او تسكن اليه نفسك فان الكل محل
العلل وان كل ما تسكن اليه ستهرب منه عن قليل لا تراه

قال

قال فاوجس فى نفسه خيفةً ۞ قال الحسن عدّ موسى على ربه
منافع العصى على ربه وان سكونه اليها وانتفاعه بها ۞ فقال القها
يا موسى اى الق من نفسك السكون الى منافعها وقلبها حيةً ليزول
عنك الانس بها فاوجس منها خيفةً ۞ فقال حين قطعه عنها
بالفرار منها خذها ولا تخف وارجع اليها ۞ وقال الحكمة وراجع الينا خ
فى ابقاء العصا حية فى وقت الكلام انه جعل لينه ومعجزته
القاها بين يدى فرعون ۞ ولو القاها بين يدى فرعون ولم يشاهد
منه قبل ذلك ما شاهد لهرب منه كما هرب فرعون حين بدهته
رؤيته ۞ سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت نصير
جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول فى قوله وما تلك بيمينك
يا موسى فقال انفرد الحق بعلم الغيوب ۞ فللخلق من الاشيا ظواهرها
وله الحقائق منها ۞ وكان عند موسى انها عصى فقط فذكر كلما
يعرف من علمها فاراه الله فيها من العلم ما انفرد به وجعلها حيةً
۞ والحكمة فيه انه لو لم ير ما فيها من الايات لراعه فى وقت الانقلاب
فاراه ذلك ليلا يفزع ولا يجزع ۞ فلما راها حية تهتز كانها جان
ولّى مدبراً ۞ اى ولّى ظهره اليه واقبل على ربه ولم يعقب ۞ فقيل له
اقبل عليه ولا تخف ان يقطعك النظر اليه عنى ۞ انتهى كلام السلمى
فى تفسيره ۞ وقال السلمى قوله قال هى عصاى اتوكا عليها
۞ قال فارس ذكر كلما فيها من وجوه المنافع لئلا يكون معاودة
لاذلك فيستلذ بخطاب سيده ۞ قال ابو بكر الوراق قوله
عصاى جواب والذى بعده ذكر ما انعم الله عليه بالعصا من المنافع

وكان ما بعد قوله عصاى لسان الشكر ۞ قال ابن عطاء قوله
عصاى اضافها بالملك الى نفسه ولم يكن يجب له فى الحقيقه ان
يرى لنفسه ملكا وهو بين يدى الحق فلما اضافها الى نفسه
قال القها فالقاها فاذا هى حية تسعى ۞ قال خذها اى خذ عصاك
ولا تهرب مما ادعيت فيه من الملك لنفسك ۞ خاف وتبراء من
اضافتها الى نفسه ملكا فتعطف الحق عليه فقال خذها ولا تخف
فانها لن تضرك ۞ انتهى كلام السلمى وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ
جمع مَأْرُبَة بالحركات الثلاث وهى الحاجة أُخْرَى والقياس اخر وانما
قال اخرى ردا الى الجماعة ۞ اولى السنن الاولى ۞ وكذا الكبرى
۞ قال فى التحرير وفى قوله اتوكا عليها واهش بها على غنمى
الاية لعلما المفسرا قوال ۞ الاول ان هذا الكلام جواب
لسوال آخر وهو ما حكاه المفسرون ان الله تعالى لما قال له ما هى عصاى
قال فما تصنع بها قال اتوكا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب
اخرى ۞ قالوا انى بالجواب وزاد عليه بالاضافه الى نفسه ۞ وكان
الجواب ان يقول هى عصاى ثم زاد عليه بيان ما تعلق بها تفصيلا واجمالا
۞ التفصيل فى قوله اتوكا عليها واهش ۞ والاجمال قوله ولى فيها
مآرب اخرى ۞ ان الله تعالى سأله عن شئين ۞ سأله عن العصا
بقوله وما تلك ۞ فاجاب بقوله هى عصاى ۞ وعن قوله بيمينك ۞ فاجاب
بقوله اتوكا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى ۞ ۞
المالك انه قال ذلك زيادة فى البيان ۞ والزيادة فى الجواب
جائزة كما فى قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن ماء البحر هو الطهور ماؤه الحل
ميتته

ميتته ۞ وسألته المراة عن الصغير حين رفعته اليه فقالت الهذا
حج قال نعم ولك اجر ۞ الرابع انه انما زاد على الجواب
ليطول مناجاته لله تعالى ومكالمته له فيزداد تلذذا من سماع
الخطاب ۞ الخامس انه انما اظهر فوايدها وبين حاجته
اليها خوفا من ان يثيره بالقائها ۞ السادس انه انما زاد على الجواب
تعدادا للنعم ۞ وشكرا واعترافا بشكر مواقع المنن ۞ وشكرا لاحسان
ربه اليه فى السر والعلن ۞ والمآرب الاخر التى اجملها فسرها
المفسرون ۞ قال الزمخشرى ذكر على التفصيل والاجمال المنافع
المتعلقة بالعصى كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم
يجدثه الله تعالى فقال ما هى الا عصا لا تنفع الا منافع بنات
جنسها ۞ وكما شفع العيدان ۞ وليكون جوابه مطابقا للغرض الذى
فهمه من محكى كلام ربه ۞ ويجوز ان يريد عز وجل ان يجدد
موسى عليه السلام المرافق الكثيرة التى علقها بالعصى وليستكثرها
وليستعظمها ۞ ثم يريه على عقب ذلك الاية العظمة ۞ كانه يقول
له اين انت عن هذه المنفعة العظمى ۞ والماء ربة الكبرى المنسية
عندها كل منفعة ۞ وماء ربة كنت تعتد بها ۞ وتحتفل بشانها
۞ وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن ذلك الماء رب فيزيد فى اكرامه ربه ص
۞ وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل ۞ وقالوا اسمر العصا نبعة
۞ والمآرب الاخر التى اجملها فصلها المفسرون ۞ فقالوا كانت
ذات شعبتين ومحجن ۞ فاذا طال الغصن حناه بالمحجن ۞ واذا طلب
كسرة لواه بالشعبتين ۞ واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها

اذا وتّه من القوس والكنانة والجلاب وغيرها ۞ واذا كان
في البرّية ركزها ۞ وعرض النّدبين على شعبتيها والقى
عليها الكساء واستظلّ ۞ واذا قصّر رشاؤه وصله بها
۞ وكان يقاتل بها السباع عن غنمه ۞ وقيل كان فيها
من المعجزات انّه كان يستقى بها فتطول بطول البئر
وتصير شعبتاها دلوا ۞ وتكونان شمعتين بالليل ۞ واذا
ظهر عدوّ حاربت عنه ۞ واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت
واثمرت ۞ وكان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه
۞ اى تمشى معه عليه السلام ۞ وتركزها فينبع الماء ۞ واذا رفعها
نضب ۞ وكانت تقيه الهوامّ ۞ انتهى كلام الزمخشرى ۞ وزاد
غيره انها كانت تماشيه وتحدّثه ۞ وانها كانت تحارب عنه
العدوّ والسباع وتناضل عنه ۞ وانه كان يضرب بها الارض
فيخرج منها ما يأكل يومه ذلك ۞ وانه كان يردّ بها غنمه وان
تعدوا ۞ وانه كان اذا اشتهى ثمرة فركزها تغصّنت عصن
تلك الشجرة واورقت واثمرت ۞ وقال فى المحرر ومنها
خصايص لم تعلمها موسى ۞ منها انقلابها ثعبانا ۞ ومنها انها
تلقف جميع ما خيّل به السحرة من عصيّهم وحبالهم ۞ ومنها
انه ضرب بها البحر فانفلق ۞ ومنها انه كان اذا اصابه المطر
غرسها فتصير شجرة يستظل بها ۞ قال المورخون بهذه
العصى التى كانت مع موسى هى العصا التى اخذها من بيت عصىّ الانبيا
حين كانت عند شعيب عليه السلام فقال له شعيب خذ عصىّ

من ذلك

في الليال
علة ص

من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصى ۞ وكانت عصى آدم
عليه السلام هبط بها من الجنة ۞ وقيل انها كانت من آس الجنة
۞ وقيل اتاه جبريل بها عليه السلام بها ۞ وكان طولها عشرة
اذرع ۞ وقيل كان طولها اثنى عشر ذراعا بذراع موسى على
ما حكاه المفسرون ۞ قال صاحب المحرر والمحبر ۞ وهذا
الذى حكاه المفسرون من تفصيل المآرب وجنس العصا وطولها
لم يرد منها شئ فى الكتاب العزيز ولا فى الحديث الصحيح ۞ وانما
الصحيح من ذلك انه كان له فيها مآرب وكان يعلمها ۞ فان وجد نقل
يخبر هذه الامور تيقنا صحتها ۞ والا فالعهدة فيها على ناقلها انتهى
۞ قال القرطبى عن ابن عباس قال امساك العصى سنة الانبيا
عليهم السلام ۞ وعلامة للمومن ۞ وقال الحسن البصرى فيها ستّ
خصال سنة الانبيا ۞ وزينة الصلحا ۞ وسلاح على الاعدآ وعون
الضعفآ ۞ وغمّ المنافق ۞ وزيادة فى الطاعات ۞ ويقال
اذا كان مع المومن العصى يهرب منه الشيطان ۞ ويخشع منه المنافق
والفاجر ۞ ويكون قبلته اذا صلى ۞ وقوّته اذا اعيى ۞ ولقى الحجاج
اعرابيا فقال من اين اقبلت يا اعرابى قال من البادية ۞ قال وما فى يدك
قال عصاى اركزها لصلاتى ۞ واعدّها لعدائى ۞ واسوق بها دابتى
واقوى بها على سفرى ۞ واعتمد بها فى مشيى ۞ لينشع بها خطوى ۞ واشبر
بها النهر ۞ وتومنى العنز ۞ والقى عليها كسائى ۞ فتقينى الحر ۞ وتدفينى
من القر ۞ وتدنينى الى ما بعد منّى ۞ وهو محمل سفرتى ۞ وعلاقة اداوتى
اعصى بها عند الضراب ۞ وافرج بها الابواب ۞ واتقى بها عور الطلاب

تحمل

عقوق

وتنوب عن الرمح في الطعان ٭ وعن السيف عند منازلة الاقران ٭
ورثتها عن ابي ٭ واورثها بعدي ابني ٭ واهش بها على غنمي ٭ ولي
فيها مآرب اخرى ٭ قال القرطبي منافع العصى كثيره ٭
كثرة منافع العصى ٭ ولها مدخل في مواضع من الشريعه ٭ منها انها تتخذ
قبلة في الصحرآ ٭ وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزة تركز
له فيصلي اليها كما ثبت في الصحيح ٭ والحربة والعنزة شيء واحد ٭ وكان
الاسود له مجن وهي عصى معوجة الطرف يشير بها الى الحجر اذا المر يستطع
ان يقبله كما ثبت في الصحيح ايضا ٭ وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم
كان له مخصرة ٭ والاجماع منعقد على ان الخطيب خطب متوكيا
على سيف او عصى ٭ والعصى ماخوذه من اصل كريم ومعدن شريف
ولا ينكرها الا جاهل ٭ وقد جمع الله لموسى في عصاه البراهين
العظام ٭ والايات الجسام ٭ ما آمن به السحرة المعاندون ٭ واتخذها
سليمان لخطبته ٭ وموعظته ٭ وطول صلاته ٭ وكان ابن مسعود صاحب
عصى النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته ٭ وكان يخطب بالقضيب
٭ وكفى بذلك فضلا على شرف حال العصى ٭ وعلى ذلك الخلفا وكبرآ
الخطبا ٭ وعادة العرب العربآ اللسن البلغا اخذ المخصرة والعصى
والاعتماد عليها عند الكلام في المحافل والخطب ٭ وانكرت
الشعوبيه على عظمآ العرب اخذ المخصرة والاشارة بها في المعاني
٭ والشعوبيه تبغض العرب وتفضل العجم ٭ قال ملك رحمه الله
كان عطآ من السايب يمسك المخصرة فيستعين بها ٭ وقال ملك والرجل
اذا كبر لم يكن مثل الشاب فيمسك العصى يقوى بها عند قيامه ٭ مثل العصى يكون مثل الشاب م

قال

قال القرطبي وفي مشيه ايضا كما قال بعضهم ٭
وكنت امشي على رجلين معتمدا ٭ فصرت امشي على اخرى من الخشب ٭
وقال ملك رحمه الله وقد كان الناس اذا جاهم المطر خرجوا
بالعصى يتوكؤن عليها ٭ حتى لقد كان الشباب يختسون عصيهم
وربما اخذ ربيعه العصى من بعض من يجلس اليه حتى يقوم ٭ ومن
منافع العصى ضرب الرجل نساه فما يصلحهم ٭ ويصلح به حاله
وحالهم معه ٭ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واما ابو جهم فلا
يضع عصاه عن عاتقه فراجعت النا وبلاب ٭ وقد روى عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال لرجل اوصاه لا ترفع عصاك عن اهلك اخفهم
في الله ٭ خرجه النساي عن عباده بن الصامت ٭ ومن هذا المعنى
قوله صلى الله عليه وسلم على سوطك حيث يراه اهلك ٭ وقد تقدم
هذا في سوره النسآ ٭ ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم على
سوطك ٭ ومن فوايد العصا التنبيه على الانتقال من هذه الدار
كما قيل لبعض الزهاد مالك تمشي على عصى ولست بكبير ولا مريض
قال اني اعلم اني مسافر وانها دار بلغه ٭ وان العصى من آلة السفر
فاخذه بعض الشعرآ فقال

حملت العصى لا الضعف اوجب حملها ٭ ولا اني من الكبر اخيف
ولكنني الزمت نفسي حملها ٭ لاني علمت انني مقيم على السفر

انتهى كلام القرطبي قال القها يا موسى لما قال عليه السلام وفي فيها
مآرب اخرى ٭ يجوز ان يكون القايل له ذلك الملك باذن الله تعالى
فيكون من باب الوحي مدلول قوله فاستمع لما يوحى ٭ ويجوز ان الله تعالى

كلّه بذلك كفاحًا بدليل قوله وغير هذه السوره وكلّم الله موسى تكليما
وهذا الذى عليه الاكثرون ۞ قال فى المدارك قال القها يا موسى
اطرح عصاك لتفرّع مما تتكئ عليه ۞ فلا تشكن الا بنا ۞ وترى كنه
ما فيها من المآرب ۞ فتعتمد علينا فى المطالب ۞ انتهى ۞ وفى التحرير والتحبير
قال اصحاب التحقيق لما ذكر موسى اعتماده عليها واحتياجه اليها
امره بالقائها واراه فيها من آياتها ما يفرّ به عنها وعن الاعتماد عليها
حتى لا يعتمد على غير الله ۞ ولا يرى قضاء الحاجات الا من الله ۞ ولا تطمئن
نفسه الا اليه ۞ ولا يطلب ما آرب له الا لديه انتهى ۞ قال
البرهان النسفى ۞ فى قوله القها يا موسى من النكات وجوه ۞ احدها
انه عليه السلام لما قال ولى فيها مآرب اخرى اراد الله تعالى ان يعرّفه
ان فيها من المآرب ما لا يعرفها فقال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية
تسعى ۞ وانها كان فى رجله النعل وشى وهو النعل ۞ وفى يده
شى وهو العصى والرجل آلة الهرب ۞ واليد آلة الطلب فقال اولا اخلع
نعلك وانه اشارة الى ذلك الهرب ۞ ثم قال القها يا موسى وهو اشاره
الى ذلك الطلب ۞ كانه قال انك ما دمت فى مقام الهرب والطلب لن تتّ
مشتغلا بنفسك وطالبا لحظك فلا تكون خالصا لمعرفتى فاترك الهرب
والطلب لتصير خالصا لى ۞ وثانيها ان موسى عليه السلام مع علو درجته
وكمال منصبه لما وصل الى الحضرة لم يكن معه آلة النعلين والعصى فامره
بالقائهما حتى امكنه الوصول الى الحضرة ۞ فالعبد العاصى مع جميع تعلقاته
كيف يمكنه الوصول الى جنابه ۞ وفيه اشارة الى التجريد وقطع التعلقات
فالقاها فطرحها فاذا هى حية تسعى تمشى سريعا ۞ قال القرطبى

لما اراد

لما اراد الله تعالى ان يبدّ به فى تلقّى النبوة وتكاليفها امره بالقاء العصى
فالقاها موسى فقلب الله اوصافها واعراضها فكانت عصى ذات شعبتين
فصارت الشعبتان لها قدما ۞ وصارت حية تسعى اى تنقل وتمشى وتلتقم
الحجارة ۞ قال فى معالم التنزيل قال وهب ظنّ موسى انه يقول
ارفضها فالقاها على وجه الرفض ثم جانت منه نظرة ۞ فاذا هى
حية تسعى صفراء فزع اعظم ما تكون من الحيات تمشى بسرعة على بطنها
قد صارت شعبتاها شدقين ۞ والمحجن عنقا وعرفا تهتزّ كالتبارك
وعيناها تتقدان كالنار تمرّ بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل
فتلتقمها وتقصف الشجرة بانيابها وتسمع لاسنانها صريفا عظيما ۞ فلما
عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ولم يذكر ربه فوقف استحياء ۞ فنودى
يا موسى اقبل ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف انتهى ۞ قال
الامام فخر الدين فان قلت ما الحكمة فى قلب العصا حية فى ذلك
الوقت اكواب عنه بوجوه ۞ منها انه تعالى قلبها حية
ليكون معجزة تدلّ على نبوته ۞ وذلك لانه عليه السلام الى ذلك
الوقت ما سمع الا النداء والنداء ليس من المعجزات ۞ والعجب ان موسى
عليه السلام قال اتوكّا عليها فصدّقه الله تعالى وجعلها متكاء
له بان جعلها معجزة له ۞ ومنها ان النداء كان اكراما له فقلب
العصا حية فى ذلك الوقت ليكون سببا لزوال الوحشة عن قلبه
ومنها انه عرضها عليه ليشاهدها اولا حتى اذا شاهدها عند
فرعون لا يخافها ۞ فان قلت كيف ذكرت بالفاظ مختلفة
فى هذا الموضع حية وفى موضع اخر ثعبان وفى موضع اخر جانّ فما الحكمة فيه

قلت اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغر والكبر
واما الثعبان والجان فبينهما تباين لان الثعبان العظيم من الحيات
والجان الدقيق • وفى ذلك وجهان • احدهما انها كانت وقت
انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم وتزايد جرمها
حتى تصير ثعبانا • فاريد بالجان اول حالها • وبالثعبان ما آلت اليه
• والثانى انها كانت فى شخص الثعبان • وسرعة حركة الجان
والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان • وقال الدميرى فى حياة
الحيوان لانها كانت كالحية لعدوها • وكالجان لتحركها • وكالثعبان
لابتلاعها • ويقال حية لموسى • وثعبان لفرعون • وجان للسحرة
انتهى كلامه • فان قلت كيف صفة تلك الحية • فالجواب
قيل انها عرف كعرف الفرس • وكان بين لحييها اربعون ذراعا تبتلع كلما
مرت به من الاشجار والاحجار حتى سمع موسى عليه السلام صرير الحجر
فى فمها • قال فى التحرير وفى اظهار هذه الاية ليلة المخاطبة
فوائد احدها للا يخاف منها اذا القاها بين يدى فرعون
• الثانى ليريه ان الذى ابعثك اليه دون ما اريتك فلما ذللت
لك الاعظم وهو الحية اذل لك الادنى انتهى • قال له ربه
خذها ولا تخف الضمير فى خذها يجوز ان يكون عائدا على العصا • وان
يكون عائدا على الحية • وقوله ولا تخف بشعر بمحذوف تقديره
فلما صارت حية خاف فقال له تعالى لا تخف • قال فى المدارك
بلغ من ذهاب خوفه ان ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها انتهى
قال المحسرى فلما رآها تبتلع كل شئ خاف ونفر • وعن بعضهم

انما خافها لانه عرف ما لقى آدم عليه السلام منها • وقيل لانها كانت
من الشجرة التى اكل منها ادم عليه السلام • سنعيدها سنردها
سيرتها الاولى تانيث الاول • والسيرة الحالة التى يكون عليها
الانسان غريزية كانت او ملتسبة • وهى فى الاصل فعلة من
السير كالركبة من الركوب • ثم استعملت بمعنى الحالة والطريقة
• وانتصبت على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها الاولى اى فى حال
ما كانت عصى • والمعنى نردها عصى كما كانت • قال
فى المحرر قال المفسرون ان الله تعالى لما امره باخذها وضع يده عليها
فانقلبت عصى كما كانت • وقيل لما امره الله باخذها كان
عليه مدرعة من صوف فلفها على يده فامره الله بكشف يده وكشفها
وادخلها فى فمها • وحكى مكى فى تفسيره انه نودى يا موسى خذها
فلم ياخذها فنودى ثانية فلم ياخذها • ثم نودى ثالثة خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الاولى اى هيئتها الاولى عصى كما كانت فاخذها
وحكى البغوى فى تفسيره انه لما قال له خذها لف طرف المدرعة
على يده • قال له ملك ارايت لو اذن الله بما تحاذره اكانت المدرعة
تغنى عنك شيا • قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت • فكشف عن يده
ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصى كما كانت • ويده فى شعبتها فى الموضع
الذى يضعها اذا توكاء • وادخل يده فى سنعيدها لوقوع الاعادة
بعد الامر باخذ • فكانه فى حكم المخصص للاستقبال • قال
الامام فخر الدين فان قيل لما نودى يا موسى وخص بتلك الكرامات
العظيمة وعلم انه مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلم ذا خاف فالجواب

كان على موسى
من صوف و
بعيد ان فلما

انما خافها

من وجوه ۞ احدها ان ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لانه
عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط ۞ وايضا فهذه الاشياء معلومة
بدلايل العقل وعند الفزع الشديد قد يذهل الانسان عنه
قال الشيخ ابو القاسم الانصاري رحمه الله وذلك الخوف من اقوى
الدلايل على صدقه فرد عوى النبوه لان الساحر يعلم ان الذي اتى به
تمويه فلا يخافه البته ۞ وثانيها قال بعضهم خافها لانه عليه
السلام عرف ما لقي ادم منها ۞ وثالثها ان مجرد قوله لا تخف
لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود
تلك الطاعة ۞ لكن قوله فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا يدل
عليه ۞ وذلك الخوف انما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين محمد صلى الله
عليه وسلم فما اظهر الرغبة في الجنة ولا النفرة من النار ۞ فان قيل
متى اخذها ابدا انقلابها عصى او قبل ذلك ۞ فالجواب
روى انه ادخل يده في لسانها فانقلبت خشبة ۞ وكما ان انقلاب العصا
حية معجزة فكذلك ادخال اليد من موسى عليه السلام وانقلابها
خشبة ايضا معجزة ۞ فان قلت كيف اخذها مع ثوبه او بدونه
فالجواب روى مع الثوب وهذا بعيد ۞ فانه عليه السلام علمه
الله تعالى عند الاخذ يعيدها سيرتها الاولى فكيف يستمر خوفه
انهام ۞ وقال بعضهم لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة
نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها اشتهى واضمم يدك الى
جناحك الى جنبك تحت العضد ۞ وجناحاه جنباه ۞ والاصل المستعار
منه جناحا الطاير ۞ سميا جناحين لانه تجنحهما عند الطيران

كما قالوا

ول

دل على ذلك قوله تخرج بيضا من غير سوء والسوء ۞
كما قالوا تخرج للسوء الرداءة والقبح فركل شي ۞ وكني به
عن البرص ۞ كما كني عن العورة بالسوءة ۞ وكان جذيمة صاحب
الزباء ابرش فكنوا عنه بالابرص ۞ والبرص ابغض شي
الى العرب ۞ ويهمز عنه نفرة عظيمة ۞ واسماعهم لاسمه مجاجة ۞
فكان جديرا بان يكنى عنه ۞ ولا ترى احسن ولا الطف ولا
احرز للمفاصل من كنايات القرآن واد آبه ۞ كذا في الكشاف
۞ هذا هو المعجزة الثانية ۞ وقال في الاية الاخرى وادخل
يدك في جيبك تخرج بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى
البصر ۞ قال في التحرير لما اراه الله سبحانه تلك الاية واعلمه
بانها معجزة كبرى يقوم له بها الحجة على فرعون وقومه اذا اذن
له في دعايهم اليه ۞ وكان في سابق علمه انهم لا يقتنعون بآية واحدة
ولا باثنتين ولا بثلاث فامده الله تعالى بتسع ايات احدها العصا
وقد كان فيها من المعجزات ما قدمنا ذكره ۞ ثم اتبعها باليد البيضا
لانها مقاربة لها في الاعجاز فانه عليه السلام ادم اللون ۞ وكان
اذا ادخل يده في جيبه واخرجها تخرج بيضا نقية لها شعاع كشعاع
الشمس والقمر ۞ وظهور هذا النور من يد مكونة من لحم ودم وعظم
واعصاب وغير ذلك في غاية ما يكون من الاعجاز فلذلك جعلها تعالى
آية اخرى ۞ وقد سمى الله تعالى هاتين الاثنتين برهانان في قوله فذانك
برهانان من ربك الى فرعون انه ۞ من غير سوء من غير برص
وهذا عند ارباب علم البيان يقال له الاحتراس فانه لو اقتصر على قوله
بيضاء لاتوهم ان يكون ذلك من برص فاحترز بقوله من غير سوء ۞ وهو

وقال مجاهد العضد ص

كناية عن البرص والبهق فاجمل الخطاب كما اجمله في قوله بعد
هن لباس لكم وانتم لباس لهن آية اخرى لنبوتك • آية
منصوب على البدل من بيضاء • وبيضاء وآية حالان معا •
ومن غير سوء من صلة بيضاء • كما تقول ابيضت من غير سوء
• وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون بفعل مضمر تقديره
خذ او دونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام • وقد تعلق
بهذا المحذوف لام لنريك من آياتنا الكبرى اي خذ هذه الاية
ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بها نترا لابتين بعض ايانا
الكبرى العظمى • او لنريك بهما الكبرى من آياتنا • والمعنى
فعلنا ذلك لنريك من ايانا الكبرى • واخرى وصف آية يعني
اية مع الاية التي تقدمت وهي العصا • قال السدي يروى انه
عليه السلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى
في جيبه فادخلها تحت ابطه الايسر واخرجها فكانت تبرق
مثل البرق • وقيل مثل الشمس من غير برص • فاذا ردها عادت
الى لونها الاول بلا نور اسهى • قال قيل الكبرى من نعت
الايات فلم لم يقل الكبر فنقول بل هي نعت الاية والمعنى
لنريك الاية الكبرى • ولئن سلمنا ذلك فهو كما قدمنا في قوله مآرب
اخرى والاسماء الحسنى قال قلت اي اية هي الموصوفة بالكبرى
اليد ام العصى قال الحسن اليد اعظم في الاعجاز من العصى
لانه تعالى ذكر لنريك من ايانا الكبرى عقيب ذكر اليد • وهذا ضعيف
لانه ليس في اليد الا تغير اللون • واما العصى فغيرها تغير اللون

وخلق

الاية م

وخلق الزيادة في الجسم وخلو الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة
وابتلاع الشجر والحجر وتغيير الجمادية بالحيوانية • وتغيير العجز
بالقدرة • ثم لما عادت عصى بعد ذلك فقد وقع التغير مرة
اخرى في جميع هذه الامور • واما قوله لنريك من آياتنا الكبرى
فقد بينا انه غير عائد الى الكل • وانه غير مختص باليد • وقيل
ان هذا وصف الايات التسع التي اتاه الله اياها • وان كل واحدة
منها كبرى • وعلى هذا يجوز ان يكون من للتبعيض • وان تكون للجنس

فكانت العصى اع

اذهب الى فرعون انه طغى جاء وحد العبودية الى دعوى الربوبية
انه تعالى لما اظهر له هذه المعجزات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون
وبين العلة في ذلك وانه طغى • وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى
عليه السلام كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى وتكبر وكان مبتدعا
متبوعا وكان ذكره اولى • قال البرهان النسفي قال تعالى
لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي • وانطلق برسالتي فان معك يدك
وبصري فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وقل له قولا لينا لا تغتر
بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي • ثم سكت موسى سبعة ايام فجاءه
ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعنده قال رب اشرح لي صدري
الآية • والبسك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة فاما ابعثك
لاخلق ضعف من خلقي بطر نعمتي • وايس ملكي • وغرته الدنيا حتى
جحد حقي • وانكر ربوبيتي لولا • اقسم بعزتي لولا الحجة والقدر التي
وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار • ولكن هان علي
وسقط من عيني • فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي

في النجير قال وه
قال الله تعا
ارعاك بعيني و

وقل له قولا لينا لا يغتر بلبا س الدنيا فانا صيته بيدى لا يطرف
ولا ينفس الا بعلمى فى كلام طويل قال فسكت موسى
سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعنده قال
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَسِّعْهُ ليحتمل الوحى والمشاق وردنى
الاخلاق من فرعون وجنده قال الزمخشرى لما امره
بالذهاب الى فرعون الطاغى لعنه الله عرف انه كلف امرا عظيما
وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش
رابط وصدر رفيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح
قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدايد
التى يذهب معها صبر الصابر الجميل الصبور ويحسن الثبات
وان يسهل عليه فى الجملة امره الذى هو خلافة الله فى ارضه
وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون ومقاساة جلايل
الخطوب انتهى قال فى معالم التنزيل وكان موسى خاف فرعون
خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فسال الله تعالى ان يوسع
قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على نصرته الا باذن الله تعالى
واذا علم ذلك لم يخف فرعون انتهى سال موسى من ربه امورا
ثمانية ثم ختمها بما يجرى مجرى العلة لها الاول قوله اشرح لى صدرى
قال فى التحرير وانما بدأ بشرح الصدر لما حمل به من دعاء فرعون
ومكالمته لما يعرفه من جبروته وفرعنته وتمرده فسال الله تعالى
ان يوسع صدره عند مكالمة فرعون ومعاودته وقيل انه عبر
بالصدر هنا عن القلب لان الصدر محله قال تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن

تعمى القلوب التى فى الصدور قال السفى السبب فى هذا السوال
ما حكى الله عنه فى موضع اخر وضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فسال الله
تعالى حتى يبدل ذلك الضيق بالسعة وقيل اشرح لى صدرى
فافهم عنك ما انزلت على من الوحى وقيل شخصى لئلا يجترئ
به على مخاطبة فرعون قال الامام فخر الدين ذكر الكلام فيه
متعلق بامور احدها فوايد الدعا وشرايطه وثانيها
ما السبب فى ان الانسان لا يذكر وقت الدعا من اسماء الله تعالى الا الرب
وثالثها ما معنى شرح الصدر ورابعها بماذا يكون شرح
الصدر وخامسها كيف كان شرح الصدر وحق موسى عليه السلام
وسادسها صدر موسى هل كان منشرحا او لم يكن ولا وجه
لكل واحد منهما اما الاول فظاهر واما الثانى فلاظهار الكرامات
والتشريفات فرحقه كما مر ولانه اذا لم يكن منشرح الصدر لا يكون لائقا
بمنصب الرسالة وقد فوض الله الرسالة اليه انتهى اما البحث
الاول وهو فوايد الدعا وشرايطه فقد تقدم فى تفسير قوله تعالى ربنا
لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا الا انا نذكر منها نبذة الفوايد المتعلقة
بهذا الموضع فنقول اعلم ان للكمال مراتب ودرجات واعلاها
ان يكون كاملا فى ذاته ومكملا لغيره اما كونه كاملا فى ذاته فكل
ممكن كاملا فى ذاته كان كماله من لوازم ذاته لكنه لا يكون مكملا
فى الازل الا بالتكميل فى لا يزال اذ المكمل عبارة عن جعل الشى
كاملا وذلك ممتنع فى الازل اذا ثبت هذا فنقول انه تعالى لما
قصد الى تكوين وكان المقصود منه تكميل الناقص لما ان الممكن قابل

للوجود والعدم وصفة الوجود صفة الكمال فاقتضت قدره الله
تعالى على التكميل وصح فايدة الكمال للممكنات اذا عرفت هذا
فهذا الوجود الفايض من نور رحمته على جميع الممكنات وهو المراد
بقوله ورحمتي وسعت كل شئ ثم الموجودات منقسمه الى الجمادات
والى غير الجمادات كالحيوانات والجماد بالنسبه الى الحيوان كالعدم
بالنسبه الى الوجود وكالعبد بالنسبه الى مولاه فان الحيوان يستعمل
الجمادات في اغراض لنفسها فكانت الحيوه افضل من الجماديه والحيوة
بالنسبه الى الجماديه كالنور بالنسبة الى الظلمة ثم قال الاحياء
عند ذلك يارب الارباب انا وجدنا خلعة الوجود وخلعة الحياة
لكنا نحتاج الى طلب الملايم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الطلب
والهرب والجذب والدفع لبقينا كالرمس المقعد على الطريق عرضة
للافات والبليات فاعطنا من خزاين رحمتك القدرة والقوة اليهما التي
بهما نتمكن من الطلب تارة والهرب اخرى فاقتضت الرحمة التامة
تخصيص تخصص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصص بعض الموجودات
بالحيوة دون البعض فقال القادرون عند ذلك الهنا
تخصيص بعض المعدوم بالوجود
الكريم الرحيم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا تظهر افادتهما كما ينبغي
فافض علينا من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك واعز مبتدعاتك
فاعطاهم الله نور العقل ونفث في ارواحهم نور البصيرة وجوهر
الهدايه فعند هذه الدرجة فازوا بالخلع الاربع الوجود والحيوة
والقدرة والعقل فالعقل خاتم الكل والخاتم يجب ان يكون افضل
الم ترى ان الانسان خاتم المخلوقات الجسمانية فكان افضلها وان محمدا
حاتم

خاتم النبيين فكان افضلهم ثم ان العقل نظر وذلك العقل لما كان
خاتم الخلع الفايضه من حضرة ذي الجلال كان افضل الخلع واكملها
ثم نظر العقل في نفسه فراى نفسه كالشمس يظهر بنورها
الاشياء النفيسه والخسيسه وتميز بعضها عن البعض فلما نظر العقل
لتلك الاشيا راى رقم الحدوث على جباة تلك الاشيا فاستدل
بتلك الارقام على الراقم وعرف ان الرقم غير الراقم فانفتح له من اعلا
عالم المحدثات طرائق الى انوار عالم القدم ولوايحها وطالع تلك الالواح
الازلية وعجايبها فبقي متحيرا فالتجا بطبعه الى مفيض الانوار فقال
رب اشرح لي صدري فان البحار عميقه والظلمات متكاثفة وقواطع الطريق
من الاعدا الداخله والخارجة وشياطين الانس والجن كثيرة فالهم
تشرح لي صدري ولم يكن عونا لي في جميع الامور انقطعت وصارت هذه
الخلع سببا لنيل الافات لا للفوز بالدرجات فهذا هو المراد بقوله
رب اسرح لي صدري ثم قال ويسر لي امري وذلك لان كلما
يصدر من العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات فلما لم
يصر العبد مريدا استحال ان يصير فاعلا لذلك فهذه الارادة صفة
محدثة فلا بد لها من فاعل وفاعلها اما ان يكون هو العبد افتقر في تحصيل
تلك الارادة الى ارادة اخرى ولزم التسلسل بل لا بد من انتهائها الى ارادة
خالقها مدبر العالم فيكون في العالم الحقيقة هو الميسر للامور وهو المتمم
لجميع الاشيا وتمام التحقيق ان حدوث الصفة لا بد له من قابل وفاعل
فعبر عن استعداد القابل بقوله رب اسرح لي صدري وعبر عن حصول الفاعل
بقوله ويسر لي امري وفيه التنبيه على انه سبحانه هو الذي يعطي

القابل قابليته • والفاعل فاعليته • ولهذا كان السلف يقولون يا مبتدئ النعمة قبل استحقاقها • ومجموع هذين الكلامين كالبرهان القاطع على ان جميع الحوادث في هذا العالم واقع بقضايه وقدره • ويمكن ان يقال ايضا كان موسى عليه السلام قال الهي لا اكتفي بشرح الصدر ولكن اطلب منك تنفيذ الامر وتحصيل الغرض • ولهذا قال ويسر لي امري • ويمكن ان يقال لما كان امره مع العدو كان محتاجا الى الشجاعه والقدره والقوة • فكانه عليه السلام طلب الشجاعه بقوله رب اشرح لي صدري • وطلب القدرة والقوه بقوله ويسر لي امري فان الشجاعه بدون القدرة لا تفيد • العمل الثاني في قوله رب اشرح لي صدري • اعلم ان الدعا سبب القرب من الله تعالى فانما اشتغل موسى عليه السلام طلبا للقرب فيفتقر الى بيان ان الدعا سبب القرب • ثم الى بيان انه عليه السلام طلب بهذا الدعا القرب • اما الاول فلانه تعالى ذكر السوال والجواب في كتابه في عدة مواضع • منها اصولية • ومنها فروعية • اما الاصولية فمنها قوله تعالى ويسالونك عن الاهله قل هي مواقيت للناس والحج • ومنها ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي • ومنها ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا • ومنها يسالونك عن الساعه ايان مرساها • واما الفروعيه فمنها يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير • ومنها يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير • ومنها يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير • ومنها يسالونك ماذا ينفقون قل العفو

وسع

• ومنها يسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير • ومنها يسالونك عن المحيض قل هو اذى • ومنها يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول • ومنها يسالونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا • ومنها ويستنبئونك احق هو قل اي وربي • ومنها يستفتونك قل الله يفتيكم • ومنها اذا سالك عبادي عني فاني قريب • اذا عرفت هذا فنقول هذه الاسوله والاجوبه على صور مختلفه • فالاغلب منها انه تعالى لما ذكر السوال قال لمحمد قل • وفي صورة واحدة قال فقل بقاء التعقيب • وفي الصورة الثالثه ذكر السوال ولم يذكر الجواب • وفي الرابعه ذكر الجواب ولم يذكر لا لفظ قل ولا لفظ فقل ولا بد لهذه الاشياء من الفائده فنقول اما الاجوبه الوارده بلفظ قل فلا اشكال فيها لان قوله تعالى قل كالتوقيع المجرد لاثبات نبوه محمد صلى الله عليه وسلم وكالتشريف المجدد في كونه محاطبا من الله تعالى بادآ الوحي والتبليغ • واما الصوره الثانيه وهي قوله تعالى فقل ينسفها فالسبب ان قولهم ويسالونك عن الجبال سوال • اما عن كيفية وقوعها واما عن وجوب بقايها • وهذه المسئلة من مهمات مسائل اصول الدين فلاجرم امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يجيب بلفظ الفا المفيد للتعقيب كانه سبحانه قال اجب عن هذا السوال على الحال ليلا يقعوا في الشك فان الشك فيه كفر ثم كيفية الجواب انه قال فقل ينسفها ربي ولا شك ان النسف ممكن لانه ممكن في كل جزء من اجزآ الجبل فيكون ممكنا في الكل وذلك يدل على انه لا سر بقدمه • فان قيل انهم قالوا اخبرنا عن الهك اهو ذهب

وهو قوله ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا

وهو قوله ويسالونك عن الساعه ايان مرساها

ام فصله امر حديد فعال قل هو الله احد ولم يقل فقل مع ان هذه
المسئلة من المهمات فنقول انه تعالى لم يحكِ في هذا الموضع
سؤالهم وحرف الفا من الحروف العاطفة فليستدعى سبق كلام
فلما لم يوجد فقد ترك الفا خلاف هذه الصورة ۞ واما
الصوره الثالثه وهي انه تعالى لم يذكر الجواب في قوله ويسالونك
عن الساعه ايان مرساها ۞ فالحكمة فيه ان معرفه الساعه
على التعيين مشتملة على المفاسد التي مر ذكرها فما سبق فلهذا
لم يذكر الجواب ۞ وذلك يدل على ان من اراد مسئولة ما لا يجاب عنها
۞ واما الصوره الرابعه وهي قوله تعالى فاني قريب ولم يذكر فيه
لا قل ولا فقل ففيه وجوه ۞ احدها ان ذلك يدل على عظم
حال الدعا وانه من اعظم العبادات فكانه تعالى يقول يا عبدي انت
لا تحتاج الى الواسطه في مقام الدعا ۞ فكانه سبحانه قال اذا سئلت
عن غيري فقل انت ۞ واذا سئلت عني فاسكت انت ۞ وبانها
ان قوله واذا سالك عبادي عني فانه يدل على ان العبد له ۞ وقوله
تعالى فاني قريب يدل على انه للعبد ۞ وبالثها ان في نقل فالعبد مني
قريب بل انه قال انا منه قريب ۞ وفيه سر فان العبد ممكن الوجود
فهو من حيث هو في مركز العدم وحضيض الفنا فكيف يكون
قريبا بل القريب هو الحق سبحانه فانه بفضله واحسانه جعله موجودا
وقربه من نفسه فالقرب منه لا من العبد ۞ ورابعها ان الداعي
ما دام خاطره مشغولا بغير الله تعالى فانه لا يكون داعيا لله فاذا فني
عن الكل صار مستغرقا بمعرفه الله تعالى ۞ وفي هذا المقام رفعت الواسطه
من البين

من البين فما قال قل اني قريب بل قال فاني قريب ۞ ثم من شان
العبد انه اذا سال من حضرة الله شيئا اظهر عجزه عن تحصيل
ما يطلبه منه فان اظهار العجز في الحضره الالهيه من اعظم العبادات
فلا جرم اظهر موسى عليه السلام عجزه عن اتمام ما امر به فقال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ۞ الوجه الثاني في بيان
فضل الدعا ۞ اعلم ان من الدلائل ما يدل على ان الدعا من نوع
من انواع العباده ۞ فكما انه سبحانه امر بالصلاه والصوم فكذلك
بالدعا ويدل عليه قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب
وقوله ادعوني استجب لكم وادعوه تضرعا وخفيه ۞ فهذه الايات
وامثالها تدل على ان الدعا عباده ۞ والوجه الثالث كما انه يدل
ويدل عليه ايضا من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العباده
ومخ الشي خلاصته فذلك الشي فيكون الدعا خلاصة العباده ۞ واما
قول من قال ان الدعا على خلاف العقل وان ذلك ضعيف
جدا وان احتج عليه بوجوه ۞ احدها انه علام الغيوب يعلم السر
والخفي فاي حاجة الى الدعا ۞ وثانيها ان المطلوب ان كان معلوم الوقوع
فلا حاجة الى الدعا وان كان معلوم اللاوقوع فلا فائده فيه ۞ وثالثها
ان الدعا يشبه الامر والنهي وذلك من العبد في حق المولى ترك الادب
۞ ورابعها ان المطلوب من الدعا ان كان من المصالح فالحكيم لا يهمله وان
لم يكن من المصالح لم يجز طلبه ۞ وخامسها ان اعظم مقامات الصديقين نفي الرضا
بقضا الله والدعا ينافي ذلك ۞ وسادسها قال صلى الله عليه وسلم رواه عن الله
سبحانه من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ۞ فدل

ان الاولى ترك الدعا ۞ وسابعها ان ابرهيم عليه السلام لما ترك الدعا
واكتفى بقوله حسبى من سوالى علمه بحالى استحى المدح ۞ وذلك يدل على
ان الاولى ترك الدعا فيقال فى الجواب عن الاول انه ليس
الغرض من الدعا الا علام بل نوع تضرع كساير التضرعات ۞ وعن
الثانى انه يجرى مجرى قول الجايع ان كان الشبع معلوم الوقوع فلا
حاجه الى الاكل وان كان معلوم اللا وقوع فلا فايدة ۞ وهذا فى جمله
ما مر الكلام فيه ان فعل العبد على حسب ما يعلمه والظاهر له بحسب ما
يعلمه من الوقوع واللا وقوع ۞ وعن الثالث ان الصيغه وان كانت
صيغه الامر الا ان صورته صورة التضرع والخشوع فيصرفه ذلك ۞ وعن
الرابع بمكن ان يصير من المصالح بشرط سبق الدعا ۞ وعن الخامس انه
اذا دعى اظهارا للتضرع لم يرض بما قدره الله وذلك اعظم المقامات ۞ وهو
الجواب عن الوجوه الباقيه ۞ واعلم ان الوجوه الدالة على فضيله الدعا
متعدده غايه التعداد والله تعالى بالغ فى بيان هذه الفضيله لما بين انه
يغضب اذا لم يسال فقال ۞ ولو لا ادعاهم بانا نضرعوا ولكن قست قلوبهم
الايه ۞ ثم انه تعالى جعل العباد على اقسام كثيره ۞ منهم ان يكون عند العصمه
ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ۞ ومنهم عند الصفوه وسلام على عباده
الذين اصطفى ۞ ومنهم عند البشاره فبشر عبادى الذين يستمعون القول
۞ ومنهم عند الكرامه يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ۞ ومنهم عند القربه
واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ۞ وكان موسى عليه السلام مخصوصا
بالعصمه واصطنعتك لنفسى ۞ ومخصوصا بالصفوه انى اصطفيتك على الناس
برسالاتى وبكلامى ۞ ومخصوصا بالبشاره وانا اخترتك ۞ ومخصوصا
بالكرامه

بالكرامه لا تخافا انى معكما ۞ ومخصوصا بالقربه وقربناه نجيا ۞ فاراد
موسى عليه السلام مزيد الصفوه العصمه والصفوه والبشاره والكرامه
والقربه فقال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى ۞ الفصل
الثالث فى قوله رب اشرح لى صدرى ۞ وفيه وجوه احدها ان الله
تعالى لما خاطبه بالاشيا الستة ۞ وهى معرفه التوحيد انى انا الله لا اله الا انا
فاعبدنى ۞ العباده واقم الصلوه لذكرى ۞ معرفه الاخره ان الساعه آتيه ۞ حكمه افعاله
فى الدنيا وما تلك بيمينك ۞ غرض المعجزات القاهره لفرعون من اناتنا
۞ ارساله الى اعظم الناس عتوا ۞ اذهب الى فرعون ۞ وكانت هذه
الاشيا كلها شاقه سببا للقهر فاراد موسى عليه السلام جبر هذا القهر
بفخر القرب منه فقال رب اشرح لى صدرى ۞ وثانيها اراد الذهاب
الى فرعون فاراد ان يقطع الطمع عن طمع الخلق عن نفسه بالكليه فعرف
ان من دعا به قربه له وهديه لديه ۞ فحينئذ قطع الطمع عن الخلق
فقال رب اشرح لى صدرى ۞ وثالثها الوجود كالنور والعدم
كالظلمه وكلما سوى الحق فهو فى حكم العدم كل شى هالك الا وجهه
فالكل كانهم فى ظلمات العدم فقال رب اشرح لى صدرى حتى ينكشف لى
فى بحر ضوء المعرفه وسعاده شرح الصدر ۞ والساكن فى الضوء لا يرى
من كان ساكنا فى الظل فلا يرى احدا فى الوجود فلهذا عقبه بقوله
ويسر لى امرى فان العبد فى مقام الاستغراق لا يتفرغ لشى من المهمات
۞ ورابعها رب اشرح لى صدرى فان عمر العقل ضعيف فاطلع
يا الهى شمسك لنوفو حتى ارى كل شى كما هو ۞ وهذا فى معنى قول محمد صلى الله
عليه وسلم ارنا الاشيا كما هى ۞ وخامسها قال موسى عليه السلام

رب اشرح لی صدری وقال محمد ارنا الاشیآ کما ھی • وشرح الصدر
مقدمة لسطوع الانوار الالھیة فی القلب • والاستماع مقدمة
للفھم الحاصل من سماع الکلام • فالله تعالی اعطی موسی المقدمة وھی
قوله فاستمع لما یوحی • فلا جرم تبجح موسی علیه السلام علی ذلک المنوال
فقال رب اشرح لی صدری وھذا طلب للمقدمه • ولما آل الامر
الی محمد صلی الله علیه وسلم قیل له وقل رب زدنی علما والعلم ھو المقصود من شرح
الصدر • فلما کان موسی کالمقدمة لمحمد صلی الله علیه وسلم
لا جرم اعطی نبینا المقصود • سبحانه ما ادق حکمته فی کل شیء • وسادسها
للداعی صفتان احدھما ان یکون عند القرب واذا سالک عبادی
عنی فانی قریب • والثانی ان یکون الرب له وقال ربکم ادعونی استجب
لکم اضاف نفسه الینا وما اضافنا الی نفسه • فالمشتغل بالدعاء
صار کالملاصق بھا من الصفتین • فاراد موسی علیه السلام ان یرتع
فی ھذا البستان فقال رب اشرح لی صدری • وسابعها
ان موسی شرفه الله بقوله وقربناه نجیا • فکان موسی علیه السلام
قال الھی لما قلت وقربناه نجیا صرت قریبا منک • ولکنی اریدقربک
منی فقال تعالی اما سمعت قولی واذا سالک عبادی عنی فانی قریب
فاد نحنی حتی اصیر قریبا منک • فعند ذلک قال لمحمد موسی رب اشرح لی
صدری • وقال لمحمد الم نشرح لک صدرک • لم انه تعالی ما ترکه علی ھذه
الحالة بل قال وسراجا منیرا • فانظر الی التفاوت بین محمد وموسی
کالتفاوت بین الآخذ والمعطی • ثم نقول الھنا کلمة لا اله الا
الله نور • والوضو نور • والصلاة نور • والصبر نور • والحبه نور • فبحق

لمقصود ص

لا موسی ص

انوارک التی اعطیتنا لا تحرمنا انوار فضلک واحسانک یوم الغنیمه

الفصل الرابع فی قوله رب اشرح لی صدری • سئل
رسول الله صلی الله علیه وسلم عن شرح الصدر فقال نور یقذف فی القلب
فقیل وما امارته • قال التجافی عن دار الغرور • والانابه الی دار
الخلود • والاستعداد للموت قبل النزول • ویدل علی ان شرح
الصدر عبارة عن النور قوله تعالی افمن شرح الله صدره للاسلام فھو
علی نور من ربه • واعلم ان الله تعالی ذکر عشرة اشیاء
ووصفھا بالنور • احدھا وصف ذاته بالنور • الله نور السموات
والارض • وثانیها الرسول لقد جاءکم من الله نور • وکتاب مبین
• وثالثها القرآن واتبعوا النور الذی انزل معه • ورابعها الایمان
یریدون لیطفئوا نور الله • وخامسها عدل الله واشرقت الارض
بنور ربها • وسادسها ضیآ القمر وجعل القمر فیھن نورا • وسابعها
النھار وجعل الظلمات والنور • وثامنھا البینات انا انزلنا التوریة
فیھا ھدی ونور • وتاسعھا الانبیا نور علی نور • وعاشرھا المعرفه
مثل نوره کمشکوة فیھا مصباح • اذا ثبت ھذا فنقول کان
موسی علیه السلام قال رب اشرح لی صدری باتباع وحیک وامتثال
امرک ونھیک • رب اشرح لی صدری بنور الایمان بک • والابقال
بعظمة حضرتک • رب اشرح لی صدری بالاطلاع علی اسرار عدلک
فی تحکمک • رب اشرح لی صدری بالاشتغال من نور شمسک وقمرک
لا نور جلال عزتک • رب اشرح لی صدری من مطالعة نھارک ولیلک
لا مطالعه نھار فضلک ولیل عدلک • رب اشرح لی صدری بالاطلاع

على مجامع ايانك ومعاقد بنيانك في ارضك وسمواتك • رب اشرح لي
صدري في ان اكون خلف صدق الانبيا المتقدمين ومتشبها في الانقياد
لحكم رب العالمين • رب اسرح لي صدري بان تجعل سراج الايمان
في فلكي المشكاة التي فيها المصباح • واعلم ان شرح
الصدر عباره عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج
وذلك النور كالنار • ومعلوم ان من اراد ان يسوقد سراجا احتاج
الى سبعه اشيا • زند • وحجر • وحراق • وكبريت • ومسرجه •
وفتيلة • ودهن • فالعبد اذا طلب النور الذي هو سراج الصدر
فلابد له من زند المجاهدة • والذر جاهد وافيا • ومن حجر
التضرع • ادعوا ربكم تضرعا وخفيه • ومن حراق منع الهوى • ونهى
النفس عن الهوى • ومن كبريت الانابة • وانيبوا الى ربكم • ومن
مسرجة الصبر • واستعينوا بالصبر والصلاه • ومن فتيله الشكر
لئن شكرتم لازيدنكم • ومن دهن الرضا • واصبر لحكم ربك • اي ارض
بقضايه • فاذا حصلت هذه الادوات فلا تعول عليها • بل ينبغي ان
لا تطلب المقصود الا من الله تعالى • ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها • واطلبها بالخشوع والخضوع • وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع
الا همسا • فعند ذلك ترفع يد التضرع • وتقول رب اشرح لي صدري
• فعنا لك تسمع دعاوتيت سولك يا موسى • ثم اعلم ان هذا
النور المسمى بشرح الصدر افضل من نور الشمس بوجوه • احدها
ان الشمس يحجبها غمامة وشمس المعرفة لا يحجبها شي • وثانيها
ان الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب اصلا • وثالثها

السمس

صدر ما كيفيه شرح صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقاصله منها ومن شرح صدر موسى عليه السلام مستذكره ان شاء الله في قوله الم نشرح لك صدرك ص

عشرة ح

تعرف م

السمس تتغير اذا السمس كورت • وشمس المعرفه لا تتغير • ورابعها
الشمس اذا قابلها القمر انكسفت • وشمس المعرفه اذا قابلها نور
العباده اشرقت • وخامسها الشمس تسود الوجوه • وشمس المعرفه
تبيضها يوم يبيض وجوه • وسادسها الشمس تقبح والمعرفه
تصعد • اليه يصعد الكلم الطيب • وسابعها الشمس في السماء
زينة لاهل الارض والمعرفة في الارض زينة لاهل السماء • وثامنها
الشمس تنفع للاعدا وغير الاعدا • والمعرفه لا تنفع الا للاولياء •
وتاسعها الشمس فانية والمعرفة باقيه • وعاشرها الشمس تعرف
صفات الخلق والمعرفه صفات الخالق • ولنقتصر على هذا القدر
فان المرجحة كثيرة في هذا الباب • والبيان يفضي الى الاطناب •
ثم المعرفة لما كانت متصفة بهذه الصفات النفيسه توجه اليها
موسى وقال رب اسرح لي صدري • واما النكت الكثيرة
ايضا منها ان الشمس سراج استوقدها الله تعالى في السماء
لتزيل الظلمة عن الشكل مع بعدها عنك • والمعرفه سراج اوقدها
الله تعالى في قلب المومن افلا تزيل ظلمة المعصيه والكفر عن القلب
مع قربها منك • ومنها ان استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده
ويمده • والله تعالى اوقد سراج المعرفه ولكن الله حبب اليكم الايمان
افلا يمده • وهو معنى قوله رب اسرح لي صدري • ومنها
السراج يدفع ضررا للصوص • فسراج المعرفه افلا يدفع ضرر
الشياطين فلهذا قال رب اشرح لي صدري • ومنها ان المجوس
لو قدروا نارا لمصلحة هي على وفق اعتقادهم فلا يريد ولطفها

فالملك القدوس اذا قذف سراج المعرفه في قلب المومن لحكمة بالغة
ومصلحه سابغه فكيف يريد اطفاها ويرضى بذلك ۞ واعلم
انه تعالى اعطى قلب المومن عشر كرامات ۞ احدها الحيوة
او من كان ميتا فاحييناه فلما رغب موسى عليه السلام في الحيوة
الروحانيه قال رب اشرح لي صدري ۞ وثانيها الشفاء ويشفي
صدور قوم مومنين فلما رغب موسى عليه السلام في الشفاء رفع الايدي
وقال رب اشرح لي صدري ۞ وثالثها الطهاره اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى فلما رغب موسى في ازدياد طهارة التقوى
قال رب اشرح لي صدري ۞ وعلى هذا قال في الرابع منها وهو الهدايه
ومن يومن بالله يهد قلبه ۞ وفي الخامس وهو الكتابه اولئك
كتب في قلوبهم الايمان ۞ وفي السادس وهو السكينه ۞ هو الذي انزل
السكينه في قلوب المومنين ۞ وفي السابع وهو المحبه والزينه ۞ ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ۞ حم
وفي العاشر وهو الطمانينه الا بذكر الله تطمن
القلوب ۞ ثم في كل قسم من هذه الاقسام نكتة لا يفي بها الوعظ
والنصحة ۞ كما يقال في الاولى منها ۞ ان العبد اذا احيى ارضا
ميته فهي له وهو في حفظها ۞ فالرب سبحانه لما احيى ارضا ميته
وهو قلب الكافر كان ذلك القلب له وهو في حفظه وعنايته لا محالة
۞ وفي الثاني انه تعالى لما وضع الشفاء في العسل بقي شفاء ابدا فلما وضع
الشفاء في الصدر كيف لا يبقى ۞ وفي الثالث ان الصايغ اذا امتحن الذهب
بالنار مرة فلا يدخله بعد ذلك في النار ۞ فالصانع لما امتحن قلب المومن

فكيف

وكيف يدخله النار ۞ وعلى هذا يذكر في كل قسم ما يناسبه ويليق
به ۞ وذلك يعرف بالتامل ۞ ولما عرفت حقيقة شرح
الصدر للمومن فاعرف ما عرف ما كان على الصدر في قلوب الكافرين
۞ ومنها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ۞ ومنها فلما انصرفوا صرف
الله قلوبهم ۞ ومنها في قلوبهم مرض ۞ ومنها وجعلنا قلوبهم قاسية
۞ ومنها وجعلنا على قلوبهم اكنه ۞ ومنها ختم الله على قلوبهم ۞
ومنها ام على قلوب اقفالها ۞ ومنها بل ران على قلوبهم ۞ ومنها بل طبع الله
على قلوبهم ۞ الفصل الخامس في حقيقة شرح الصدر
العلماء ذكروا فيه وجهين ۞ احدهما ان لا يبقى للقلب التفات
الى الدنيا لا بالرغبه ولا بالرهبة ۞ اما الرغبه فهي ان يكون متعلق
القلب بالاهل والولد وبتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ۞
واما الرهبه فهي ان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فاذا شرح
الله صدره صغر كل ما يتعلق بالدنيا في عين همته ولا تدعوه رغبته
اليها ولا تمنعه رهبة عنها فيصير الكل عنده كالعدم ۞ وعند
ميل القلب بالكليه الى طلب رضاة الله تعالى ۞ سال موسى عليه
السلام ربه ان يشرح صدره بان يوقفه على طلب الدنيا وقبح صفاتها
حتى يصير قلبه نافرا عنها فانه اذا حصلت النفره توجه الى عالم
القدس ومنازل الروحانيات بالكليه ۞ الثاني ان موسى عليه
السلام لما نصب ذلك المنصب العظيم احتاج الى تكالف شاقه
۞ منها ضبط الوحي والمواظبه على خدمه الخالق سبحانه ۞ ومنها
اصلاح العالم الجسداني وكانه صار مكلفا بتدبير العالمين الجسداني

والروحانى والالتفات الى احدهما يمنع الاشتغال بالاخر
وار موسى عليه السلام كان محتاجا الى الكل ومن استانس بالحق
استوحش عن الخلق فسأل موسى ان يشرح صدره بان يفيض
عليه كما لا من القوة ليكون قوته وافيه بضبط اصلاح العالمين
فهذا هو المراد من شرح الصدر ٥ ثم العلماء ذكروا لهذا المعنى
امثلة ٥ منها ان البدن بالكليه كالمملكة ٥ والصدر كالقلعه
والفؤاد كالقصر ٥ والقلب كالتخت ٥ والروح كالملك ٥ والعقل
كالوزير ٥ والشهوة كالعامل الكبير الذى يجلب النعم الى البلدة
٥ والغضب كالشحنة يشتغل بالضرب ٥ والتاديب ابدا ٥ والحواس
كالجواسيس ٥ وسايرالقوى كالعملة والصناع ٥ ثم ان الشيطان
خصم لهذه الولاية ٥ ولهذه القلعة ٥ ولهذا الملك ٥ فان الشيطان
كالسلطان ٥ والهوى والحرص وسايرالاخلاق الذميمه جنوده
٥ وكما ان الوزير وهو العقل يدعوالى خدمة حضرة الله سبحانه
فالهوى يدعوالى متابعة الشيطان ٥ وكما ان الروح وهو الملك اخرج
الفطنة وامدها بالفكره ليقف على الحاضر والغايب ٥ قال
عليه السلام تفكر ساعة خير من عباده سنه ٥ فالشيطان اخرج
فى مقابلة الفكرة الغفلة ٥ ثم اخرج الروح التوقف والعلم والثبات
فان العجله ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا ٥ والعلم يوقف العقل
على قبح الدنيا ٥ فاخرج الشيطان فى مقابله التوقف والعلم
العجلة والسرعة ٥ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق شيا
الا زانه ٥ ولا الخرق الا شانه ٥ ولهذا ايضا خلق الله السموات

والارض

والارض فى ستة ايام ٥ وهذه هى الخصومه الحاضره بين الطايفتين
٥ والصدر هو المعركة ٥ ثم لهذا الصدر الذى هو القلعة
خندق ٥ وهو الزهد فى الدنيا ٥ ولها سور ٥ وهو الرغبه فى الاخره
٥ ومن المعلوم ان الخندق اذا كان عميقا والسور اذا كان قويا
عاليا كان عجز الخصم عن الدخول اغلب واكثر ٥ ولو كان على العكس فالامر
على العكس فاعتبر بما عرفت ٥ الفصل السادس فى الصدر
اعلم انه يجئ والمراد منه القلب ٥ قال الله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام ٥ وقد يجئ والمراد منه الفضاء الذى فيه الصدر قال
تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ٥
واحتلف الناس فى ان محل العلم هو القلب او الدماغ وهو
وجمهور المتكلمين على انه هو القلب ٥ وسياتى ذكر هذه المسئله فى سو
الشعرا عند قوله نزل به الروح الامين على قلبك ٥ ومنهم
من قال المراتب اربع الصدر ٥ والقلب ٥ والفواد ٥ واللب
فالصدر مقر الاسلام ٥ افمن شرح الله صدره للاسلام ٥ والقلب
مقر الايمان ٥ ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ٥ والفواد
مقر المعرفه ٥ ما كذب الفواد ما راى ٥ واللب مقر التوحيد ٥ انما
يتذكر اولوا الالباب ٥ واعلم ان القلب اول ما بعث الى هذا
العالم بعث خاليا عن النقش كاللوح السادج ٥ وهو فى عالم البدن
كاللوح المحفوظ ٥ ثم انه تعالى يكتب فيه بقلم الرحمة والعظمة
جميع ما تتعلق بعالم العقل من نقوش الموجودات ٥ وصور الماهيات
وذلك يكون كالسطر الواحد الى اخر قيام القيمة لهذا العالم الاصغر

ثم ان القلب يركب سفينة التوفيق ويلقيها في بحار امواج المعقولات
وعوالم الروحانيات فيحصل من هبات رياح العظمة والكبرياء وآثار
السعادة تارة وتدبر الادبار اخرى فربما وصلت سفينة
النظر الى جانب مشرق الجلال ويتخلص العقل عن ظلمات الضلالات
وربما توغلت السفينة في جانب الجهالات وتنكسر فحينئذ تأكل
السفينة في امواج الغرة يحتاج حافظ السفينة الى التماس الانوار
والهدايات فيقول هناك رب اشرح لي صدري الفصل
السابع وفيه الابحاث انما قال رب اشرح لي صدري ولم يقل
رب اشرح صدري ليظهر ان منفعة ذلك الشرح عائدة الى موسى
عليه السلام مما آتى الله تعالى واما كيفية شرح الصدر
لمحمد صلى الله عليه وسلم والمفاضلة بينها وبين شرح الصدر لموسى عليه
السلام فيجيء من بعد في تفسير قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ان شاء الله
تعالى اشرح كلام الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى وييسر لي
امري وسهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون قال
في المدارك واشرح لي صدري الكمل اشرح صدري لانه تكرير
للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل لانه بقوله اشرح
لي ويسر لي علم ان ثم شرحا وميسرا ثم رفع الابهام بذلك
الصدر والامر واحلل عقدة من لساني عن ابن عباس رضي الله عنهما
كان في لسانه عليه السلام رتة يعني العجمة التي كانت فيه
من جمرة النار التي القاها في فيه وهو طفل قال ابن عباس وذلك
لانه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل فلطمه لطمة واخذ
بلحيته

ثم آية

طلوب الثاني ص

= الامام فخر الدين
راد من ييسر الامور
فيها وعند المعتزلة
يك الدواعي والبواعث
صل الالطاف
صل كل ما امكن
للطف فعد فعله الله قاي
يدة وهذا السوال قوي
صل ان يكون هناك من الالطاف
الا يحسن فعله الا بعد السوال وفائدة

فنتفها فقال فرعون لآسية هذا عدوي فهات الذباحين
فقالت آسية على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشياء ثم
انت بطستين فجعلت في احدهما جمرا وفي الاخر جوهرا فاخذ
جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة فوضعها على
لسانه فاحترقت تلك الرتة وروي انه احترقت وان
فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه موسى عليه
السلام فقال له فرعون الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ
يدي وقد عجزت انت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده ليلا
يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتتعقد بسببها حرمة المواكلة
قال في البحر اختلفوا في السبب الذي كان من اجله الرتة فقيل ما
هو من الجمرة التي ادخلها فاه وذلك ان الله تعالى القى محبته في قلب آسية
وسالت فرعون ان لا يذبحه كما يذبح سائر اولاد بني اسرائيل فبينما هي
ترقصه يوما وتلاعب به اخذه فرعون فلما تمكن اخذ لحيته فنتفها
وقيل كان في يده قضيب يلعب به فضرب به فرعون
وقيل انه لطمه لطمة فغضب فرعون غضبا شديدا فدعى السياف
فقالت انما هو صبي لا يفرق بين الياقوت والجمر فاحضر بين يديه
فاراد مد اليد الى الياقوت فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمرة
فاخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه وظهر به تتعتع وحبست
عنه بعض الحروف فسال الله ان يزيل ذلك من لسانه وقيل
حدثت العقدة في لسانه بعد المناجاة حتى لا يكلم احدا بعدها انتهى
وكذا قال القرطبي ان تلك العقدة حدثت بلسانه عند مناجاة ربه

عند بعض

حتى لا يكلم غيره الا باذنه ◦ قال الامام فخر الدين هنا مسائل
المسئله الاولى اعلم ان النطق فضيلة عظيمة يدل عليه وجوه
احدها قوله بعد خلق الانسان علمه البيان ولم يقل وعلمه البيان
لانه اذا عطفه عليه كان مغايرا له ◦ اما اذا ترك حرف العطف صار
قوله علمه البيان كالتفسير لقوله علمه الانسان خلق الانسان
كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان ◦ وذلك يرجع الى
الكلام المشهور من ان ماهية الانسان هي الحيوان الناطق ◦
وثانيها اتفق العقلا على تعظيم امر اللسان ◦ قال زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ◦ فلم يبق الا صورة اللحم والدم ◦
وقالوا ما الانسان لولا اللسان لكان بهيمة مرسلة او صورة
ممثلة يعني ان لنا الادراك الذهني والنطق اللساني لم يبق من الانسان
الا القدر الحاصل في البهايم ◦ وقالوا المرء باصغريه قلبه ولسانه
◦ وقالوا المرء مخبوء تحت لسانه ◦ وثالثها ان في مناظرة ادم
مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال بعد ما ادم انبئهم
باسمائهم ◦ فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض ◦ ورابعها ان الانسان جوهر مركب من الروح والقلب
وروحه من عالم الملائكة فهو يستفيد ابدا صور المغيبات من عالم الملائكة
ثم بعد ذلك يفيضها الى عالم الاجسام ◦ وواسطته في ذلك الاستفادة
هي العلم الذهني وواسطته في هذه الافادة هي النطق اللساني فكما
ان ذلك الواسطة اعظم الامور الروحانية العبادات ◦ حتى قيل
تفكر ساعة خير من عبادة سنة ◦ كذا الواسطة في الافادة يجب ان يكون

اشرف

لوحه

اشرف الاعضاء ◦ فقوله رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب
النور الواقع في الروح ◦ وقوله ويسر لي امري اشارة الى تسهيل
ذلك التحصيل ◦ وعند ذلك يحصل الكمال في ذلك الاستفادة الروحانية
فلا يبقى بعد ذلك الا المقام الثاني وهو افاضة ذلك الكمال على الغير
وذلك لا يكون الا باللسان فلهذا قال واحلل عقدة من لساني ◦ وخامسها
وهو ان العلم افضل المخلوقات على ما عرف والجود والاعطاء افضل
الطاعات ◦ فاليد لما كانت آلة في العطية الحسانة قيل اليد العليا
خير من اليد السفلى فالعلم الذي هو خير من المال لما كان آلة في اعطائه
اشرف الاعضاء ◦ ولا شك ان اللسان هو الآلة في اعطاء المعارف
فيجب ان يكون اشرف الاعضاء ◦ ومن الناس من مدح الصمت بوجوه
احدها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكمة وقليل فاعله ◦ وثانيها
ان الكلام على اربعة اقسام اما نفع محض ◦ واما ضرر محض ◦ واما
ان يكون النفع فيه مساويا مع الضرر ◦ واما ان يكون النفع راجحا
واما ان يكون على العكس ◦ والاكثر من هذه الاقسام واجب الترك
فيكون تركه اولى ◦ وثالثها انه ما من موجود او معدوم او خالق
او مخلوق معلوم او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له اما
باثبات واما بنفي ◦ فان كان ما يتناوله الضمير عبر عنه باللسان
بحق او باطل ◦ فهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فيكون في اللسان
مالا يكون في الغير ◦ وحينئذ يلزم ان يكون ترك الكلام اولى ◦
ورابعها قالوا ترك الكلام له اربعة اسماء الصمت ◦ والسكوت
والانصات ◦ والاصاغة ◦ اما الصمت فهو اعمها لانه يستعمل فيما يقوى

خمسة ح

على النطق وفيما لا يقوى عليه ◦ ولهذا يقال مالٌ ناطق وصامتٌ
◦ واما السكوت فهو ترك الكلام ممن يقف على الكلام ◦ واما
الانصات فهو سكوتٌ مع استماع ومتى انفك احدهما عن الاخر
لا يقال له انصات قال تعالى اذا سمعوا له وانصتوا ◦ واما
الاصاخه فهي استماع لما يصعب ادراكه ◦ واعلم ان الصمت
عدمٌ ولا فضيلة فيه بل النطق في نفسه فضيلة والرذيلة فيما يتعلق
به ◦ ولولاه لما سال كليم الله في قوله واحلل عقدة من لساني ◦
المسئلة الثانية اختلفوا في تلك العقدة التي كانت في لسان موسى عليه
السلام على قولين احدهما كان ذلك التعقد خلقيا ◦ فسال الله
تعالى ازالته ◦ وثانيهما ان السبب فيه انه عليه السلام اخذ لحية
فرعون وشفها فهمّ فرعون بقتله ◦ وقال هذا هو الذي يتولى ملكي
على يده فقالت آسية انه صبي لا يعقل وعلامته ان يقرب اليه
التمرة والجمرة فقرب اليه فاخذ الجمرة فجعلها في فيه ◦ وهؤلاء اختلفوا
◦ منهم من قال لم يحترق اليد ولا اللسان لان اليد آلة اخذ العصى
وهي الحجة واللسان آلة الذكر فكيف يحترق ◦ ومنهم من قال احترق اليد دون
اللسان ليلا يحصل حق المواكلة والمماكحة ◦ ومنهم من قال احترق
اللسان دون اليد لان الوصله طهرت باليد اما اللسان فقد خاطبه
تعالى بقوله يا اتت ◦ ومنهم من قال احترق اليد واللسان كيلا يحصل المواكله
ولا المخاطبة ◦ المسئله الثالثه اختلفوا في انه عليه السلام لم طلب
حل تلك العقدة على وجوه ◦ منها البلاء يقع في ادراك الوحي خلل
◦ ومنها الازاله النفور لان العقده في اللسان قد يفضي الى الاستخفاف

بينهما ح

بقائها وعدم الالتفات اليه ◦ وثالثها لاظهار المعجزة فكما ان
حبس لسان زكريا عليه السلام كان معجزا في حقه فكذا اطلاق لسان
موسى عليه السلام معجز في حقه ◦ ورابعها لطلب السهولة لان ايراد
مثل هذا الكلام على مثل فرعون في جبروته عسرٌ جدًا فاذا انضم
الى تعقد اللسان بلغ العسر الى النهايه فسال ربه ازالة تلك العقده
تخفيفا وتسهيلا ◦ المسئله الرابعه قال الحسن رحمه الله ان تلك
العقدة زالت بالكليه بدليل قوله قد اوتيت سولك يا موسى ◦ وهو ضعيف
لانه عليه السلام لم يقل واحلل العقدة من لساني بل قال واحلل عقدة
من لساني فاذا احل عقدة واحدة فقد آتاه الله سؤله ◦ والحق انه احل
اكثر العقده ◦ وبقي منها شيء لقوله بعد حكاية عن فرعون امر انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين ◦ وفي ذلك دلالة
على انه كان يبين مع بقاء قدر من الانعقاد في لسانه ◦ واجيب
عنه من وجهين احدهما المراد بقوله ولا يكاد يبين اي لا يأتي ببيان
وحجة ◦ وثانيهما ان كاد بمعنى قرب فلو كان المراد هو البيان اللساني
لكان معناه انه لا يقارب البيان فكان فيه نفي البيان بالكليه وذلك باطل
لانه خاطب فرعون والجمع كانوا يفهمون فكيف يمكن نفي البيان اصلا
◦ بل انما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه ◦ قال اهل الاشارة
انما قال واحلل عقدة من لساني لان حل العقد كلها نصيب محمد صلى الله عليه
وقال بعد ولا تفتروا اما لتتم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لنبينا
لم طلب لاجرم نادا رجوله ◦ وقال الزمخشري واختلف في زوال
العقده بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله بعد واخي هرون هو افصح مني

معالم

لسانا وقوله ولا يكاد يبين ◦ وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما
رتة ◦ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وريتها من عمه
موسى ◦ وقيل زالت لقوله قد اوتيت سولك ◦ وفي تنكير العقدة
ولم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم
عنه فهما جيدا ◦ ولم يطلب الفصاحة الكاملة ◦ ومن لساني
صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد لساني انتهى ◦ وقال
السلمي في تفسيره قوله واحلل عقده من لساني قال بعضهم سأله
حل عقدة الحياء فانه استحيى ان يخاطب عدو الله فرعون بلسان
خاطب به الحق انتهى يفقهوا قولي عند تبليغ الرسالة ◦ المطلوب
الرابع قوله واجعل لي وزيرا ◦ اعلم ان طلب الوزير اما ان يكون
لانه خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر ◦ او لانه رأى ان التعاون
على الدين والتظاهر عليه مع مخالفته الود وزوال التهمة مزية عظيمة ◦ له
في امر الدعاء الى حضرة الله تعالى ولذلك قال عيسى عليه السلام من انصاري الى الله
قال الحواريون نحن انصار الله ◦ وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم حسبك الله ومن
اتبعك من المؤمنين ◦ وقال صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين وفي الارض
وزيرين فالذان في السماء جبريل وميكائيل ◦ والذان في الارض ابو بكر وعمر
◦ وهنا مباحث الاول الوزير من الوزر الثقل لانه يتحمل عن الملك
اوزاره ومؤنته ◦ او من الوزر الملجأ لان الملك يعتصم برأيه
ويلتجئ الله في اموره ◦ او هو من المؤازرة وهي المعاونة ◦ الثاني
قال في كتاب النسائي عن القاسم بن محمد سمعت عمر يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل الله له وزيرا صالحا

ان

من اهلي صراي معينا وظهيرا اعتمد عليه ◦

خواص

ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ◦ ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانان بطانة
تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه ◦ والمعصوم
من عصمه الله رواه البخاري رحمه الله ◦ وكان انوشروان يقول
لا يستغني اجود السيوف عن الصقل ولا اكرم الدواب عن السوط
ولا اعلم الملوك عن الوزير اهـ ◦ قال الامام فخر الدين قال قوم
الاستعانة بالوزير انما تحتاج اليها الملوك لقصور عقلهم وصلاحهم فاما
الرسول المكلف بتبليغ الوحي من حضرة الله سبحانه فلم ابن يحتاج اليها
واكواب ◦ وذكر من قبل ان التعاون على الامر والتظاهر عليه مع مخالصة
الود وزوال التهمة له مزية عظيمة في امر الدعاء الى الله تعالى ◦ المطلوب
الخامس ان يكون الوزير من اهله هرون ◦ وانما سأل ذلك لان
التعاون على الدين ينفعه عظيم ◦ فاراد ان لا تحصل هذه الدرجة الا لاهله
ولان كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه والموافقة له ◦ وقوله
هرون عطف بيان لوزيرا ◦ وقوله اخي بدل او عطف بيان آخر ◦ ووزيرا
مفعول اول لاجعل ◦ والمفعول الثاني قوله من اهلي ◦ او قوله لي ووزيرا
مفعوله ◦ او ووزيرا وهرون مفعوله ◦ وقدم ما نهما على اولهما عنايه
بامر الوزارة ◦ دعا موسى الله تعالى ان يجعل له وزيرا من اهله لانه لم ير ان
يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون شريكا له في النبوة ولولا ذلك
لجاز ان يستوزره من غير مسئلة وتعيين فقال هرون ◦ واعلم
ان هرون كان مخصوصا بامور ◦ منها الفصاحة لقوله واخي هرون هو
افصح مني لسانا ◦ ومنها انه كان اكبر سنا منه فقيل كان اكبر من موسى

عليه م

الخيوم

السادس م

فقال هرون م

بسنة وقيل بثلاث سنين ه قال القرطبي وكان هرون اكثر
لحما من موسى وامتن طولا وابيض جسما ه وافصح لسانا ه ومات
قبل موسى بثلاث سنين ه وكان في جبهة هرون شامة ه وعلى ارنبة
انف موسى شامة ه وفي طرف لسانه شامة ه ولم تكن على احد قبله
ولا تكون على احد بعده ه وقيل انها سبب العقلة في لسانه
فالله اعلم انتهى كلامه ه وفي معالم التنزيل ه وكان هرون اكبر من موسى باربع
سنين كان افصح منه لسانا واجمل واوسم ابيض اللون ه وكان موسى
آدم اقنى جعدا انتهى ه قال الامام فخر الدين وكان في هرون رفق
بالغ لقوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي ه المطلوب السابع
قوله اشدد به ازري قوبه ظهري ه وقيل الازر القوة ه انه
عليه السلام لما طلب من الله تعالى ان يجعل هرون وزيرا له سأل منه ان يشد
ازره ويجعله ناصرا له لانه لا اعتماد على القرابة ه المطلوب
الخامس قوله واشركه في امري اجعله شريكا في النبوة والرسالة ه ابن عامر
اشدد بفتح الالف ه واشركه بضمها على حكاية النفس على الجواب
وقرا الباقون اشدد بضم الالف ابتداء ويجزمه وصلا ه واشركه بفتح
الالف على الدعا والمسئلة عطف على ما تقدم من قوله رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري ه انما قال ذلك لانه عليه السلام علم انه يشد
عضده وهو اكبر سنا منه وافصح لسانا ه قال القرطبي قال
المفسرون وكان هرون يومئذ بمصر فامر الله تعالى موسى ان ياتي هو وهرون
واوحى الله الى هرون وهو بمصر ان يلتقي موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره
بما اوحى اليه فقال له موسى ان الله امرني ان آتي فرعون فسالت ربي

ان يجعلك

ان يجعلك معي رسولا انتهى ه ثم انه سبحانه حكى عن موسى ما لاجله دعا
بهذا الدعا فقال كي نسبحك نصل لك وننزهك تنزيها كثيرا
ونذكرك كثيرا في الصلوات وخارجها ه قال في الكشاف التسبيح
يحتمل ان يكون باللسان وان يكون بالاعتقاد ه وعلى كلا التقديرين فالتسبيح
تنزيه الله في ذاته وصفاته وافعاله عما لا يليق به ه واما الذكر
فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال ولا شك ان النفي مقدم
على الاثبات انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا ه قال الزمخشري
اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك فان
التعاون تتزايد به الخيور وتتكاثر ه انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا
وبان التعاضد مما يصلحنا ه وان هرون نعم المعين والشاد لعضدي
فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا انتهى ه انما قيد الدعا بهذا القيد اجلالا
لربه عن ان يتحكم عليه وتفويضا للامر بالكلية اليه ه وقال في التحرير وفي
الكلام محذوف تقديره انك كنت بحالنا ومآلنا بصيرا ه قال
السلمي سؤال موسى عليه السلام آية شرح صدره واطلاق لسانه
وموازرة اخيه لكرياله ضعفا عن التبليغ لان الله تعالى ايده بالثبات
والتمكين لكنه عليه السلام وقف في مقام من يدري حق لسان حق
بما قد سبق به علم الحق في الخلق ه وقال ارباب الاشارة في قوله
واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لما كان ذهابه الى فرعون سال ان
يصحب اخاه معه ه ولما ذهب لسماع كلام الله حين قال الله ووعدنا
موسى ثلاثين ليلة لم يسال ولم يستصحبه لان الذهاب لذا الخلوة يوجب
الوحشة فطلب الصحبة لتخف عليه كلفة المشقة ه وقالوا في قوله كي نسبحك

والكرياء

هرون م

كثيرا • قال جعفر قيل لموسى عليه السلام استكثرت تسبيحك
وتكبيرك وتسبيت بدايات فضلنا عليك في اليم • وردك الى امك
وتربيتك في حجر عدوك • واكثر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا
اياك • واكثر منه اخبارنا باصطناعنا لك انتهى • قال قد اوتيت
سؤلك يا موسى اعطيت مسؤلك • والسؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول
كخبر بمعنى مخبور • سؤلك بلا همز ابو عمرو • انه عليه السلام
لما سال ربه تلك الامور الجمانه وكان من المعلوم ان قيامه بما كلف
به لا يتكامل الا باجابته اليها لا جرم اجابه الله اليها ليكون اقدر
على الابلاغ على الوجه الذي كلف • فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى
• وعد ذلك من النعم العظام عليه لما فيه من وجوه المصالح • ثم قال
ولقد منا عليك مرة اخرى كرة اخرى قبل هذه • قال
النعام
السفي نبه بذلك على امور • احدها كانه تعالى قال اني راعيت
مصلحتك قبل سؤالك وكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال •
وثانيها اني كنت قدرتيتك فلو منعتك الآن مطلوبك لكان ذلك
ردا بعد القبول واساءة بعد الاحسان فكيف يليق بكرمي • وثالثها
انا لما اعطيناك في الازمنة السالفة جميع ما احتجت اليه وربيناك
من حالة نازلة الى حالة عالية دل هذا على انا نصبناك لمنصب
عال ومهم عظيم فكيف يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب
ثم قال ذكر ذلك النعم بلفظ المنة مع ان هذه اللفظة
مؤذية والمقام مقام اللطف • والجواب انما ذكر ذلك ليعرف
ان هذه النعم لا يكون شيء منها بالاستحقاق بل بالتفضل والاحسان

ثم قال

الى ام

اي منا عليك
ايحائنا الى ام
ولدت وكان
يقتل امثالك

ثم قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر منا كثيرة
والجواب ليس المراد مرة اخرى مرة واحدة من المنن
لان ذلك قد يقال في القليل والكثير • ثم فسر المرة الاخرى فقال
اذ اوحينا الى امك ما يوحى اذ ظرف لمنا • اعلم ان المنن المذكورة
هنا ثمانية • الاولى قوله اذ اوحينا امك ما يوحى • ثم انهم اتفقوا
على ان ام موسى لم تكن من الانبياء فلا يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي
الواصل الى الانبياء بل هو غيره لا محالة • واختلفوا في المراد منه على وجوه
• احدها رؤيا رأتها ام موسى وكانتا وقالها وضع موسى عليه السلام
في التابوت وقذفه في البحر وان الله يرده عليها • وثانيها ان المراد
عزيمة اليها فطهرها الرأي الذي هو اقرب الى الخلاص يقال لذلك الخاطر
انه وحي • وثالثها المراد منه الالهام وهو ان يقاع في الروع
من الخير • ثم قال الالقاء في البحر نوع اهلاك فكيف يصح
الاقدام عليه صيانة عن الاهلاك ونقول لعلها عرفت بالاسقرا
صدق رؤياها فالغالب على ظنها هو السلامة • ورابعها لعله
اوحي الى نبي من الانبياء في ذلك الزمان بان ذلك النبي عرفها بوجه
من الوجوه • ثم قال لو كان كذلك لما لحقها من انواع الخوف ما لحقها
نقول ان ذلك من لوازم البشر • الا ترى ان موسى عليه السلام
كان يخاف من فرعون مع انه تعالى امره بالذهاب اليه • وخامسها
لعل الانبياء المتقدمين كانوا بشروا ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام
اخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر الى تلك المرأة • وسادسها
لعل الله تعالى بعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث الى مريم

في قوله فمثل لها بشرا سويا ﴿ وقوله ما يوحى معناه اوحينا الى امك
ما يجب ان يوحى وانما وجب ذلك الوحي لان الواقعه واقعة عظيمه
ولا سبيل لنا معرفه المصلحة فيها الا بالوحي ﴿ فسر ما يوحى بقوله
أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ وأن مفسره لان الوحي بمعنى القول
﴿ والتابوت صندوق من خشب يتخذ للميت وهو بلغة قريش
تابوت وبلغة غيرهم تابوه ﴿ واختلف المفسرون في التابوت
الذي وضعته فيه مرا ى شي كان ﴿ فقيل كان من برد ى نسجه
شخص يقال له حزبيل وهو مومن ال فرعون ٠ وقيل كان جبريل فعلمها صنعه
﴿ وقيل كان من جميز فسدت خروقه ٠ وقيرته وفرشت
فيه نطعا ﴿ وقيل قطنا محلوجا وسدت فمه والقته في اليم
فاقذفيه في اليم هو البحر ٠ والمراد هنا نيل مصر في قول الجميع
﴿ واليم اسم يقع على البحر وعلى النهر العظيم فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ
اي الشاطئ ﴿ سمي ساحلا لان الماء يسحله اى يقشره ﴿ قال الزمخشري
والضمائر كلها راجعة الى موسى ٠ ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت
فيه نبذة لما يؤدي اليه من تناقض النظم ﴿ قال ولما المقذوف
في البحر هو التابوت ٠ وكذلك الملقى الى الساحل ﴿ قلت
ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت
حتى لا تفرق الضمائر فيتناقض عليك النظم الذي هو ام اعجاز
القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ٠ ومراعاته اهم مما
يجب على المفسر ﴿ قال في المدارك وقوله فليلقه اليم صيغة
امر لفظا سبب ما تقدم ٠ ومعناه الاخبار اى يلقيه اليم بالساحل
قال

قال الزمخشري لما كانت مشية الله وارادته ان لا تخطئ
جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه اليه سلك في ذلك
سبيل المجاز ٠ وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر
ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل ﴿ روى انها جعلت
في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وحصصته وقيرته ثم القته
في اليم ٠ وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير ٠ فبينا هو جالس
على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت ٠ فامر به فاخرج ففتح فاذا
صبي اصبح الناس وجها فاحبته محبة والله حبا شديدا لا يتمالك
ان يصبر عنه ﴿ قال الزمخشري وظاهر اللفظ على ان البحر القاه
بساحله وهو شاطئه وقذف به ثمة فالتقط من الساحل ﴿ الا
ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون
ثم ادّاه النهر الى حيث البركة انتهى كلام الزمخشري ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ
لي وعدو له يعني فرعون ﴿ قال القرطبي فاخذت تابوتا
وجعلت فيه قطيفة ٠ ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وحصايصه
يعني شقوقه ثم القته في النيل ٠ وكان يشرع منه نهر كبير في دار
فرعون ﴿ وروى انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته
فيه وحصصته وقيرته ثم القته في اليم ٠ وكان يشرع منه الى
بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية
اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس فاحبته
محبة والله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه ﴿ وقيل وجدته
ابنة فرعون وكان بها برص فلما فتحت التابوت شفيت ﴿ وروى

اشهر حسن البقطر النابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فاذا
صبى نوره بن جبينه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه ٥ وكانت
لفرعون بنت برصاء وقال لها الاطبا لا تبرأ الا من جهة البحر يوجد
فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء بريقه فبرأت
٥ وقيل لما نظرت الى وجهه برأت ٥ وقيل وجدته جوار
لامراة فرعون * فلما نظر اليه فرعون راى صبيا من اصبح الناس وجها
فاحبه فرعون فذلك قوله والقيت عليك محبة منى اشهى ٥ قال
السفى وعلى قول من روى ان الاخذ له امراة فرعون فيكون المراد
من اخذ فرعون قبوله له ٥ قال ابو موسى عليه السلام لم يكن
فى ذلك الوقت يعادى فيقول اعاذ والله من جهة كفره
وعتوه ظاهر ٥ واما كونه عدوا لموسى عليه السلام فيحتمل من حيث
انه لو ظهر له حاله لقتله ٥ ويحتمل انه من حيث يؤول امره
الى ان يعادى انتهى وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي يتعلق بمنى بما القيت
يعنى انى احببتك ٥ ومن احبه الله احبته القلوب فما راه احد
الا احبه ٥ قال الرمخشرى ويجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة
لمحبة اى محبة حاصلة او واقعة منى قد ركزتها انا فى القلوب
وزرعته فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك ٥ قال
قتادة كان فى عين موسى ملاحة ما راه احد الا احبه وعشقه
٥ ويروى كانه على وجهه مسحة جمال ٥ وفى عينيه ملاحة
لا يكاد يصبر عنه من راه ٥ وقال ابن زيد جعلت من رآك
احبك حتى احبك فرعون فسلمت من شره ٥ واحبتك اسية بنت مزاحم

فنبتت

فاخذه فرعون

ما معنى قوله وعدو له

المنة الثانية قوله ص

فتبنت بك ٥ وقال الضرى المعنى والقيت عليك رحمتى ٥
قال السلمى فى قوله والقيت عليك محبة منى قال سرى السقطى
القى عليه لطفا من لطفه يستجلب به قلوب عباده ٥ وقال
ابن عطا القيت عليك محبة منى لك ٥ فمن راى فيك محبتى لك احبك
لاجلى لك ٥ وقال فارس زينتك بملاحة من عندى حتى لا تصلح
لغيرى ٥ ويجعل كل من يرى تلك الملاحة فيك ٥ فقيل له اليس
يوسف اعطى شطر الحسن فلم لم يكن يستوجب المحبة ٥ فقال
الحسن لا يوجب المحبة ٥ والملاحة توجب المحبة ٥ الا ترى النبى صلى الله
عليه وسلم كانت عليه ملاحة ممزوجة بهيبة ٥ وقال
الواسطى فى قوله والقيت عليك محبة منى فعال المحبة تمتزج لاقوام
كرجل يكون سخيا شجاعا فقيها فيفتن الناس عاذلك ٥ والمحبة التى
القيت على موسى ما زالت ملقى عليه وهو فى صلب عمران ٥ الا ترى
فرعون لما شاهد الملقى عليه وصغره من غير مزاج كيف ربا ه مع
ما كان يقتل من اولاد بنى اسرايل وذلك لالقاء المحبة عليه ٥ وقال
سهل اظهر الله عليه ميراث عمله فاورثه محبة فى قلوب عباده
٥ وقال بعضهم القيت عليك محبة منى غنج بعينيك لا يراك
احد الا رق لك ومال اليك انتهى كلام السلمى ٥ وَلِتُصْنَعَ
معطوف على محذوف تقديره والقيت عليك محبة منى لتحبب
ولتصنع عَلَى عَيْنِي اى لترعى بمرآى منى ٥ واصله من صنع الفرس
اى احسن القيام عليه ٥ يعنى انا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل
الشئ بعينه اذا اعتنى به ٥ وَلْتُصْنَعَ بسكون اللام والجزم

المنة الثالثة قول

يزيد على انه امر ه قال الامام فخر الدين قال القفال
ولتصنع على عيني اى لتربى على عيني اى على وفق ارادتي ه وهذا مجاز
ه وفي كيفية المجاز قولان احدهما المراد من العين العلم اى تربى
عالما علمي ه ولما كان العالم بالشئ يحرسه عن الافات نحو الناظر
اطلق لفظ العين على العلم ه وثانيهما المراد من العين الحراسة
وذلك لان الناظر للشئ يحرسه عما لا يريده بالعين كانها سبب
الحراسة فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا ه وهو كقوله انني معكما
اسمع واري ه ويقال عين الله عليك اذا دعي له بالحفظ والحياطة
انتهى ه وقال القرطبي ولتصنع على عيني قال ابن عباس يريد ان
ذلك بعيني حيث جعلتك والتابوت ه وحيث القى التابوت في البحر
وحيث التقطك جواري امرأة فرعون فاراد وا ان يفتحوا التابوت
ليظروا ما فيه فقالت واحدة منهن لا تفتحنه حتى تأتين به سيدتكن
فهو اخطر لكن عندها واجدر بان لا تتهمكن انكن وجدتن فيه شيا
فاخذتموه لانفسكن ه وكانت امرأة فرعون لا تشرب من الماء الا
ما استقته لها الجواري فذهبوا بالتابوت اليها مغلقا فلما
فتحته رأت فيه صبيا لم تر مثله قط والقى عليها محبته فاخذته
فدخلت به على فرعون فقالت له قرة عين لي ولك ه فقال لها فرعون
اما لك فنعم ه واما لي فلا فبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان
فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لامن وصدق فقالت هبه
لي ولا تقتله فوهبه لها ه انتهى كلام القرطبي اذ تمشي اذ بدل
من اذ اوحينا لان مشي اخته كان منه عليه اختك فتقول هل

منه والرابعة قوله
واسمها مريم

اذ لكم

اذ لكم على من يكفله ه قال الزمخشري العامل في اذ تمشي اقيت
او تصنع ه ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا ه فان قلت كيف
يصح البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان
اتسع الوقت وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا
سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في اولها
وانت في آخرها انتهى ه وذلك ان اخته خرجت متعرفة خبره
وكان موسى لما وهبه فرعون لامراته طلبت له المراضع وكان لا ياخذ
من احد حتى اقبلت اخته فاخذته ووضعته في حجرها وناولته
ثديها فمصه وفرح به فقالوا لها تفيمين عندنا فقالت انه لا لبن
لي ولكن اذلكم على من يكفله وهم له ناصحون قالوا ومن هي قالت
امي فقالوا لها ائتينا بها فاتت بها لبن آخر هرون ه وكان هرون اكبر من
موسى بسنة ه وقيل بثلاث سنين ه وقيل باربع ه
ه وذلك ان فرعون رحم بني اسرائيل ورفع عنهم القتل اربع سنين
فولدها هرون فيها قاله ابن عباس ه فجاءت الام فقبل ثديها فذلك
قوله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ه فرددناك
الى امك كما وعدناها بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن على فراقك ه قال في المحرر ومعنى تقر تبرد ماخوذ
من القر وهو البرد ه ولهذا قيل دمعة السرور قارة اي باردة ودمعة
الحزن حارة انتهى ه قال الامام فخر الدين المراد من قوله كي تقر عينها
ولا تحزن ان المقصود من رد ك اليها حصول السرور لها وزوال الحزن
عنها ه فان قيل لما قال اولا كي تقر عينها كان قوله ولا تحزن فضلا

لانه متى حصل زوال السرور وجب زوال الهم لا محالة ۞ فلما
المراد تقر عينها بسبب وصولك اليها ۞ ويزول عنها الحزن بسبب
وصول ابن غيرها الى باطنك انتهى ۞ المسئلة الخامسة قوله وقتلت
نفسا فقتلها كافرا ۞ قتله خطاء ۞ قال المفسرون ان موسى
عليه السلام لما كبر وترعرع ۞ او بلغ عمره اثنى عشر سنة ۞ بينما
هو يمشي اذ رأى رجلين يقتتلان احدهما اسرائيلي وهو الذي من شيعته
۞ والاخر قبطي وهو الذي من عدوه ۞ فجاء القبطي فوكزه وكزة فقضى
عليه ۞ قال في التحرير وكان حينئذ بمصر المعروفة به ۞ والموضع
معروف بمصر ۞ وقد بني في كل مكان منها مسجد ۞ يسمى المسجد الاول
بالوكزة ۞ والاخر بالقضاء ۞ والدار التي نزل فيها موسى قريبة منها
۞ وفي الكلام حذف تقديره وقتلت ذا نفس لم تؤذن لك عليه
في قتلها ۞ قال وهب اوحى الله الى موسى لولا النفس التي قتلت
اقرت ساعة من ليل او نهار ربا في خالقها ورازقها لاخذت قتلة طعم العذاب
ولكني عفوت عنك لانها لم تقر الى ساعة ۞ وفي صحيح مسلم وكان قتله
خطا وهذا يدل على انه لم يقصده بالوكزة وانما اراد ان يهيب عليه
فاصابته ۞ ولما قتله خاف من القبط ان يقتلوه ۞ فجاء رجل فقال له
رجل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج
كما اخبر الله عنه وقوله فخرج منها خائفا يترقب ۞ واليه الاشارة
بقوله فنجيناك من الغم من القود ۞ قيل الغم القتل بلغة
قريش ۞ وقيل اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى
ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت

سى

يغشى فاغفر لي وانجاه من فرعون بان ذهب به من مصر
الى مدين كذا في المدارك ۞ المسئلة السادسة قوله وفتناك فتونا
يجوز ان يكون الفتون مصدرا كالقعود والشكور والنشور
والكفور ۞ او جمع فتنة كحجور جمع حجرة ۞ وبدور جمع بدرة
اي فتناك ضروبا من الفتن ۞ سئل سعيد بن جبير ابن عباس
رضي الله عنهما ۞ والفتنة المحنة ۞ وكل ما يبتلي الله به عباده
فهو فتنة ۞ ونبلوكم بالخير والشر فتنة ۞ قال الامام فخر الدين
فان قيل انه تعالى عد انواع محن نعمه على موسى عليه السلام
في هذا المقام فكيف يليق بهذا الموضع قوله وفتناك فتونا ۞ والجواب
عنه من وجهين احدهما ان الفتنة شدة المحنة ۞ يقال فتن فلان
عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه ۞ قال بعضهم
فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ۞ وقال ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
۞ فالزلزلة ومس البأساء والضراء هي الفتون ۞ ولما كان التشديد
في المحنة مما يوجب كثرة الثواب لا جرم عد الله تعالى من جملة النعم
۞ وثانيها فتناك اي خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا
اردت تخليصه انتهى فان قيل فهل يجوز اطلاق اسم الفتان
عليه سبحانه اشتقاقا من قوله وفتناك فتونا ۞ فالجواب
لا لانه صفة ذم في العرف واسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم
ما لا ينبغي انتهى كلام الامام فخر الدين ۞ قال الزمخشري

يليق

سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك
من محنة بعد محنة ۞ ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير ۞ والفتنة الثانية في البحر ۞ وهم فرعون
بقتله ۞ وقتل قبطيا ۞ وأجر بفسه عشر سنين ۞ وضل
الطريق ۞ وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة ۞ وكان ابن عباس يقول
عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ۞ انتهى ۞ قال
القرطبي قال ابن عباس فتناك اي اختبرناك باشياء قبل الرسالة
۞ اولها حملته امه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال
۞ ثم القاؤه في اليم ۞ ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ۞
ثم جزه بلحية فرعون ۞ ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدراء
ذلك عنه قتل فرعون ۞ ثم قتله القبطي وخروجه خائفا يترقب
۞ ثم رعاية الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق ۞ فيقال
انه ند له من الغنم جدي فاتبعه الى النهر فاتعبه ثم اخذه
فقبله ووضعه وضمه الى صدره وقال له اتعبتني واتعبت نفسك
ولم تغضب عليه ۞ قال وهب بن منبه ولهذا اتخذه الله كليما
انتهى ۞ المنة السابعة قوله فلبثت سنين في اهل مدين
مدين هي بلدة شعيب عليه السلام ۞ قال وهب لبث عند شعيب
ثمانيا وعشرين سنة عشر منها مهر لابنة شعيب عليه السلام
وهي صفورا ۞ وثمانية عشر سنة اقامها عند شعيب حتى ولد
له اولاد ثم جئت على قدر يا موسى على قدر اي موعد مقدر في علم
انك تجيء واستنبئك فيه ۞ وكان مجيئه على رأس اربعين سنة ۞ قال

ابن عباس

ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان يريد موافقا للنبوة
والرسالة لان الانبيا لا يبعثون الا لاربعين سنة ۞ المعنى
جئت في الوقت الذي اردنا ارسالك فيه ۞ قال الشاعر
نال الخلافة او كانت له قدرا ۞ كما اتى ربه موسى على قدر
۞ قال الامام فخر الدين فان قيل كيف ذكر الله تعالى مجيء
موسى عليه السلام في ذلك الوقت من جملة منه عليه قلنا
لانه لولا توفيقه لما تهيأ له شيء من ذلك ۞ المنة الثامنة
قوله واصطنعتك لنفسي اخترتك واصطفيتك لوحيي ورسالتي
ومحبتي ۞ وقال الرجاج اخترتك لامري وجعلتك القائم بحجتي
والمخاطب بيني وبين خلقي كاني اقمتك عليهم الحجة وخاطبتهم ۞ قال
الامام فخر الدين فان قيل انه تعالى غني عن الكل فما معنى قوله
لنفسي ۞ والجواب عنه من وجوه اخرها ان هذا تمثيل فانه
تعالى لما اعطاه من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال
من يراه بعض الملوك لجوامع خصال هو فيها اهل فلا يكون الا اقرب
الناس منزلة اليه واشدهم قربا منه ۞ ومنها قالت المعتزلة
انه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف
ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطفه بالرسالة لبقي في عهدة الواجب
فصار موسى عليه السلام كالنائب عن ربه تعالى واذا وجب عليه
تعالى صح ان يقول واصطنعتك لنفسي ۞ ومنها قوله لنفسي اي
اصرفك في اوامري كيلا تشتغل الا بما امرتك به وهو اقامة
حجتي وتبليغ رسالتي ۞ وان تكون حركاتك وسكناتك لي لا لنفسك

فيه وخصا
اهلا م

ولا لغيرك انتهى ح الا ترى الى قوله قد اوتيت سولك يا موسى ولقد
مننا عليك مرة اخرى فذكر ايا ما وحداثنه ثم ردده الى اصله مرة
من اصله الى اصل الاصل فعال واصطنعتك لنفسي فاضافه الى نفسه
ح اكد ذلك بقوله اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ح
قال السلمي وقوله اصطنعتك لنفسي اي استخلصتك لسري
واختصصتك لمخاطبتي ح وقيل اخلصتك لي حتى لا تصلح لغيري
ح وقال ابو سعيد الخراز في بعض كتبه ان اولياء الله
زهائن لله في اشباحهم قد خباءهم واخفاهم في انفسهم من
انفسهم لنفسه وهذا مقام الاصطناع الذي قال الله لموسى واصطنعتك
لنفسي ح قال الواسطي حتى لا يملك غيرك فان نفوس المومنين
نفوس ابية استرقها الحق فلا يملكها سواه ح وقال ابو سعيد
الخراز واصطنعتك اي فطرتك صنعة لا تصلح الا لعبادتي
ح وقيل صنعتك صنعة تدعوا الي لا الى نفسك وغيرك
يدعوا الى نفسه لا الي انتهى كلام السلمي ح اذهب انت واخوك
الى الناس ح اعلم انه سبحانه لما عدد عليه المنن الثمانية
ومقابلة تلك الالتماسات الثمانية رتب على ذلك امرا ونهيا
اما الامر فهو انه سبحانه اعاد الامر الاول فعال اذهب انت
واخوك بآياتي ح واعلم انه تعالى لما قال واصطنعتك لنفسي
عقبه بذكر ما له اصطنعه وهو الابلاغ والاداء بآياتي بمعجزاتي
ح الباء هنا بمعنى مع وذلك لانهما اذا ذهبا اليه دون آية معهما
لم يلزمهم الايمان وذلك من اقوى الدلايل على فساد التقليد

ح واختلفوا

وا اختلفوا في الايات المذكورة هنا ح فقيل هي الايات التسع
التي انزلت عليه ح وقيل هي العصا واليد لانهما اللذان جرى
ذكرهما في هذا الموضع وفي سايير المواضع قال بعد فاءت بآية
ان كنت من الصادقين فالقى عصاه الآية ح وقال هناك برهانان من
ربك الى فرعون وملايه ح ولا يقال كيف يطلق لفظ الجمع
على الاثنين لانا نقول العصا ما كانت آية واحدة بل هي ايات كثيرة
كما مر من قبل وكذلك اليد ح مر من الناس من قال اقل الجمع اثنان
ح وقيل ان قوله اذهبا بآياتي معناه اني امدكما بآياتي والظهر
على اليكما من الآيات فاذهبا فان آياتي معكما ح وقيل انه تعالى
اتاه العصا واليد وحل عقدة لسانه وذلك ايضا معجزة وكانت الآيات
بلاثة ح فهذا شرح الامر واما النهي وهو قوله بعد ولا تنيا
في ذكري تفتروا من الونى وهو الفتور والتقصير في ذكري اي لا
تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيث ما تقلبتما واتخذا ذكري
جنانا تطمئنان به مستمدين بذلك العون والتاييد مني
معتقدين ان امر الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ح ويجوز
ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على سايير العبادات
وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه
اسم الذكر كذا في الكشاف ح قال الامام فخر الدين وقيل
لا تنيا في ذكري عند فرعون وكيفية الذكر هو ان يذكرا لفرعون
وقومه ان الله لا يرضى منهم بالكفر وتذكرا لهم امر الثواب والعقاب
والترغيب والترهيب ح وقيل لا تنيا في ذكري اي تذكرا

فاذا ذكر ح

الذكر بالفعل
والذكر باللسان

لفرعون الا الله ونعمائه وانواع احسانه اليه اذهبا الى فرعون
فان قيل ما الفائدة في قوله اذهب انت واخوك ما ياتي قيل
قوله اذهب انت واخوك يحتمل ان يكون كل واحد منهما مامورا
بالذهاب على حدة فقيل مرة اذهب انت واخوك • وقيل مرة اخرى
اذهبا ليعرف ان المراد منه ان يشتغلا بذلك جميعا لا ان ينفرد
هرون دون موسى • وقيل ان قوله اذهب انت واخوك
امر بالذهاب الى جميع الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون • ثم
قوله اذهب الى فرعون امر بالذهاب الى فرعون وحده فان قيل
قوله اذهبا الى فرعون خطاب مع موسى وهرون • وهذا مشكل
لان هرون عليه السلام لم يكن حاضرا هناك وكذا في قوله ربنا انا نخاف
فاكوا عنه من وجوه • منها ان الكلام كان مع موسى
عليه السلام لانه كان متبوع هرون فجعل الخطاب معه خطابا مع
هرون وكلام هرون على سبيل التقدير • ومنها انحمل ان الله تعالى
لما قال قد اوتيت سولك يا موسى سكت حتى لقي اخاه ثم خاطبهما
تعالى بقوله اذهبا الى فرعون انتهى • قال في الكشاف روي ان الله
تعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى • وقيل سمع باقباله فتلقاه
• وقيل الهم ذلك انتهى • انه طغى جاوز الحد بادعاء الربوبية
• قال السلمي قوله اذهبا الى فرعون انه طغى قال ابن عطا الاشارة
الى فرعون وهو المبعوث في الخفية الى السحرة • فان الله لا يرسل انبياءه
الى اعدائه • ولم يكن لاعدائه عنده من الخطر ما يرسل اليهم انبياءه
ولكن يبعث الانبياء ليخرج انبياءه واولياءه المؤمنين من بين اعدائه الكفرة

ذلك بعد ص

رعون ن وقيل
ه اذهب ص

موسى دون
هرون او ص

انتهى

انتهى • فقولا له قولا لينا فان قلت كيف امر الله تعالى موسى باللين
مع الكافر الكوا لوجهين احدهما انه عليه السلام
قد رباه فرعون فامره ان يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق
• وثانيهما ان من عادة الاكابر اذا اغلظ لهم في الوعظ ان يزدادوا
عتوا وتكبرا والمقصود حصول النفع لا زيادة الضرر فان قلت
كيف كان ذلك الكلام اللين قيل القول اللين نحو قوله تعالى
هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى ان ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز العظيم • وقيل قال له موسى
تؤمن بما جئت به وتعبد رب العالمين على ان لك شبابا لا يهرم بعده
وملكا لا ينزع منك الا بالموت وان تبقى لك لذة المطعم والمشرب
والمنكح الى حين الموت وننشاء في اجلك اربع حاة فاذا متّ دخلت
الجنة فهذا القول اللين • وقيل القول اللين قول موسى انا رسول رب العالمين فسماه بهذا الاسم لانه كان احب الله اليه فقيل
له كما يسمى عبد الملك ونحوه • وقيل قولا لينا اي كنيا • وهو
من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة • قال
القرطبي فعلى هذا القول تكنية الكافر جايزة اذا كان وجيها
ذا شرف وطمع في اسلامه • وقد يجوز ذلك وان لم يطمع في اسلامه
لان الطمع ليس بحقيقة توجب عملا • وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ولم يقيل ان طمعتم في اسلامه • ومن
الاكرام دعاؤه بالكنية • وقد قال صلى الله عليه وسلم لصفوان بن امية
انزل ابا وهيب وكناه • وقال لسعد المرتشح ما قال ابو تراب يعني

وهي كنية ابليس
لعنه الله ص

يعني عبد الله بن أبي ۞ وفي الاسرائيليات ان موسى عليه السلام قام
على باب فرعون سنة لا يجد رسولا يبلغ كلامه حتى خرج فجرى
له ما قص الله علينا من ذلك ۞ وكان تسلية لمن جاء بعده من المؤمنين
في سيرتهم مع الظالمين ۞ وربك اعلم بالمهتدين ۞ قال القرطبي
القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه ۞ فاذا كان موسى أمر
ان يقول لفرعون قولا لينا فما دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه
وأمره بالمعروف في كلامه ۞ وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا
على ما تقدم في البقرة انتهى ۞ قال السلمي رحمه الله وقولا له
قولا لينا ۞ قال يحيى بن معاذ هذا رفقك بمن يدعي الربوبية ۞ فكيف رفقك
بمن يدعي العبودية ۞ وقال هذا رفقك بمن آذاك ۞ فكيف رفقك
بمن يؤذي فيك ۞ وهذا رفقك بمن عاداك ۞ فكيف رفقك بمن عاداك
فيك ۞ وهذا رفقك مع الاعداء فكيف رفقك مع الاولياء ۞ وقال
النهرجوري هذا رفقك بمن جحدك وتبرأ منك ۞ فكيف رفقك بمن
عبدك وخضع لك ۞ وقال ايضا قال الله لموسى فقولا له قولا
لينا ۞ قال الله لموسى انه أحسن لديك في ابتداء امرك فلم تكافئه فاحببت
ان اكافيه عنك انتهى كلام السلمي ۞ وروى البيهقي في شعب
الايمان عن ابن عباس قال قال موسى عليه السلام يا رب امهلت فرعون
اربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويكذب بآياتك ويجحد
رسلك فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت
ان اكافيه انتهى ۞ لعله يتذكر اي يتعظ ويتأمل فينزع عن
الحق او يخشى اي يخاف ان يكون الامر كما تصفان فيحمله انكاره الى الهلاك

وانما

وانما قال لعله يتذكر مع علمه انه لا يتذكر لان الترجي لهما اي
اذهبا على رجائكما وطمعكما ۞ وباشر الامر مباشرة من يطمع
ويرجو ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويجتشد
باقصى وسعه ۞ وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة ۞ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ۞ وقيل
معناه لعله يتذكر متذكر او يخشى خاشٍ وقد كان ذلك في
كثير من الناس ۞ وقيل لعل من الله واجب ۞ وقد تذكر فرعون
حين لم ينفعه التذكر ادركه الغرق وخشي فقال آمنت انه لا اله
الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ولكن لم ينفعه
ذلك ۞ وتليت هذه الآية عند يحيى بن معاذ فبكى فقال هذا رفقك
بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله ۞ وهذا رفقك
بمن قال انا ربكم الاعلى فكيف بمن قال سبحان ربي الاعلى ۞ قال
القرطبي وقد قيل ان فرعون لما قال موسى لما دعاه وشاور امرأته
آمنت واشارت عليه بالايمان فشاورها مان فعال لا تفعل بعد
ان كنت مالكا تصير مملوكا وبعد ان كنت ربا تصير مربوبا ۞ وقال له
انا ارد شابا مخضب لحيته فهو اول من خضب انتهى قالا ربنا
انا نخاف ان يفرط علينا يعجل علينا بالعقوبة ۞ ومنه الفارط
الذي يتقدم الواردة ۞ وفرس فرط اي يسبق الخيل ۞ يقال
فرط عليه اي عجل او ان يطغى تجاوز الحد في الاساءة الينا ۞ قال
الزمخشري خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان

وبيادرنا بالقهر

قال صاحب
جمهور المفسرين على
قابل ذلك موسى وهرون
والصحيح ان المقابل موسى
هرون لم يكن احد
هذا القول ولا جاء
انما جاء بعدان
مصر فلقيته عند
وروى صاحب
كان غائبا مصر فا
فتشفعا على فرعون
لهما ان الله امرهما
فرعون فصل الله
انما خاف ان
فال
اكبر من
كان من
الاخ فاني
وابى ان
مخاطبته والملك
اليه فذهبا اليه
انتهى

او من جبروته واستكباره وادعاء الربوبية • او من حبه للرياسة • او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه • وقال الملأ من قومه ه قال الزمخشري او ان يطغى تجاوز الحد في معاقبتنا ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجرأ بما من شرارته وعتوه ه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك • وقسوة قلبه ه قال الزمخشري وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب • وتحاش عن التفوه بالعظيمة انتهى كلامه ه قال الامام فخر الدين ارجو من موسى عليه السلام قال رب اشرح لي صدري فاجابه الله تعالى بقوله قد اوتيت سولك يا موسى • وهذا يدل على انه قد انشرح صدره وتيسر له ذلك الامر فكيف قال بعده انا نخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر • والجواب شرح الصدر عبارة عن قوته على ضبط تلك الاوامر والنواهي وحفظ تلك الشرائع على وجه لا يتطرق اليها التحريف وذلك شيء آخر غير زوال الخوف ه فان قيل لما تكرر الامر من الله تعالى بالذهاب • فعدم الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على المعصية • فالجواب لو اقتضى الامر الفور لكان ذلك من اقوى الدلائل على المعصية لا سيما وقد اكثر الله تعالى من انواع التشريف وتقوية القلب وازالة الغم • ولكن الامر لم يقتض الفور فزال السوال ه قال الامام فخر الدين اعلم ان موسى عليه السلام بدء بقوله ان يفرط علينا • وختم بقوله او ان يطغى لما ان طغيانه في حق الله تعالى اعظم من افراطه في حق موسى وهرون انتهى كلامه

لكن الامر لم يقتض الفور فزال السوال م

ان من امر بشيء فحاول دفعه لاعذار يذكرها فلا بد ان يختم كلامه بما هو الاقوى ه وهذا كما ان الهدهد ختم عذره بقوله وجدتها وقومها ... الله وكذا ههنا

قال لا تخافا انني معكما حافظكما وناصركما اسمع اقوالكما واري افعالكما • قال ابن عباس رضي الله عنهما اسمع دعاءكما فاجيبه • واري ما يراد بكما فامنع • لست بغافل عنكما فلا تهتما ه قال القفال قوله تعالى اسمع واري يحتمل ان يكون مقابلا لقوله يفرط علينا او ان يطغى • والمعنى يفرط علينا بان لا يسمع منا • او ان يطغى بان يقتلنا • فقال اني معكما اسمع واري كلا مكما وافعاله ه قال العلماء لما لحقهما ما يلحق البشر من الخوف على انفسهما عرفهما الله ان فرعون لا يصل اليهما ولا قومه ه وهذه الاية تدل على ان من قال انه لا يخاف فهو مخطئ • والخوف من الاعداء سنة الله في انبيائه واوليائه مع معرفتهم وثقتهم بالله ه ولقد احسن البصري رضي الله عنه لما اخبره مخبر عن عبد الله عامر بن عبد الله انه نزل مع اصحابه في طريق الشام على ماء فحال الاسد بينهم وبين الماء فجاء عامر الى الماء فاخذ منه حاجته فقيل له قد خاطرت بنفسك فقال لا ان تخلف الا سنة فرجوني احب الي من ان يعلم الله اني اخاف شيئا سواه فقال عند ذلك الحسن البصري فمن يخاف من هو خير من عامر

من الاعـ

الحسن م

موسى صلوات الله عليه حين قيل له ان الملا يأمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ه وقال فاصبح في المدينة خائفا يترقب ه وقال حين القي السحرة حبالهم وعصيهم فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى ه قال القرطبي ومنه حذر

واري م

في حق الله

النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة تحصينا للمسلمين
واموالهم مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه
احد ثم كان من اصحابه ما لا يجهله احد من تحولهم عن منازلهم
مرة الى الحبشة ومرة الى المدينة تخوفا على انفسهم من مشركي
مكة وهربا بدينهم ان يفتنوهم عنه بتعذيبهم وقد قالت
اسما بنت عميس لعمر لما قال لها سبقناكم للهجرة فنحن احق برسول
الله صلى الله عليه وسلم كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول
الله صلى الله عليه يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار او ارض
البعداء البغضاء في الحبشة وذلك في الله ورسوله وايم الله لا اطعم
طعاما ولا اشرب شرابا حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن كنا نؤذى ونخاف الحديث بطوله خرجه مسلم
قال العلماء فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس
بني آدم كاذب وقد طبعهم على الهرب مما يضرهم وعلى حبه ومحبة ما ينفعهم
فالواو لو ضار اضر من سبع عاد في فلاة من الارض على من ليس له الا
معه يدفعه بها عن نفسه من سيف او رمح او نبل او قوس وما اشبه
ذلك انتهى كلام القرطبي فأتياه اي فرعون فقولا له في الكلام
حذف تقديره فاتياه فقالا انا رسولا ربك اليك انه تعالى اعاد
التكليف فقال فأتياه لانه سبحانه قال في المرة الاولى لتريك من
اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى وفي الثانية قال اذهب
انت واخوك باياتي وفي الثالثة اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا
لينا قال العلماء انه تعالى امرهما في المرة الثانية بان يقولا له

قولا

في الكلام حذف فقد
فاتياه فقالا انا رسولا
ربك ص

قولا لينا وفي الرابعة امرهما بان يقولا انا رسولا ربك وفيه ايجاب
انقيادهما والزام طاعتهما فارسل معنا بني اسرائيل وفيه تغليظ
من وجوه احدها ان قوله انا رسولا ربك فيه ايجاب انقيادهما
لهما والزام طاعتهما وذلك يعظم على الملك المتبوع وثانيها
قوله فارسل معنا بني اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه
كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال وثالثها قوله ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك
والتغليظ ثانيا فنقول لان الانسان اذا اظهر حاجة فلا فما الفايدة في التكرير
بد من التغليظ قاله الامام فخر الدين فأرسل معنا بني إسرائيل
اي اطلقهم عن الاستعباد والاسترقاق ولا تعذبهم بتكليف
المشاق وكانت بنو اسرائيل عند فرعون في عذاب شديد
يذبح ابناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل في الطين واللبن
وبناء المدائن ما لا يطيقونه قد جئناك بآية بحجة من ربك
على صدق ما ادعيناه قال الزمخشري وهذه الجملة جارية
من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى
الرسالة لا تثبت الا ببينتها وهي المجيء بالاية قال فرعون وما
هي فادخل يده لها شعاع كشعاع الشمس قال الامام فخر الدين
قال اهل البيان الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك باية
من ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم لان ذكر المعجزة مقرونا
بادعاء الرسالة اولى مما تاخيره عنه فنقول بل هذا اولى
لانهما ذكرا المجموع الدعاوى والمستدل على ذلك المجموع بالمعجزة
فان قلت قوله قد جئناك باية من ربك وانه يدل على وهو سبحانه

في جيب قميصه
ثم اخرجها بيضاء

وانه يدل على
كانت اية و

وبعد اعطاه ثنتين العصا واليد ثم قال اذهب انت واخوك
بآياتي وذلك يدل على انها كانت ثلاث آيات ك وقال هنا بآية
~~وانه يدل على انها كانت واحدة~~ وكيف الجمع بينهما اجاب القفال
بان معنى الايه الاشارة الى جنس الآيات كانه قال قد جيناك بحجة
~~من عند الله ويجوز ان يكون حجة واحدة او حججا كثيرة~~ والسلام
على من اتبع الهدى اى سلم من العذاب من اسلم ك وليس هذا
بتحية ك وقيل المعنى وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة
على المهتدين ثم وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين ك
ك قال في التحرير جمهور المفسرين على ان هذا ليس بتحية لانه ليس ابتداء
لقاء ولا خطاب ولا كلام ك وقال ابن عطيه ويحتمل ان يكون كلام
الله تم قد تم عند قوله قد جيناك بآية من ربك وقوله بعد ذلك قد والسلام
~~جيناك بآية من ربك~~ وعد من قبلهما لمن آمن وصدق بالسلامة له
من عقوبات الدنيا والاخرة انتهى ك وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم كتب الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى
ك وعن قتاده قال التسليم على اهل الكتاب اذا دخلت عليهم
بيوتهم ان تقول السلام على من اتبع الهدى إنا قد اوحي الينا ان
العذاب على من كذب ثم في الدنيا والعقبى على من كذب بالرسل
وتولى اعرض عن الايمان ك وهذه الاية ارجى اي القرآن لانه
جعل جنس السلام للمومن وجنس العذاب على المكذب وليس وراء
الجنس شيء ك قال ابن عباس هذه ارجى آية للمومنين والموحدين
لانهم لم يكذبوا ولم يتولوا ك قال الامام فخر الدين هذه الاية

قال بعضهم هو من قول الله
لهما كانه قال قولا
رسولا ربك وقولا له
السلام على من اتبع الهدى
ص

ل السلمي قال الواسطي
تباع الهدى سابقة
الهدى سابقة الهدى
من سبقت له الهداية
ن الله تعالى اتبع الهدى
ة جميع احواله ص

ص

من اقوى الدلائل على ان عقاب المومن لا يدوم وذلك لان الالف واللام
في العذاب تفيد الاستغراق وانه يقتضي انحصار هذا الجنس فيمن
كذب وتولى ك وايضا فقوله والسلام على من اتبع الهدى يقتضي حصول
السلام لكل من اتبع الهدى والعارف بالله قد اتبع الهدى فوجب
ان يكون صاحب السلامة ك قال في التحرير قال اوحي الينا ولم
يذكر اسم الذي اوحي لان فرعون لعنه الله كانت له بادرة فربما
صدر منه في حق الموحي ما لا يليق فاجرى الكلام على حكم ما لم يسم
فاعله قال فمن ربكما يا موسى ك قال الزمخشري خاطب الاثنين
ووجه النداء الى احدهما وهو موسى عليه السلام لانه الاصل في النبوة
وهرون وزيره وتابعه ك ويحتمل ان يحمله خشيته ودعارته
على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة
هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير
من هذا الذي مهين ولا يكاد يبين انتهى ك قال القرطبي
ذكر فرعون موسى دون هرون لرؤس الاي ك وقيل خصصه
بالذكر لانه صاحب الرساله والكلام ك وقيل انهما جميعا بلغا
الرسالة وان كان هرون ساكتا لانه في وقت الكلام انما يتكلم واحد
فاذا انقطع وازره الاخر وايده ك وصار لنا في هذه الاية فايدة
علم ان الاثنين اذا قلد احدهما امرا فقام به احدهما والاخر شخصه
هناك موجود يستغني عنه في وقت دون وقت انهما اديا الامر الذي
قلد وقاما به واستوجبا الثواب كما ان الله تعالى قال اذهبا الى فرعون
وقال اذهب انت واخوك بآياتي وقال فقولا له قولا لينا فاخرهما جميعا

بالذهاب وبالقول ثم اعلمنا في وقت الخطاب بقوله فمن ربكما انه
كان حاضرا مع موسى انتهى كلام القرطبي • قال الامام فخر الدين
اعلم انهما لما قالا انا رسولا ربك قال لهما فمن ربكما يا موسى • واعلم ان هنا مباحث
الاول م
ان فرعون كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر • ثم ان
موسى عليه السلام لما دعاه الى حضرة الله تعالى لم يشتغل معه فرعون م
بالبطش والايذاء بل خرج معه في المناظرة لانه لو شرع اولا في الايذاء
نسب الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع اولا
في المناظرة • وذلك يدل على ان السفاهة من عدم الحجة لا تليق
بالكافر الجاهل فكيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم • ثم ان
فرعون لما سأل موسى عليه السلام عن ذلك قبل موسى ذلك السؤال
واشتغل باقامة الدليل على وجود الصانع وذلك يدل على فساد التقليد
• الثاني دلت الاية على ان المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل
والجواب عنها من غير ايذاء وايحاش كما فعل موسى بفرعون • وكما امر
الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة • الثالث اختلف الناس في ان فرعون هل كان عارفا
بالله تعالى فقيل انه كان عارفا الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وتجبرا
وزورا وبهتانا • واحتجوا عليه بوجوه • منها قوله تعالى لقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض فمن نسب التاء في علمت كان ذلك خطابا لموسى عليه السلام مع فرعون • وذلك يدل على ان فرعون
كان عالما بذلك • ومنها قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا • ومنها انه كان عاقلا والا لما كان مكلفا • وكل من كان
عاقلا

عاقلا علم بالضرورة انه كان حادثا وكل حادث فمحدث
محدث • ثم من الناس من قال انه كان جاهلا بربه • واتفقوا على ان العاقل
لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق هذه السموات والارض وانه
خالق نفسه ايضا • ثم اختلفوا في كيفية جهله بالله فيحتمل انه كان
دهريا منكرا للمؤثر • ويحتمل انه كان فلسفيا قايلا بالعلة الموجبة
• ويحتمل انه كان من عبدة الكواكب • ويحتمل انه كان حلوليا
• وهذا اقرب • واما ادعاؤه الربوبية لنفسه فبمعنى انه
يجب عليهم طاعته والانقياد له • البحث الرابع انه تعالى حكى
عنه في هذه السورة انه قال فمن ربكما يا موسى • وقال في سورة الشعراء
وما رب العالمين • فالسؤال هنا بمن وهو عن الكيفية • وفي تلك
السورة بما وهو عن الماهية • وهذا يدل على انه كان عالما بالله
• البحث الخامس انما قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما لانه اثبت
نفسه ربا له في قوله الم نربك فينا وليدا • فلما ذكر ذلك على سبيل التعجب
كانه قال انا ربك فلم تدع ربا اخر • وهذا الكلام شبيه بكلام نمرود
لابراهيم عليه السلام لما قال ربي الذي يحيي ويميت • قال نمرود انا احيي
واميت • ولم يكن الاحياء والاماتة من الكاينات بمعنى واحد • كما ان الربوبية
هنا من الكاينات ليست بمعنى واحد • انتهى كلام الامام فخر الدين • قال
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه خلقه اول مفعول اعطى
اي خليقة كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به • واثانيهما اي
اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به
كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار • والاذن الشكل الذي

ومن الناس من
انه كان جاهلا
بربه ص

فتح ص

يوافي الاستماع ٥ وكذلك الانف واليد والرجل واللسان لكل واحد
منهما مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه ٥ او اعطى
كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجرة
زوجين ٥ والبعير والناقة ٥ والرجل والمرأة فلم يزاوج منها
شيء غير جنسه وما هو على خلاف خلقه ٥ وقرئ خلقه
صفة للمضاف او للمضاف اليه ٥ اى اعطى كل شيء مخلوق عطاءه
اى كل شيء خلقه الله لم يخل من عطائه كذا في الكشاف والمدارك
٥ قال الامام فخر الدين الرازي عليه السلام استدل على اثبات
الصانع باحوال المخلوقات ٥ وهو قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه
ثم هدى ٥ وسياتي تقريره في سورة الشعراء ٥ واعلم انه يشبه
ان يكون الخلق عبارة عن تركيب القوالب والابدان ٥ والهداية عبارة
عن ايداع القوى المدركة والحركة في تلك الاجسام ٥ وعلى هذا
يكون الخلق مقدما على الهداية ٥ ولذلك قال فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي ٥ فالتسوية راجعة الى القالب ٥ ونفخ الروح الى ايداع
القوى ٥ فالله تعالى انعم على الخلائق بما فيه قوامهم من المطعوم
والمشروب والملبوس والمنكوح ٥ ثم هداهم الى كيفية الانتفاع
بها فيستخرجون الجواهر من الجبال ٥ واللآلي من البحار ٥ ويركبون
الادوية والاطعمة المختلفة ٥ فعلم ان الله تعالى هو الذي خلق
الاشياء واعطاهم الشعور الذي به توصلوا الى كيفية الانتفاع
بها ٥ وهذا غير مختص بالانسان بل هو عام في الحيوانات
فاعطى الانسان زوجة والحمار اتانا ٥ والبعير ناقة ٥ ثم هداه لها

ليدوم

ليد ومر الناسل ٥ وهدى الاطفال لثدي الامهات ٥ وهذا ايضا
غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل في كل عضو من اعضائها
فانه سبحانه خلق اليد على تركيب خاص واودع فيها قوة البطش
٥ وخلق الرجل على تركيب خاص واودع فيها قوة المشي ٥ وعلى هذا
في العين والاذن وسائر الاعضاء ٥ ثم ربط البعض بالبعض على وجه
يحصل من مجموعها شيء واحد وهو الانسان مثلا ٥ وانما دلت هذه
الاشياء على وجود الصانع لان اتصاف كل جسم من هذه الاجسام
بتلك الصفة امر ممكن ٥ والممكن مفتقر في الوجود الى المرجح ٥ وهو الواجب
الوجود لذاته ٥ وظهر بهذه الدلالة التي تمسك بها موسى عليه
السلام ونبه على تقديرها استناد العالم الى مدبر ليس بجسم وله
جسماني واجب الوجود لذاته وصفاته عالم بجميع المعلومات
وقادر على جميع المقدورات ٥ وذلك هو الله سبحانه ٥ ثم هدى
اى عرف كيف يرتفق بما اعطى للمعيشة في الدنيا والسعادة
في العقبى ٥ قال الزمخشري ولله در هذا الجواب ما اخصره
وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف
وكان طالبا للحق ٥ قال فما بال القرون الاولى ما حال الامم الخالية
والرمم البالية ٥ سأله عن حال من تقدم من القرون ٥ وعن شقاء من
شقي منهم وسعادة من سعد ٥ قال موسى مجيبا علمها عند ربي
مبتدا وخبر ٥ اجابه بان هذا سؤال عن الغيب ٥ وقد استاثر الله
به لا يعلمه الا هو ٥ وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني
به علام الغيوب ٥ قال الامام فخر الدين اعلم ان في ارتباط

اى جوابه موسى
عليه السلام

وعلم احوال الامم
مكتوب عنده في
اللوح المحفوظ ص

قوله فما بال القرون الاولى وجوه منها ان موسى عليه السلام
هدده بالعذاب اولا فى قوله انا قد اوحى الينا ان العذاب على
من كذب وتولى فقال فرعون فما بال القرون الاولى فانها
كذبت ثم انهم ما عذبوا ومنها وهو الاظهر ان فرعون
لما قال فمن ربكما يا موسى فذكر موسى عليه السلام دليلا ظاهرا
وبرهانا باهرا على هذا المطلوب فقال ربنا الذى اعطى كل شى خلقه
ثم هدى فخاف فرعون ان يزيد ويقرر تلك الحجة فاراد ان
يصرفه عن ذلك الكلام وان يشغله بالحكايات قال فما بال
القرون الاولى فلم يلتفت موسى لما ذكر الحديث وقال علمها
عند ربى ثم عاد الى تتميم الكلام الاول الذى يدل على الوحدانية
فقال الذى جعل لكم الارض مهادا الايه فى كتاب اى اللوح
المحفوظ خبر ثان لا يضل ربى لا يخطئ شيأ يقال ضللت
الشى اذا اخطأته فى مكانه فلم تهتد له اى لا يخطئ فى سعادة
الناس وشقاوتهم ولا ينسى ثوابهم وعقابهم وقيل
لا ينسى ما علم فيذكره الكتاب ولكن لتعلم الملائكة ان
معلوم الخلق يوافق معلومه كذا فى المدارك قال الزمخشرى عن ابن عباس
لا ينسى الا اى لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده
حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه فى احاطة الله بكل
شى فتعنت وقال ما تقول فى سوالف القرون وتمادى كفرتهم
وتباعد اطراف عدد هم كيف احاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم
فاجاب بان كل ذلك كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده فى كتاب

ولا يجوز

ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز ان على ايها العبد الذليل
والبشر الضئيل اى لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى انت
يا مدعى الربوبية بالجهل والوقاحة اسهى قال الامام
فخر الدين احلفوا فى قوله علمها عند ربى فى كتاب فان العلم الذى
يكون عند الرب كيف يكون فى الكتاب وهو صفته تعالى وصفة
الشى قائمة به ثم انهم ذكروا فيه وجهين احدهما معناه انه سبحانه
اثبت تلك الاحكام فى كتاب عنده ليكون ما كتبه فيه يظهر للملائكة
فيكون ذلك زيادة فى الاستدلال على انه تعالى عالم بجميع
المعلومات منزه عن السهو والغفلة وثانيهما ان يقول
قوله فى كتاب يفهم احتياجه تعالى الى ذلك الكتاب فكيف يحسن
ذكره مع من هو مثل فرعون فى وقت الدعوة وبانيهما معناه
ان بقاء تلك المعلومات كتب لا يزول شى منها عن علمه قال
القرطبى هذه الاية ونظائرها تدل على تدوين العلوم وكتبها
لئلا تنسى فان الحفظ قد تعتريه الافات من الغلط والنسيان
وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فيقيده لئلا يذهب عنه وعن
قتادة انه قيل انكتب ما نسمع منك قال وما يمنعك ان تكتب
وقد اخبرك اللطف الخبير انه يكتب فقال علمها عند ربى فى كتاب
لا يضل ربى ولا ينسى وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب على نفسه
فهو موضوع عنده ان رحمتى سبقت تغلب غضبى واسند الخطيب
ابو بكر عن ابى هريرة قال كان رجل من الانصار يجلس الى النبى صلى الله عليه وسلم

كتب العلو

فشكى ذلك الى ر

يستمع منه الحديث ويعجبه ولا يحفظه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انى اسمع منك الحديث يعجبنى ولا احفظه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم تكتب الخطبة التى خطب بها فى الجمع لابى شاه
رجل من اليمن لما سأله اخرجه مسلم • وروى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده • عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتابة انتهى
كلام القرطبى • وقال الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن عثمان
المدايني فى كتاب الدواة والقلم • روى عن كعب انه قال اول
من وضع الكتب آدم عليه السلام قبل موته بثلثمائة عام • وانه جعلها
فى طين ثم طبخها بالنار • فلما اصابت الارض الغرق ايام الطوفان
ونضب الماء وكثر الناس اخرج كل امة كتابها • فصار الى اسمعيل الكتاب
العربى وثم توارثته القرون من بعده • وقال اخرون بل
كان اول من كتب بالعبرانية شيث بن آدم ثم كتب بعده ادريس
وخلق سبعين كتابا من كتب الحكمة والنجوم • وكان لوط يكتب الصحف
المنزلة على ابراهيم • وكان يوسف كاتب العزيز صاحب الرويا • وقال له
اجعلنى على خزائن الارض اى حفيظ عليم اى حفيظ بالكتاب عليم بالحساب
• وكان سليمان بن داود عليه السلام كاتب ابيه • وكان آصف بن برخيا
كاتب سليمان بن داود • وهو الذى كان عنده علم من الكتاب • وكان ذو
القرنين كاتب بطليموس • وكان هرون ويوشع يكتبان من يدى
موسى الالواح والتورية • وكان يحيى بن زكريا كاتب عيسى بن مريم
يكتب له الحكمة والانجيل • وكان على بن ابى طالب كاتب محمد صلى الله عليه
• وفى رواية ان عليا رضى الله عنه كان يكتب للنبى صلى الله عليه الى من عاهد
او وعد

الحديث الكتوام

او وعد عدة • وان صحيفة بجران هو كاتبها ووضعها عنده للنبى
صلى الله عليه وسلم • وانه كان كاتب الفرقان • وقد كتب لرسول الله
صلى الله عليه جماعة من صحابه مذكورون فى السير اسمى كلا والمدايني
• قال القرطبى وقد ذهب قوم الى المنع من الكتابة • فروى
ابو بصرة قال قيل لابى سعيد أنكتب حديثكم هذا قال لم نجعلونه
قرانا ولكن احفظوا كما حفظنا • ومن كان لا يكتب الشعبى ويونس
بن عبيد وخالد الحذاء • قال خالد ما كتبت شيئا قط الا حديثا واحدا
فلما حفظته محوته • وابن عون والزهرى • وقد كان بعضهم يكتب
فاذا حفظ محاه منهم محمد بن سيرين وعاصم بن ضمرة • وقال
هشام بن حسان ما كتبت حديثا قط الا حديث الاعماق فلما حفظته
محوته • قال القرطبى وحديث الاعماق خرجه مسلم فى آخر
الكتاب لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق او بدابق الحديث
ذكره فى الفتن • وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ • منهم الاعمش
وعبد الله بن ادريس وهشيم وغيرهم • وهذا اختيار على الخطيب
• والكتب اولى على الجملة • وبه وردت الآى والاحاديث • وهو
مروى عن عمر وعلى وجابر وانس ومن بليهم من كبراء التابعين كالحسن
وعطاء وطاوس وعروة بن الزبير ومن بعدهم من اهل العلم • قال
الله تعالى وكتبنا له فى الالواح من كل شىء • وقال ولقد كتبنا فى الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون • وقال واكتب
لنا فى هذه الدنيا حسنة الآية • وقال وكل شىء فعلوه فى الزبر
وكل صغير وكبير مستطر • وقال علمها عند ربى فى كتاب الى غير ذلك

الاعماق وقد
موضعان بقرب
كذا فى معجم

من الآي ٥ وايضا فان العلوم لا تضبط الا بالكتاب دون المقابلة
والمدارسة والتحفظ والمذاكرة والسوال والفحص عن الناقلين
والثقة بما نقلوا ٥ وانما كره الكتاب من كره من الصدر
الاول لقرب العهد وتقارب الاسناد وليلا يعتمده الكاتب
او ترغب عن تحفظه والعمل به ٥ فاما والوقت متباعد
والاسناد غير متقارب والطرق مختلفة والنقلة متشابهون
وآفة النسيان معترضة والوهم غير مامون ٥ فان تقييد
العلم بالكتابة اولى واشفى والدليل على وجوبه اقوى ٥ فان
احتج محتج بحديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تكتبوا عني غير القران ومن كتب عني غير القران فليمحه خرجه
مسلم ٥ فالجواب ان ذلك منسوخ بامره بالكتابة واباحتها
لابي شاه وغيره ٥ وايضا كان ذلك ليلا يخلط بالقران ما ليس منه
٥ وكذا ما خرجه مسلم عن ابي سعيد ٥ وحرصنا ان ياذن لنا النبي
صلى الله عليه وسلم في الكتابة فابى ٥ ان ابا بكر كان محفوظا فهو قبل الهجرة
وحين كان لا يومن الاشتغال به عن القران ٥ قال القرطبي
قال ابو بكر الخطيب ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة
دون المداد لان السواد اصبغ الالوان ٥ والحبر ابقاها على مر الدهور
وتعوله ذوي العلم وعدة اهل المعرفة ٥ ذكر عبد الله
بن احمد بن حنبل رحمه الله قال راني الشافعي وانا في مجلسه وعلي قميص
حبر وانا اخفيه ٥ فقال لم تخفيه وتستره ٥ ان الحبر على الثوب
من المروة لان صورته في الابصار سواد ٥ وفي البصائر بياض ٥

وقال خالد

وقال خالد بن يزيد الحبر في ثوب صاحب الحديث مثل الخلوق في ثوب
العروس ٥ واخذ هذا المعنى ابو عبد الله فقال
مداد المحابر طيب الرجال ٥ وطيب النساء من الزعفران ٥
فهذا يليق باثواب ذا ٥ وهذا يليق بثوب الحسان ٥
٥ وذكر الماوردي ان عبيد الله بن سليمان لما حكى راي
علي بعض ثيابه اثر صفرة ٥ فاخذ من مداد الدواة فطلاه به
ثم قال المداد بنا احسن من الزعفران وانشد
انما الزعفران عطر العذارى ٥ ومداد الدوي عطر الرجال
انتهى ٥ قال المدائني وذكر العلم يوثرون الكتابة بالحبر
لما يرون في ذلك من الاجر ٥ روى انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيمة مداد العلما ودم
الشهدآء فيرجح مداد العلما على دم الشهداء ٥ وقال صلى الله
عليه وسلم مداد ما جرت به اقلام العلما افضل عند الله من دماء
الشهداء ٥ قال الاموي انما سمي الحبر حبرا لان البلغ اذا
حبر الفاظه وانمر بنانه احضر له من معاني الحكم وانيق من حبرات
اليمن ٥ وصفوفات وشي صنعاء انتهى كلام المدائني ٥ ثم عاد الى تتميم
الكلام الاول الذي يدل على الوحدانية فقال الذي مرفوع مجرور
صفة لزلي ٥ او خبر مبتدا محذوف ٥ او منصوب على المدح جعل
لكم الارض مهدا كوفي وغيرهم مهادا ٥ وهما لغتان لما يبسط ويفرش
٥ قال الامام فخر الدين واعلم ان موسى عليه السلام لما ذكر
الدلالة الاولى وهي دلالة عامة تتناول جميع المخلوقات ذكر

الارض ص

بعد ذلك دلائل خاصة ۞ وهي بلاثة ۞ اولها الذي جعل لكم مهادا
۞ والمراد من كون الارض مهدا انه تعالى جعلها بحيث يتصرف
العباد وغيرهم عليها بالقعود والقيام والنوم ۞ وقد مر ذكرها
في سورة البقرة عند قوله جعل لكم الارض فراشا ۞ وبانها
قال الزمخشري فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي ص

قوله وسلك اي جعل لكم فيها سبلا طرقا ۞ قال الزمخشري
سلك من قوله سر ما سلككم في سقر ۞ نسلكه في قلوب المجرمين
اي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري
انتهى ۞ نظير هذه الاية قوله سر والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا
منها سبلا فجاجا ۞ وقال الذي جعل لكم مهادا وسلك لكم فيها سبلا
لعلكم تهتدون ۞ وبانتهى قوله وانزل من السماء ماء وانزل من السماء ماء
ماء مطرا فاخرجنا به بالمآ ۞ انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ
المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان ۞ والايذان بانه مطاع
تنقاد الاشياء المختلفة لامره ۞ وتدعن الاجناس المتفاوتة
بمشيئته ۞ لا يمتنع شيء عن ارادته ۞ ومثله قوله سر وهو الذي
انزل من السما ماء فاخرجنا به نبات كل شيء ۞ الم تر ان الله انزل من السما
ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ۞ ام من خلق السموات والارض
وانزل لكم من السما ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ۞ وفيه
تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة
احد قاله الزمخشري ۞ قال الامام فخر الدين ظاهر الاية يدل
على انه سبحانه انما يخرج النبات من الارض بواسطة انزال الماء
فيكون للما فيه اثر ۞ وهذا بتقدير ثبوته لا يقدح في شيء من اصول

الاسلام

الاسلام لانه سبحانه هو الذي اعطاها هذه الخواص والطبايع
۞ وقوم من المتكلمين ينكرونه ويقولون لا تاثير له فيها البتة انتهى
قال الامام فخر الدين اعلم ان قوله فاخرجنا اما ان يكون من
كلام موسى عليه السلام او من كلام الله سر ۞ والاول باطل لان قوله
بعد ذلك كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى لا يليق بموسى عليه السلام
لما انه لا يقدر على اخراج النبات على اختلاف الوانها وطبايعها ۞
فليس من موسى الا صرف المياه الى سقي الاراضي ۞ ولا يجوز ان يقال
كلام الله ابتدا من قوله فاخرجنا به ازواجا لان الفا تعلو بما
قبله ۞ فلا يصح جعل هذا كلام الله سر ۞ وجعل ما قبله كلام موسى
۞ فلم يبق الا ان يقال ان كلام موسى تم عند قوله لاولي النهى ولا
يليق سر ابتدا كلام الله سر من قوله الذي جعل لكم الارض مهدا
انتهى ۞ وقال في المدارك وقيل تم كلام موسى عند قوله وانزل
من السما ماء سر اخبر الله سر عن نفسه بقوله فاخرجنا به ۞ وقيل
هذا كلام موسى اي فاخرجنا نحن بالحداثة والغرس انتهى ازواجا
اصنافا من نبات هو مصدر سمي به النابت فاستوى فيه الواحد
والجمع شتى صفة للازواج ۞ او للنبات ۞ جمع شتيت كمرضى
ومرضى ۞ اي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرايحة والشكل
بعضها للناس وبعضها للبهايم ۞ ومن نعمته تعالى ان ارزاقنا تحصل
بعمل الانعام ۞ وقد جعل الله سر علفها مما يفضل عن حاجتنا مما لا نقدر
على اكله كلوا اي قايلين كلوا وارعوا انعامكم حال من الضمير

وقوله كلوا ام

فأخرجنا ۞ والمعنى أخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع
بها مبيحين لكم أن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها إن في ذلك اى
فيما ذكرت من هذه النعم لآيات لعبرا ودلالات لأولى
النهى لذوى العقول واحدها نهية وهو العقل لأنها لأن العقول
تنهى عن المحظور ۞ او ينتهى اليها في الامور منها من الارض
خلقناكم اعلم انه تعالى لما بين منافع الارض والسماء بين
انها غير مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لكونها وسايل لى المنافع الاخرة
تعالى منها خلقناكم ۞ فان قلت ما معنى قوله منها خلقناكم الآية ص
مع انه سبحانه وتعالى خلقنا من نطفة فاكهة من وجهين
احدهما انه تعالى لما خلق اصلنا وهو آدم عليه السلام من التراب
كما قال كمثل ادم خلقه من تراب لا جرم اطلق ذلك علينا ۞ وثانيهما
ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث ۞ وانهما يتولدان
من الغذاء والغذاء اما حيواني واما نباتي ۞ والحيوان ينتهي الى النباتي
والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب ۞ فصح قوله منها خلقناكم
وذلك لا ينافي الخلو من النطفة ۞ قال القرطبي وقيل كل نطفة
مخلوقة من التراب ۞ على هذا يدل ظاهر القرآن ۞ وروى ابو هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وقد
ذر عليه من تراب حفرته اخرجه ابو نعيم الحافظ في كتاب ابن سيرين
وقال هذا حديث غريب ۞ وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة
الانعام عن ابن مسعود ۞ وقال عطا الخراساني اذا وقعت
النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان
الذى

الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة
ومن التراب فذلك قوله منها خلقناكم الآية ۞ وفي حديث
البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا خرجت روحه
صعدت به الملائكة فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا
ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان باحسن اسمائه
الذى كانوا يسمونه بها في الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيعه
من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهون بها الى السماء
السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا عبدى كتابه في عليين واعيدوه
الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة
اخرى فتعاد روحه في جسده فذكر الحديث ۞ وقد ذكرناه بكماله
في كتاب التذكرة انتهى كلام القرطبي ۞ وفيها نعيدكم اذا متم
فدفنتم ومنها نخرجكم عند البعث تارة مرة اخرى والمراد
باخراجهم ان تولف اجزاؤهم المنفرقة المختلطة بالتراب كما كانوا
احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا قال
الزمخشري عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث
جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم مسالك
يتردادون فيها كيف شاءوا ۞ وانبت فيها اصناف النبات التي
منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصولهم الذى منه تفرعوا
وامهاتهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ۞ ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة انتهى ۞ ولقد اريناه اى فرعون
آياتنا كلها اى المعجزات الدالة على نبوة موسى عليه السلام وهي تسع

فلنا تبينك بسحر مثله فلنعارضنك بسحر مثل سحرك ٥ لما علم
ان السحر يمكن معارضته بخلاف المعجز قال فلنا تبينك بسحر مثله فاجعل
بيننا وبينك موعدا هو مصدر بمعنى الوعد ويقدر مضاف
اى مكان وعد ٥ والضمير في لا نخلفه للموعد
قراءة يزيد بالجزم على جواب الامر ٥ وغيره بالرفع على الوصف للموعد
نحن ولا انت مكانا هو بدل من المكان المحذوف ٥ ويجوز ان لا
يقدر مضاف ٥ ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه اى لا نتخلف عن الوفاء فيه ص
٥ وانتصب مكانا بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر سوى
بالكسر حجازي وابو عمرو وعلي ٥ وغيرهم بالضم ٥ وهو نعت
لمكانا اى منصفا بيننا وبينك ٥ وهو من الاستواء لان المسافة
من الوسط الى الطرفين مستوية ٥ قال موسى موعدكم يوم الزينة
مبتدا وخبر ٥ قال الامام فخر الدين يحتمل ان يكون هذا من قول
فرعون ٥ ويحتمل ان يكون من قول موسى ٥ قال القاضي والاول
اصح لانه المطابق للاجتماع دون موسى ٥ وقيل الاظهر انه من
كلام موسى عليه السلام لوجوه ٥ منها انه جواب لقول فرعون
فاجعل بيننا وبينك موعدا ٥ ومنها ان تعيين يوم الزينة يقتضي
اطلاع الكل على ما سيقع فيعرف ان اليد له لا لغيره ٥ ومنها
ان قوله موعدكم هو خطاب للجمع ٥ وهذا الخطاب لا يستقيم الا ان
يكون هو من موسى الى فرعون ٥ واختلف في يوم الزينة ٥ فقيل
هو يوم عيد كان لهم تتزين فيه ويجتمعون فيه قاله قتادة والسدي
وغيرهما ٥ وقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان يوم عاشوراء

ملخصه نتواعد مكانا يستوي مسافته الى الفريقين ص

المنصف الموضع الذي يتنصف فيه المسافة ن

وقومهم

اياتي ٥ العصى واليد ٥ وفلق البحر ٥ والحجر ٥ والجراد ٥ والقمل
والضفادع ٥ والدم ٥ ونتق الجبل ٥ وانما اضاف الايات الى
نفسه سبحانه ٥ مع ان المظهر لها موسى عليه السلام لانه اجراها
عليه ٥ كما اضاف نفخ الروح الى نفسه ٥ قال فنفخنا فيه من روحنا
٥ مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام ٥ قال الرازي قوله تعالى
يفيد العموم وانه تعالى ما اراه جميع الايات ٥ فنقول لفظ
الكل وان كان للعموم ٥ لكن قد يستعمل في الخصوص عند القرينة
كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل شيء ٥ او يقال اراه موسى
عليه السلام آياته وعدد آيات غيره من الانبياء ٥ فكذب فرعون
بالكل ٥ او يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل
قاله الامام فخر الدين فكذب الآيات وابى قبول الحق ٥ اى لفرعون
٥ وهذا يدل على انه كفر عناد لانه راى الآيات عيانا لا خبرا
٥ نظيره وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ٥ ثم انه
بعد حكي شبهة فرعون فقال قال فرعون اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا وهي مصر بسحرك يا موسى فيه دليل على انه خاف
منه خوفا شديدا وان قرائنه كانت تؤكد خوفا مما جاء
به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق ٥ وان المحق
لو اراد قود الجبال لانقادت له ٥ وان مثله لا يخذل ٥ ولا
يقل ناصره ٥ وانه غالب على ملكه لا محالة ٥ وقوله بسحرك
تعليل وتخيير ٥ والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان
يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر قاله الزمخشري

وقتادة سك

وقال سعيد بن المسيب يوم سوق كان عندهم يتزينون فيها ۞ وقال الضحاك يوم السبت ۞ وقيل يوم النيروز ذكره الثعلبي ۞ وقيل يوم يكسر فيه الخليج ۞ وذلك انهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون ۞ وعند ذلك يأمن اهل الديار المصرية من قبل النيل ۞ كذا في القرطبي ۞ فان قيل كيف يستقيم الجواب بالزمان والسؤال عن المكان قلنا على التأويل الاول وهو مكان الموعد فانما استقام الجواب لان اجتماعهم يوم الزينة يكون في موعد مكان لا محالة فيذكر الزمان علم المكان ۞ وعلى التأويل الثاني وهو المراد بالموعد المصدر يكون التقدير وعدكم وعد يوم الزينة ۞ وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل عار وس الاشهاد ۞ وفي الجمع العام ليتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ۞ ويكل حد المبطلين واشياعهم ۞ ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ۞ ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر ۞ وان يحشر الناس اي يجمع ۞ وهو في موضع رفع ۞ او جر عطفا على يوم او الزينة ضحى اي وقت الضحوة ۞ ليكون ابعد عن الريبة وابين لكشف الحق ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر ۞ عين اليوم بقوله يوم الزينة ۞ وعين من اليوم وقتا معينا بقوله ۞ وان يحشر الناس ضحى ۞ قال القرطبي وخص الضحى لانه اول النهار فلو امتد الى مرفعا بينهم كان في النهار متسع اهـ فتولى فرعون ادبر

عن موسى

ودخل تحت قوله فجمع كيده السحرة وما يتعلق بالـ من الالات وغ

معرضا فجمع كيده مكره وسحرته ۞ قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصي ۞ وقيل كانوا اربع مايه ۞ وقيل كانوا اثني عشر الفا ۞ وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين الفا ۞ وقيل كانوا المجتمعين على رئيس يقال له شمعون ۞ وقيل كان اسمه يوحنا ۞ معه اثنا عشر نقيبا ۞ مع كل نقيب عشرون عريفا ۞ مع كل عريف الف ساحر ۞ وقيل كانوا الثمانية الف ساحر من الفيوم ۞ وثمانية الف ساحر من الصعيد ۞ وثمانية الف ساحر من الريف ۞ فصاروا تسع مايه الف ۞ وكان رئيسهم اعمر ثوابي للموعد ۞ وضربت لفرعون قبة ۞ فجلس فيها ينظر اليهم ۞ وكان طول القبة سبعين ذراعا ۞ فروي انه تعالى بين لموسى عليه السلام قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير مما قالوه واقدموا عليه فقال ۞ قال لهم موسى اي للسحرة ۞ ويلكم دعا عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر ۞ قال الزجاج هو منصوب بمعنى الزمهم الله ويلا ۞ ان افتروا على الله كذبا ۞ ويجوز على النداء لقوله ۞ يا ويلتى آألد وانا عجوز ۞ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا لا تفتروا على الله كذبا لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا ۞ فيسحتكم كوفي غير ابي بكر يهلككم ۞ وغيرهم بفتح الياء والحاء ۞ والسحت والاسحات بمعنى الاعدام ۞ وانتصب على جواب النهي ۞ قال الزمخشري والسحت لغة اهل الحجاز ۞ والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ۞ بعذاب عظيم عظيم ۞ وقد خاب من افترى من كذب على الله ۞ كانه تعالى قال من افترى على الله كذبا حصل له احد امرين

احدهما العقاب الشديد في الاخرة • وثانيهما الخيبة والحرمان
عن المقصود • ثم بيّن تعالى انه لما قال موسى ذلك اعرضوا عن قوله
فقال فتنازعوا اختلفوا اي السحرة • فقال بعضهم هو ساحر
مثلنا • وقال بعضهم ليس هذا بكلام السحرة • وهو قوله لا تفتروا
على الله كذبا الاية امرهم بينهم واسروا النجوى تشاوروا في السر
وقالوا ان كان ساحرا فسنغلبه • وان كان من السما فله امر •
والنجوى يكون مصدرا واسما • ثم لفقوا هذا الكلام يعني قالوا
قالوا ان هذان لساحران يعني موسى وهرون • قرا ابو عمرو
ان هذين لساحران • وهو ظاهر ولكنه مخالف لخط مصحف الامام
• وابن كثير وحفص والخليل وهو اعرف بالنحو واللغة ان هذان
لساحران بتخفيف ان مثل قولك ان زيد لمنطلق • واللام هي الفارقة
بين ان النافية والمخففة من الثقيلة • وقيل هي بمعنى ما واللام
بمعنى الا • اي ما هذان الا ساحران • دليله قرا ابي ان ذان الا
ساحران • وقرا الباقون ان هذان لساحران قيل هي لغة بلحارث
بن كعب وخثعم ومراد وكنانة • والتثنية في لغتهم بالالف ابدا
فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب كعصا وسعدى • قال
ان اباها وابا اباها • قد بلغا في المجد غايتاها
وقال الزجاج ان بمعنى نعم • قال الشاعر
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه
اي نعم • والها للوقف • وهذان مبتدا • وساحران خبر مبتدا محذوف
اي هما ساحران • واللام داخلة على المبتدا المحذوف • تقديره هذان

لهما ساحران فيكون دخولها في موضعها الموضوع لها وهو الابتدا
• وقد تدخل اللام في الخبر كما تدخل في المبتدا • قال
خال لاُمّ بنت ومن جريرٍ خالها • قال الزجاج وعرضته
على المبرد فرضيه • وقد زيفه ابو علي كذا في المدارك • وفي الكواشي
زعموا ان قراة ابي عمرو ان هذين لساحران مخالفة لخط المصحف
• وزعم بعضهم انما حمله على ذلك خشية اللحن • وهذا طعن في عدالة
ابي عمرو وعلمه لانه هو الذي قراها لان هذا يشعر انه قراها من
تلقا نفسه لم ياخذها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم • وانه غير عالم
بتعليل ان هذان لساحران بالرفع وتشديد ان • وكيف يجوز اعتقاد
مثل هذا بمن شهد له بالعدالة والبراعة في علم العربية • حتى
زعموا انه قال اني لاستحيي من الله ان اقراء ان هذان يعنون
بالرفع وتشديد ان • وكيف يجوز ان يعتقد احد من المسلمين انه
يستحيي من قراة ما صح وتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم مع ان ابا عمرو
وغيره من الائمة كانوا ينشدون ويسمعون الاشعار المنحوله والعربية
ولا يوخذ ذلك عليهم لتتمة كلام الكواشي • قال القرطبي وقد خطاء
هذه القراة قوم • يعني ان هذان لساحران حتى قال ابو عمرو اني
لاستحيي من الله ان اقراء ان هذان • وروى عروة عن عايشة
انها سئلت عن قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم قال والمقيمين
الصلاة • وفي المايدة ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون •
وان هذان لساحران فقالت يا ابن اختي هذا خطاء من الكاتب • وقال
عثمان بن عفان رضي الله عنه في القرآن لحن وستقيمه العرب بالسنتهم

ينال العلى ويكرم
وقال
ام الحليس لعجو
شهربه •
من اللحم بغط

وقال ابان بن عثمان قرأت هذه الآية على أبي عثمان بن عفان فقال هو لحن وخطأ فقال له قايل لا تغيّروه فقال دعوه فإنه لا يحرّم حلالا ولا يحلّ حراما انتهى كلام القرطبي • قال النسفي انه سبحانه لما ذكر ما اسرّوه من النجوى حكى عنهم ما يدلّ على التغيير عن موسى ومباعدة دينه • فاحدهما قولهم هذان لساحران فهذا الطعن منهم في معجزات موسى ومبالغة في التغيير عنه لان كل طبع سليم ينفر عن السحر ويكره رؤية الساحر • ومن حيث ان الانسان يعلم ان السحر باطل فاذا اعتقد وافيه بالسحر قالوا كيف نتبعه وانه لا بقاء له ولا لدينه ومذهبه والمفارقة عن المولد والمنشاء شديدة على القلوب • وهذا هو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فكان السحرة تلقفوا هذه الشبهة عن فرعون ثم اعادوها التي يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما • وثانيها قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى بدينكم وشريعتكم المثلى الفضلى تانيث الامثل وهو الافضل • سمّوا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون • وقيل اراد واهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل • وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم • يقال هم طريقة قومهم • ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه كذا في الكشاف فاجمعوا اي احكموا اي اجعلوه مجمعا عليه • يعني لا تختلفوا ثم اجمعوا ابو عمرو • يعضده فجمع كيده

غرضهما افساد دينكم الذي انتم عليه قال فرعون اني اخاف ان يبدّل دينكم وان يظهر في الارض الفساد

كيدكم • كيدكم هو ما يكاد به ثم ائتوا صفا • مصطفين حال امروا ان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين • وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقد اقبلوا اقباله واحده • وقد افلح اليوم من استعلى وقد فاز من غلب • وهذا اعتراض قالوا اي السحرة يا موسى اما ان تلقي عصاك من يدك اولا واما ان نكون اول من القى ما معناه • وموضع ان مع ما بعده فيهما نصب بفعل مضمر معناه اختر احد الامرين • او رفع بانه خبر مبتدا محذوف • معناه الامر الفاوك او القاونا • وهذا التخيير منهم استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم • وكان الله تعالى الهمهم ذلك وقد وصل اليهم بركته • وكان ذلك سبب ايمانهم • وعلّم سبحانه موسى اختيار القائهما اولا حتى قال بل القوا انتم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب • حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم وتجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله سلطانه • وقذف بالحق على الباطل فدمغه • وسلّط المعجزة على السحر فسحقته • وكانت آية نيرة للناظرين • وعبرة بيّنة للمعتبرين كذا في الكشاف • قال النسفي فان قلت كيف يجوز ان يقول موسى بل القوا فيامرهم بما هو سحر وكفر لانهم قصدوا بذلك تكذيب موسى فكان كفرا • والجواب من وجوه احدها لا نسلم ان مجرد القاء السحر كفر ومعصية لانهم اذ القوا • وكان غرضهم ان يظهر الفرق بين ذلك الالقاء وبين معجزة موسى عليه السلام كان ذلك

الالقآء اما نائب وامها ذلك الامر كان مشروطا والتقدير
القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كما فى قوله تعالى فأتوا بسورة
من مثله اى ان كنتم قادرين نائب وامها انه لما تعين ذلك
طريقا الى كشف الشبهة صار ذلك جائزا وهذا كما لمحق
اذا علم ان فى قلب واحد شبهة وانه لو لم يطالبه بذكرها
وتقريرها باقصى ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة وخرج
بسببها عن الدين فان للمحق ان يطالبه بتقريرها على اقصى الوجوه
وغرضه من ذلك ان يجيب عنها وهذا جائز من غير شك
ورابعها ان ذلك لا يكون امرا بل يكون معناه ان اردت فعله
فلا مانع عنه حسا لكى ينكشف الحق وخامسها ان موسى عليه
السلام لا شك انه كان كارها لذلك ولا شك انه نهاهم عن ذلك
بقوله ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
واذا كان كذلك استحال ان يكون ذلك امرا لهم بذلك فان قيل
لم قدمهم بالالقآء على نفسه مع ان تقديم استماع الشبهة على استماع
الحجة غير جائز والجواب انه عليه السلام كان قد اظهر المعجزة
مرة واحدة وما كان به حاجة الى اظهارها مرة اخرى فعال
عليه السلام لو انى بدات باظهار المعجزة لكنت كالسبب فى اقدامهم
على اظهار السحر وقصد ابطال المعجزة وذلك محرم جائز لكنى افوض
الامر اليهم حتى انهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم اظهر
المعجزة التى تبطل السحر فيكون على هذا التقدير سببا لازالة الشبهة
انتهى كلام النسفى فاذا حبالهم وعصيهم اى فالقوا فاذا حبالهم

وعصيهم

وعصيهم نائب يقال فى اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق
فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة
تضاف اليها نائب خصت فى بعض المواضع بان يكون ناصبها
فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير
فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم فاجاء موسى وقت
تخييل سعى عصيهم وحبالهم نائب وهذا تمثيل نائب والمعنى
على مفاجأته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعى كذا فى الكشاف
يخيل وبالتاء ابن ذكوان اليه الى موسى من سحرهم انها تسعى اى تمشى نائب محل ان مع
رفع بدل اشتمال من الضمير فى يخيل كقولك اعجبنى زيد كرمه
نائب قال الامام فخر الدين المراد انهم بالغوا فى سحرهم المبلغ الذى
صار يخيل الى موسى انها تسعى كسعى ما يكون حيا قادرا من الحيات لا انها
كانت حية فى الحقيقة نائب وروى عن وهب انهم سحروا اعين
موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك مستندا لا بقوله بعد فلما القوا
سحروا اعين الناس وبقوله تخيل اليه من سحرهم انها تسعى نائب وتمام
قال هذا غير جائز لان ذلك الوقت وقت اظهار المعجزة وازالة
الشبهة فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن المتخيل الفاسد لم يتمكن
من اظهار المعجز وحينئذ لا يحصل المقصود فاذا المراد انه شاهد
سببا لو لا علمه بانه لا حقيقة لذلك الشئ لظن فيها انها تسعى انتهى
يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت
واهتزت فخيلت ذلك نائب وقال الكلبى خيل الى موسى ان الارض
حيات وانها تسعى على بطنها نائب قال الامام فخر الدين قال

ابن عباس رضي الله عنهما الثوا جبالهم وعصيهم ميلا من ذلك
الجانب وميلا من هذا الجانب • فعند ذلك خيل الى موسى عليه السلام
ان الارض كلها حيات وانها تسعى • وكما قيل له والق ما في يمينك
تلقف ما صنعوا • فالقى موسى عصاه فاذا هي اعظم من حياتهم
• ثم ازدادت عظما حتى ملأت الوادي ثم صعدت حتى علقت
ذنبها بطرف القبة • ثم هبطت فاكلت كلما عملوا • والناس ينظرون
اليها لا يحسبون الا انه سحر • ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه
• فصاح موسى عليه السلام فاخذها فاذا هي عصى كما كانت • ونظرت
السحرة فعرفوا انه ليس بسحر فقالوا لابن جبالنا وعصينا • ولو كان
سحرا لبقيت • فخروا سجدا وقالوا امنا برب هرون وموسى
انتهى • فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر موسى في نفسه
خوفا ظنا منه انها تقصده • وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية
وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله • وقيل خاف ان يخالج الناس
شك فلا يتبعوه • وقال القرطبي قال بعض اهل الحقائق انما
كان السبب في خوفه ان موسى عليه السلام لما القى السحرة وقال لهم
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب • فعند ذلك
عليه السلام عن نفسه • فقال له يا موسى لا تخف انك انت
موسى يا جبريل هو • وقد السحرة جاؤا بسحر عظيم ليبطلوا المعجزة ويتصروا
دين فرعون ويردوا دين الله تقول لا تخف يا ولي الله • فقال
جبريل هم من الساعة الى صلاة العصر عندك • وبعد صلاة العصر
في الجنة • فلما قال ذلك اوجس في نفس موسى وخطر ان ما يدريني ما علم الله

له ص

في فلعلي اكون الان في حالة وعلم الله في خلافها كما كان هؤلاء • فلما علم الله ما في قلبه اوحى الله اليه لا تخف انك انت
في قلبه انتهى • قال السلمي سئل ابن عطاء عن قوله تعالى فاوجس
في نفسه خيفة موسى ما كان هذه الخيفة • والله تعالى يقول
لا تخافا فاني معكما • قال خاف على قومه ان يفوتهم
حظهم من الله تعالى وما خاف على نفسه انتهى • قال الامام
فخر الدين فان قيل انه لا مزيد في ازالة الخوف على ما فعله الله تعالى
في حق موسى عليه السلام فانه كلمه اولا وعرض عليه المعجزات الباهرة
كالعصا واليد ثم انه قال صيرها كما كانت • ثم انه اعطاه الاقتراحات
الثمانية • ثم قال له بعد ذلك كله اني معكما اسمع واري فمع هذه
المقدمات الكثيرة كيف وقع الخوف في قلبه • والجواب عنه
من وجوه احدها ان الخوف انما كان لما طبع عليه الادمي من ضعف
القلب وان كان قد علم موسى عليه السلام انهم لا يصلون اليه وانه
تعالى ناصره هذا قول الحسن • وثانيها انه خاف ان يدخل على
الناس شبهة فما يرون ويظنوا انهم قد ساووا موسى عليه السلام
ويشتبه ذلك عليهم • وهذا التاويل تاكد بقوله تعالى لا تخف انك انت
الاعلى • هذا قول مقاتل • وثالثها انه خاف حيث بدؤوا وتاخر
القاؤه ان تفرق بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه فيدوموا
على الاعتقاد الباطل • ورابعها لعله عليه السلام كان مامورا
بان لا يفعل شيئا الا بالوحي فلما تاخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت
خاف ان لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع فيبقى في الخجالة • وخامسها
لعله عليه السلام خاف من انه لو ابطل سحرا وليك الحاضرين فلعل فرعون
قد اعد اقواما آخرين فياتيه بهم فيحتاج مرة اخرى الى ابطال سحرهم

ج فلعلي

خيفة م

وعلى هذا امره بعد مرة وحينئذ لا يتم ولا يحصل المقصود ○ ثم انه
تعالى ازال ذلك الخوف بالاجمال اولا وبالتفصيل ثانيا ○ اما
الاجمال فقوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى الغالب القاهر
○ فيه انواع من المبالغة ○ احدها ذكر كلمة التوكيد وهو ان
○ وثانيها تكرير الضمير ○ وثالثها لام التعريف ○ ورابعها لفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة ○ قال السلمي قال ابن عطاء
لا تخف فانك بمرأى منا ومسمع ونحن معك في جميع احوالك
فانك القاهر بالمسبب ○ وهم المعتمدون على الاسباب ○ واما
التفصيل فقوله تعالى والق ما في يمينك تلقف بسكون اللام والقاف
وتخفيف القاف حفص ○ تلقف ابن ذكوان ○ الباقون تلقف ○
ما صنعوا زوروا وافتعلوا ○ اي اطرح عصاك تبتلع عصيهم
وحبالهم ○ فان قلت لم لم يقل والق عصاك ○ الجواب
جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق
العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله
تبتلعها على وحدته وكثرتها ○ وصغره وعظمها ○ وجاز ان يكون
تعظيما لها ○ اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان
في يمينك شيا اعظم منها كلها ○ وهذه على كثرتها اقل شيء واندره
عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها ○ وفي التلقف دلالة
على ان جميع ما القوه تلقفته ○ وذلك لا يكون الا مع عظم جسدها
وشدة قوتها ○ وقد حكي عن السحرة انهم عند التلقف اتفقوا على
ان ما جاء به موسى عليه السلام ليس من مقدور البشر من وجوه ○
احدها

ياخذه بغيبها ابتلاعا
شرعة ○

احدها ظهور حركات العصا على وجه لا يكون مثله في الحبال
○ وثانيها زيادة عظمه على وجه لا يتم بالحيلة ○ وثالثها
ظهور الاعضاء عليه من العين والفم والمنخرين على وجه لا يتم ذلك
بالحيلة ○ ورابعها تلقف جميع ما القوه على كثرته ولا يتم ذلك
بالحيلة ○ وخامسها عوده عصا خشبة صغيرة كما كانت وشيء من ذلك
لا يتم بالحيلة قاله الامام فخر الدين انما صنعوا كيد ساحر سحر كوفي
غير عاصم بمعنى ذي سحر ○ او ذوي سحر ○ او هم لتوغلهم في سحرهم
كانهم السحر ○ وكيد بالرفع على القراءتين ○ وما موصولة او
مصدرية ○ بين تعالى ان ما صنعوه كيد سحر ○ والمعنى ان الذي معك
يا موسى معجزة الهية والذي معهم تمويه باطل ○ او بين الكيد
لانه يكون سحرا وغير سحر كما يبين المائية بدل زهم ○ ونحوه علم
فقه وعلم نحو ○ فان قلت لم وحد ساحر ولم يجمع الجواب
لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد
فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد ○ الا ترى الى قوله ولا يفلح
الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اينما كان ○ فان قلت
لم نكر الساحر اولا وعرف ثانيا فالجواب انما نكر من اجل
تنكير المضاف له من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج

المراد تنكير السعي الدنيا

في سعي دنيا طال ما قد مدت ○ ○ وفي حديث عمر رضي الله عنه
لا في امر دنيا ولا في امر آخرة ○ المراد تنكير الامر كانه قيل انما
صنعوا كيد سحري ○ وفي سعي دنيوي ○ وامر دنيوي واخروي
كذا في الكساف ○ وقال الامام فخر الدين الجواب عنه كانه قال

هذا الذى اتوا به قسم واحد من اقسام السحر ٠ وجميع اقسام السحر
لا فايدة فيه ٠ ولا شك ان الكلام على هذا الوجه ابلغ ٠ فان قلت
قوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى يدل على ان الساحر لا يحصل له مقصود
بالسحر خيرا كان او شرا وذلك يقتضى نفى السحر بالكلية اجاب
الكلام فى السحر وحقيقته قد تقدم فى سوره البقره فلا وجه للاعادة
فالقى السحره سجدا قالوا امنا شكر الله تعالى على الهدايه ٠ لما القى ما فى
يمينه وصار حية تلقف ما صنعوا وظهر الامر خروا عند ذلك
سجدا وذلك لانهم كانوا فى الطبقه العليا من علم السحر ٠ فلما راوا ما فعل
موسى عليه السلام خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البته
فاستدلوا بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر القاهر ٠ وبظهورها
على يد موسى عليه السلام على كونه رسولا صادقا من عند الله سبحانه
فلاجرم تابوا وانوا بما هو النهايه فى الخضوع وهو السجود ٠ اما
قوله تعالى فالقى السحره سجدا فليس المراد انهم اجبروا على السجود والا لما حمدوا
على التاويل بل ما قال الاخفش وهو انهم من سرعة ما سجدوا كانهم
القوا ٠ قال فى الكشاف سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ٠ ثم القوا وجوههم بعد ساعة للشكر
والسجود ٠ فما اعظم الفرق بين الالقائين ٠ وروى انهم لما رفعوا
رؤسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها ٠ وعن عكرمه
لما خروا سجدا اراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون
اليها فى الجنه انتهى ٠ قالوا آمنا برب هرون وموسى قال القرطبى
لما راوا من عظيم الامر وخرق العاده فى العصى فانها ابتلعت جميع
ما اتى به السحره من الحبال والعصى ٠ وكانت حمل بعض بعير او بعيرين عادت

عصى

عصى لا يعلم احد انها ذهبت الحبال والعصى الا الله عز وجل
وقد مضى فى سوره الاعراف هذا المعنى ٠ وامر العصا مستوفى
قالوا آمنا برب هرون وموسى انتهى ٠ قال فى المدارك وانما
قدم هرون هنا واخر فى الشعرا ٠ محافظة للفاصلة ٠ وان الواو
لا توجب ترتيبا انتهى ٠ وقال البرهان النسفى وفى قولهم آمنا برب
هرون وموسى فايدتان ٠ الاولى هى ان فرعون ادعى الربوبيه
فى قوله انا ربكم الاعلى فلو انهم قالوا آمنا برب العالمين لكان فرعون
يقول انهم آمنوا بى لا بغيرى فلدفع هذه التهمة قالوا برب هرون
وموسى ٠ قال وانما قدم ذكر هرون لان فرعون كان يدعى ربوبية
موسى بناء على انه ربّاه فرقوله الم نربك فينا وليدا ٠ الثانيه
هى انهم لما شاهدوا ان الله تعالى خصهما بتلك المعجزات العظيمه والدرجات
الشريفه لا جرم قالوا برب هرون وموسى ٠ ثم ان فرعون لما شاهد
منهم السجود والاقرار خاف ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس
بهم فى الايمان بالله ورسوله فنفى الحال التى شبهه اخرى فى البين وهى
قوله قال آمنتم بغير مد بحفص وبهمزة ممدودة بصرى وشامى
وحجازى وبهمزين غيرهم ٠ له قبل ان آذن لكم اى لموسى ٠ يعنى امن
له وامن به ٠ وهذا توبيخ منه لهم انه لكبيركم الذى علمكم السحر
اى لعظيمكم ٠ يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة فى صناعتهم
او لكبيركم اى لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرنى كبيرى
وقال فى كبرى كذا يريدون معلمهم واستاذهم فى القرآن وفى كل
شئ كذا فى الكشاف ٠ قال القرطبى انه لكبيركم اى رئيسكم

قال الزمخشرى فى
مع الايمان فى كتاب
لغير الله تعالى كفر
لو من بالله وبرسوله
للمومنين صح

في التعليم وانما علمكم لانه احذق به منكم ۝ وانما اراد فرعون
بقوله هذا التشبيه على الناس حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كما يامرهم
والا فقد علم فرعون انهم لم يتعلموا من موسى بل قد علموا السحر
قبل قدوم موسى وولادته انتهى ۝ ثم بعد ابراد الشبهة اشتغل
بالتهديد تنفيرا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم وذلك
قال فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف القطع من خلاف
ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف
الاخر بان هذا يد وذلك رجل وهذا يمين وذلك شمال ۝ ومن
لابتداء الغاية لان القطع مبتدئ وناشئ من مخالفة العضو العضو
لا من وفاقه اياه ۝ ومحل الجار والمجرور النصب على الحال اى
لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف
كذا في الكشاف ۝ والجمهور على انه قطعهم وصلبهم حتى ماتوا رحمهم
الله ۝ قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في اول النهار كفارا
سحرة وفي اخره شهداء ۝ وقيل ان فرعون لم يقدر على ذلك
لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون
كذا في تفسير القرطبي ولاصلبنكم في جذوع النخل يقال في المشهور
ان في بمعنى على ۝ وقال الزمخشري شبه تمكن المصلوب في الجذع
بتمكن الشيء المظروف في الظرف فلذا قال في جذوع النخل انتهى
۝ وخص النخل لطول جذوعها ولتعلمن ايينا اشد عذابا
قال في المدارك اي انا على ايمانكم بموسى او رب موسى على
تركك الايمان به ۝ وقيل يريد بقوله ايينا نفسه لعنه الله

ل السفى ليس في القران
فرعون فعل ما ولذلك
ومن ما اوعدهم به
ر ثبت ذلك في الاخبار
ض

برره ص

وموسى

وموسى عليه السلام بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب
الله لغير الله كقوله يومن بالله ويومن للمومنين انتهى ۝ قال
الزمخشري وفيه نفاحة باقتداره وقهره وما آلفه وضري
به من تعذيب الناس بانواع العذاب ۝ وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى عليه السلام لم يكن
قط من التعذيب في شيء انتهى ۝ قال البرهان السفي وارفلت
ان فرعون مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية تلك
العظمة التي شرحتموها وذكرتم انها قصدت ابتلاع قصر فرعون
وآل الامر الى ان استغاث بموسى واستغاثته من شر ذلك اللجين
فمع قرب عهده بذلك وعجزه عن دفعه كيف يعقل ان يهدد
السحرة ويبالغ في وعيدهم الى ذلك الحد ويستهزئ بموسى في قوله
ايينا اشد عذابا وابقى فلا يجوز ان يقال كان في اشد
الخوف الا انه كان يظهر لهم الجلادة والوقاحة تمشية لامره
وتهويلا لامره ومن استقراء احوال العالم علم ان العاجز قد يفعل
امثال هذه الاشياء ۝ ومما يدل على صحة ذلك ان كل عاقل يعلم
بالضرورة ان عذاب الله اشد من عذاب البشر ثم انه انكر ذلك
۝ وايضا فقد كان عالما بكذبه في قوله انه لكبيركم الذي علمكم
السحر لانه علم ان موسى عليه السلام ما خاطبهم البتة وما لقيهم وكان
يعرف من سحرته ان استاذ كل واحد من هو وكيف حصل ذلك انتهى
وابقى ادوم قالوا يعني السحرة لن نؤثرك لن نختارك على ما
جاءنا من البينات القاطعة الدالة على صدق موسى ۝ انه تعالى لما ذكر

انه لم يخ

تهدد فرعون له ولئك المومنين ذكروا جوابهم عن ذلك بما يدل
على اليقين التام والنصرة الكاملة لهم في الدين امر الدين فقالوا لن
نوثرك على ما جاءنا من البينات وذلك يدل على ان فرعون طلب
منهم الرجوع عن الايمان والافعل بهم ما اوعدهم فقالوا لن نوثرك
جوابا لما قاله وبينوا العلة وهي ان الذي جاءهم بينات وادلة
والذي يذكره فرعون محض الدنيا ومنافع الدنيا ومضارها لا تعارض
منافع الاخرة ومضارها انتهى كلام السعد قال القرطبي
لن نوثرك على ما جاءنا من الساء قال ابن عباس يريد من اليقين والعلم
وقال عكرمة وغيره لما سجدوا واراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة
قالوا هذا والله لا نوثرك وكانت امراة فرعون تسال من غلب
فتقول لها غلب موسى وهرون فقالت آمنت برب موسى وهرون
فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة فان مرت على قولها
فالقوها عليها فلما القوها رفعت بصرها الى السما فابصرت منزلها
في الجنة فمضت على قولها فانتزعت روحها والقيت الصخرة على راسها
جسدها وليس فيها روح وقيل قال مقدم السحرة لما رآى انظر الى هذه الحية هل تخوفت فتكون جنيا او لعلك تخوف
فهي من صنعة الصانع الذي لا يعزب عنه مصنوع فقال ما تخوفت
فقال آمنت برب موسى وهرون انتهى كلام القرطبي والذي فطرنا
عطف على ما جاءنا اي لن نختارك على الذي جاءنا او على الذي خلقنا وقيل
هو قسم وجوابه لن نوثرك مقدم على القسم فاقض ما انت قاض
فاصنع ما انت صانع من القطع والصلب قال

وعليها

وعليها مسرودان قضاها اي صنعها او احكمه
ما انت حاكم اي من القطع والصلب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
اي في هذه الحيوة فانتصب على الظرف اي انما تحكم فينا مدة حيوتنا
انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه ما موصولة
منصوبة بالعطف على خطايانا من السحر حال من ما روي ان السحرة
بعثي رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والباقي
من بني اسرايل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي
انهم قالوا لفرعون ارنا موسى بالما فعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر الساحر اذا ما بطل سحره فكرهوا معارضته خوف
الفضيحة او كرهوا معارضته خوفا من الله تعالى فاكرههم فرعون
على الاتيان بالسحر او كانوا مكرهين في الحضور والله خير ثوابا
لمن اطاعه وابقى عقابا لمن عصاه وهو رد لقول فرعون
ولتعلمن ايتنا اشد عذابا وابقى قال في المدارك انظر كيف نفعهم
علمهم بالسحر وضر فرعون جهله به فكيف بعلم الشرع ثم ختم
هذا الكلام بشرح احوال المجرمين واحوال المومنين في عرصة القيمة
فقال في المجرمين انه هو ضمير الشان من يات ربه مجرما اي
كافرا قال القرطبي قيل انه من قول السحرة لما آمنوا وقيل
هو ابتداء كلام من الله عز وجل اخبر فان له جهنم للمجرم جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى فيستريح بالموت ولا يحيى حيوة ينتفع
بها قال الشاعر

الا من لنفس لا تموت فينقضي شقاها ولا تحيى حياة لها طعم

صدقنا بالله وحد
لا شريك له وما جا
به موسى ص

قال القرطبي وقيل بقي الكافر معلقة في حنجرته كما اخبر الله
تعالى عنه فلا يموت بفراقها ولا يحيى باستقرارها ومن يأته
مؤمنا مات على ايمانه قد عمل الصالحات بعد الايمان فاولئك
لهم الدرجات العلى جمع العليا قال النسفي واعلم ان قوله
وعمل الصالحات يقتضي ان يكون اتيا بجميع الطاعات وذلك بالاتفاق
غير معتبر ولا ممكن فينبغي ان يحمل ذلك على اداء الواجبات ثم ذكر
ان من اتى بالايمان والاعمال الصالحة كان له الدرجات العلى
ثم فسرها فقال جنات عدن بدل من الدرجات تجري من
تحتها الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء خالدين دائمين
فيها وذلك جزاء من تزكى قال صلى الله عليه وسلم ان الدرجات
العلى ليراهم من تحتهم كما يرون الكوكب الدري في افق السماء وان ابا بكر
وعمر منهم وانعما وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك بقول
لا اله الا الله قال القرطبي ومن قال هذا من قول السحرة قال لعل
السحرة سمعوه من موسى او من بني اسرائيل اذ كان فيهم فرعون اقوام مؤمنون
وكان فيهم ايضا المؤمن من آل فرعون قال القرطبي ويحتمل ان
يكون ذلك الهاما من الله انطقهم به لما آمنوا انتهى قال في المدارك
قيل هذه الايات اللات يعني من قوله انه من يات ربه مجرما الى قوله تزكى
حكاية قول السحرة وقيل خبر من الله تعالى لا على وجه الحكاية
وهو اظهر ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي نزلت هذه الاية
بعد سنين من ايمان السحرة وهو يدل على ان موسى عليه السلام في تلك
الحالة كثر مستجيبوه فاراد الله تعالى تمييزهم من طبقة فرعون

ثم ذكر حال المؤمن وقال ص

اهلاك

فاوحى

فاوحى اليه ان يسري بهم ليلا فالسرى سير الليل والاسرآء مثله
لما اراد الله تعالى اهلاك فرعون وقومه امر موسى ان يخرج بهم من مصر
ليلا ويأخذ بهم طريق البحر قال النسفي فان قلت ما الحكمة
في ان يسيرهم ليلا فقول فيه وجوه احدها ان يكون اختفاؤهم
لا بمشهد من العدو فلا يمنعهم عن استكمال مرادهم في ذلك وثانيها
ليكون اقرب الى ان لا تطلبه فرعون وتتبعه وثالثها ليكون اذا
تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عسكر فرعون فلا يهابونهم
فاضرب لهم طريقا في البحر اي اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما
والبحر هو بحر القلزم او بحر النيل روي انه لما امر موسى قال عند ذلك
يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء فلما
ضرب موسى البحر بعصاه انفلق منه اثنتي عشرة طريقا وبين الطرق
الماء قياما كالجبال وفي سورة الشعراء فكان كل فرق كالطود
العظيم فاخذ كل سبط طريقا واوحى الله الى اطواد الماء ان تشبكي
فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض
وكان هذا من اعظم المعجزات فلما اقبل فرعون لعنه الله وراى الطرق
في البحر والماء قياما اوهمهم ان البحر هذا فعل هذا لهيبته فدخل هو وامحابه
فانطبق البحر عليهم كذا في القرطبي يبسا اي يابسا ليس فيه ماء ولا طين
وذلك ان الله تعالى ايبس لهم الطريق في البحر ويبسا مصدر وصف به
يقال يبس يبسا ويبسا لا تخاف حال من الضمير في فاضرب لهم طريقا
اي غير خائف ولا تخف حمزة على الجواب دركا هو اسم من الادراك
اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك ولا تخشى الغرق وعلى قراءة حمزة

ونحوها العذم

ولا تخشى استيناف اى وانت لا تخشى او يكون الالف للاطلاق
كما فى قوله وتظنون بالله الظنونا فاضلونا السبيلا قال
النسفى انه تعالى بين ان جميع اسباب الامن كان حاصلا فى ذلك
الطريق احدها انه كان يابسا المراد انه ما كان فيه وحل
ولا بلة فضلا عن الماء وثانيها قوله لا تخاف دركا اى لا تخاف
ان يدركك فرعون فانى ساحول بينك وبينه وثالثها
قوله ولا تخشى اى الغرق انتهى قال القرطبى قال ابن جريج
قال اصحاب موسى له هذا فرعون ادركنا وهذا البحر قد غشينا
فانزل الله بعد لا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف دركا من
فرعون ولا تخشى من البحر انتهى فاتبعهم فرعون بجنوده اى خرج
خلفهم اى خرج خلفهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم اصابهم من
البحر ما غشيهم من بديع الاختصار وهو من جوامع الكلم التى
تستقل مع قلتها بالمعانى الكثيرة اى غشيهم ما لا يعلم كنهه
الا الله عز وجل واضل فرعون قومه عن سبيل الرشاد وما هدى
وما ارشدهم الى الحق والسداد قال الزمخشرى وهذا تهكم
به وقوله وما اهدى بلم الا سبيل الرشاد قال النسفى
السفى ولنذكر القصة وما فيها من المباحث قال ابن عباس
لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر استعار بنو اسرائيل
من قوم فرعون الحلى والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا
وهم ستمائة الف وثمانون الفا وتيف وليس فيهم ابن ستين ولا عشرين
سنة وقد كان يوسف عليه السلام قد عهد اليهم عند موته

ان يخرجوا

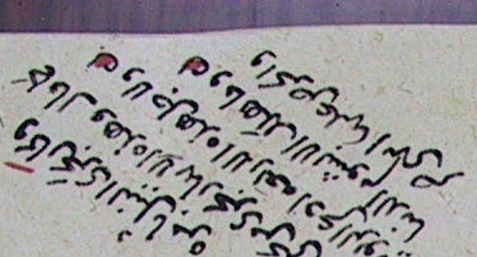

ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يخرجوا بها فتحير القوم حتى
دلتهم عجوز على موضع العظم فاخذوه وقال موسى للعجوز احتكمى
فقالت اكون معك فى الجنة ثم خرج فرعون فى طلب موسى وعلى
مقدمته الف الف وخمس مائة الف سوى الجنبين والقلب
فلما انتهى موسى الى البحر قال موسى للبحر انفرق لى فابى فاوحى الله
اليه ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيها
فقالوا كيف وهى رطبة فدعى ربه فهبت عليه ريح الصبا فجفت
فقالوا نخاف فريضا فجعل بينهم كوى حتى نرى بعضهم بعضا
ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال
قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار كما ترى وكان على فرس حصان
فاقبل جبريل عليه السلام على فرس انثى فى ملائة وملائس من الملائكة
فسار جبريل عليه السلام بين يدى فرعون وابصر الحصان الفرس فاقتحم
بفرعون على اثرها وصاحت الملائكة فى الناس الحقوا الملك حتى اذا
دخل اخرهم وكادوا لهم ان يخرج انطبق البحر عليهم فغرقوا فسمع
بنو اسرائيل خفقة البحر عليهم فقالوا ما هذا يا موسى فقال اغرق
الله فرعون وقومه فرجعوا للنظر اليهم وقالوا يا موسى ادع الله ان
يخرجهم الينا حتى ننظر اليهم فدعى فلفظهم الساحل الى البر فاصابوا
من سلاحهم ثم فى القصة ابحاث الاول روى ان موسى
عليه السلام لما ضربت عصاه البحر حصل اثنا عشر طريقا يابسا نهيا
سلوكه وبقى الماء قائما بين الطرق والطرق كالطود العظيم وهو
الجبل فاخذ كل سبط من بنى اسرائيل فى طريق من هذه الطرق

قال فى بعض الاخبار ان بنى اسرائيل لما خرجوا من مصر استعاروا من القبط حلى
بنى القبط حتى ان الرجل منهم استعار من جاره ثوبا وهو فى مصر وخرج
فرعون ليعرض بنى اسرائيل وكان لفرعون وقتئذ ثلثمائة الف فرس سوى
الاناث وكان له ثلثمائة الف رجل سوى من لا يعد فى الجيش من الاتباع
الطرف منه نشز له وغمره ارتفاع ماء وطالت رجلاه وانحدر على ضفتيه

ومنهم من قال بل حصل طريق واحد ويدل على القول الاول قوله
تعالى كالطود العظيم لان الما لا يكون كالطود الا اذا كان قائما
من الطرفين والقول الثاني ظاهر وهو الاقرب في قوله تعالى فاضرب
لهم طريقا في البحر الثاني روى ان بني اسرائيل بعد ان اظهر الله لهم
الطريق تعنتوا وقالوا نريد ان يرى بعضنا بعضا وهذا كالبعيد
لان القوم لما ابصروا ممر فرعون صاروا في نهاية الخوف والخائف اذا
وجد طريق الفرار والخلاص كف بتفرغ للتعنت الثالث
ان فرعون كان عاقلا بل كان في نهاية الدهاء فكيف اختار القاء نفسه في التهلكة
فانه كان يعلم من نفسه ان انقلاب البحر ليس بامره فعند هذا ذكروا
وجهين احدهما ان جبريل كان على الرمكة فتبعه فرعون وهذا
بعيد لانه يبعد ان يكون خوض الملك وامثال هذه المواضع مقدما على خوض
جميع العسكر بل الاقرب ما قيل انه امر مقدمة عسكره بالدخول
فدخلوا وما غرقوا فغلب على ظنه السلامة فلما دخل الكل اغرقهم الله
سبحانه الرابع ان الذي نقل عن جبريل عليه السلام انه كان
يدسه في الما والطين خوفا من ان يؤمن فبعيد لان المنع من الايمان لا
يليق بالملائكة والانبياء الخامس ان الذي روى من ان موسى كلما
البحر وقال له انفرق لي لاعبر عليك فقال البحر لا يمر على
فانه مر فهو غير ممتنع عند اهل السنة وعند المعتزلة ذلك على لسان الحال
لا على لسان المقال انتهى كلام البرهان النسفي ثم ذكر منته على بني اسرائيل
بعد ما انجاهم من البحر واهلك فرعون وقومه بقوله يا بني اسرائيل
اي اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم اي فرعون ووعدناكم باتيان الكتاب جانب الطور الايمن

وذلك

وذلك ان الله تعالى وعد موسى ان ياتي هذا المكان ويختار سبعين
رجلا يحضرون معه لنزول التورية والما نسبت اليهم المواعدة
لانها كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها
شرعهم ودينهم قال النسفي لما جاوز موسى بني اسرائيل البحر
قالوا له ائتنا بكتاب فيه الفرائض والاحكام
قال بلى ثم تعجل موسى لقاء ربه لياتيهم بالكتاب ووعدهم ان ياتيهم
الى اربعين ليلة والما قال وعدنا كم لانه انما وعد موسى ان يوتيه
التورية لاجلهم وقال مقاتل انما قال ووعدناكم لان الخطاب له
وللسبعين المختارة قال النسفي في بيان المقصود من الاية انه
تعالى لما انعم على موسى عليه السلام بانواع النعم ذكرهم تلك النعم
ولا شك ان ازالة المضرة يجب ان يكون مقدما على ايصال تلك المنفعة
ولا شك ان ايصال المنفعة الدينية اعظم فركونه نعمة من ايصال المنفعة
الدنيوية فلهذا بدا الله تعالى بقوله انجيناكم من عدوكم ثم ثنى بذكر المنفعة
الدينية وهي قوله ووعدناكم جانب الطور الايمن فان ذلك الوقت
وقت انزال الكتاب ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية وهي قوله وانزلنا
عليكم المن والسلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه
فيحل عليكم غضبي ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله بقوله
واني لغفار لمن تاب انتهى والايمن نصب لانه صفة جانب وقرئ
بالجر على الجوار قال القرطبي وليس للجبل يمن ولا شمال فاذا قيل
عن يمين الجبل فمعناه عن خذ عن يمينك من الجبل وكان الجبل على يمين موسى
اذ اتاه وقال النسفي قال المفسرون ليس للجبل يمين ولا يسار

بل المراد ان طور سينا عن يمين من انطلق من مصر الى الشام وانزلنا
عليكم المن والسلوى في التيه ٥ وقلنا لكم كلوا ليس امر ايجاب
بل امر اباحة كقوله واذا حللتم فاصطادوا قاله النسفي من طيبات
حلالات ما رزقناكم المن هو الترنجبين كان ينزل عليهم مثل
الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ٥ والسلوى
كان يبعث الله عليهم الريح الجنوب فيحشر السلوى وهي السماني
فيذبح الرجل منه ما يكفيه ٥ وقد تقدم الكلام عليه في البقرة ٥
الجنيتكم ووعدتكم ورزقتكم كوفي غير عاصم ولا تطغوا فيه ولا
تتعدوا حدود الله فيه بان تكفروا النعم وتنفقوها في المعاصي
٥ ~~ولا يظلم بعضكم بعضا فيه~~ ٥ وان تزودوا حقوق الفقرا فيها
وان تسرفوا في انفاقها وتبطروا فيها وتاشروا فيها وتتكبروا ٥ او معنى
ولا تطغوا اي لا يظلم بعضكم بعضا فيه فيأخذه من صاحبه فيحل عليكم
غضبي عقوبتي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى هلك ٥ او سقط
سقوطا لا نهوض بعده ٥ واصله ان يسقط من جبل فيهلك ٥ وتحقيقه
سقط من شرف الايمان الى حفر النيران ٥ ~~قال الكواشي فيحل~~
~~بضم الحا ومن يحلل بضم اللام الاولى من الحلول النزول وبكسرهما~~
~~من الوجوب اي من وجب عليه غضبي فقد هوى سقط في النار وهلك~~
انتهى ٥ قال القرطبي فقد هوى اي صار الى الهاوية وهي قعر النار من
هوى يهوي هويا اي سقط من علو الى سفل ٥ ذكر ابن المبارك بسنده
عن شفي الاصبحي قال ان في جهنم جبلا يدعى صعودا يطلع فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يرقاه قال الله تعالى سارهقه صعودا ٥ وان في جهنم
قعرا

يشغلهم اللهو والنعم عن القيام بشكرها

المن والسلوى والاسم اسم المسا لكين ٥ وما يصنر بالامة المحمدية الملوك والاسم اسم الاحبا ٥ فذلك قوله
موسى لكم المسلمين من قبل ٥ قال الله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ٥ و للمحمدية اذكروني اذكركم
٥ شغل قوم موسى بالنعمة ٥ والمحمدية بالمنعم ٥ فمن وجد المنعم فانه يجد النعمة ٥ وليس كل من يجد النعمة
يجد المنعم كذا في زهرة الرياض صح

قصوا يقال له هوى ٥ يرمى الكافر من اعلاه فيهوي به اربعين خريفا
قبل ان يبلغ اصله ٥ قال الله تعالى ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ٥ وذكر
الحديث انتهى ٥ قرا علي فيحل ويحلل ٥ والباقون بكسرهما ٥ فالمكسور
في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب ٥ والمضموم في معنى النزول
كذا في المدارك واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن وحد
الله تعالى وصدقه فيما انزل وعمل صالحا ادى الفرائض ثم اهتدى
ثم استقام وثبت على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى قالوا ربنا الله
٥ وقال الكواشي وقيل ثم اهتدى الى محبة اهل البيت بشرط محبة
جميع الصحابة انتهى ٥ قال الزمخشري وكلمة التراخي دلت
على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو
اعني ان منزلة الاستقامة مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها
اعلى منها وافضل انتهى ٥ ~~قال الامام فخر الدين انه تعالى وصف~~
~~كونه نفسه بكونه~~ ٥ قال في زهرة الرياض تقال ان الله تعالى
جعل تحت كل اسم من اسمايه لطفا وكرما ٥ سماه ضعيفا وخلق
الانسان ضعيفا ٥ وسمى نفسه قويا ٥ وكان الله قويا عزيزا ٥ فعلى القوي
ان ينصر الضعيف ٥ وسماه عجولا خلق الانسان من عجل ٥ وسمى نفسه
حليما ٥ وعلى الحليم ان ينجا وزعن العجول ٥ وسماه جهولا ٥ انه كان
ظلوما جهولا ٥ وسمى نفسه غفورا رحيما ٥ وعلى الرحيم ان يقبل عذر
الجاهل ٥ وسماه فقيرا ٥ وسمى نفسه غنيا ٥ والله الغني وانتم الفقرا
وعلى الغني ان يواسي الفقير ٥ وسماه ظلوما ٥ وسمى نفسه كريما
ما غرك بربك الكريم ٥ وقال موسى يا رب انرزق فرعون

للمومن م

وهو يدعي الربوبية • قال الله يا موسى ان كان فرعون ترك
العبودية فانا لا اترك الربوبية • فيه اشارة كانه قال
عبدي من عادتك وصفتك المعصية • ومن صفتي الرحمة
وصفتك مجازية وصفتي حقيقية • وانت لا تترك صفتك
المجازية • فانا اولى ان لا اترك صفتي الحقيقية • ولما
هبط ادم الى الارض بكى وقال الهي لم نهيتني عن الشجرة وجعلت
سريرك تحتها • قال الله يا ادم ما لم اكتب الرحمة بجنب المعصية
لم اضع السرير تحت الشجرة • قال يا رب لم لم تغفر لي في الجنة
قال الله لو غفرت لك في الجنة لم يظهر كرمي بغفران ذنب
رجل واحد بل اردت ان تخرج الى الدنيا وتابى بالوف
من العصاة من ذريتك حتى اغفر لهم ليتبين كرمي وجودي
انتهى • وقال في موضع اخر في زهره الرياض علق الله مغفرته
باربعة اشياء في اية واحده • احدها التوبه • والثاني الايمان
والثالث العمل الصالح • والرابع الاستقامه في قوله وانى لغفار لمن
تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى • وكذلك علق رحمته باربعه
اشياء وهي التقوى • وايتاء الزكوة • والايمان • واتباع محمد صلى الله عليه
قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون • ويؤتون الزكاة
والذين هم بايتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية
انتهى • وقال في زهره الرياض في موضع اخر قوله تعالى نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم معناه خبر يا محمد اني انا الغفور المتجاوز لمن
تاب • ومعنى الاية اني انا الغفور في الدنيا وانا الرحيم في العقبى

وانا الغفار

وانا الغفار وقت المحاسبة • كان الله تعالى يقول عبدي
لك اسما مشتقة من اسمي ظالم وظلوم وظلام • ان كنت ظالما
فانا غافر الذنب وقابل التوب • وان كنت ظلوما فانا غفور بني
عبادي اني انا الغفور الرحيم • وان كنت ظلاما فانا غفار
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا انتهى • وقال
الامام فخر الدين انه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفارا
في القرآن والانبياء كلهم طلبوا المغفرة • اما ادم فقوله ان لم
تغفر لنا وترحمنا • واما نوح فقوله وان لا تغفر لي وترحمني اكن
من الخاسرين • واما ابراهيم فقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين • واما يوسف فقوله لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
• واما موسى فقوله رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك • واما
داود فاستغفر ربه وانا • واما سليمان فقوله رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي • واما عيسى فقوله ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم • واما محمد
صلى الله عليه وسلم فقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
• واما الامة فقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا انتهى
وما اعجلك اي شيء عجل بك عن قومك يا موسى اي عن السبعين الذين
اختارهم • وذلك انه مضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم
شوقا الى كلام ربه وامرهم ان يتبعوه فقال الله عز وجل وما اعجلك
اي شيء اوجب عجلتك • استفهام انكار • وما مبتدا واعجلك
الخبر • قال هم اولاء على اثري اي هم خلفي يلحقون بي ليس بيني

وبينهما مسافة يسيرة ثم ذكر موجب العجلة فقال وعجلت
اليك رب اى الى الموعد الذى وعدت به لترضى لتزداد عنى
رضى وهذا دليل على جواز الاجتهاد قال الامام فخر الدين
فان قلت قوله وما اعجلك استفهام وهو على الله محال والجواب
انه انكار فى صيغة الاستفهام ولا امتناع فيه قال قلت
ان موسى عليه السلام اما ان يكون ممنوعا عن ذلك التقدم او لا يكون
فان كان ممنوعا كان ذلك التقدم معصية فيلزم وقوع المعصية
من الانبياء وان لم يكن ممنوعا كان ذلك الانكار غير جائز من الله سبحانه
والجواب لعله عليه السلام ما وجد نصا فى ذلك الا انه
تقدم باجتهاد فاخطأ فى ذلك الاجتهاد قال قلت
قوله وعجلت والعجلة مذمومة والجواب انها ممدوحة
فى الدين قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم قال قلت قوله
لترضى يدل على انه انما فعل ذلك ليحصل رضى الله تعالى وذلك باطل
من وجهين احدهما انه يلزم تجدد صفة لله تعالى والثانى
انه تعالى قبل حصول ذلك الرضى وجب انه ما كان راضيا من موسى
لان تحصيل الحاصل محال الجواب المراد تحصيل دوام الرضا كما فى
قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اى دوام الاهتداء قال قلت قوله وعجلت اليك
يدل على انه ذهب الى الميعاد قبل الوقت الذى عينه الله تعالى له والا لم
يكن ذلك تعجيلا نحن نقول ان مخالفة امر الله سبب لتحصيل رضاه وذلك لا يليق
بموسى عليه السلام والجواب سلمنا ان ذلك كان بالاجتهاد
قال قلت قوله اليك يقتضى كونه تعالى فى الجهة لان الى انما تذكر لانتهاء الغاية

الجواب

الجواب الى المراد الى مكان وعدك قال قلت قوله ما
اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه اللائق به ان يقال المبالغة
فى طلب رضاك والشوق الى لقائك فاما قوله هم اولاء على اثرى
فغير منطبق عليه والجواب من وجهين احدهما ان قوله
وما اعجلك تضمن شيئين الاول السؤال عن نفس العجلة والثانى السؤال
عن سبب التقدم وكان اهم الامرين عند موسى عليه السلام الجواب
عن هذا الثانى فقال لم يوجد منى الا تقدم يسير لا يعتد به فى العادة
وليس بينى وبين قومى الا تقدم يسير ثم عقبه بجواب السؤال عن
العجلة فقال وعجلت اليك رب لترضى الثانى انه عليه السلام
من هيبة عتاب الله تعالى ذهل عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام
واعلم ان قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يدل على انه تعالى امره
بحضور الميقات مع قوم مخصوص ثم اختلفوا فى المراد بالقوم فقال
قوم هم النقباء السبعون الذين اختارهم الله تعالى ليخرجوا معه الى الطور فتقدمهم
موسى شوقا الى الله تعالى وقال آخرون القوم جملة بنى اسرائيل
وهم الذين خلفهم مع هرون وامره ان يقيم فيهم خليفة الى ان يرجع
هو مع السبعين فقال هم اولاء على اثرى يعنى بالقرب منى يتيسر وينى
اتبى قال القرطبى قيل لما وفد موسى عليه السلام لمناجاة طور سينا
بالوعد اشتاق لربه وطال عليه المسافة من شدة شوقه الى الله تعالى
فضاق به الامر حتى شق قميصه ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده فلما
وقف فى مقامه قال الله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فبقى صلى الله عليه متحيرا
عن الجواب لهذه الكلمة لما استقبله من صدق الشوق فاعرض عن الجواب

ولكنى عنه بقوله هم اولاى على اثرى وانما سأله عن السبب الذى اعجله
بقوله ما فا خبر عن محيهم بالاثر ه بم قال ه وعجلت اليك رب
لترضى فلنى عن ذكر الشوق وصرفه الى ابتغاء الرضى ه عن قياده وقوله
وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا ه وكانت عائشه رضى الله
عنها اذا اوت الى فراشها تقول ها تو التيجيد فتوتى بالمصحف فتاخذه
فى صدرها وتنام معه تتسلى بذلك ه وكان عليه السلام اذا امطرت
السما خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول انه حديث عهد
بربه ه هذا من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده من قبيل الشوق ه
ولذلك قال تبارك اسمه فيما يروى عنه طال شوق الابرار الى لقائى وانا
الى لقائهم اشوق انتهى كلام القرطبى قال فانا قد فتنا قومك اى قد اضللناهم
فى فتنة من بعدك من بعد خروجك من بينهم ه واراد بالقوم المفتونين
الذين خلفهم مع هرون ه وكانوا ستمائه الف افتتنوا بالعجل ما نجى
من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا ه قال ولم يقرا فى القصة انهم
اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا
قد اكملنا العدة ه فكان امر العجل بعد ذلك وكيف الوقوف على هذا
من قوله لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك قلت قد
اخبر الله تعالى عن الفتنة المتوقعة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته
ه واقترص السامرى غيبته وعزم على اضلالهم عند انطلاقه
واخذ فى تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا او اضلهم السامرى ه
بدعايه اياهم الى عبادة العجل واجابتهم له ه قال ابن عباس كان السامرى
من قوم يعبدون البقر فوقع بارض مصر فدخل فى دين اسرائيل من قبيلة

بعرف

على ساحل البحر

ا ط

تعرف بالسامره وهم معروفون بالشام ه وفى الكشاف هو منسوب
الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة ه وقيل السامرة قوم
من اليهود يخالفونهم فى بعض دينهم ه وقيل كان من اهل باجرما
ه وقيل كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا ه واسمه موسى
بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام انتهى ه انشد الزمخشرى لنفسه
فى موسيين بمكة حرسها الله ه

سئلت عن موسى وموسى ما الخبر ه فقلت شيخان كفتمى القدر ه
والفرق بين موسيين فاظهر ه موسى بن عمران وموسى بن ظفر ه

فرجع موسى الى قومه من مناجاة ربه الى قومه غضبان اسفا
شديد الغضب ه اى حزينا ه رجع موسى الى قومه بعد ما استوفى
الاربعين ذا القعدة وعشرا ذى الحجة ه برانه تعالى على ربوسى عاتبهم بعد
رجوعه اليهم بقوله قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم
الله سبحانه ان يعطيهم التوريه التى فيها هدى ونور ه ولا وعدا احسن من
ذلك واجمل ه وكانت التوريه الف سوره كل سوره الف اية
تحمل اسفارها سبعون جملا كذا فى الكشاف ه قال القرطبى وعدا
حسنا وعدهم عز وجل الجنه اذا اقاموا على الطاعة ووعدهم انه يشفعهم
كلامه فى التوريه على لسان موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم ه وقيل
وعدهم النصر والظفر ه وقيل وعدا حسنا هو قوله وانى لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا الاية افطال عليكم العهد العهد الزمان ه اى مدة
مفارقتى اياكم ه يقال طال عهدى بك اى طال زمانى بسبب مفارقتك ه قال
الزمخشرى وعدوه ان يثبتوا على امره وما امرهم عليه من الايمان فاخلفوا

موضع بالعراق ن

موعده بعبادتهم العجل أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم
اى اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم
موعدى وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا
موعده باتخاذ العجل قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم
مدنى وعاصم وبضمها حمزة وعلى وبكسرها غيرهم اى ما اخلفنا
موعدك بان ملكنا امرنا اى لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما
اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامرى وكيده قال
القرطبى قيل قوله قالوا عام يراد به الخاص اى قال الذين ثبتوا على طاعة
الله تعالى ان يرجع اليهم موسى الطور وكانوا اثنى عشر الفا وكان جميع
بنى اسرائيل ستمائة الف قال الامام فخر الدين قال قتل كيف
يعقل رجوع قريب من ستمائة الف انسان من العقلا المكلفين عن الدين الحق
دفعة واحدة الى عبادة العجل التى عرف فسادها بالضرورة ثم ان
الجمع لما فارقوا الدين وانظهروا الكفر كيف يعقل رجوعهم دفعة واحدة
عن ذلك الدين بسبب رجوع موسى عليه السلام وحده اليهم
قلت هذا غير ممتنع فرحق البلية من الناس اسهل ولكنا حملنا
اى حملنا غيرنا بالضم والتشديد حجازى وشامى وحفص وبفتح الحاء والميم غيرهم اى حملنا نحن
أوزارا من زينة القوم اثقالا من حلى القبط التى استعرناها منهم
او اراد بالاوزار انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم فى حكم
المستامنين فى دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربى
على ان الغنايم لم تكن تحل حينئذ قال الكواشى اوزارا اى
حليا من زينة القوم قوم فرعون كانوا استعاروها منهم لعلة

عرس فبقيت عندهم وقيل قذف البحر حلى آل فرعون
فاخذها بنو اسرائيل فبقيت غنيمة عندهم وكانت الغنيمة لا تحل
لهم فحفروا حفيرة ليتركوها فيها الى عود موسى وقيل
اوقدوا فى الحفيرة نارا فاحرقوها فجاءت فى حفرة النار قالب
عجل فانصاغت عجلا مجوفا فخار بدخول الريح فى مجارى منه
اشباه العروق وقيل نفخ فيه تراب موضع قوائم فرس
جبريل عليه السلام يوم الغرق وهو فرس حيوة فحيى فخار
ومال طباعهم الى الذهب فعبدوه فقذفناها فى نار السامرى
التى اوقدها فى الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلى قال
القرطبى قيل قاده ان السامرى قال لهرون حين استبطأ القوم موسى
انما احتبس عليكم من اجل ما عندكم من الحلى فجمعوه ودفعوه الى السامرى
فرمى به فى النار وصاغ لهم منه عجلا ثم القى عليه قبضة من اثر فرس
الرسول وهو جبريل عليه السلام وقال معمر الفرس الذى كان
عليه جبريل هو الحياة فلما القى القبضة عليه صار عجلا جسدا له
خوار والخوار صوت البقر وقال ابن عباس لما انسبكت
الحلى فى النار جاء السامرى وقال لهرون يا نبى الله القى ما فى يدك
وهو يظن انه كبعض ما جاء به غيره من الحلى فقذف التراب فيه
وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كما قال للبلاء والفتنة فخار
خورة واحدة لم يسمع مثلها وقيل خواره وصوته كان بالريح
لانه كان عمل فيه خروقا فاذا دخلت الريح فى جوفه خار ولم يكن فيه
حياة وهذا قول مجاهد وعلى القول الاول كان عجلا من لحم

وَدَمِرَ ه وهو قول الحسن وقتادة والسدى ه وروى حماد عن سماك
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مَرّ هرون بالسامرى
وهو يصنع العجل فقال ما هذا فقال ينفع ويضر فقال اللهم اعطه
ما سالك على ما فى نفسه ٥ فقال اللهم انى اسالك ان يخور فكان
اذا خار سجد فكان الخوار من اجل دعوة هرون ٥ قال ابن عباس
خار كما يخور الحى من العجول ه وروى ان موسى عليه السلام
قال يارب هذا السامرى اخرج لهم عجلا جسدا له خوار من حليهم فمن
جعل الجسد والخوار قال الله تعالى انا ٥ قال موسى عليه السلام
وعزتك وجلالك وارتفاعك وعلوك وسلطانك ما اضلهم غيرك
قال صدقت يا حكيم الحكماء ٥ وقد تقدم هذا فى سورة الاعراف انتهى كلام
القرطبى فكذلك القى السامرى ما معه من الحلى فى النار ه وما معه من
التراب الذى اخذه من اثر جافر فرس جبريل عليه السلام ه قال
الزمخشرى اراهم انه يلقى حليا فى يده مثل ما القوا وانما القى التربة
التى اخذها من موطئ جبريل ومن فرس جبريل ٥ اوحى اليه وليه الشيطان
انها اذا خالطت حوانا صار حيوانا فاخرج لهم السامرى من الكفرة عجلا
خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل ه ه
قال الامام فخر الدين اختلفوا فى انه هل كان ذلك الجسد الذى
له خوار هل كان حيا ام لا ٥ فقيل لا لانه لا يجوز اظهار خارق العادة
على يد الضال بل السامرى صور صورة على شكل العجل وجعل فيها
منافذ ومجارى بحيث تدخل فيها الرياح وتخرج صوت يشبه صوت
العجل ه وقيل صار حيا وخار كما يخور العجل بدليل قوله بعد فقبضت

قبضة

قبضة من اثر الرسول ولو لم يصر حيا لما بقى لهذا الكلام فائدة ولانه
تعالى سماه عجلا والعجل هو الحيوان فيجب ان يكون حيا فاخرج لهم السامرى
من الكفرة عجلا خلقه الله تعالى من الحلى التى سبكتها النار ابتلاء
جسدا مجسدا له خوار صوت فكان يخور كما تخور العجاجيل ه
قال الزمخشرى فان قلت كيف اثرت ملك التربة
فى احياء الموات قلت اما يصح ان يؤثر الله سبحانه روح
القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اكرمه بغيرها من الكرامات
وهو ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت ملك التربة
جمادا احياه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا ٥ الا ترى كيف
انشاء المسيح من غير اب عند نفخه فى الدرع ه قال قلت
فلم خلق الله تعالى العجل من الحلى حتى صار فتنة لبنى اسرائيل وضلالا
قلت ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ه
ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب انتهى كلامه
فقالوا اى السامرى واتباعه هذا الهكم واله موسى فاجاب
عامتهم الا اثنى عشر الفا ه قال الامام فخر الدين فى هذا اشكال
وهو ان القوم ان كانوا فى الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول
فى تلك الساعة هو الاله الخالق فهم مجانين وليسوا بمكلفين ٥ وان لم
يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى ٥ والجواب
لعلهم كانوا من الحلولية فجوزوا حلول الاله او حلول صفة من صفاته
فى ذلك الجسم ٥ وان كان ذلك ايضا فى غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب

الالهية فنسي موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور
او هو ابتداء كلام من الله تعالى اى نسي السامري ربه
وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر او نسي السامري الاستدلال
على ان العجل لا يكون الها بدليل قوله افلا يرون الا يرجع اى
انه لا يرجع فان مخففة من الثقيلة اليهم قولا اى يجيبهم ولا
يملك لهم ضرا ولا نفعا اى هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع
فكيف يتخذونه الها وقيل انه ما خار الا مرة واحدة
كذا في المدارك ونظر هذا قول من هم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيا قال الامام فخر الدين وهذه الاية
تدل على وجوب النظر في معرفة الله تعالى وقال في اية اخرى الم يروا انه
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وهو قريب في المعنى من قوله تعالى في ذم عبدة
الاصنام الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وليس المقصود من هذا ان العجل
لو كان يكلمهم لكان الها لان حصول الشرط وهو الكلام لا يقتضي حصول
المشروط قال بعض اليهود لعلي رضي الله عنه ما دفنتم نبيكم حتى
اختلفتم فقال ما اختلفنا فيه وانتم ما جفت اقدامكم عن ماء البحر
حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة انتهى كلامه ولقد قال
لهم من عبدوا العجل هارون من قبل من قبل رجوع موسى اليهم
يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل فلا تعبدوه وان ربكم الرحمن
هو العجل فاتبعوني كونوا على ديني الذي هو الحق واطيعوا امري
في ترك عبادة العجل قال الامام فخر الدين اعلم ان هرون

على اللام

ان الاله لا يحل فرشي
يحل فيه شي ح

الذي تعبده موسى
عليه السلام يضر
وينفع ويثيب ويعطي
ويمنع ح

عليه السلام انما قال ذلك شفقة منه على نفسه وعلى الخلق
اما شفقته على نفسه فلانه كان مامورا من عند الله بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وكان مامورا من عند اخيه موسى عليه السلام بقوله
اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولو لم يشتغل بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر كان مخالفا لامر الله تعالى وامر موسى وذلك
لا يجوز واوحى الله سبحانه الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك
اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هولاء الاشرار
فما بال الاخيار فقال انهم لم يغضبوا لغضبي وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه غير الله فليس من الله
في شي ومن اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له
سائر الجسد بالسهر والحمى واما على الخلق فلان الانسان يحب
ان يكون رفيق العلم مشفقا على ابناء جنسه واي شفقة اعظم من ان يترك
جمعا يتهافتون على النار فيمنعهم منها وعن ابي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل في الرحماء من عبادي تعيشوا
في اكنافهم ولا تطلبوه في القاسية قلوبهم فان فيهم غضبي واذا ثبت
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشفقة على الخلق واجب فاقول
عليه السلام رأى الخلق منهمكين على النار فلم يبال بكثرتهم ولا بقوتهم
بل صرح بالحق وقال يا قوم انما فتنتم به الا ان واعلم ان هرون
عليه السلام سلك في هذه الموعظة الوجه الاحسن لانه زجرهم عن
الباطل اولا بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله تعالى ثانيا بقوله

ان ربكم الرحمن ثم دعاهم ثالثا الى معرفه النبوه بقوله فاتبعوني
ثم دعاهم الى الشرائع رابعا بقوله واطيعوا امري وهذا هو الدليل
الجيد لانه لا بد قبل الاقدام على الشئ من ازاحة الاذى عن الطريق
وهو ازاله الشبهات ثم معرفه الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوه
ثم الشريعه وانما قال وان ربكم الرحمن لانه يتبين بهم
على انهم حتى يابوا قبل الله تعالى توبتهم برحمته ومن رحمته ان خلصهم
من اقات فرعون ثم انهم لجهلهم قابلوا هذا الترتيب الحسن في الاستدلال
بالتقليد والجمود كما قال تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين لن نزال
مقيمين على العجل وعبادته حتى يرجع الينا موسى فنظر هل يعبده
كما عبدناه وهل يصدق الساحري امره فتوهموا ان موسى يعبد العجل
فاعتزلهم هرون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما
رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال
للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ شعر
راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا كما قال تعالى قال يا هرون ما منعك
اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعني بالياء في الوصل والوقف
مكي وافقه ابو عمرو ونافع في الوصل وغيرهم بلا ياء اي ما دعاك
الا ان لا تتبعني لوجود التعلق من الصارف عن فعل الشئ ومن الداعي
الى تركه وقيل لا مزيدة والمعنى اي شئ منعك ان تتبعني حين
لم تقبلوا قولك وتلحق بي وتخبرني او ما منعك ان تتبعني في الغضب
لله وهلا قاتلت من كفر ممن امن ومالك لم تتبعني شراله مر كما كنت
اباشره انا لو كنت شاهدا افعصيت امري الذي امرتك به من القيام
بمصالحهم

ويهدد معاونيه بالقتل وقيل لما رجع موسى واخذ برأس اخيه يجره اليه
اخذ يعتذر ويقول ما منعني ان تتبع سنتي وطريقتي وقيل لما رجع موسى
ورأى ما رأى علم انه وقع منهم بتأويل فلم يعاقبهم بل اقبل على
عتاب اخيه وقال له ما منعك

~~بمصالحهم ثم اخذ شعر راسه بيمنه ولحيته بشماله غضبا وانكارا~~
~~عليه لان الغيره لله ملكته كذا في المدارك~~ قال القرطبي
قال وسيل الامام ابو بكر الطرطوسي رحمه الله ما يقول سيدنا
الفقيه في مذهب الصوفيه انه يجتمع جماعة من الرجال فيكثرون من ذكر
الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على شئ من
الارض ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون
شيابا يأكلونه هل الحضور معهم جايز امر لا وهذا القول يذكرونه
يا شيخ كف عن الذنوب قبل الفرق والزلل
واعمل لنفسك صالحا ما دام ينفعك العمل
اما الشباب فقد مضى وتشيب راسك قد نزل
وفي مثل هذا وجوه فاجاب ابو الحسن برحمك الله ما الجواب
مذهب الصوفيه بطالة وجهالة وضلاله وما الاسلام الا كتاب الله
وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب
السامري لما اتخذ لهم العجل جسدا له خوار واما القضيب
فاول من اتخذه الزنادقه ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار
فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها
ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم
هذا هو مذهب مالك وابي حنيفه والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم
من المسلمين والله الموفق انتهى كلام القرطبي ثم اخذ شعر راس هرون
بيمينه ولحيته بشماله غضبا وانكارا عليه لان الغيره لله ملكته

موسى ع

قال الزمخشري كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا
على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه
فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله عز وجل بعد
ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى الواح التوراة كما غلب
ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف
بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه إقبال العدو المكاشف
قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه جره
إليه انتهى قال يا ابن أم وبفتح الميم شامي وكوفي غير حفص
وكان أخاه لأبيه وأمه عند الجمهور ولكنه ذكره استعطافا
وترقيقا لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي قال الغرطي أي لا تفعل هذا
بي بتوهموا أنه منك استخفاف أو عقوبة قيل إن موسى عليه
السلام لم يفعل هذا استخفافا ولا عقوبة بل كما يأخذ الإنسان
بلحية نفسه انتهى قال الإمام فخر الدين واعلم أنه ليس في القرآن
ما يدل على أنه أخذ بلحيته ورأسه فإن النهي عن الشيء لا يدل على كون المنهي
فاعلا للمنهي عنه كقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ومن الناس
من يقول إنه أخذ ذؤابته بيمينه ولحيته بيساره انتهى ثم ذكر هرون
عذره فقال إني خشيت أن تقول إذا قاتلت بعضهم بعضا
فرقت بين بني إسرائيل أو خفت أن تقول إن فارقتهم وأنكرتك
ولحق بي فريق وتبع السامري فريق ففرقت بين بني إسرائيل
ولم ترقب تحفظ قولي واخلفني في قومي وأصلح وفي قول
هرون دليل على جواز الاجتهاد واعلم أن موسى عليه السلام

لما فرغ

لما فرغ من محاطبة هرون عليه السلام وعرف عذره في التأخر
تركه وأقبل على السامري وله بعد أن يكون حاضرا مع هرون
قال فما خطبك ما أمرك الذي تخاطب عليه وفصل ما أمرك
وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت قال الغرطي قاله
كان السامري عظيما في بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامره ولكن
عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع موسى فلما مرت بنو إسرائيل
بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها
كما لهم آلهة فاغتنمها السامري وعلم أنهم يميلون إلى عبادة العجل
فقال السامري بحسبا لموسى كما حكى الله عنه قال بصرت بما لم يبصروا
به وبالتاء حمزة وعلي قال الزجاج بصر علم وأبصره نظر أي
علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل قال موسى وما ذاك قال رأيت جبريل
على فرس الحيوة فألقى في نفسي أن أقبض من أثر فرسه فما ألقيته على شيء
إلا صار له روح ولحم ودم فقبضت قبضة القبضة المرة من القبض
وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير وقرئ
فقبضت قبضة فالضاد الأخذ بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع
وبخوهما الخضم والقضم الكاجمع الفم والقاف بمقدمه كذا
في الكشاف من أثر الرسول أي من أثر فرس الرسول وقرئ بها فنبذتها
فطرحتها في جوف العجل قال الزمخشري فإن قلت لم سماه
الرسول دون جبريل وروح القدس قلت حين حل
ميعاد الذهاب إلى الطور أرسل الله تعالى موسى جبريل وجبريل
راكب حيزوم فرس الحيوة ليذهب به فأبصره السامري فعال

إنّ هذا لشأنا فقبض لقبضة من تربة بوطئه فلما سأله
موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس الرسل اليك يوم
حلول الميعاد ولعله لم يعرف انه جبريل انتهى كلامه
وقال الامام فخر الدين اختلفوا متى راى السامرى جبريل
فقال الاكثرون انما رآه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله عنه
ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامرى من بين
الناس واختلفوا ان السامرى كيف اختص برؤية جبريل عليه السلام
ومعرفته من بين الناس وقال ابن عباس في رواية الكلبي انما
عرفه لانه رباه في صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد
بني اسرائيل فكانت المراة تلد وتطرح ولدها فتاخذ الملائكة الولد
فيربونه الى ان يترعرع ويخالط الناس وكانت ام السامرى
جعلته في غار حين وضعته خوفا من فرعون ان يقتله وكان السامرى
ممن اخذه جبريل فجعل كف السامرى في فم السامرى وارتضع منه
العسل واللبن فلم يزل يخلف اليه حتى عرفه من حليب فلما
راه عرفه قال ابو مسلم الاصبهاني ليس في القرآن تصريح بهذا
الذي ذكره المفسرون وهنا وجه اخر وهو ان يكون المراد بالرسول
موسى وباثره سنته ودينه الذي امر به والمقدر ان موسى
عليه السلام لما اقبل على السامرى باللوم على الامر الذي دعاه
الى اضلال القوم فرباب العجل فقال بصرت بما لم يبصروا به اي عرفت
ان الذي انتم عليه ليس بحق فعدلت قبضة من اثر فرس الرسول اي شيئا من سنتك ودينك فقذفته اي طرحته فعند ذلك

اعلم

اعلم موسى ما عليه من العذاب في الدنيا والاخرة ولا يستوائب
في ان ما ذكره ابو مسلم فهو اقرب لانه لا بد من التعسف في بيان
ان السامرى كيف اختص من بين الناس جميع الناس برؤية جبريل
ومعرفته ثم كيف عرف ان لتراب حافر فرس جبريل وهذا الاثر
بعيد الكيوة والذي ذكره من ان جبريل رباه بعيد ايضا لان السامرى
ان عرف انه جبريل حال كمال عقله عرف قطعا ان موسى نبي صادق
فكيف يحاول الاضلال قلت وان كان ما عرفه فاني ينفعه كون جبريل
عليه السلام مربيا له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة وايضا
لو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه لكان لقائل ان
يقول فلعل موسى عليه السلام اطلع على شيء اخر يشبه ذلك فلاجله اتى
بالمعجزات انتهى كلام فخر الدين قال القرطبي ويقال ان السامرى
سمع كلام موسى عليه السلام حيث عمل تمثالين من شمع احدهما
ثور والاخر فرس فالقاهما في النيل طلب قبر يوسف وكان في مجرى
في بيوت من حجر في النيل فاتى به الثور على قرنه فتكلم السامرى
بذلك الكلام الذي سمعه من موسى والقى القبضة في جوف العجل
انتهى وكذلك سولت لي نفسي ان افعله ففعلته اتباعا
لهواي وهذا اعتراف منه بالخطا واعتذار منه قال له موسى
فاذهب من بيننا طريدا فان لك في الحيوة ما عشت ان تقول
لمن راد مخالطتك جاهلا بحالك لا مساس لا يمسني احد ولا امسه
قال السامرى عوقب الرجل عوقب السامرى عوقب بشيء اطم منها واوحش
وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا
كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش

ثم ان موسى عليه السلام لما سمع من السامرى ما سمع بين حاله في الدنيا وفي الاخرة وبين حال الذين اتخذوا العجل ما حاله في الدنيا اما شرح حاله في الاخرة فقوله تعالى

به الناس بعضهم بعضا ۝ واذا انفق ان يماس احدا رجلا او امراة حرم
الماس والممسوس ۝ فتحامى الناس وتحاموه ۝ وكان يصيح لا مساس
وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ۝ ومن الوحش
النافر في البرية ۝ ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم
قال القرطبي يقال بقايا هم الى اليوم يقولون لا مساس وان مس
واحد من غيرهم احدا منهم حرم كلاهما في الوقت ۝ ويقال ابتلى
السامري بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت ۝ ويقال
ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى له لا تقتله فانه سخي ۝
ويقال ان موسى السامري لما قال له موسى فاذهب فان لك في الحياة ان تقول
لا مساس خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش لا يكاد
احد من الناس يمسه حتى صار كالقاتل لا مساس لبعده عن الناس
وبعد الناس عنه ۝ قال القرطبي وهذه الاية اصل في نفي اهل
البدع والمعاصي وهجرانهم وان لا يخالطوا ۝ وقد فعل النبي صلى الله عليه
ذلك بكعب بن مالك واللذين خلفوا ۝ ومن النجاء لما اكرمه الله وعليه
دمه لا يقتل عند بعض الناس ولكن لا يبايع ولا يعامل ولا يشارى ويرهق
الى الخروج ۝ ومن هذا القبيل التغريب في حد الزنا انتهى كلام القرطبي
قال الامام فخر الدين قال مقاتل ان موسى عليه السلام اخرجه من
محلة بني اسرائيل وقال له اخرج انت واهلك فخرج طريدا وحيدا الى البوادي
قال ابو مسلم يجوز في جملة ما اريد من قوله لا مساس امر التناسل
فيكون من بعد الله سبحانه اياه انقطاع نسله فلا يكون له ولد يونسه فيخليه
الله تعالى من زينة الدنيا ۝ واما شرح حاله في الاخرة فهو قوله تعالى

وان لك

اى التفور ذكر المساس ح

وانّ لكَ موعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ لن يخلفك الله موعده الذي وعدك
على الشرك والفساد في الارض بل نجزيه لك في الاخرة بعد ما عاقبك
بذلك في الدنيا ۝ لن تخلفه مكي وابو عمرو ۝ وهذا من اخلفت الموعد
اذا وجدته خلفا ۝ واما شرح حال الهه فهو قوله تعالى وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه واصله ظللت فحذف اللام الاولى
تخفيفا عاكفا مقيما لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه لنذرينه في البحر
نسفا فحرقه وذراه في البحر فشرب بعضهم من مائه حبالة فظهرت
على شفاههم صفرة الذهب ۝ قال الزمخشري وهذه عقوبة بالله
وهي ابطال ما افتتن به وفتن واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين انتهى ۝ قال الكواشي روي انه ذبح فسال منه
دم ۝ وقال السدي اخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في البحر
۝ وعن مجاهد لكل له روح وانما كانت الروح تجري في جوفه انتهى ۝ وقال
القرطبي قال ابن مسعود اللحم والدم اذا احرقا صارا رمادا فيمكن تذريته
في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا ۝ وقد عرف موسى ما صيّر به
الذهب رمادا او كان ذلك من اياته انتهى ۝ واعلم ان موسى عليه السلام
لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما
الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم الله الذي لا اله الا هو وسع
كل شيء علما تمييز اي وسع علمه كل شيء ۝ ومحل الكاف من كذلك
كذلك نقص نصب اي مثل ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص
عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامم الماضية تكثيرا لبيناتك وزيادة
في معجزاتك وقد آتيناك اعطيناك من لدنا من عندنا ذكرا قرانا فهو ذكر

فانت ممن خسر الد
والاخرة ذلك هو
الخسران المبين ح

ثم يرد عظامه ح

وقيل يعلم من يعبد
ومن لا يعبده ح

عظيم • وقرآن كريم • فيه النجاة لمن اقبل عليه • وهو مشتمل على الاقاصص
والاخبار • الحقيقة بالتفكر والاعتبار • قال الامام فخر الدين
وسمى القرآن ذكرا كما قال وهذا ذكر مبارك وعليه وجوه • منها انه كتاب
فيه ذكر ما يحتاج الناس اليه فى امور دينهم • ومنها انه يذكر الآء
الله وتعماءه • وفيه الذكر والموعظة • ومنها فيه الذكر والشرف
كما قال وانه لذكر لك ولقومك • واعلم انه سبحانه وتعالى سمى جميع كتبه ذكرا
فقال فاسئلوا اهل الذكر انتهى مَنْ اَعْرَضَ عَنْهُ عن هذا الذكر وهو
القرآن ولم يؤمن به فَاِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وِزْرًا عقوبة ثقيلة
• سماها وِزْرًا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها
بالحمل الثقيل الذى ينقض ظهره • ويلقى عليه بهره • اولانها جزاء
الوزر وهو الاثم خَالِدِيْنَ حال من الضمير فى يحمل وانما جمع على المعنى
ووحد فى فانه حملا على لفظ مَنْ فيه فى الوزر اى فى جزاء الوزر وهو
العذاب وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلًا ساء فى حكم بئس • وفيه
ضمير مبهم يفسره حملا وهو تمييز • واللام فى لهم للبيان • كما فى هيت لك
والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه يَوْمَ يُنْفَخُ بدل
من يوم القيمة • يُنْفَخُ بالنون ابو عمرو وَالصُّوْرِ القرن • او جمع
صورة اى ينفخ الارواح فيها • دليله قراءة قتادة فى الصور
بفتح الواو جمع صورة • قال الامام فخر الدين فالله تعالى يعرف
الناس امور الاخرة بامثال ما شوهد فى الدنيا • ومن عادة الناس
النفخ فى البوق عند الاسفار وفى العساكر • والمراد من هذا النفخ
هو النفخة الثانية فى الصور كالسبب لحشرهم وهو نظير قوله يوم ينفخ فى الصور

فيأتون

فيأتون افواجا وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِيْنَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا حال من المشركين
والزرق خلاف الكحل والعرب تتشاءم بزرقة العين وتذمه اى
يشوه خلقهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم • قال الزمخشرى
والزرقة افظع شئ من الوان العيون لما العرب له من الروم اعدائهم
وهم زرق العيون • ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب
السبال ازرق العين • وقيل زرقا اى عميا لان حدقة
من يذهب نور بصره تزراق • وقال الازهرى زرقا اى عطاشا
قد ازرقت عيونهم من شدة العطش • قال الزجاج لان سواد العيون
يتغير ويزرق من العطش • قال سعيد بن جبير لابن عباس
فى قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا • وقال فى موضع اخر • ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما فقال ان ليوم القيمة حالات
فحالة يكونون فيها زرقا • وحالة عميا يتخافتون يتسارون بينهم
اى يقول بعضهم لبعض سرا الهول ذلك اليوم اِنْ لَّبِثْتُمْ ما لبثتم فى الدنيا
اِلَّا عَشْرًا اى عشر ليال يستقصرون مدة لبثهم فى القبور • او فى الدنيا • او بين النفختين
كما يعاينون من الشدائد التى تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتاسفون
عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار • او لانها ذهبت
عنهم والذاهب وان طالت مدته قصرت بالانتهاء • ومنه توقيع
عبد الله بن المقتدر تحت الحال الله بقاء كفى بالانتهاء قصرا • او
لاستطالتهم الاخرة لانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا وتثقال
لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم فى الاخرة • وقد رجح الله تعالى قول
من يكون اشد تثاقلا منهم بقوله نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَقُوْلُوْنَ اِذْ يَقُوْلُ اَمْثَلُهُمْ

يتشاورون بينهم

طَرِيقَةً أَعْدَلُهُمْ قَوْلًا إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا وهو نظير قوله بعد قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فسأل العادين ه قال الزمخشري وقيل المراد لبثتم في القبور ه ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الدربوا لعلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث انتهى ه قال القرطبي وقيل اراد ما بين النفختين وهو اربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار في قول ابن عباس فيستقصرون تلك المدة ه انتهى وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عما يصنع بالجبال يوم القيمة وكان سؤالهم على سبيل الاستهزاء ه وقيل لم يسأل عنها وتقديره إن سألوك فقل ولذا اقرن بالفاء بخلاف سائر السوالات مثل قوله ويسألونك عن المحيض قل هو اذى ه ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ه يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ه يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي ه يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ه يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ه لانها سوالات تقدمت فورد جوابها ولم يكن فيها معنى الشرط فلم يذكر الفاء فَيَذَرُهَا رَبِّي نَسْفًا يجعلها كالرمل يرسل الرياح فتفرقها كما تذرى الطعام ه وقال الخليل ينسفها اي يقلعها ه وقال ابن الاعرابي وغيره ينقلعها قلعا من اصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا ه ثم تصير هباء كالصوف المنفوش يطيرها الريح هكذا وهكذا فَيَذَرُهَا اي فيذر مقارها ومراكزها ه او يجعل الضمير للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قَاعًا صَفْصَفًا مستويةً مَلْسَاءَ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا

اوفاهم عقلا م

ه وقيل لشدة ما دهمهم

تصير ذلك مرا عينهم فيحسبهم

استقبلهم من هول اليوم

لابنات فهام انخفاضا

انخفاضا وَلَا أَمْتًا ارتفاعا ه قال في المدارك والعوج بالكسر وان كان في المعاني كالعوج بالفتح فهو في الاعيان والارض عين ولكن لما استوت الارض استواء لا يمكن ان يوجد فيها اعوجاج بوجه ما وان دقت الحيلة ولطفت جرت مجرى المعاني انتهى ه وقال الزمخشري فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فليف صح فيها الكسر ه قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها ه وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها والغت في التسوية على عينك وعيون البصراء واتقنتم على ان لم يبق فيها اعوجاج قط ه ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي ه فنفى الله ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك ه اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر انتهى ه قال القرطبي وهذه الاية تدخل في باب الرقي يرقى بها الثاء ليل تطلع والجسد وخاصة في اليد ه تاخذ ثلاثة اعواد من تين الشعير يكون في طرف كل عود عقدة ثم كل عقدة على الثاء ليل وتقرا الاية مرة ثم تعقن الاعواد في مكان ندي يعقن وتعقن الثاليل فلا يبقى لها اثر ه جربت ذلك في نفسي وفي غيري فوجدته نافعا باذن الله تعالى

لكنه

قال الامام فخر الدين وهذه الاية تعني قوله لا ترى فيها عوجا
ولا امتا يدل على ان الارض ذلك اليوم تكون كرة حقيقية
لان المصلح لابد وان يتصل بعض سطوحها بالبعض لا على الالتصاق
انتهى قال ويحصل من هذه الصفات الاربع ان الارض يكون
ذلك اليوم ملساء خالية من الارتفاع والانخفاض انتهى الصفة
الثانية ليوم القيمة قوله تعالى يومئذ اضاف اليوم الى وقت
نسف الجبال اى يوم اذ نسفت وجاز ان يكون بدلا بعد
بدل من يوم القيمة يتبعون الداعي الى المحشر اى صوت
الداعي وهو اسرافيل حين ينادي قائما على صخرة بيت المقدس
ايتها العظام البالية والجلود الممزقة واللحوم المتفرقة هلمي الى
عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوته لا يعدلون عنه لطبره
واستماع يوم ينادي المنادي من مكان قريب الاية قال الامام
فخر الدين وفي الداعي قولان احدهما ان ذلك الداعي هو النفخ في الصور
والثاني انه ملك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي ويقول ايتها
العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك
للحساب والجزاء ويقال انه اسرافيل عليه السلام يضع قدمه على الصخرة
اليسرى ويديه على جنبيه فاذا سمع الامر طار فوقف على الصخرة
المقدسة فاذا قال هذا الداعي يكون قبل الاحياء او بعده فلما
ان كان المقصود بالدعاء الاعلام وجب ان يكون ذلك بعد الحياة
وان لم يكن المقصود اعلامهم بل غير ذلك مثل ان يكون لطفا للملائكة
ومصلحة لهم فذلك جائز قبل الاحياء لا عوج له لا يعوج له مدعو
بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته الصفة الثالثة

مستوية م

لطف الصور على فيه م

الاوب الناحية

بيمينا وشمالا م

قوله وخفت

وذلت م اى امحت الاصوات م

قوله وخشعت وسكنت الاصوات للرحمن من شدة الفزع
وخفت هيبة واجلالا فكل لسان ساكت هناك للهيبة
قال
لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع
فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا كتحريك الشفاه ومنه الحروف
المهموسة وهو عشرة احرف وقيل هو من همس الابل وهو
صوت اخفافها اذا مشت اى لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها
الى المحشر قال ابو مسلم وقد علم الانس والجن ان لا مالك
لهم سواه فلا يسمع لهم صوت يزيد على الهمس وهو اخفى الصوت
ويكاد يكون كلاما يفهم بتحريك الشفة لضعفه وحق لمن كان الله
بحاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول
غمه انتهى الصفة الرابعة قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الا
من اذن له الرحمن محل من رفع على البدل من الشفاعة بتقدير
حذف المضاف اى لا تنفع الا شفاعة من اذن له الرحمن اى اذن
للشافع في الشفاعة ورضي له قولا اى رضي قوله لاجله بان
يكون المشفوع له مسلما او نصب على انه مفعول تنفع فالاية
تدل على ان المشفوع فيه لابد وان يكون مرضيا قال الامام
فخر الدين واعلم ان هذه الاية تدل على الشفاعة فرحم الفساق ودلك
لان قوله ورضي له قولا يكفي في صدقه ان يكون الله قد ارتضى قولا واحدا
من اقواله والفاسق قد ارتضى له قولا واحدا وهو شهادة ان لا اله الا
الله الصفة الخامسة قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم

من غير نطق م

المشفوع له م
كذا في المدارك م

اى الذين يتبعون
الداعي م

ما تقدّمهم من الاحوال وما يستقبلونه ۞ قال الكلبي ما بين ايديهم
من امر الاخرة ۞ وما خلفهم من امر الدنيا ۞ وقال مجاهد ما بين ايديهم
من امر الدنيا والاعمال وما خلفهم من امر الاخرة والثواب والعقاب
۞ وقال الضحاك يعلم ما مضى وما بقي ومتى تكون القيمة ۞ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِ عِلْمًا قال الزمخشري لا يحيطون بمعلوماته علما ۞ وفي المدارك
اي لا يحيطون بما احاط به علم الله ۞ فرجع الضمير لما ۞ او يرجع الضمير
لله اي لا يحيطون بالله علما لانه تعالى ليس بمحاط ۞ الصفة
السادسة قوله وَعَنَتِ اي خضعت وذلت ۞ ومنه قيل للاسير
عان الْوُجُوهُ اي اصحاب الوجوه ۞ كقوله بعد وجوه يومئذ ناعمة لسعيها
راضية ۞ وانما خص الوجوه بالذكر لان الخشوع بها يتبين وفيها يظهر
۞ قال الزمخشري المراد بالوجوه وجوه العصاة ۞ وانهم اذا عاينوا
يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية
اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ۞ ونحوه قوله
بعد فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ۞ ووجوه يومئذ باسرة
للحي الذي لا يموت ۞ وكل وجوه يتعقبها الموت فهي كان لم تكن
الْقَيُّومِ الدائم القائم على كل نفس بما كسبت ۞ او القائم بتدبير
الخلق ۞ روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال اطلبوا اسم الله الاعظم
من هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه ۞ قال الراوي
وهو ابو امامة الباهلي فوجدنا المشترك بين هذه السور قوله
بعد اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَقَدْ خَابَ يئس من رحمة الله
بعد مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا من حمل الامور وقف القيمة شركا لان الظلم وضع الشيء في غير
موضعه ۞ ولا ظلم اشد من جعل المخلوق شريكا لمن خلقه ۞ واعلم
انه بعد ما شرح احوال يوم القيمة ختم الكلام فيها بشرح احوال
المومنين فقال وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ الطاعات وَهُوَ مُؤْمِنٌ
مصدق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وفيه دليل على انه
لا يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحة ۞ وان الايمان شرط
قبولها ۞ وهو كقوله بعد ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فَلَا يَخَافُ
ظُلْمًا اي فهو لا يخاف ۞ فلا يخف على النهي مكي ظُلْمًا ان يزاد في سيئاته
وَلَا هَضْمًا ولا ينقص من حسناته ۞ واصل الهضم النقص والكسر
۞ قال الزمخشري الهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له
كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا يستوفون ويستزيدون ۞ واذا
كالوا يخسرون ۞ وهو كقوله بعد ومن يوم يوبه فلا يخاف بخسا
ولا رهقا وَكَذَٰلِكَ عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال انزلناه
قُرْآنًا وعربيا بلسان العرب ۞ وصف القرآن بامرين ۞ احدهما كونه
عربيا لتفهمه العرب فيقفوا على اعجازه وخروجه عن جنس كلام البشر
۞ وثانيهما وَصَرَّفْنَا كررنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لعلهم يَتَّقُونَ
يجتنبون الشرك او يُحْدِثُ لَهُمْ الوعيد ۞ او القرآن ذِكْرًا
اي عظة ۞ او شرفا بما يتهم به ۞ وقيل او بمعنى الواو ۞ بمعنى انه سبحانه
لما عظم امر القرآن اردفه بان عظم نفسه فقال فَتَعَالَى اللّٰهُ ارتفع
عن فنون الظنون ۞ واوهام الافهام ۞ وتنزه عن مضاهاة الانام
ومشابهة الاجسام الْمَلِكُ الذي احتاج اليه الملوك الْحَقُّ المحق
في الالوهية ۞ قال الامام فخر الدين وانما وصفه بالحق لان ملكه

لا يزول ولا يتغير ولا يكون من قبل الغير ولا غيره اولى منه ولا تعجل
بالقرآن اى بقراءة القران • لما ذكر القرآن وانزاله قال على
سبيل الاستطراد • واذا القنك جبريل ما يوحى اليك من القرآن
فانا نلقيه عليك رتيما يشمعك ويفهمك • ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد
ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته • ونحوه قوله بعد لا تحرك
به لسانك لتعجل به من قبل ان يقضى اليك وحيه من قبل ان يفرغ
جبريل من الابلاغ • وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى
ياتيك البيان • قال القرطبى قال ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم
يبادر جبريل فيقرا قبل ان يفرغ جبريل من الوحى حرصا على الحفظ وشفقة
على القران مخافة النسيان فنهاه الله عن ذلك وانزل ولا تعجل بالقرآن
• وروى ابن لهيعة عن مجاهد قال لا تسأله قبل ان يتبين لك • وقيل
ولا تعجل اى ولا تسأل امرا له قبل ان يقضى اليك اى ياتيك وحيه • وقيل
المعنى لا تلقه الى الناس قبل ان ياتيك بيانه ويليه • وقال
الحسن نزلت فى رجل عظيم لظهر وجه امراته فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم
تطلب القصاص فجعل النبى صلى الله عليه وسلم لها القصاص فنزل الرجال
قوامون على النساء ولهذا قال وقل رب زدنى علما اى فهما لانه صلى الله عليه
حكم بالقصاص ولم ير الله ذلك انتهى كلام القرطبى • قال
الامام فخر الدين
وهذا القول بعيد والاعتماد على الاول • قال
وقال الضحاك فى سبب
نزولها ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا وكذا وقد
ضربنا لك اجلا ملاه لنا فارتاب الوحى وفشت المقالة ان اليهود
قد غلبوا محمدا فانزل الله هذه الاية ولا تعجل بالقران اى بنزوله من قبل

ان يقضى

ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبريل
ومنه اليك وقل رب زدنى علما بالقرآن ومعانيه • قال
الزمخشرى وقوله وقل رب زدنى علما متضمن للتواضع لله والشكر له
عند ما علم من ترتيب التعليم • اى علمتنى ما رب لطيفة فى باب
التعليم وادبا جميلا لم يكن عندى فزدنى علما الى علمى • فان لك
فى كل شئ حكمة وعلما • وقل ما امر الله تعالى رسوله
بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم اهـ كلام الزمخشرى • قال
الكواسى وفى قوله زدنى علما اشاره الى ان الاحاطة بجميع العلوم ممتنعة
لغير الله تعالى انتهى ولقد عهدنا الى ادم اعلم ان هذا هو المرة
الخامسة من قصة ادم عليه السلام فى القران • اولها فى البقرة ثم فى الاعراف
ثم فى الحجر ثم فى الكهف ثم فى هذه السورة • قال الامام فخر الدين
واما تعلق هذه الاية بما قبلها ففيه وجوه • احدها انه تعالى
لما قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق عظم امر القران وبالغ فى ذكر
هذه القصة انجازا للوعد فى قوله كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق •
وثانيها لما قال وصرفنا فيه من الوعد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا
اردفه بقصة ادم عليه السلام كانه قال ارطاعة بنى ادم للشيطان
امر قديم فانا عهدنا الى ادم من قبل اى من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم
الوعد وبالغنا فى تنبيههم حيث قلنا انه عدو لك ولزوجك • وثالثها
لما قال لمحمد وقل رب زدنى علما ذكر بعده قصة ادم عليه السلام فانه
بعد ما عهد الله اليه وبالغ فى التحذير عن العدو نسى • فدل ذلك على ضعف
قوة البشر عن الحفظ فيحتاج حينئذ الى الاستعانة بالله تعالى ليوفقه

لتحصل ذلك وتجنبه عن السهو والنسيان ه وروايها ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لما قيل له ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
دل على انه كان في الجد والمبالغة في امر الدين بحيث زاد على قدر
الواجب فلما وصفه بالافراط ه وصف ادم بالتفريط في ذلك فانه
تساهل في ذلك حتى نسي فوصف الاول بالتفريط والاخر بالافراط
ليعلم ان البشر لا ينفك عن نوع زلة انتهى ه قوله ولقد عهدنا
الى ادم اى وصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة ه يقال في اوامر الملوك
ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه
فعطفت قصة ادم على وصر فانه من الوعد ه والمعنى واقسم قسما
لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول
في جملة الظالمين ان قربها • وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم
كما انهم يخالفون ص فخالف الما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد
كما لا يلتفتون ه كانه يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم
راسخ فيه من قبل اى من قبل وجودهم فخالف الما نهي عنه كما انهم
يخالفون ه يعني ان فنسي العهد اى النهي ه والانبياء عليهم السلام
يؤاخذون بالنسيان الذي لو تكلفوه كحفظوه كذا في المدارك ه قال
العرطبي وآدم عليه السلام في ذلك الوقت ما خوذ بالنسيان وان كان
ويجوز ص النسيان عنا اليوم مرفوعا ه قال ونسي معناه ترك ونسيان
الذهول لا يمكن هنا لانه يتعلق به عتاب انتهى ه ولم نجد له عزما
قصدا الى خلاف امره ه ولم يكن آدم من اولي العزم ه والوجود
بمعنى العلم ه ومفعولاه له عزما ه او بمعنى نقيض العدم اى وعدمنا
له عزما

له عزما ه وله متعلق بنجد ه قال الزمخشري والعزم التصميم
والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يويس الشيطان
من التسويل له انتهى ه قال الامام فخر الدين ه في النسيان قولان
احدهما المراد منه نقيض الذكر • وانما عوتب ادم على ترك
التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد منه النسيان ه وكان الحسن
رحمه الله يقول والله ما عصى قط الا بنسيان ه وثانيهما ان المراد
من النسيان الترك وانه ترك ما عهد اليه من الاحتراز عن الشجرة
واكل ثمرتها ه وفي فنسي اى نساه الشيطان ه وعلى هذا التقدير
يحتمل ان يقال انقدم على اكل الشجرة من غير تاويل ه وان يقال اقدم
عليه مع التاويل ه انتهى كلام فخر الدين ه وقال ٢ المدارك في سورة
الاحقاف اولوا العزم من الرسل هم المذكورون في الاحزاب واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم ه
وليس ليس منهم لقوله ولانك كصاحب الحوت ه وكذا ادم عليه السلام
لقوله تعالى ولم نجد له عزما انتهى ه وقال القرطبي قال قوم ادم
لم يكن من اولي العزم من الرسل لان الله تعالى قال ولم نجد له عزما ه وقال
معظم المفسرين كل الرسل اولوا العزم ه وفي الخبر ما نبي الا وقد
اخطاء او هم بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريا • فلو خرج ادم من خطيئته
من اولي العزم لخرج جميع الانبياء سوى يحيى ه وقد قال ابو امامة
لو ان احلام بني ادم جمعت منذ خلق الله الخلق الى يوم القيمة ووضعت
في كفة ميزان • ووضع حلم ادم في كفة اخرى لرجحهم • وقد قال
الله تعالى ولم نجد له عزما انتهى كلام القرطبي واذ منصوب بمضمر اى اذكروه

وقت ما جرى على ادم من عداوة ابليس ووسوسته وتزيينه
له الاكل من الشجره وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة
والموعظه البليغه والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم
يكن من اولى العزم والثبات كذا في الكشاف قلنا للملائكة اسجدوا
لادم ه قال في المدارك فسجدوا اللغوى الذى هو
الخضوع والتذلل ه وقد كان ادم كالقبله لضرب تعظيم له
فنه اسهى ه قال الشيخ ابو منصور الماتريدى انه كان سجود تحية
بمنزلة السلام منهم عليه وتحية الامم الماضيه كان بالسجود
كالسلام والمصافحه لنا اليوم ه فاختلفوا في موضع السجود ه
وعن قتاده قال كانت الطاعة لله تعالى والسجده لادم اكرمه الله
بسجدة الملائكه وهذا لان المسجود له طرفان طرف التحيه وطرف
العباده فالتحيه كانت لادم والعباده كانت لله تعالى كصلاة
الجنازه لها طرفان طرف العبادة وطرف الدعا والشفاعه للميت
وقيل قوله اسجدوا لادم معناه اسجدوا لله عز وجل لادم شكرا لما خلق
خلقا جديدا ه واختلفوا في موضع السجود قال بعضهم سجدوا له في الارض
بدليل قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وحرف
الفا للوصل والتعقيب ه فهذا يقتضي السجود بعد نفخ الروح فيه
ه وقال بعضهم كان سجود هم له في السما ه وقيل اول من سجد لادم
اسرافيل فسجدوا الا ابليس عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابليس كان
ملكا من حشر المستثنى منهم ه وقال الحسن الملائكه لبابات
الخلقه من الارواح لا يتناسلون ه وابليس من نار السموم ه وانما صح
استثناه منهم لانه كان يصحبهم ويتعبد الله معهم ه قال الزمخشري

قال قلت

قال قلت كيف صح وهو استثناء وهو جنى من الملائكة ه
قلت حمل على التغليب في اطلاق اسم الملائكه عليهم وعليه
فاخرج الاستثناء على ذلك كانهم خرجوا الا فلانة لامرأة من الرجال
انتهى ه ابى جملة مستانفة كانه جواب لمن قال لم لم يسجد
ه والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه
بقوله فسجدوا ه وان يكون معناه اظهر الاباء والتوقف فقلنا
يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك حين لم يسجد لك ولم يرض فضلك
قال الامام فخر الدين قال قلت ما سبب ملك العداوة
قال الجواب عنه من وجوه احدها ان ابليس كان يحسدا فلما راى
آثار نعم الله تعالى في حق ادم حسده فصار عدوا له ه وثانيها
ان ادم كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها وابليس كان
شيخا جاهلا والجاهلون لا هل العلم اعداء ه وثالثها ان ابليس
مخلوق من النار وآدم مخلوق من الماء والتراب وبين اصليهما عداوة
فبقيت ملك العداوة فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكونا سببا لاخراجكما
فتشقى فان قلت لم اسند فعل الشقا الى آدم وحده بعد
اشتراكهما في الخروج الجواب من وجهين احدهما ان شقا المراة
في ضمن شقا الرجل لما ان الرجل قيم اهله وامير هم ه وثانيهما اريد بالشقا
التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة ه وقال في المدارك
انما لم يقل وتشقيا اكتفاء لرؤس الاي ه قال القرطبي الاخراج
واقع عليهما والشقاوه على آدم وحده وهو شقاوه البدن الا ترى انه
عقبه بقوله ان لك ان لا تجوع فيها اي في الجنه ولا تعرى وانك لا تظما

فيها ولا تضحى فاعلمه ان له ولجنه هذا كله الكسوة والطعام والشراب
والمسكن وانك ان ضيعت الوصية واطعت العدو اخرجتما من الجنه
وشقيت تعبا ونصبا الى جعت وعريت وظمئت واصابتك الشمس
لانك ترد الى الارض اذا اخرجت من الجنه • وانما خصه بذكر الشقا
وان كان قد يشقيان لعلمنا ان نفقه الزوجة على الزوج • فمن يومئذ
جرت نفقه النساء على الازواج • فلما كانت نفقه حواء على آدم كذلك
نفقه بناتها على بني آدم تحق الزوجية • واعلمنا في هذه الاية ان النفقه
التي تجب للمراة على زوجها هذه الاربعة الطعام والشراب والكسوة
والمسكن فاذا اعطاها حقها من هذه الاربعة فقد برئت ذمته
من نفقتها • فان تفضل بعد ذلك فهو ما جور • واما هذه الاربعه فلابد
منها لان بها وقاية المهجة • وقال الحسن فتشقى شقاء الدنيا
لا ترى ابن ادم الا ناصبا • وقال الفراء الشقا هوان يأكل من كد
يديه • وقال سعيد بن جبير اهبط الى آدم ثورا احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق عن جبينه فهو شقاوه الذي قال الله تعالى • وقيل
لما اهبط من الجنه كان من اول شقائه ان جبريل عليه السلام انزل عليه
حبات من شعير الجنه فقال يا ادم ازرع هذا فزرع فحرث وزرع
ثم حصد ثم داس ثم ذرى ثم طحن ثم عجن ثم خبز ثم جلس ليأكل بعد التعب
فتقرح زعفه من يده حتى صار اسفل الجبل وجرى وراه آدم
حتى تعب وقد عرق جبينه • قال يا ادم فكذلك رزقك بالشقا والتعب
ورزق ولدك من بعدك في الدنيا انتهى كلام القرطبي • إِنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ
فِيهَا في الجنة وَلَا تَعْرَى عن الملابس لانها معدة ابدا فيها وَأَنَّكَ

وتعبت ص

في زهره الرياض
روى ان جبريل حمل
ادم عليه السلام ملا
حبات من الجنه وزن الحنه ما ساوى بين الف الى ثمان مائه درهم • وقال يا ادم
لكحتان وحراثة • فمن ذلك الوقت يكون الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ص

بالكسر نافع وابو بكر عطفا على ان الاولى وغيرهما بالفتح عطفا
على ان لا تجوع • ومحله نصب بان • فان قلت ان لا تدخل
على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقايمة
مقامها فلم ادخلت عليها • قلت الجواب جوز ذلك للفصل كما
تقول ان في علمي انك جالس لا تطمؤ فيها لا تعطش لوجود الاشبة
فيها ولا تضحى لا يصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس فاهلها
في ظل ممدود كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس • قال
ابو العالية نهار الجنه هكذا واشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر
• قال الزمخشري الشبع والري والكسوة والكن هي
الاء قطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها
له في الجنه وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب
كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا • وذكرها بلفظ النفي لنقايضها
التي هي الجوع والعرى والظماء والضحو ليطرق سمعه باسامي
اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها
كراهة لها انتهى فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة
كما سر اليه • قال الزمخشري فان قلت كيف عدي
وسوس تارة باللام في قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان واخرى
بالى قلت وسوسه الشيطان كولوله الثكلى • ووعوعة
الذيب • وقوقاة الدجاجة فانها حكايات للاصوات
• وحكمها حكم صوت واجرس • ومنه وسوس المبرسم وهو
موسوس والفتح لحن • فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله •

ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقوله حدث اليه واسر اليه قال الشيطان يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه فلا يموت كما قيل لحيز ومن فرس جبريل فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى لا يفنى وهو دليل لقراءة الحسين بن علي رضي الله عنهما وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر قال الامام فخر الدين انه تعالى بين انه عظم ادم عليه السلام بان جعله مسجود الملايكة وبين انه عرفه شدة عداوة ابليس له ولزوجته وانه لعداوته يدعوا الى المعصية التي اذا وقع فيها زالت تلك النعم باسرها ثم انه مع جمع ذلك اتفق منه ومن حوا من الاقدام على الزلة ما اتفق وهذه الواقعة عجيبة لما انه تعالى رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله فلا يخرجنكما من الجنة الاية ورغبه ابليس اضافي دوام الراحة بقوله هل ادلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلى وكان الشيء الذي رغب الله ادم فيه هو الذي رغبه ابليس فيه الا ان الله وقف ذلك على الاجتراس عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها ثم ان ادم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بانه تعالى مولاه وناصره ومربيه وعلمه بان ابليس عدوه حيث امتنع عن السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته كيف قبل في هذه الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بكمال عداوته له واعرض عن قول الله سبحانه

مع علمه

مع علمه بانه ناصره ومربيه ومن تامل في هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الامر ان هذه القصة كالتنبيه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه ثم قال بعد فوسوس اليه الشيطان ثم بين تلك الوسوسة بالتطميع في امرين احدهما قوله هل ادلك على شجرة الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها صار مخلدا بزعمه وثانيهما قوله وملك لا يبلى اي من اكل من هذه الشجرة دام ملكه قال القاضي ليس في الظاهر ان ادم عليه السلام قبل ذلك منه انتهى واختلفوا في الشجرة قيل هي السنبلة قال بعضهم كيف لا يعصي الانسان وقوته من شجرة للعصيان وقيل هو الكرم ولهذا حرمت خمرة على اولاد ادم وقيل شجرة التين ولهذا اقسم الله به وقد تقدم في سورة البقرة فاكلا اي ادم وحوا بادرت حوا الى اكل الشجرة قبل ادم حتى اكلها وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما اكل ادم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواسقته الخمر فادنته اليها فاكل وقال ابن عباس رضي الله عنهما اورثتنا ملك الاكلة حزنا طويلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ادم لما اكل من الشجرة قال الله عز وجل يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوا قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وديتها في الشهر مرتين فرنت حوا عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك منها فبدت لهما سوآتهما عوراتهما فطفقا طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا الا انه للشروع في اول الامر وكاد للدنو منه يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يلزقان الورق بسوآتهما للستر وهو ورق التين وقيل كان

قال السدي في الكتاب بدت لهما سوآتهما اي بدت لكل واحد منهما سوأة صاحبه ولم تبد سوأة كل واحد منهما له ولو بدت لم يكن ليعلم الآخر ما في نفسه ما عليه ولم يكن ليستحي منها لعدم رؤيته لها فقال يبدو منها لعدم

مدة وزرا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما ۞ وقيل كان لباسهما
الظفر فلما اصابا الخطية نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف
الاصابع عن ابن عباس كذا في الكشاف وعصى آدم ربه فغوى
ضل عن الرأي ۞ وعن ابن عيسى خاب ۞ والحاصل ان العصيان وقوع
الفعل على خلاف الامر والنهي ۞ وقد يكون عمدا فيكون ذنبا ۞ وقد
لا يكون عمدا فيكون زلة ۞ فالزلة اسم لفعل وقع على خلاف الامر
من غير قصد الى الخلاف كزلة الماشي في الطين ۞ ثم وصف فعله
بالعصيان حزح فعله من ان يكون رشدا وكان غيا لان الغي خلاف
الرشد ۞ وفي التصريح بقوله وعصى آدم والعدول عن قوله وزل آدم
مزجرة بليغة وموعظة كافة للمكلفين ۞ كانه قيل لهم انظروا واعتبروا
كيف نعيت على النبي عليه السلام حبيب الله زلته بهذه الغلطة
فلا تهاونوا بما يفرط منكم من الصغاير فضلا عن الكباير كذا في المدارك
۞ وقد تقدم في البقرة القول في ذنوب الانبياء ۞ قال القرطبي
وقال بعض المتاخرين من علمائنا والذي ينبغي ان يقال ان الله سبحانه قد اخبر
عن وقوع ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا
بذلك عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا الله منها وتابوا وكل
ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التاويل جملتها وان قبل ذلك احادها
وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي وقعت منهم
على وجه الندور ۞ وعلى وجه الخطا والنسيان ۞ اوتاويل دعى الى ذلك
فهي في غيرهم حسنات ۞ وفي حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو
اقدارهم اذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السايس ۞ واشفقوا

من ذلك

من ذلك مع علمهم بالامن والسلامة ۞ قال
وهذا هو الحق ۞ ولقد احسن الجنيد حيث قال حسنات الابرار سيئات
المقربين ۞ فهم صلوات الله عليهم وان كانوا قد شهدت النصوص
بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبتهم بل قد
تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم
صلوات الله وسلامه عليهم ۞ قال القاضي ابو بكر ابن العربي
لا يجوز لاحد منا اليوم ان يخبر بذلك عن آدم الا اذا ذكره في اثناء قوله
معرفا عنه او قول نبيه ۞ فاما ان يبتدي ذلك من قبل نفسه فليس بجايز
لنا ولا يأتيا الادنون فكيف في ابينا الاقدم الاعظم الاكبر النبي المقدم
الذي عذره الله سبحانه وتاب عليه وغفر له ۞ قال القرطبي فاذا
كان هذا في المخلوق لا يجوز ۞ فالاخبار عن صفة الله سبحانه كاليد والرجل
والاصبع والجنب والنزول للغير ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز ذلك
الا بتدا بشيء من ذلك الا في اثناء قراءة كتابه او سنة نبيه ۞ ولهذا
قال الامام مالك رحمه الله سبحانه من وصف شيئا من ذات الله سبحانه
مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى عنقه قطعت
يده ۞ وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه ذلك بنفسه
۞ وروى الآية واللفظ للبخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا خيبتنا
واخرجتنا من الجنة ۞ فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط
لك التوراة بيده تلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة
فحج آدم موسى ثلاثا ۞ قال المهلب قوله فحج آدم موسى اي غلبه بالحجة

عز وجل

وقال الليث بن سعد وانما صحت الحجة في هذه القصة لادم
على موسى عليهما السلام من اجل ان الله عز وجل قد غفر لادم خطيته
وتاب عليه فلم يكن لموسى ان يعيره بخطية قد غفرها الله له ولذلك
قال ادم انت موسى الذي اتاك الله التورية وفيها كل شي فوجدت فيها
ان الله قد قدر علي المعصية وقدر علي التوبة منها واسقط بذلك
اللوم عني افتلومني انت والله لا يلومني وبمثل هذا احتج
ابن عمر رضي الله عنهما على الذي قال له ان عثمان فر يوم احد فقال ابن عمر
ما على عثمان ذنب لان الله تعالى قد عفا عنه بقوله ولقد عفا الله عنهم
وقد قيل ان ادم عليه السلام اب وليس تعييره من بره ان لو كان
مما يعير به غيره فان الله تعالى قال في الابوين الكافرين وصاحبهما في الدنيا
معروفا ولهذا ان ابرهيم عليه السلام لما قال له ابوه وهو كافر لئن لم
تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك فكيف باب هو نبي
قد اجتباه ربه وتاب عليه وهداه قال القرطبي واما من عمل
الخطايا ولم تاته المغفرة فان العلما مجمعون على انه لا يجوز له الاحتجاج
بمثل حجة ادم فيقول لم تلومني على ان قتلت او زنيت او سرقت
وقد قدر الله ذلك علي والامة مجمعة على جواز حمد المحسن على
احسانه ولوم المسي على اساته وتعديد ذنوبه عليه قال
القرطبي وقوله غوى اي فسد عليه عيشه حكاه النقاش واختاره
القشيري قال القرطبي وسمعت شيخنا الاستاذ المقرى ابا جعفر
القرطبي يقول فغوى ففسد عيشه بنزوله الى الدنيا والغي الفساد
وهو تاويل حسن وهو اولى من تاويل من يقول ان فغوى معناه ضل
من الغي

من بر الابن ان يعير الاب بما يعيره

بكاوه حتى سلي جبريل معه لبكايه ويقول له ما هذا البكا يا ادم فيقول وكيف لا ابكي وقد اخرجت من دار
النعمة الى دار البوس وقال له بعض ولده لقد اذيت اهل الارض ببكايك فقال انما ابكي على اصوات
الملايكة حول العرش وفي رواية انما ابكي على جوار ربي في دار تربتها طيبة اسمع فيها اصوات الملايكة
وفي رواية قال ابكي على دار لو رايتها لزهقت نفسك شوقا اليها وروى انه قال لولده كنا
نسلا من نسل السما خلقنا لخلقهم وغذانا بغذايهم فسبانا عدونا ابليس فليس لنا فرحة ولا
راحة الا الهم والعنا حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها فحي على جنات عدن فانها منازلكم
الاولى وفيها المخيم ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود لها ونسلم

من الغي الذي هو ضد الرشد وقيل معنى قوله فغوى اي جهل
ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وعن بعضهم فغوى
فبشم من كثرة الاكل قال الزمخشري وهذا وان صح على لغة من يقلب
الياء المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو
طي تفسير خبيث قال القشيري قال القوم يقال عصى ادم
وغوى ولا يقال له عاص ولا غاو كما ان من خاط مرة يقال له خاط
ولا يقال له خياط ما لم تتكرر منه الخياطة وقيل يجوز للسيد
ان يطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره ان يطلقه وهذا
تكلف وما اضيف من هذا الى الانبيا فانه يكون صغاير او ترك
الاولى او قبل النبوة وهذا حسن قال الامام ابو بكر
ابن فورك كان هذا من ادم قبل النبوة ودليل ذلك قوله ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتبا والهداية كانا بعد العصيان
واذا كان هذا قبل النبوة فجايز عليهم الذنوب وجها واحدا لان
قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم فاذا بعثهم الله الى خلقه وكانوا
مامونين في الادا معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب وهذا
نفيس انتهى كلام القرطبي **ثم اجتباه ربه** قربه الله واصطفاه وقرى
به **فتاب عليه** قبل توبته **وهدى** وهداه الى الاعتذار والاستغفار
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكا اهل
الدنيا الى بكا داود عليه السلام كان بكاوه اكثر ولو جمع كل ذلك
الى بكا نوح لكان بكاوه اكثر ولو جمع كل ذلك الى بكا ادم
صلوات الله عليه على خطيته كان بكاوه اكثر قال وهب

١٠٤

لما كثر بكاؤه امره الله عز وجل ان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوآ وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين فقالها ادم ثم قال قل لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوآ وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين ثم قال قل لا اله الا انت عملت سوآ وظلمت نفسي فاغفر لي فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم قال ابن عباس هذه الكلمات التي تلقاها ادم من ربه ثم قال في زهرة الرياض في بكا الانبيا عليهم السلام وان شعيبا عليه السلام بكى من الشوق بضعا مائة سنه حتى عمي فرد الله اليه بصره بعد ما بكى مائة سنه كذلك ثلاث مرات ثم ان الله تعالى اوحى اليه ان اردت الجنه فلك ذلك وان اردت الامان من النار فالامان لك وان اردت الحور فلك فقال لا يا جبريل ولكن ابكي شوقا الى الله تعالى فقال الله تعالى قل له يا جبريل فابكي حتى يلقاني لا حيلة لك في هذا سوى لقائي فوعزتي وجلالي بهذه المحبة التي احببتني لاخدمنك نبيا من الانبيا وصفيا من الاصفيا عشرين سنين فقبض الله له نبيه وكليمه موسى عليه السلام حتى رعى غنم شعيب عشر سنين كرامة له من الله لمحبته لله وآدم عليه السلام بكى على الجنه مائتي عام والجنه باقيه ولذلك لم يذهب بصره وورد ان ادم عليه السلام بكى على ساحل البحر فزعموا ان صدقته كانت تنفع فوق الما فاذا قطر من دموع ادم في الصدفه انعمس فيقال ان الدر من دموع ادم عليه السلام وكان يجلس ويبكي ويضع يده على وجهه وعينيه وينادي ويبكي حتى رحمته

الملايكه

الربيع

الملايكه فينزلون من السما ويجلسون حوله ويبكون معه ولما يرفع آدم راسه الى السما حيآ من الله تعالى وكلما قطر من دموعه على الارض فطرة نبت منها نبات يصلح لمرض من دوآ مثل الزنجبيل والقرنفل والدارصيني وما اشبه ذلك واما بكا يعقوب عليه السلام فبكى على يوسف اربعين سنه وهو شيخ فان ولذلك ذهب بصره فلما حبس يوسف بنيامين اخاه بالسرقه كتب يعقوب الى يوسف وهو لا يعلم انه يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف من يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الى عزيز مصر سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانا اهل بيت مولع بنا اسباب البلايا كان جدي ابرهيم القي في النار في طاعة ربه فجعل الله عليه بردا وسلاما وامر الله جدي ان يذبح ابي ففداه الله وكان لي ابن من احب الناس الي فقدته فاذهب حزني عليه نور بصري وكان له اخ من امه كنت اذا ذكرته ضممته الى صدري فاذهب عني بعض وجدي وهو المحبوس عندك في السرقه وانى لم اسرق ولم الد سارقا فلما قرا يوسف عليه السلام الكتاب بكى وصاح وقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا انتهى قال في زهرة الرياض لما علم ادم عليه السلام اسماء المخلوقات فوجد به الرياسه وسجود الملايكه وسليمان علم منطق الطير والفهم فوجد المملكه وتسخير الريح والهدهد علم الماء فوجد النجاه من الذبح ورياسة الطيور وتاجها على راسه ويوسف علم الرويا فوجد النجاه من السجن والنبوه ايضا كان الله يقول يا مومن

انت علمت التوحيد فاي عجب ان تجد الجنه والروية ايضا ۞ كان
لادم علم الاسما فصار هو رفقا ۞ ولك علم اسما آله السما ۞ افلا تصير
رفقا ۞ وهنا اشارة ۞ ادم عليه السلام اخرج مع نفسه من الجنه
اربعة اشيا ۞ عصى من آس وورقا من التين والبكا والخاتم
۞ فوضع العصى في يد موسى فوجدها النبوه ۞ والورق في الطبي
فنال بها المسك ۞ والخاتم عند سليمان فنال بها الملك ۞ والبكا
للعاصي افلا ينال به الرحمة ۞ قال في زهرة الرياض بعال
كتب قيصر الى ابن عباس رضي الله عنهما بعال هل تجد من المضيف
ان يخرج ضيفه من داره يعني ادم وحوا ۞ فكتب اليه ابن عباس
لم تخرجهما ولكن قال لهما ضعا اللباس واخرجا لقضا الحاجه حيث
اكلتما من الحنطه ۞ كالضيف يذهب الى المستراح ويدع ثيابه
ثم يرجع الى المايدة ۞ الا ترى انه قال له ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى ۞ ان اوقعه ابليس في اسمين عاص وعاق ۞ فان الله
اوقعه في بلاث اسامي حسان ۞ وذلك قوله بعد ثم اجتباه ربه الايه
۞ وقوله ان الله اصطفى ادم ونوحا الايه ۞ وقوله اني جاعل في الارض
خليفة الايه ۞ وما دام في الجنه كان ضيفا فلما هبط صار خليفة
كما قال اني جاعل في الارض خليفة انتهى ۞ قوله فتاب عليه اكتفى
بذكر توبة ادم وقد تيب على حوا ايضا لان حوا كانت تبعا لادم وقد
طوى ذكرها القرآن الشان في اكثر القرآن والسنه كذلك ۞ قال اهبطا
منها جميعا يعني ادم وحوا بعضكم لبعض عدو
بالتحاسد في الدنيا والاختلاف في الدين ۞ وكان الذين هبطوا خمسة

ادم

ادم وحوا وابليس والحيه والطاووس ۞ ويروى ان ادم خرج
من الهند الى مكه اربع مايه مره من ذلك اربعون حجه والباقي عمره
وكان يصل الى حوا الا بعد مايه سنه ۞ فهبط ادم بسرنديب من ارض
ارض الهند على جبل يقال له نود ۞ وحوا بجدة ۞ وابليس بالابلة
والحيه باصبهان ۞ وكان صلى الله عليه وسلم يامر بقتل الحيات ۞ وقال
من تركهن خشية ثارهن فليس منا ۞ وقال ما سالمناهن منذ حاربناهن
۞ قال الزاهدي في تفسيره يروى ان خطاب الهبوط للخمسة ۞
قوله بعضكم لبعض عدو يعني طبعيا واختيارا ۞ اي هذه العداوة
نوعان ديني وطبعي ۞ فمع ابليس ديني ومع الحيه طبعي فلا
ترتفع العداوه مع ابليس ما دام الدين باقيا ۞ ولا ترتفع مع الحيه ما دام
الطبع باقيا انتهى ۞ قال الامام فخر الدين فان قيل

في قوله قلنا اهبطوا منها جميعا ص

قوله اهبطا اما ان يكون خطابا مع شخصين او اكثر ۞ فان كان مع شخص
فكيف قال بعده فاما ياتينكم مني هدى وهو خطاب الجمع ۞ وان
مع اكثر فكيف قال اهبطا وهو خطاب الاثنين فالجواب من
وجهين احدهما قال ابو مسلم الخطاب لادم عليه السلام ومعه
ذريته ۞ ولابليس ومعه ذريته ۞ فمن حيث انهما جنسان صح قوله
بعد اهبطا ۞ ومن حيث ان كل واحد من هذين الجنسين يشتمل على الكثرة
صح قوله فاما ياتينكم ۞ وثانيهما قال صاحب الكشاف لما كان ادم
وحوا عليهما السلام اصل البشر والسببين اللذين منهما نشؤوا
وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل فاما
ياتينكم على لفظ الجماعة انتهى ۞ فاما ياتينكم مني هدى كتاب وشريعه

فمن اتبع هداي اى دوام عليه حتى مات فلا يضل في الدنيا ولا
يشقى في العقبى • قال ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلى قوله فمن اتبع هداى فلا يضل ولا
يشقى • والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب من ضل في الدنيا
عن طريق الدين • فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن
نواهيه نجى من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري عن القران
فان له معيشة ضنكا ضيقا • وهو مصدر يستوى في الوصف به
المذكر والمونث • عن ابن جبير تسلبه القناعة حتى لا يشبع
• قال الزمخشري فمع الدين التسليم والقناعة والتوكل
على الله تعالى وعلى قسمته • فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة
فيعيش عيشا رافها • كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة • والمعرض
عن الدين مستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد
من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشته ضنك
وحاله مظلمة • كما قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر ربه
الا اظلم عليه وقته • وتشوش عليه رزقه • ومن الكفرة من ضرب
الله عليه الذلة والمسكنة لكفره • قال الله تعالى وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات
الله • وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من
ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم • وقال ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض • وقال
استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا • وقال

وان لو

وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا • وعن الحسن
المعيشة الضنك هو الضريع والزقوم في النار • وعن ابي سعيد الخدري
هو عذاب القبر • قال ابو هريرة يضيق على الكافر قبره حتى تختلف
فيه اضلاعه • وهو المعيشة الضنك • قال القرطبي وهذا القول
هو الصحيح • قال الامام فخر الدين الضنك اما ان يكون في الدنيا
• او في القبر • او في الاخرة • او في الدين • او في الكل • اما
الاول فقد قاله جمع من المفسرين وذلك لان المسلم لتوكله على الله
يعيش في الدنيا عيشا طيبا كما قال فلنحيينه حياة طيبة • والكافر
يكون حريصا على الدنيا فعيشه ضنك وحاله مظلمة • واما
الثاني وهو عذاب القبر • وهو قول عبد الله بن مسعود وابي سعيد الخدري
وعبد الله بن عباس ورفعه ابو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عذاب
القبر • قال والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينا
• قال ابن عباس تدري ما التنين الحية له سبعة رؤس الاسود بن عبد الاسد المخزومي
واما الثالث وهو الضيق في الاخرة • فان طعامهم فيها الضريع والزقوم
وشرابهم الحميم والغسلين • وهذا قول الحسن وقتادة والكلبي • واما
الرابع وهو الصحيح في احوال الدنيا • قال ابن عباس المعيشة الضنك
هو ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشيء منها • واما الخامس
وهو ان يكون في الكل او في الاكثر • يروى عن علي رضي الله عنه انه قال
عقوبة المعصية بلاثة ضيق المعيشة • والنعمة في اللذة • وان لا يوصل
الى قوته الا بمعصية اشهر كلام لفخر الدين • ونحشره يوم القيمة اعمى
عن الحجة • وعن ابن عباس اعمى البصر • وهو كقوله ونحشرهم يوم القيمة

على وجوههم عميا وبكما وصما ۞ وهذا هو الوجه كذا في المدارك ۞
قال القرطبي فصل اعمى في حال وبصيرا في حال وقد تقدم في اخر
سبحان ۞ وفصل اعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشئ منها انتهى
۞ قال الكواشي وفصل انه يحشر من قبره بصيرا ۞ فاذا سيق
الى الموقف انتهى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
في الدنيا ۞ قال القرطبي بأي ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت
بصيرا في الدنيا وكأنه يظن ان لا ذنب له قال كذلك اي
مثل ذلك فعلت انت ۞ ثم فسر فقال اتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى اي اتتك ايانتنا واضحة فلم تنظر اليها بعين
المعتبر وتركتها وعميت عنها ۞ وكذلك اليوم تترك على عماك
ولا تزيل غطاك عن عينك وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن
بآيات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى لما توعد المعرض
عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في
الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى
۞ كأنه قال والحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد على العيش
المنقضي افلم يهد لهم اي الله ۞ بدليل قراءة زيد عن يعقوب
بالنون كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون حال من الضمير
المجرور في لهم في مساكنهم يريد ان قريشا تمر يمشون في مساكن
عاد وثمود وقوم لوط ويعاينون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات
لاولي النهى لذوي العقول اذا تفكروا ان استيصالهم لكفرهم فلا
يفعلون مثل ما فعلوا ولولا كلمة سبقت من ربك اي الحكم بتاخير
العذاب

وزاعمى م

من ضيق م

علم انه تعالى لما بين
حال من اعرض عن ذكره
يوم القيمة اتبعه حال
المكلف في الدنيا من
كذب الرسل فقال م

ر متن الوجه الذي
ه جلة لم ينزل العذاب
ط من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا
فعالك م

العذاب عن امة محمد صلى الله عليه وسلم لكان لزاما لازما ۞ فالزام
مصدر لازم فوصف به واجل مسمى القيمة ۞ وهو معطوف
على كلمة ۞ والمعنى ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم واجل
مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم
القرون الماضية الكافرة ۞ قال الامام فخر الدين والاشبهة
ان الكلمة اخبار الله ملائكته وكتبه في اللوح المحفوظ ان امة
محمد صلى الله عليه وسلم وان كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما فعل
بغيرهم من الاستيصال ۞ واحلفوا فما لاجله اخر العذاب عنهم
۞ فقال بعضهم لانه علم منهم من يومن ۞ وقال اخرون
علم ان في نسلهم من يومن ولو انزل بهم العذاب لعمهم الهلاك
۞ وقال اخرون المصلحة فيه خفية لا يعلمها الا هو انتهى فاصبر
على ما يقولون فيك ۞ امره بعد ما بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه
كاهن ۞ انه كذا الى غير ذلك ۞ والمعنى لا تحتفل بهم فان لعذابهم
وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتاخر ۞ ثم قيل لهذا امنسوخ بآية
القتال ۞ وقيل ليس منسوخا اذ لم يستاصل الكفار بعذابه بالقتال
بل بقي المعظم منهم وسبح ۞ وصل بحمد ربك في موضع الحال
اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبح واعانك عليه
قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر
لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها
ومن اناء الليل فسبح ۞ واطراف النهار اي وتعمد اناء الليل اي
ساعاته ۞ واطراف النهار مختصا لها بصلوتك ۞ وقد تناول التسبح

اي لكان العذاب
لازما لهم

وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء
الرجل والخلو بالرب ۞ وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل
هي اشد وطاء واقوم قيلا ۞ ولان الليل وقت السكون والراحة
فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق ۞ وللبدن
اتعب وانصب ۞ فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله
عز وجل ۞ وقد تناول التسبيح في اناء الليل صلاة العتمة
وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة
الاختصاص ۞ كما اختصت في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة
الوسطى عند بعض المفسرين ۞ فان قلت ما وجه قوله واطراف
النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلاة طرفي النهار
قلت الوجه امن الالباس ۞ وفي التثنية زيادة بيان ۞ ونظير
مجيء الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله
ظهرا لهما مثل ظهور الترسين كذا ۞

اي التثنية والجمع

كذا في الكشاف ۞ وقوله واطراف النهار عطف على قبل ۞ قال
الكواشي للخمس بمعنى الاية صل الصلوات الخمس في اوقاتها ۞ ويجوز ان
يراد حقيقة التسبيح اي سبحه في جميع الاوقات اسنى لعلك ترضى
لعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك ويسر قلبك ۞ وترضى علي وابو بكر اي يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ۞ ومد النظر تطويله
وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا
ان يكون له ۞ كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل

اي اذكر الله في

ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم ۞ حتى واجههم اولوا العلم
والايمان بقولهم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ۞ وفيه
دليل على ان النظر غير الممدود معفو عنه ۞ وذلك مثل نظر من
بادة الشيء بالنظر ثم غض الطرف ۞ ولما كان النظر الى الزخارف
كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه
نظره ۞ ونهيا منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك ۞ اي لا تفعل
ما انت معتاد له وضاربه ۞ ولقد شدد العلماء من اهل
التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الغسقة
في اللباس والمراكب وغير ذلك ۞ لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء ليعيون
النظارة ۞ فالناظر اليها محصل لغرضهم ۞ وكالمغري لهم على اتخاذها
كذا في الكشاف الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ۞
قال الزمخشري ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير والفعل
واقع على منهم ۞ كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم
وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا زينتها وبهجتها ۞ قال الزمخشري
فان قلت علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه
۞ على الذم وهو النصب على الاختصاص ۞ وعلى تضمين متعنا معنى
اعطينا وخولنا ولكونه مفعولا ثانيا له ۞ وعلى ابداله من محل
الجار والمجرور ۞ وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة
لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم
۞ او لنعذبهم في الاخرة بسببه ۞ قال العرطي قال بعض الناس
سبب هذه الاية ما رواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

حادث

قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلني صلى الله عليه وسلم
الى رجل من اليهود فقال قل له يقول لك محمد نزل بنا ضيف ولم يكن عندنا
بعض الذي يصلحه فبعثني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى رجب
فقال لا الا برهن قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه
فاخبرته فقال والله اني لامين في السما امين في الارض ولو اسلفني
او باعني لاديت اليه اذهب بدرعي اليه فنزلت الاية تعزية
له عن الدنيا واعترض ابن عطية على هذا وقال هذا لا يكون سببا
لنزول الاية لان السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر
عمر النبي صلى الله عليه لانه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه
القصة التي ذكرت والما الظاهر ان الاية متناسقة مع ما
قبلها وذلك ان الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة
وتوعدهم بالعذاب الموجل وامر نبيه بالاحتقار لشأنهم
والصبر على اقوالهم والاعراض عن اموالهم وما في ايديهم من الدنيا
اذ ذاك منصرف عنهم صائر الى اخرين قال العوفي
وكذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه مر بابل بني المصطلق وقد علست
باوطابها من السمن فتقنع بثوبه ومضى لقوله عز وجل ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية ثم سلى رسوله صلى الله
عليه فقال ورزق ربك ثوابه وهو الجنة او الحلال الكافي
قال الزمخشري ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الاخرة
الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام
والنبوة او لان امواله المغلب عليها الغصب والسرقة والخرمة

من بعض

اسهر قال الكواشي
عن الامر كعب من لم
يتحزن بعز الله تعالى
تقطعت نفسه حسرات
ومن تبع نفسه ما في
ايدي الناس طال حزنه
وعز ظن ازلحة الله في
مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل
عمله وحضر عذابه انتهى صح

من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب لنفسه الا
ما حل وطاب دون ما حرم وخبث خير وابقى مما رزقوا وامر
اهلك امتك او اهل بيتك بالصلاة واصطبر انت دائم عليها اي م
قال العوفي وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه ويدخل في عمومه
جميع امته واهل بيته خصوصا وكان صلى الله عليه بعد نزول
هذه الاية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلي رضي الله عنهما
فيقول الصلاة ويروى ان عروة بن الزبير رضي الله عنه
كان اذا راى شيا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله
فدخله وهو يقرا ولا تمدن عينيك الاية الى قوله وابقى ثم ينادي
الصلاة الصلاة ويقول الصلاة يرحمك الله ويصلي وكان عمر بن الخطاب
يوقظ اهله لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية انتهى لا نسألك
رزقا اي لا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك
واياهم قال الزمخشري وامر اهلك بالصلاة اي اقبل انت
مع اهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم
ولا تهتموا بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن
ارزقوك ولا نسالك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك
لامر الاخرة وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله
في عمله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصاب اهله
خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله يتلو هذه
الاية وعن مالك بن دينار مثله وفي بعض المسانيد كان صلى الله
عليه وسلم اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلى هذه الاية

امر الله في رسوله

وقد قال الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق والعاقبة
للتقوى اى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين
وقالوا اى الكافرون لولا يأتينا بآية من ربه هلا يأتينا
محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته ۞ افترحوا على عادتهم
في التعنت آية على النبوة ۞ قال الامام فخر الدين او هموا بهذا
الكلام انه تعالى يكلفهم الاتيان من غير آية ۞ وقالوا في موضع
آخر لولا يأتينا بآية كما ارسل الاولون ۞ فاجاب الله سبحانه
عنه بقوله اولم تأتهم بالتاء مدني وبصري وحفص ۞ الباقون اولم
يأتهم بالياء بينة ما في الصحف الاولى الكتب المتقدمة ۞ يعني
انهم اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة ۞ وقيل لهم
اولم تأتكم آية هو اكبر الايات واعظمها في باب الاعجاز ۞ يعني القرآن
من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل
صحته لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادته
على صحة ما فيها ۞ ومعناه بعد تبين انه ازاح لهم كل عذر وعلة
في التكليف فقال ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من
قبل الرسول ۞ او قبل القرآن لقالوا ربنا لولا هلا ارسلت
الينا رسولا والمراد كان لهم ان يقولوا ذلك فيكون عذرا لهم
فاما الآن فقد ارسلناك وبينا على لسانك لهم ما عليهم وما لهم
فلا حجة لهم البتة بل الحجة عليهم فنتبع بالنصب لانه جواب
الاستفهام آياتك من قبل ان نذل بنزول العذاب ونخزى

ال الامام فخر الدين
علم انه ليس في الآية
رخصة في ترك الكسب
انه تعالى قال في وصف
المنافقين رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله
ص

ان البينة في معنى
البرهان ص

سلة
عجز القرآن معجزة وسائر الكتب
الله ليست معجزة ۞

2 العقبى

في العقبى ۞ روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود
۞ قال يقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا كتاب
لم تأتنا ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا الآية ۞ ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا اعقل
به خيرا ولا شرا ۞ ويقول المولود رب لم ادرك العمل فيرفع
لهم نار ۞ فيقال ردوها وادخلوها ۞ قال فيردها ويدخلها من كان
في علم الله سعيدا لو ادرك العمل ۞ ويمسك عنها من كان في علم الله
شقيا لو ادرك العمل ۞ فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف رسلي
لو اتتكم ۞ ذكره القرطبي ۞ قال اهل السنة الآية تدل على ان
الوجوب لا يتحقق الا بالشرع اذ لو تحقق قبل الشرع لكان العقاب
حاصلا قبل مجيء الشرع وهو خلاف الآية ۞ ثم انه تعالى ختم السورة
بطرف من الوعيد فقال قل لهم يا محمد كل كل واحد منا
ومنكم متربص منتظر للعاقبة وما يؤول اليه امرنا وامركم
فتربصوا انتم فستعلمون اذا جاءت القيمة من اصحاب مبتدا
وخبره ومحلهما نصب الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى
الى التعبير المقبول ۞ قال الامام فخر الدين قل كل متربص اي منتظر
وهذا الانتظار يحتمل ان يكون قبل الموت وان كل واحد من الخصمين
ينتظر موت صاحبه ۞ ويحتمل ان يكون بعد الموت ۞ وهو ظهور امر
الثواب والعقاب فانه يتميز في الآخرة امر المحق من المبطل بما
يظهر على المحق من انواع كرامة الله سبحانه ۞ وعلى المبطل من انواع

حديث
في الفت

وهذا على سبيل
والزجر ص

اهانته ۞ قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار ۞ رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابي بن كعب وحاله معروف ۞ وقال صلى الله عليه وسلم لا يقرا اهل الجنة من القرآن الا طه ويس رواه الثعلبي من حديث الحسن مرسلا والله اعلم ۞

سورة الانبياء عليهم السلام

مكية في قول الجميع ۞ وهي مائة واثنتا عشرة اية كوفي ۞ واحدى عشرة مدني وبصري ۞ قال ابن مسعود رضي الله عنه الكهف ومريم وطه والانبياء من العتاق الاول وهن من تلادي ۞ يريد من قديم ما كسب وما حفظ من القرآن كالمال التلاد ۞ وروى ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به في يوم نزول هذه السورة ۞ فقال الذي يبني الجدار ما اذا نزل اليوم من القرآن فقال الاخر نزل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يديه من البنيان وقال والله لا بنيت ابدا وقد اقترب الحساب كذا ذكره القرطبي ۞

بسم الله الرحمن الرحيم ۞

نزل في منكري البعث قوله اقترب دنا للناس اللام صلة اقترب ۞ قال ابن عباس المراد بالناس المشركون بدليل قوله الا استمعوه وهم يلعبون الى قوله افتاتون السحر وانتم تبصرون ۞ وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه بالدليل القاطع وهو ما يتلوه من صفات المشركين ۞ وقيل الناس عموم وان كان المشار اليه

ومائة وثمان وستون كلمة الالف وثمان مائة وستون حرفا

رجل من

وما يتلوه بعد من صفات المشركين ص

ذلك

في ذلك الوقت كفار قريش ۞ يدل على ذلك ما بعده من الايات كذا في القرطبي

حسابهم ۞ وقت محاسبة الله اياهم ومجازاته على اعمالهم يعني يوم القيمة ۞ قال الزمخشري والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ۞ ونحوه واقترب الوعد الحق ۞ قال الامام فخر الدين والقرب لا يعقل الا في الزمان والمكان ۞ والقرب المكاني هنا ممتنع فتعين القرب الزماني ۞ فان قلت كيف وصف بالاقتراب ۞ وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمس مائة عام قلت هو مقترب عند الله ۞ والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ۞ ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب ۞ وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ۞ ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل ابتعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في اخر الزمان ۞ وقال بعثت في نسم الساعة ۞ رواه البزار في مسنده وابو نعيم في الحلية ۞ والنسم جمع نسمة اي في ذوي ارواح خلقوا بقرب الساعة ۞ وروى الترمذي من حديث المستورد بن شداد بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه لاصبعيه السبابة والوسطى وقال حديث غريب ۞ وفي خطب بعض المتقدمين من ولت الدنيا حذاء ولم يبق الا كصبابة الاناء فاذا كانت بقيته وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمها كانت خليقة بان توصف بالقلة

فالذي بقي من الشاعر ما تحوه اقرب من غير ما مضى ص

اي خفيفة وهو الخفيف الشيء ص

وقصر الذبح كذا في الكشاف ۞ قال القرطبي ومن علم
اقتراب الساعة قصر امله وطابت نفسه بالتوبة ولم يركن الى الدنيا
وكان ما كان لم يكن اذ اذهب وكل آت قريب ۞ والموت لا محالة آت
۞ وموت كل انسان قيام الساعة انتهى ۞ قال البرهان النسفي
اعلم اولا بان اتصال هذه السورة بما قبلها لاشتراكهما في ذكر ما
يكون فيه التسلي للرسول صلى الله عليه وسلم من قصص الانبياء واحوالهم
مع المتمردين الذين اعرضوا عن الحق واصروا على الباطل مع الدلائل
الظاهرة والبراهين الباهرة على التوحيد والنبوة والمعاد ۞ واما
نسبة الاول بالاخر فهي ظاهرة لانه تعالى اخبر في اخر تلك السورة
عن التربص وهو انتظار عاقبة الامر كما تقدم ۞ وفي اول هذه السورة
عن اقتراب العاقبة بقوله اقترب للناس حسابهم انتهى ۞ قال
الامام فخر الدين انما ذكر الله تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصالح
للمكلفين فيكون اقرب الى التلافي للذنوب والتحرز منها خوفا من ذلك
۞ وانما لم يعين الوقت لاجل اركتمانه اصلح كما ان كتمان وقت
الموت اصلح انتهى ۞ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عن حسابهم وعما يفعل بهم
ثُمَّ مُعْرِضُونَ عن التاهب لذلك ۞ فالاقتراب عام والغفلة
والاعراض بتفاوت المكلفين ۞ فرب غافل عن حسابه لاستغراقه
في دنياه ۞ واعراضه عن مولاه ۞ ورب غافل عن حسابه لاستهلاكه
في مولاه واعراضه عن دنياه ۞ فهو لا يفيق الا برؤية المولى ۞
۞ والاول انما يفيق في عسكر الموتى ۞ فالواجب عليك ان تحاسب
نفسك قبل ان تحاسب ۞ وتتنبه للعرض قبل ان تنبه ۞ وتعرض

اول هذه السورة
اخر السورة قبلها ان

عن الغافلين ۞ وتشتغل بذكر خالق الخلق اجمعين ۞ لتفوز بلقاء رب
العالمين ۞ كذا في المدارك ۞ قال الزمخشري وصفهم بالغفلة
مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون
في عاقبتهم ۞ ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقضاء
عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء ۞ واذا قرعت اسماعهم العصا
ونبهوا عن سنة الغفلة وقطعوا ذلك بما يتلى عليهم من الايات
والنذر اعرضوا واستدوا اسماعهم ونفروا انتهى كلامه مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ
مِنْ رَبِّهِمْ شيء مِنَ القرآن مُحْدَثٍ في التنزيل اثباته ۞ مبتدأ تلاوته
قرب عهده باستماعهم كذا ۞ والمراد به الحروف المنظومة ۞ ولا
خلاف في حدوثه كذا في المدارك ۞ قال القرطبي مُحْدَثٍ اي في النزول
وتلاوة جبريل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ۞ فانه كان ينزل سورة
بعد سورة واية بعد اية كما كان ينزل الله عليه في وقت بعد وقت
لا ان القرآن مخلوق ۞ وقال مِنْ رَبِّهِمْ لان النبي صلى الله عليه وسلم
لا ينطق الا بالوحي ۞ فوعظ النبي صلى الله عليه وسلم وتحذيرهم ذكر ۞ وهو
مُحْدَثٍ ۞ قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر ۞ وقال الذكر الرسول
نفسه بدليل ما في سياق الاية ۞ وهل هذا الا بشر مثلكم ۞ ولو اراد
بالذكر القرآن لقال هل هذا الا اساطير الاولين ۞ ودليل هذا التاويل
قوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ۞ يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم ۞ وقال وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ۞ وقال قد انزل
الله اليكم ذكرا رسولا انتهى كلام القرطبي ۞ اِلَّا اسْتَمَعُوهُ من النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يتلوه ۞ وَهُمْ يَلْعَبُونَ يستهزئون به

وهوم

لاهية حال من ضمير يلعبون ○ او هم يلعبون ولاهية حال من الضمير في استمعوه ○ ومن قرأ لاهيه بالرفع يكون خبرا بعد خبر لقوله وهم ○ وارتفعت قلوبهم بلاهية ○ وهو من لهى عنه اذا ذهل وغفل ○ والمعنى قلوبهم غافلة عما يراد بها ومنها ○ وقال ابو بكر الوراق القلب اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرتها الغافل عن الاخرة واهوالها كذا في المدارك ○ وقال الامام فخر الدين وانما قدم ذكر اللعب على اللهو كما في قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذي معناه الذهول السخرية والاستهزاء معلل باللهو الذي معناه الذهول والغفلة ○ واسروا بالواو في اخفاء النجوى وهو اسر من التناجي ○ ثم ابدل الذين ظلموا من واو واسروا ايذانا بانهم الموصوفون بالظلم فيما اسروا به ○ او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث ○ او هو مجرور المحل لكونه صفة او بدلا عن الناس ○ او منصوب المحل على الذم ○ او هو مبتدا خبره واسروا النجوى فقدم عليه اى والذين ظلموا اسروا النجوى ○ قال الامام فخر الدين الرازي فان قلت النجوى اسم من التناجي ولا يكون الا خفية فما معنى قوله واسروا الجواب معناه بالواو في اخفائها وجعلوا بحيث لا يفطن احد لتناجيهم هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اى اسروا هذا الحديث ○ ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا والتقدير واسروا النجوى وقالوا هذا الكلام ○ قال في المدارك والمعنى

كذا في المدارك ح

انهم اعتقدوا ان الرسول لا يكون الا ملكا ○ وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزاته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون السحر وانتم تشاهدون تعاينون انه سحر ○ قال الامام فخر الدين طعنوا في نبوته بامرين احدهما انه بشر مثلهم ○ والثاني ان الذي اتى به سحر ○ وكلا الطعنين فاسد ○ اما الاول فلان النبوة يقف صحتها على المعجزات والدلائل لا على الصور والمال والجاه ○ فاذا ظهرت المعجزات والدلائل على من هو بشر وجب ان يكون نبيا ○ بل الاولى ان يكون المبعوث الى البشر بشرا لان المرء الى القبول من اشكاله اقرب ○ واما الثاني فلانه صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن وهو كان يتحداهم به من مدة من الزمان حالا بعد حال وهم ارباب الفصاحة واللاغة ○ وكانوا في نهاية الحرص على ابطال امره ○ فلما لم يقدروا على المعارضة دل ذلك على انه في نفسه معجز وانهم عرفوا حاله فكيف يجوز ان يقال انه سحر بعد معرفتهم صدق كلامه ○ الا انهم كانوا يموهون على ضعفائهم بمثل هذا القول وان كانوا في انفسهم وكابرين انتهى كلامه قال ربي قرأ حمزة وعلي وحفص ○ اى قال محمد ○ وغيرهم قل ربي اى قل يا محمد للذين اسروا النجوى يعلم القول في السماء والارض اى يعلم قول كل قائل هو في السماء والارض سرا كان او جهرا ○ قال الامام فخر الدين انه تعالى لما اورد هذا الكلام عقيب ما حكى عنهم وجب ان يكون كالجواب لما قالوه ○ فكانه قال انكم وان اخفيتم ما عندكم من الطعن فان ربي عالم بذلك ○ قال في الكشاف فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى

قله القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم العلم
بالسر وزياده فكان الاكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان
يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول
يعلم سرهم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته فكيف
تخفى عليه خافيه قال قله فلم ترك الاكد في سورة
الفرقان في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
قله ليس بواجب ان يجئ بالاكد في كل موضع ولكن
يجئ بالوكيد تاره وبالاكد اخرى كما جئ بالحسن في موضع
وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افنانا ويجمع الغايه وماذونها
على ان اسلوب تلك الايه خلاف اسلوب هذه من قبل انه
قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم
ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغه وكرر قصد وصف ذاته
بان انزله الذي يعلم السر في السموات والارض فهو كقوله علام
الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذره انتهى قال
الامام فخر الدين وهو السميع لاقوالهم العليم بما في ضمايرهم
انما قدم السمع على العلم لانه لا بد من سماع الكلام اولا ليحصل
العلم بمعناه بل قالوا اضغاث احلام اباطيلها واها ويلها رآها
في النوم بل افتراه بل هو شاعر ليعتبروا بالشعر عن الكذب وبالشاعر
عن الكذاب لكون الشعر مقر الكذب ومنه احسن الشعر اكذبه
قالوا والمرء شاعر متدين صادق اللهجة مفلق في شعره وزعم
بعضهم انه جاء بكلام متفق كالشعر ويتبع من ذلك ما يشبه الموزون

نحو وجفان كالجوابي وقدور راسيات ونحو تبت يدا ابي لهب
وتب وهذا ظاهر انه ليس على اساليب الشعر ولم يشكل
ذلك على بعض العجم فضلا عن فصحاء العرب كذا في الكواشي قال
الزمخشري اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام
رآها في نومه فتوهمها وحيا من الله اليه بل الى انه كلام مفترى
من عنده بل الى انه قول شاعر وهكذا الباطل الخلج (ص اي مضطرب)
والمبطل متحير رجاع غير ثابت عاقول واحد قال
ويجوز ان يكون تنزيلا من الله بعد لاقوالهم في درج الفساد
وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني
وكذلك الرابع من الثالث انتهى فليأتنا بآية بمعجزة كما ارسل
الاولون كما ارسل من قبل باليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه
واحياء الموتى قال الزمخشري وصحة التشبيه في قوله كما ارسل
الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان ارسال
الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل
محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجزة فرد الله عليهم قولهم بقوله
ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها عند مجيء
الايات المقترحة لانهم طلبوها تعنتا وجملة اهلكناها صفة
قرية افهم يؤمنون اي اولئك لم يؤمنوا بالايات لما انتهم
افيؤمنون هؤلاء المقترحون لو اتيناهم بما اقترحوا مع انهم اعتى منهم
والمعنى ان اهل القرية المهلكة اقترحوا على انبيائهم الايات
وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله

قلوا اعطينا هولآ ما يقترحون لنكثوا ايضا انتهى ۞ قال
الامام فخر الدين انه بعد بداءة بالجواب عن السوال الاخير بقوله
ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يومنون ۞ قال
الحسن اعلم انهم لما اجابوا لان حكم الله ان من كذب بعد الاجابة ينزل
به عذاب الاستيصال وذلك منسوخ في حق هذه الامة
انتهى وما ارسلنا قبلك الا رجالا هذا جواب قولهم هل هذا
الا بشر مثلكم نوحي اليهم نوحي حفص فاسئلوا اهل الذكر
العلماء بالكتابين فانهم يعترفون ان الرسل الموحى اليهم كانوا
بشرا ولم يكونوا ملايكة ۞ وكان اهل مكة يعتمدون على قولهم
۞ وسماهم اهل الذكر لانهم كانوا يذكرون خبر الانبيا
مما لم تعرفه العرب ۞ وكان كفار قريش يراجعون اهل الكتاب
في امر محمد صلى الله عليه وسلم ۞ قال القرطبي وقال ابن زيد
اراد بالذكر القرآن اي فسئلوا المومنين العالمين من اهل القرآن
۞ قال جابر الجعفي لما نزلت هذه الاية قال علي رضي الله عنه
نحن اهل الذكر وقد ثبت بالتواتر ان الرسل كانوا من البشر
فالمعنى لا تبدوا بالانكار وبقولكم ينبغي ان يكون الرسول
من الملايكة بل ناظروا المومنين ليبينوا لكم جواز ان يكون الرسول
من البشر والملك لا يسمى رجلا لان الرجل يقع على ما له ضد
من لفظه تقول رجل وامراة ورجل وصبي ۞ فقوله الا رجالا
يوحى اليهم اي من بني ادم انتهى كلام القرطبي ان كنتم لا تعلمون
ذلك ۞ قال القرطبي لم يخالف العلما ان العامة عليها

تقليد

بجيل ۞

بقوله ولو لا كان سبقت من ربك لكان لزاما كما تقدم ۞

تقليد علمائها ۞ وانما المراد بقول الله عز وجل فسالوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون ۞ واجمعوا على ان الاعمى لا بد له من تقليد غيره
ممن يثق به بمعرفة القبلة اذا اشكلت عليه ۞ وكذا من لا علم له
بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه ۞ وكذلك لم يخالف العلما
ان العامة لا يجوز لها الفتيا لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل
والتحريم انتهى ۞ ويبين تعالى انه كمن تقدمه من الانبيا وانه لم يجعل
الرسل جسدا لا ياكلون الطعام بقوله وما جعلناهم جسدا
احد الجسد لارادة الجنس لا ياكلون الطعام صفة لجسدا يعني
وما جعلنا الانبيا قبله ذوي جسد غير طاعمين وهو رد لقولهم
وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق كانهم
قالوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد ۞ معتقدين ان الملايكة لا يموتون
۞ او مسمين حيوتهم المتطاولة وبقاءهم المتمد خلودا ثم صدقناهم
الوعد بانجائهم ۞ والاصل في الوعد مثل واخبار موسى قومه
اي من قومه فانجيناهم مما حل بقومهم ومن نشاء
هم المومنون بهم ۞ قال المفسرون المراد به تقدم وعده تعالى بانه انما يهلك
بعذاب الاستيصال من كذب الرسل دون نفس الرسل ودون
من صدق بهم واهلكنا المسرفين المجاوزين الحد بالكفر
اي اهلكناهم بعذاب الاستيصال ۞ وليس المراد عذاب الاخرة
لانه اخبار عما مضى ۞ ودل الاخبار باهلاك المسرفين على ان من نشاء
غيرهم كذا في المدارك لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا
فيه ذكركم اي شرفكم ان عملتم به ۞ كقوله تعالى وانه لذكر لك

وما كانوا خالدين هم

وصيتكم هم

ولقومك ه اولانه بلسانكم ه اوفيه ذكر دينكم ودنياكم ه كذا في المدارك ه قال الزمخشري اوالمعنى فيه موعظتكم ه اوفيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك انتهى ه وجملة فيه ذكركم صفة لكتابا افلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون ه اعلم انه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات وكانت ظاهرة السقوط جدا لان شرائط الاعجاز لما ثبتت في القرآن ظهر لكل عاقل كونه معجزا وعند ذلك ظهر ان اشتغالهم بايراد تلك الاعتراضات كانت لاجل الدنيا وحب الرياسة فبالغ سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال وكم نصب بقوله قصمنا اي اهلكنا من قرية اي اهل قرية بدليل قوله كانت ظالمة اي كافرة ه وهذه الاية واردة عن غضب شديد ه ومنادية على سخط عظيم لان القصم اقطع الكسر ه وهو الكسر الذي يبين الاجزاء ه بخلاف الفصم فانه كسر بلا ابانة ه قال الزمخشري وعن ابن عباس ان القرية هي حضور ه وهي وسحول قريتان باليمن تنسب اليهما الثياب ه وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين ه وروي حضوريين انتهى ه قال الشيخ ولي الدين ابو زرعة الحديث الاول رواه الائمة الستة من حديث عائشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ه قال ابو زرعة ولم اجده بلفظ الشبية ه والحديث الثاني رواه الدارقطني في العلل من حديث ابن عمر

نفس

كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين حضوريين وثوب حبرة انتهى ه قال الزمخشري بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستأصلهم ه وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى منادٍ من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطاء وذلك حين لم ينفعهم الندم ه قال الزمخشري وظاهر الاية على الكثرة ه ولعل ابن عباس ذكر حضور بانها احدى القرى التي اراد الله بعد هذه الاية فلما عاينوا شدة عذابنا وطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا انتهى ه قال العرطي قال اهل السير والاخبار انه اراد بالقرية اهل حضور ه وكان بعث اليهم نبي اسمه شعيب بن ذي مهدم ه وقبر شعيب هذا باليمن بجبل يقال له صبر كثير الثلج ه وليس بشعيب صاحب مدين لان قصة حضور قبل مدة عيسى عليه السلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام ه وانهم قتلوا نبيهم ه وقيل اصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حضور بارض الحجاز من ناحية الشام ه فاوحى الله الى ارميا ان ايت بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته على ارض العرب ه واني منتقم بك منهم ه واوحى الى ارميا ان احمل معد بن عدنان على البراق الى ارض العراق كيلا تصيبه النقمة والبلاء معهم ه فاني مستخرج من صلبه نبيا اخر الزمان اسمه محمد صلى الله عليه وسلم محمد معدا وهو ابن اثنتي عشرة سنة ه فكان مع بني اسرائيل الى ان كبر ه وتزوج امرأة منهم اسمها معونة ه ثم ان بخت نصر تهدد بالجيوش وكمن للعرب فرمكان ه وهو اول من اتخذ المكامن

في هذا وقفت على ما نقله ابن الاستقامة

فما ذكروه ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى وخرب العامر
ولم يترك لحضور اثرا ثم انصرف راجعا الى السواد انتهى كلام
القرطبي **وأنشأنا** خلقنا **بعدها قوما آخرين** فسكنوا مساكنهم
فلما أحسوا اى المهلكون **بأسنا** عذابنا اى علموا علم حس ومشاهدة
إذا هم منها من القرية **وإذا** للمفاجاة **وهم** مبتدا **والخبر يركضون**
يهربون مسرعين **والركض** ضرب الدابة بالرجل فيجوز ان يركبوا
دوابهم يركضونها هاربين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب
ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين
الراكضين لدوابهم فقيل لهم **لا تركضوا** فالقول محذوف قال
الزمخشري فان قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض
الملائكة ناداهم لما استهزءوا لا تركضوا استهزاء بهم
او القائل من ثم من المومنين او يجعلون خلقاء بان يقال لهم
ذلك وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته ليشفي صدورهم
في دينهم او يلهمهم ذلك فيجد ثوابه انفسهم نفوسهم كذا في الكشاف
وارجعوا إلى ما أترفتم فيه نعمتم فيه من الدنيا ولين العيش
والاترافُ ابطارُ النعمة وهو التنوفة قال الخليل
المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همته **ومساكنكم لعلكم**
تسألون اى يقال لهم استهزاء بهم ارجعوا الى نعمتكم ومساكنكم
لعلكم تسالون غدا عما جرى عليكم وتزال باموالكم فتجيبوا السايل
عن علم ومشاهدة او المعنى ارجعوا واجلسوا كما كنتم في
مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يشاء لكم عبيدكم وخشمكم ومن

ومن

ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم
بمرتاء مرون وماذا ترسمون وكيف نأتي وندر كعادة المنعمين
المخدمين او المعنى يسأل لكم الناس في انديتكم المعاون في
نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون
بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم او المعنى يسأل لكم الوافدون
عليكم والطماع ويستمطرون سحائب اكفكم اما لانهم كانوا
اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا
بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما اي تهلكم وتوبيخا الى توبيخ كذا في الكشاف
قال في المدارك او قال بعضهم لبعض لا تركضوا وارجعوا
الى منازلكم واموالكم لعلكم تسألون مالا وخراجا فلا تقتلون
فنودي من السماء يا لثارات الانبياء واخذتهم السيوف فتم **قالوا**
يا ويلنا إنا كنا ظالمين اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك
الاشارة الى يا ويلنا **دعواهم** اى دعاءهم قال الزمخشري والدعوى
بمعنى الدعوة قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
فان قلت فلم سميت دعوى قلت لان المولول كانه
يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا اوانك انتهى وتلك مرفوع
على انه اسم ما التي ودعواهم الخبر وبالعكس **حتى جعلناهم حصيدا**
مثل الحصيد اى الزرع المحصود ولم يجمع كما لم يجمع المقدر خامدين
ميتين خمود النار قال الزمخشري شبههم بالحصيد في استيصالهم
واصطلامهم كما تقول جعلتهم رمادا اى مثل الرماد والضمير
المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل

ومن

عليهما جعل تصييرهما جميعا على المفعولية ه قال ولك كيف ينصب
جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد
لا معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين ه ولذلك
معنى قوله جعلنا هم حصيدا خامدين جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود اه ه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
اللعب فعل يروق اوله ولا ثبات له ه ولا عبين حال من فاعل
خلقنا ه المعنى وما سويناهذا السقف المرفوع ه وهذا المهاد
الموضوع ه وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع
والعجايب كما يسوى الجابرة سقوفهم وفرش بهم وسائر زخارفهم
للهو واللعب ه وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية
لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا
مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد ه والمرافق التي لا تحصى
كذا في الكشاف ه وقال في المدارك ما سويناها للهو واللعب
وانما سويناها ليستدل بها على قدرة مدبرها ه وليجازي المحسن
والمسيء على ما تقتضيه حكمته اه ه قال الامام فخر الدين
وجه تعلق هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما بين اهلاك القرية لاجل
تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا
فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ه ينزه ذاته
عن سمات الحدث بقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا اى ولدا اه او
امراة ه كانه رد على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته لاتخذناه
من لدنا من الولدان ه او الحور ه وقيل من لدنا اى من الملائكة

لا من

لا من الانس ه رد الولادة المسيح وعزير ان كنا فاعلين ان كنا
ممن يفعل ذلك ه ولسنا ممن يفعله لاستحالته فرحقنا ه وقيل
هو نفي كقوله وان ادري اى وما كنا فاعلين بل نقذف
بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب ه وتنزيه منه لذاته كانه
قال سبحانا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب
حكمتنا واستعنا بنا عن القبيح ان نقذف اى نرمي ونسلط
بالحق اى بالقرآن على الباطل الشيطان ه او الاسلام على الشرك
او ما الجد على اللعب فيكسره ويدحض الحق الباطل
قال في المدارك وهذه استعارة لطيفة لان اصل استعمال
القذف والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق
على الباطل ه والدمغ لاذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار
له عقلي ه فكانه قيل بل نورد الحق الشبيه بالجسم
القوي على الباطل الشبيه بالجسم الضعيف فيبطله ابطال الجسم
القوي الضعيف انتهى ه قال الزمخشري استعار لذلك القذف
والدمغ تصويرا لابطاله واهداره ومحقه ه فجعله كانه جرم
صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه
فاذا هو اى الباطل زاهق هالك ذاهب ولكم الويل العذاب والاخزاء
مما تصفون الله من الولد ونحوه ه قال ابن عباس الويل واد
في جهنم وله من في السموات والارض خلقا وملكا فاني يكون
له الولد شيء منه له الولد شيء منه ولدا له وبينهما تناف ه ويوقف
على الارض لان ومن عنده منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا

فالمجاهد كل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان ص

العذاب في الاخرة ص

يعنى الملائكة ٥ مبتداء وخبره لا يستكبرون لا يتعظمون عن
عبادته ولا يستحسرون لا يعيون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون حال من فاعل يسبحون ٥ اى تسبيحهم متصل دائم
فى جميع اوقاتهم لا يتخللهُ فترةٌ ٥ بفراغ او بشغل آخر فتسبيحهم
جارٍ مجرى التنفس منّا ٥ قال القرطبى يسبحون الليل
والنهار اى يصلون ويذكرون الله وبين هونه دائما ٥ لا يفترون
لا يتعبون ولا يسأمون ٥ يلهمون التسبيح والتقديس كما
يلهمون النفس ٥ قال عبد الله بن الحارث سألت كعبا
اما لهم شغل عن التسبيح أما يشغلهم عنه شئ ٥ فقال من هذا
فقلت من بنى عبد المطلب فضمنى وقال يا ابن اخى هل تشغلك عن
النفس شئ ان التسبيح لهم بمنزلة النفس ٥ وقد استدل بهذه الاية
من قال ان الملائكة افضل من بنى آدم انتهى كلام القرطبى ٥ وعن
عبد الله بن الحارث بن نوفل قال قلت لكعب ارايت قول الله تعالى
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ٥ ثم قال جاعل الملائكة رسلا
افلا يكون الرسالة مانعة لهم من ذلك التسبيح ٥ وايضا قال اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يشتغلون باللعن حال اشتغالهم
بالتسبيح ٥ اجاب كعب الاحبار وقال النفس لهم كالتسبيح لهم
فكما ان اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا من سائر الاعمال فكذلك اشتغالهم
بالتسبيح لا يمنعهم من سائر الاعمال ٥ قال الامام فخر الدين
الرازى وهذا القياس غير صحيح لانا لا نسلم ان اشتغال النفس انما لم
يمنع من الكلام لان آلة النفس غير آلة الكلام ٥ واما التسبيح

والله

واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال ٥ والجواب
اى استبعادهم ان يخلق الله تعالى لهم السنة كثيرة بعضها
يسبحون الله وبعضها يلعنون اعداء الله ٥ او يقال معنى
قوله لا يفترون عن العزم على اداء فى الاوقات اللائقة به ٥ كما
يقال ان فلانا مواظب على اداء الجماعة لا يشتغل عنها لا يراد به
انه ابدا مشتغل بها ٥ بل يراد انه مواظب على العزم على اداءها فى اوقاتها
انتهى ٥ ثم اضرب عن المشركين منكرا عليهم وموبخا فجاء بام التى
بمعنى بل والهمزة فقال ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون
يحيون الموتى ٥ قال الزمخشرى والهمزة وقد انكرت بالاضراب
عما قبلها والانكار لما بعدها ٥ والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض
ينشرون الموتى ٥ ولعمرى ان من اعظم المنكرات ٥ ان ينشر
الموتى بعض الموات ٥ قال قلت كيف انكر عليهم اتخاذ
آلهة ينشرون وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم ٥ وكيف وهم ابعد
شئ عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل
بانه خالق السموات والارض ٥ ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ٥ وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى
النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيى العظام وهى رميم
٥ وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كتأتى
القدير ٥ فكيف يدعونه للجماد الذى لا يوصف بالقدرة رأسا
قلت الامر كما ذكرت ولكن بادعائهم الالهية يلزمهم
ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر

على كل مقدور ۞ وفيه بابٌ من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل
۞ واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان
الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الاربك آء والاعادة
۞ وقوله من الارض صفة لآلهة لان الهتهم كانت متخذة
من جواهر الارض كالذهب والفضة والحجر وتعبد في الارض
فنسبت اليها كقولك فلان من المدينة اى مدنى ۞ او متعلقا
باتخذوا ۞ وتكون من فيه بيان لابتداء غاية الاتخاذ ۞ قال
الزمخشري فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة
فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على
الانشاء الا هم وحدهم اهـ ۞ وقرا الحسن ينشرون بفتح الياء
وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها اى احياها لو كان فيهما آلهة
الا الله اى غير الله ۞ وصفت آلهة بالا كما وصفت بغير لو قيل
آلهة غير الله ۞ ولا يجوز رفعه على البدل لان لو بمنزلة ان لو ترى
في ان الكلام معه موجب ۞ والبدل غير لا يسوغ الا في الكلام غير
الموجب كقوله تعد ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك ۞ ولا يجوز
نصبه استثناء لان الجمع اذا كان منكرا لا يجوز ان يستثنى منه عند
المحققين لانه لا عموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لو لا الاستثناء
۞ المعنى لو كان يدبر امر السموات والارض آلهة شتى غير الواحد
الذى هو فاطرهما لفسدتا لخربتا لوجود التمانع ۞ وقد قررناه
في اصول الكلام كذا في المدارك ۞ قال حافظ الدين في العقيدة
صانع العالم واحد خلافا للثنوية والنصارى والطبايعية
والافلاكية

اذ لو كان له صانعان لثبت بينهما تمانع وذلك دليل
حدوثهما او حدوث احدهما ۞ فان احدهما لو اراد ان يخلق شخص
واحد حيوة والاخر موتا فاما ان حصل مرادهما وهو محال
او تعطلت ارادتهما وهو تعجيزهما او نفذت ارادة احدهما
دون الاخر وفيه تعجيز من لم تنفذ ارادته ۞ والعاجز منحط عن
درجة الالوهية فيكون حادثا اذ العجز من امارات الحدث ۞
واذا لم يتصور اثبات صانعين كان واحدا ضرورة اهـ ۞ قال
الامام فخر الدين الرازى بعد ان ذكر الدلائل على الوحدانية ۞ اما
الدلائل السمعية على الوحدانية فمن وجوه ۞ احدها قوله تعالى
هو الاول والاخر والاول هو الفرد السابق كما لو قال اول عبد
اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين لم يعتق لان شرط الاول ان
يكون فردا وهذا ليس بفرد ۞ فلما وصف الله سبحانه نفسه اولا بكونه اولا وجب ان يكون فردا
سابقا فوجب ان لا يكون له شريك ۞ وثانيها قوله وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فيقتضى ان لا يكون احد سواه عالما
بالغيب ۞ وثالثها ان الله تعالى صرح بكلمة لا اله الا الله
في سبعة وثلاثين موضعا من كتابه ۞ وصرح بالوحدانية في مواضع
كثيرة كقوله والهكم اله واحد وكل ذلك صرح في الباب ۞ ورابعها
قوله كل شيء هالك الا وجهه حكم بهلاك الكل سواه ۞ ومن عدم
بعد وجوده لا يكون قديما ومن لا يكون قديما لا يكون الها ۞

العقلية ص

وخامسها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقوله ولعلا بعضهم على بعض وقوله اذا لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا وسادسها قوله تعالى وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فهو على كل شيء
قدير ولو كان له شريك لكان ذلك الشريك جالبا للنفع
ودافعا للضر فبطل الحصر المذكور في الاية وقال تعالى في اية
اخرى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو واريدك
بخير فلا راد لفضله وفي اية اخرى قل ارايتم ما تدعون من دون الله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته وسابعها قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به وهذا
الحصر ايضا دليل على نفي الشريك وثامنها قوله الله خالق كل شيء
فلو وجد الشريك لم يكن خالقا فلم يكن فيه فايدة اشهر كلام الامام
فخر الدين ذاته فقال فسبحان الله رب العرش عما يصفون من
الولد والشريك قال فلم اي فايدة في قوله فسبحان الله رب
العرش ولم لم يقتصر على قوله فسبحان الله عما يصفون فالجواب
ان هذه المقالة انما وقعت مع عبدة الاصنام الا ان الدليل الذي
ذكره الله يعم سائر المخالفين فبين انه تعالى بعد ذكر ذلك الدليل نبه
على نكتة خاصة بعبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل
ان يجعل الجماد شريكا في الالهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات
والارض ومدبر الخلائق اجمعين من النور والظلمة والروح والقلم
والذات

والصفات والجماد والنبات وانواع الحيوانات
قاله الامام فخر الدين لا يسأل عما يفعل اي لا يسأل عن شيء من افعاله
لا يقال له لم فعلت لانه المالك على الحقيقة ولو اعترض على السلطان
بعض عبيده مع وجود التجانس وجواز الخطإ عليه وعدم الملك
الحقيقي لاستقبح ذلك وعد سفيها فمن هو مالك الملوك
ورب الارباب وفعله صواب كله اول بان لا يعترض عليه
وهم يسألون لانهم مملوكون خطاءون فما اخلقهم بان يقال لهم
لم فعلتم فكل شيء فعلوه قال في المدارك وقيل وهم
يسألون يرجع الى المسيح والملائكة اي هم مسئولون فكيف يكونون
آلهة والالوهية تنافي المسئولية قال العرطي لا يسأله
الخلق عن قضائه في خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم لانهم عبيده
وقال المعتزلي لا يؤاخذ على افعاله وهم يؤاخذون وروي
عن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له يا امير المؤمنين اي حب ربنا ان نعصى قال لام
قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني الهدى ومنحني الردى
احسن الي ام اساء قال ان منعك حقك فقد اساء وان منعك
فضله فهو فضله يؤتيه من يشاء ولئلا لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بعث الله موسى
عليه السلام وكلمه وانزل عليه التوراة واسمع كلامه قال اللهم انك رب
عظيم لو شئت ان تطاع لاطعت ولو شئت ان لا تعصى ما عصيت
وانت تحب ان تطاع وانت في ذلك تعصى فكيف هذا يا رب فاوحى الله
اليه لا اسأل عما افعل وهم يسألون انتهى ام اتخذوا من دونه آلهة

قال الزجاج المعنى ح

قال ظ

تكوه ان

اعاد التعجب فى اتخاذ الالهة من دون الله لفايدة كما قال فى المدارك
الاعادة لزيادة الافادة ۞ الاول الانكار من حيث العقل
لانه قال ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اى يحيون الموتى
فيهتك ۞ والثانى من حيث النقل اى هاتوا برهانكم من هذه
الجهة ففى اى كتاب نزل هذا فى القران ام فى الكتب المنزله على سايير
الانبيآء اى هل صفحتم الله تعالى بان له شريكا فقيل لمحمد قل هاتوا
برهانكم حجتكم على ذلك ۞ وهذا اما عقلى وهو اياه كما مر ۞ واما
نقلى وهو الوحى وهو ايضا اياه ۞ فانكم لا تجدون كتابا من الكتب
السماوية الا وفيه توحيده وتنزيهه عن الانداد هذا اى القران
ذكر من معى يعنى امتى وذكر من قبلى يعنى امم الانبيآء من قبل ۞ وهو
وارد فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه ۞ فلما لم ينتهوا عن كفرهم
اضرب عنهم وقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق اى القران
وهو نصب بيعلمون ۞ وقرئ الحق اى هو الحق فهم لاجل ذلك معرضون
عن النظر فيما يجب عليهم وما ارسلنا من قبلك من رسول الا
نوحى اليه نوحى غير ابى بكر وحماد انه لا اله الا انا فاعبدون
وحدونى ۞ وهذه الاية مقررة لما سبقها من ايى التوحيد
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه اعلم انه سبحانه لما بين الدلايل
الباهرة على كونه منزها عن الشريك والضد والند اردف ذلك
ببراءته من اتخاذ الولد فقال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
هذه الاية فى خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله واضافوا
الى ذلك انه تعالى صاهر الجن فقال وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا

وذلك من وجهين

كوفى

نسبا ۞ بمعنى انه سبحانه نزه ذاته عن ذلك بقوله سبحانه
۞ ثم اخبر عنهم بانهم عباد بقوله بل عباد مكرمون اى بل هم
عباد مكرمون مشرفون مقربون وليسوا باولاد اذ العبودية
تنافى الولادة لا يسبقونه بالقول اى بقولهم فان سبب اللام
مناب الاضافة ۞ والمعنى انهم يتبعون قوله فلا يسبق قولهم
قوله ولا يتقدمون قوله بقولهم وهم بامره يعملون اى كما ان
قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا مبنى على امره ۞ يعملون عملا لم يومروا
به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم ما قدموا واخروا من
اعمالهم ۞ او ما بين ايديهم الاخرة ۞ وما خلفهم الا الدنيا ۞ او عكس
ذلك ولا يشفعون الا لمن ارتضى اى لمن رضى الله عنه ۞ او من
قال لا اله الا الله ۞ والملايكة يشفعون فى الاخرة كما فى صحيح
مسلم وغيره ۞ وفى الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمومنين ومن
فى الارض كما نص عليه التنزيل على ما ياتى وهم من خشيته مشفقون
خايفون ۞ والشفقة الحذر من ادنى شىء ۞ قال الزمخشرى
مشفقون ۞ اى لا يامنون مكر الله ۞ وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه راى جبريل عليه السلام ليلة المعراج ساقطا
كالحلس من خشية الله ۞ رواه الطبرانى فى الاوسط والبزار
وابن خزيمة فى كتاب التوحيد والبيهقى فى الشعب والدلايل ۞
الحلس ما يبسط تحت خز الثياب ومن يقل منهم من الملايكة
انى اله من دونه ۞ انى مدنى وابو عمرو فذلك مبتدا اى
فذلك القايل خبره نجزيه جهنم والمبتدا والخبر جواب الشرط

غدا ام

قال القرطبي الاشاره بقوله فذلك الى جميع الملائكة
اى فذلك القايل نجزيه جهنم وهذا دليل على انهم وان اكرموا
بالعصمه فهم متعبدون وليسوا مضطرين الى العبادة كما ظنته
بعض الجهال وقد استدل ابن عباس بهذه الاية على ان محمدا
صلى الله عليه وسلم افضل اهل السما والارض انتهى كلام القرطبي
وروى البيهقي في الباب الثالث من شعب الايمان عن ابن
عباس قال ان الله عز وجل فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السما
وعلى الانبيا قالوا يا ابن عباس ما فضله على اهل السما قال ان الله
عز وجل قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال الله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قالوا يا ابن عباس ما فضله على الانبيا قال ان الله تعالى
يقول وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم وارسلناك للناس رسولا فارسله الله تعالى الى الانس
والجن انتهى كذلك نجزي الظالمين الكافرين الذين وضعوا الالهية
في غير موضعها وهذا على سبيل الفرض والتمثيل لتحقق عصمتهم
قال الزمخشري بعد ان وصف كرامتهم يعني الملائكة عليه السلام
وقربهم منه لتهمم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال
السنية والاعمال المرضية فاجا بالوعيد الشديد وانذر
بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض
والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط

عنهم

عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم
شان التوحيد انتهى كلامه قال الامام فخر الدين فهذه
الصفات يعني قوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
الاية تدل على العبودية وتنافي الولادة لوجوه الاول
لما بلغوا في الطاعة الى حيث لا يقولون ولا يعملون عملا الا بامره
فهذه صفات العبيد لا صفات الاولاد وثانيها انه سبحانه
لما كان عالما باسرار الملائكة وهم لا يعلمون اسرار الله وجب ان يكون
الاله هو المستحق للعبادة هو الله الخلق وهذه الدلالة هي نفس
ما ذكر عيسى في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
وثالثها انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى ومن يكون الها وولدا لا يكون
لا يكون كذلك ورابعها انهم على غاية الاشفاق وذلك ليس
الا من صفات العبيد وخامسها ينبهه تعالى بقوله ومن يقل
منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم على ان حال سايير
العبيد المكلفين في الوعد والوعيد فكيف يصح كونهم الها
واحتجت المعتزله بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى على
ان الشفاعه في الاخره لا تكون لاهل الكبائر لانه يتناول في اهل الكبائر
ان الله لا يرتضيهم والجواب ما قال ابن عباس والضحاك
الا لمن ارتضى اي لمن قال لا اله الا الله واعلم ان هذه الاية
من اقوى الدلايل لنا في اثبات الشفاعة لاهل الكبائر لان من قال
لا اله الا الله فقد ارتضاه الله فوجب اندراجه تحت هذه الاية
انتهى كلام الامام فخر الدين قال في المدارك قال ابن عباس

وقتادة والضحاك قد تحقق الوعيد فى ابليس فانه ادعى الالهية
لنفسه ودعى لطاعته نفسه وعبادته انتهى اولم ير الذين
كفروا الخ يريد مكى ان السموات والارض كانتا اى جماعة
السموات وجماعة الارض فلذلك لم يقل كنّ رتقا بمعنى
المفعول اى كانتا مرتوقتين وهو مصدر فلذا صلح ان يقع موقع
مرتوقتين ففتقناهما فشققناهما والفتق الفصل بين
الشيئين والرتق ضد الفتق اعلم انه بعد شرح الآن
فى الدلايل الدالة على وجود الصانع وهذه الدلالة ايضا دالة
على كونه منزها عن الشريك لانها دالة على حصول الترتيب العجيب
فى العالم ووجود الخير يقتضى وقوع الفساد فهذه الدلالة
تدل من هذه الجهة على التوحيد فيكون كالتوكيد لما تقدم
وفيها ايضا رد على عبدة الاوثان من حيث ان الاله القادر
على هذه المخلوقات الشريفة كيف يجوز فى العقل ان يعدل
عن عبادته الى عبادة حجر لا يضر ولا ينفع فهذا وجه تعلق
هذه الاية بما قبلها واعلم انه تعالى ذكر ههنا ستة انواع
من النوع الاول قوله اولم ير الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما انتهى قال الزمخشرى
فان قلت متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك قلت
فيه وجهان احدهما انه وارد فى القرآن الذى هو معجزة فى نفسه
فقام مقام المرئى المشاهد والثانى ان تلاصق الارض والسماء
وتباينهما كلاهما جائز فى العقل فلا بد للتباين دون التلاصق

من مخصص

اى شيئا رتقا

من مخصص وهو القديم سبحانه قال فى المدارك ثم قيل
ان السما كانت لاصقة بالارض لا فصل بينهما ففتقا هما اى فصلنا
بينهما بالهوآ وقيل كانت السموات مرتبقة طبقة واحدة
ففتقها الله وجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتبقة
طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع ارضين وقيل كانت
السما رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر
والارض بالنبات انتهى كلام المدارك قال القرطبى حكى
القتيبى فى عيون الاخبار له عن اسمعيل بن ابى خالد قال فى قول الله
عز وجل اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
قال كانت السما مخلوقة وحدها والارض مخلوقة وحدها
ففتق من هذه سبع سموات ومن هذه سبع ارضين خلق الارض
العليا فجعل سكانها الجن والانس وشق فيها الانهار وانبت فيها
الثمار وجعل فيها البحار وسماها وعا وعرضها مسيرة مائة
عام وغلظها مسيرة خمس مائة عام ثم خلق السانه مثلها فى العرض
والغلظ وجعل فيها اقواما افواههم كافواه الكلاب وايديهم
كايدى الناس واذانهم كاذان البقر وشعورهم كشعور الغنم
فاذا كان عند اقتراب الساعة القى الله الارض الى ياجوج وماجوج
واسمر ملك الارض الركبا ثم خلق السالثة غلظها مسيرة خمس مائة
عام الارض الرابعة خلق فيها ظلمة وعقارب لاهل النار مثل البغال
السود ولها اذناب مثل اذناب الخيل طوال ياكل بعضها بعضا فتسلط
على بنى ادم ثم خلق الخامسة فى الغلظ والطول والعرض فيها سلاسل

نظر هذا القول
قوله بعد والله
الرجع والارض
الصدع ص

ثم خلق م

مثلها م

واغلال وقيود لاهل النار ثم خلق الارض السادسة واسمها ماد
فيها حجارة سود بهر فيها خلقت تربة ادم عليه السلام
تبعث تلك الحجارة يوم القيمة وكل شجر منها كالطود العظيم
وهي من كبريت تعلق في اعناق الكفار فتشتعل حتى تحرق وجوههم
وايديهم وذلك قوله بعد وقودها الناس والحجارة ثم خلق الله
الارض السابعة واسمها غربية وفيها جهنم فيها بابان اسم
احدهما سجين واسم الاخر الفلق فهو مغلق لا يفتح الى يوم
القيمة واما سجين فهو مفتوح واليه ينتهي كتاب الكفار وعليه يعرض اعمال
المايده وقوم فرعون واما الفلق فهو مغلق لا يفتح الى يوم
القيمة وقد مضى في سوره البقره انها سبع ارضين بين كل
ارضين مسيرة خمس مايه عام انتهى كلام القرطبي النوع الثاني
من الدلايل قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الما
كل حيوان قال الزمخشري جعلنا لا يخلو اما ان يتعدى الى
واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الما كل
حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ما او المعنى كانما
خلقناه من الما لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه
كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى
صيرنا كل شيء حي بسبب من الما لابد له منه ومن هذا
نحو من في قوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني
انتهى قال في معالم التنزيل والمفسرون يقولون ان كل
شيء حي فهو مخلوق من الما لقوله والله خلق كل دابة من ما قال ابو العاليه

يعني

يعني النطفة قال قيل قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الما قيل
هذا على وجه التكثير يعني ان اكثر الاحيا مخلوق من الما وبقاوه بالما
انتهى قال الامام فخر الدين لقايل ان يقول كيف قال
خلقنا من المآكل بعض حيوان وقد قال والجان خلقناه من قبل
من نار السموم وجا في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
بعد خلق الملايكة من نور وقال في عيسى عليه السلام اذ قصة م
تخلق من الطين كهيية الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال
في حوا ادم عليه السلام كمثل ادم خلقه من تراب والكواب
اللفظ وان كان عاما الا ان القرينة المخصصة قايمة فان الدليل
لابد وان يكون مشاهدا محسوسا ليكون اقرب الى المقصود وبهذا
الطريق يخرج عنه الملايكة والجن وادم وقصة عيسى لان الكفار لم
يروا شيئا من ذلك قال الامام فخر الدين اختلف المفسرون
فقال بعضهم المراد من قوله كل شيء حي الحيوان فقط وقال
اخرون بل يدخل النبات والشجر لانه من الما صار نابيا وصار فيه
الرطوبة والخضرة والنور والثمر وهذا القول اليق بالمعنى
المقصود لانه كانه قال فتقنا السماء بانزال المطر وجعلنا منه كل
شيء في الارض من النبات وغيره حيا وحجة القول الاول
ان النبات لا يسمى حيا قلنا لانسلم والدليل عليه قوله بعد كيف
يحيي الارض بعد موتها انتهى كلام فخر الدين وقال القرطبي
في قوله وجعلنا من الما كل شيء حي ملاث تاويلات احدها
انه خلق كل شيء حي من الما قاله قتاده الثاني حفظ حيوة كل شيء بالما

حي م

الماء وجعلنا من الماء كل شيء حي قاله قطرب
وقال الكل قد يذكر بمعنى البعض كقوله واوتيت من كل
شيء وقوله تدمر كل شيء والصحيح العموم لقوله عليه السلام
كل شيء خلق من الماء انتهى كلام القرطبي وفي اول كتاب
اللطائف لابن رجب خرج الامام احمد والترمذي وابن حبان
في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله ما
لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل
الاخرة واذا خرجنا من عندك وعافسنا اهلنا وشممنا اولادنا
انكرنا انفسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم
اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم لزارتكم الملائكة في بيوتكم ولو
لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد حتى يذنبوا فيغفر لهم قلت
يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها
قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر
وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها
ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم
قال ابن رجب قوله صلى الله عليه وسلم خلق الخلق من الماء
يدل على ان الماء اصل جميع المخلوقات ومادتها وجميع المخلوقات
خلقت منه وفي مسند الامام احمد من وجه اخر عن ابي هريرة
قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني فانبئني
عن كل شيء فقال كل شيء خلق من الماء وقد حكى ابن جرير
وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه وطائفة من السلف ان اول المخلوقات
الماء

الماء وروى الجوزجاني باسناده عن عبد الله بن عمرو انه
سئل عن بدء الخلق قال من تراب ومن ماء وطين ومن نار وظلمة قيل
له فما بدء الخلق الذي ذكرت قال من ماء ينبوع وقد اخبر الله عز
في كتابه ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض فقال
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية معه وكان عرشه
على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه قال ان الله قدر مقادير
الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه
على الماء وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس ان الله عز وجل
كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء فلما
اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسمى
عليه فسمى سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم
فتقها فجعلها سبع ارضين ثم استوى الى السماء وهي دخان وكان
ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس ثم جعلها سماء واحدة
ثم فتقها فجعلها سبع سموات وعن وهب ان العرش كان
قبل ان يخلق السموات والارض على الماء فلما اراد الله ان يخلق السموات
والارض قبض قبضة من صفا الماء فقبضه ثم فتح القبضة فارتفعت دخانا
ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم اخذ طينة من الماء فوضعها
في مكان البيت ثم دحى الارض منها وهذا كله يبين ان السموات

فهذا يدل على ان
اول المخلوقات

والارض خلقت من الماء ٥ والخلاف في ان الماء هل هو اول المخلوقات
ام لا مشهور ٥ وحديث ابي هريرة يدل على ان الماء مادة جميع
المخلوقات ٥ وقد دل القرآن على ان الماء مادة جميع الحيوانات
٥ قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي ٥ وقال تعالى والله خلق كل دابة
من ماء ٥ قال ابن رجب وقول من قال ان المراد بالماء النطفة
بعيد لوجهين ٥ احدهما ان النطفة لا تسمى ماء مطلقا بل مقيدا
كقوله تعالى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ٥ وقوله
الم نخلقكم من ماء مهين ٥ والثاني ان من الحيوانات ما يتولد من
غير نطفة كدود الخل ودود الفاكهة ونحو ذلك ٥ فليس كل حيوان
مخلوقا من نطفة ٥ والقرآن دل على خلق جميع ما يدب وما فيه
حياة من ماء ٥ فعلم بذلك ان اصل جميعها الماء المطلق
٥ ولا ينافي هذا قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ٥
وقول النبي صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور ٥ فان حديث ابي هريرة
دال على ان اصل النور والنار الماء ٥ كما ان اصل التراب الذي خلق
منه آدم عليه السلام الماء ٥ فان آدم عليه السلام خلق من طين
والطين تراب مختلط بماء والتراب خلق من الماء كما تقدم عن ابن عباس
وغيره ٥ وزعم مقاتل ان الماء خلق من النور ٥ وهو مردود بحديث
ابي هريرة هذا وغيره ٥ ولا يستنكر خلق النار من الماء فان الله تعالى
جمع بقدرته بين الماء والنار في الشجر الاخضر ٥ وجعل ذلك من ادلة
القدرة على البعث ٥ وقد ذكر الطبائعيون ان الماء بانحداره
يصير بخارا والبخار ينقلب هواء ٥ والهواء ينقلب نارا والله اعلم

اسهر

انتهى كلام ابن رجب في اللطائف أفلا يؤمنون بصدق قول بما يشاهدون
٥ النوع الثالث قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي
جبالا ثوابت من رسا اذا ثبت ٥ قال ابن عباس ان الارض
بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة اذا بسطت
على الماء فارساها الله بالجبال الثقال أن تميد بهم اي كراهة
ان تميد بهم وتضطرب ٥ او لئلا تميد بهم فحذف لا واللام
وانما جاز حذف لا لعدم الالباس كما يراد كذلك في قوله ليلا
يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين كذا في الكشاف ٥ النوع
الرابع قوله وجعلنا فيها فجاجا طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق
الواسع ٥ ونصبت على الحال من سبلا متقدمة ٥ قال
الزمخشري وانما قلت في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على
السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا
قلت لانها تقدمت وهي صفة ولكنها جعلت حالا كما في قول
العزة موحشا طلل قديم ٥
فان قلت ما الفرق بين قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا
وبين قوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا قلت الاول للاعلام
بانه جعل فيها طرقا واسعة ٥ والثاني لبيان انه حين خلقها خلقها
على تلك الصفة ٥ فهو بيان لما أبهم ثم ٥ انتهى كلام الزمخشري ٥
قال الامام فخر الدين قوله وجعلنا فيها فيه قولان ٥ احدهما
ان الضمير عائد الى الجبال وهو قول مقاتل والضحاك ورواية عطا
عن ابن عباس ٥ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كانت الجبال

منضمة ۞ فلما اغرق الله قوم فرعون فرّ فيها فجاجا وجعل فيها
طرقا ۞ الثاني انه عايد الى الارض اى وجعلنا في الارض فجاجا
وهي المسالك والطرق وهو قول الكلبي لعلهم يهتدون اى
ليهتدوا بها الى البلاد المقصودة ۞ النوع الخامس قوله
وجعلنا السماء سقفا محفوظا فوضعه عن السقوط كما قال
ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ۞ او محفوظا بالشهب
عن الشياطين كما قال وحفظنا ها من كل شيطان رجيم ۞ او
محفوظا بالملائكة من الشياطين قال الامام فخر الدين وهذا
الوجه اقرب واقوى لان حمل الاية عليه مما يزيد هذه النعمة
عظما لانه سبحانه كما متكفل بحفظه بخلاف القول الاول وهو
كونها محفوظة من الشياطين لانه يخاف على السماء من استراق الجن
وهم اى الكفار عن اياتها عن الادلة التي فيها كالشمس والقمر
والنجوم معرضون غير متفكرين فيها فيؤمنون ۞ قال
الزمخشري عن اياتها عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس
والقمر وساير النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب
المقوم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة
الباهرة ۞ واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب
به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال بها على عظمة
شان من اوجدها عن عدم ۞ ودبّرها ونصبها هذه النصبة
واودعها ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته
ولطف علمه سبحانه انتهى ۞ قال القرطبي اضاف الايات
الى السما

وفي اياته ان تقوم السما والارض بامره ۞ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولان زالتا ان امسكهما من

ك السقف للبيت ص

الى السما لانها محمولة فيها ۞ وقد اضاف الايات الى نفسه في موضع
من كتابه لانه الفاعل لها انتهى ۞ النوع السادس قوله وهو
الذي خلق الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبصروا فيه والشمس
ليكون سراجا للنهار والقمر ليكون سراج الليل ۞ اعلم
انه سبحانه لما قال وهم عن اياتها معرضون فصّل تلك الايات
هنا ولانه تعالى لو خلق السما ولم يخلق الشمس لا والقمر ليظهر بهما
الليل والنهار لم يتكامل لنعمة الله على عباده بل انما يتكامل
ذلك بسبب حركاتهما في افلاكهما ۞ ولهذا قال كل في فلك يسبحون
كل السور فيه عوض عن المضاف اليه ۞ اى كلهم والضمير للشمس
والقمر والمراد بهما جنس الطوالع ۞ وجمع جمع العقلا للوصف
بفعلهم وهو السباحة في فلك يسبحون اى يسيرون ويدورون
فان قلت الجملة ما محلها قلت محلها النصب على الحال
من الشمس والقمر فان قلت كيف استبد بهما دون
الليل والنهار بنصب الحال عنهما قلت كما تقول رايت
زيدا وهندا متبرجة وكذلك اذا جئت بصفة يختص
بها بعض ما تعلق به العامل ۞ ومنه قوله تعالى في هذه
السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ۞ فان قلت
لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون
في فلك قلت هذا لقولهم كساهم الامير جبة وقلدهم
سيفا اى كل واحد منهم ۞ او كساهم وقلدهم هذين
الجنسين ۞ فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ۞ ولان الغرض

الدلالة على الجنس ◦ قال الامام فخر الدين ثبت بالرصد ان حركات الكواكب ز افلاكها مختلفة ◦ فمنها حركة تسلمها باسرها من المشرق الى المغرب وهي حركة الشمس والقمر في اليوم ◦ ثم قال جمهور الفلاسفة واصحاب الهيئة ههنا حركة اخرى من المغرب الى المشرق ◦ قالوا وهي ظاهرة في السبعة السيارة خفية في الثابتة ◦ واستدلوا عليه بانا وجدنا الكواكب السيارة كلما كان منها اسرع حركة اذا قارن ما هو ابطأ حركة منه تقدمه نحو المشرق ◦ وهذا في القمر ظاهر جدا فانه يظهر بعد الاجتماع بيوم او يومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس ◦ ثم يزداد كل ليلة بعدا منها الى ان يقابلها على قرب من نصف شهر ◦ وكل كوكب كان شرقيا منه على طريقه ◦ على ممر البروج يزداد كل ليلة قربا منه ◦ ثم اذا ادركه سيره بطرفه الشرقي ◦ ينكسف ذلك الكوكب بطرفه الغربي ◦ فعرفنا ان لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب الى المشرق ◦ هذا ما قالوه ◦ ونحن خالفنا هم فيه ◦ وقلنا ان ذلك محال لان الشمس مثلا لو كانت متحركة بذاتها من المغرب حركة بطيئة فلا شك انها بسبب الحركة اليومية من المشرق الى المغرب يلزم كون الجرم الواحد متحركا بحركتين الى جهتين مختلفتين دفعة واحدة وذلك محال ◦ وايضا مما ذكرتموه ينتقض بما اذا تحرك الرحى الحجانب والنملة التي تكون عليها الى خلاف ذلك الجانب فلنا فيه قولان ◦ اما الاول فلا يستقيم على اصولكم

فان قلت لم لا يجوز ان يقال الشمس حال حركتها الى الجانب الشرقي تقطع حركتها الى الجانب الغربي وبالعكس ص

لان حركات الافلاك مصونة عن الانقطاع ◦ واما الثاني فهو محتمل وما ذكرناه برهان قاطع فلا يتعارضان ◦ واما الذي احتجوا به على ان للكواكب حركة من المغرب الى المشرق فهو ضعيف فانه يقال لم لا يجوز ان يقال ان جميع الكواكب متحركة من المشرق الى المغرب الا ان بعضها ابطأ من البعض فتختلف تلك الجهة ◦ مثلا الفلك الاعظم استدار من اول اليوم الاول الى اليوم الثاني دورة تامة الا مقدار ثابته ◦ وهكذا كل فلك كذلك تختلف بمقدار ثابته ◦ وعلى هذا التقدير فجميع الجهات شرقية واسرعها الحركة اليومية ◦ ثم يليها في السرعة فلك الثوابت ثم يليها زحل وهكذا الى ان ينتهي الى فلك القمر فهو ابطأ الافلاك حركة ◦ وهذا الذي قلناه مما يشهد له البرهان المذكور فهو اقرب الى ترتيب الوجود فان على هذا التقدير يكون نهاية الحركة الفلك المحيط للفلك الاعظم ◦ ونهاية السكون للجرم الذي هو في غاية البعد وهو الارض ◦ وكلما كان اقرب الى ذلك المحيط كان اسرع في حركته وما كان ابعد كان ابطأ ◦ وهذا ما نقوله في حركات الافلاك في اطوالها ◦ واما حركاتها في عروضها فظاهرة وذلك خلاف هبوطها الى الشمال والجنوب ◦ اذا ثبت هذا فنقول لو لم يكن للكواكب حركة في الميل لكان الناشر مخصوصا ببقعة واحدة وكان سائر الكواكب خالية عن المنافع الحاصلة منه وكان الذي يقرب منه مساوية الاحوال وكانت القوة هناك لكيفية واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات فاحالت كلها

بسبب ص

الى الناربة • وبالجملة فكون الموضع المحاذى للكواكب على كيفيه
ومماسا يحاذيه على كيفيه اخرى • وللمتوسط بينهما كيفيه اخرى
فيلزم ان يكون في موضع شيئا دائما • وفي موضع ضيقا • وفي موضع
رسع • وفي موضع خريف • ومن المعلوم انه ليس كذلك اما بالحس
واما بالخبر عن اشخاص مخلقه • فسبحان الخالق المدبر بالحكمه الكاملة
والقدرة الغير المتناهية • قال الامام فخر الدين ولا يجوز
ان يقال كل في فلك يسبحون الا ويدخل في الكلام مع الشمس
والقمر النجوم ليثبت معنى الجمع ومعنى الكل • فصارت النجوم
وان لم يكن مذكورة كانها مذكورة بعود هذا الضمير اليها
• قال الامام فخر الدين الفلك في كلام العرب كل شئ دائر
وجمعه افلاك • واختلف العلماء فيه • فقال بعضهم الفلك
ليس بجسم وانما هو مدار هذه النجوم • وقال الاكثرون
بل هو اجسام تدور النجوم عليها • وهذا اقرب الى ظاهر القرآن
• ثم اختلفوا في كيفيته • فقال بعضهم الفلك موج مكفوف
تجري الشمس والقمر والنجوم فيه • وقال الكلبي ماء مكفوف
اى مجموع تجري فيه الكواكب • واحتج من قال السباحة لا تكون الا
في الماء قلنا لا نسلم فانه يقال في الفرس الذي يمد يديه في الجري
سابح • وقال جمهور الفلاسفه واصحاب الهيئة انها اجرام
صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو
والذبول • والحق انه لا سبيل لنا لمعرفة السموات الا بالخبر انتهى
• وقال في المدارك عن ابن عباس رضي الله عنهما الفلك السما

انتهى

انتهى • وقال القرطبي كل في فلك يسبحون اى يسيرون بسرعة
كالسابح في الماء قال الله تعالى والسابحات سبحا • قال الجوهري
الفلك فنسب اليها • والاصح ان السيارة تجري في الفلك والافلاك
سبعه دون السماوات المطبقة التي هي محال الملائكه واسباب
الملكوت • فالقمر في الفلك الادنى • ثم عطارد • ثم الزهره
ثم الشمس • ثم المريخ • ثم المشترى • ثم زحل • والتاسع فلك
البروج • والتاسع الفلك الاعظم • وقال قتادة الفلك استدارة
في السما تدور بالنجوم مع ثبوت السما • انتهى كلام القرطبي
• قال الامام فخر الدين اختلف الناس في حركات الكواكب
فالوجوه الممكنه منها ثلاثة فانه اما ان يكون الفلك ساكنا والكواكب
متحركه بحركة السمكة في الماء • واما ان يكون الفلك متحركا • والكواكب تتحرك
فيه ايضا اما مخالفة لجهة حركته • او موافقا لجهته • اما بحركة مساوية
لحركة الفلك في السرعة والبطوء • او مخالفة • واما ان يكون الفلك
متحركا والكواكب ساكنة • اما الاول فقال الفلاسفه
انه باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال • واما الثاني فحركة
الكواكب ان فرضت مخالفة لحركة الفلك فذلك ايضا يوجب الخرق
وان كانت حركتها الى جهة حركة الفلك فاركانت مخالفة لها
في السرعة والبطوء لزم الانخراق • وان استويا في السرعة
والبطوء فالخرق ايضا لازم • لان الكواكب تتحرك بالقسر بسبب
حركة الفلك فبقي حركتها الثابته زايده • فيلزم الخرق • ولم يبق
الا القسم الثالث • وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك واقفا

والافلاك ح

فيه والفلك تتحرك فتتحرك الكواكب ۞ واعلم ان مدار هذا
الكلام على امتناع الخرق والالتيام على الفلك ۞ والحق ان الاقسام
الثلاثة ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات ۞ والذى يدل عليه
لفظ القرآن انها ان تكون واقفة والكواكب تكون جارية فيها
كما يسبح السمك فى الماء انتهى كلام الامام فخر الدين **وما جعلنا**
لبشر من قبلك الخلد البقاء الدائم نزلت هذه الاية حين قالوا
نتربص بمحمد ريب المنون ۞ وذلك ان المشركين كانوا يدفعون نبوته
ويقولون شاعر نتربص به ريب المنون ولعله يموت كما شاعر بنى فلان
فعال الله تعالى قد مات الانبياء من قبلك وتولى الله دينه بالنصر والحياطة
فهكذا يحفظ دينك وشرعك قاله القرطبى ۞ قال الزمخشرى
كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته ۞ فنفى الله تعالى عنه
الشماتة بهذا اى قضى الله تعالى ان لا يخلد فى الدنيا بشرا فلا انت
~~ولا عرضه~~ ولا هو الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان
مت انت ابقى هؤلاء وفى معناه قول القائل ۞

فقل للشامتين بنا افيقوا ۞ سيلقى الشامتون كما لقينا ۞

انتهى كلام الزمخشرى ۞ قال الامام فخر الدين اعلم
انه تعالى لما استدل بالاشياء الستة التى شرحها فى الاصل المتقدم
كانت تلك الاشياء من اصول النعم الدنيوية اتبعه بما يدل به على ان
هذه الدنيا امرها كذلك لا تبقى ولا بد وان يزيل خلقها سبحانه للابتلاء
والامتحان ۞ ولكن يتوصل بها الى الاخرة التى هى دار الخلود ۞
اما قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ۞ ففيه ثلاثة اوجه

احدها

اى الدهر يرمى على اناس
حتى اذا ما بنا اخر بنا ۞

احدها قال قتادة ان ناسا كانوا يقولون ان محمدا لا يموت فنزلت
هذه الاية ۞ وانها كانوا يقدرون بانه يموت فيشمتون
بموته فنفى الله عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا
بشرا لا انت ولا هو ۞ والثانى يحتمل انه صلى الله عليه وسلم خاتم
الانبياء وجاز ان يقدر مقدر انه لا يموت اذ لو مات لتغير شرعه
فنبه الله تعالى ان حاله كحال غيره من الانبياء عليهم السلام فى الموت
افائن مت وبكسر الميم مدنى وكوفى غير ابى بكر **فهم الخالدون**
والفا الاولى لعطف جملة على جملة ۞ والثانية لجزاء الشرط **كل**
نفس ذائقة الموت قال الامام فخر الدين هذا العام مخصوص فان
لله تعالى نفسا كقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك مع ان الموت
لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفوس وهى لا تموت ۞ والعام المخصوص
حجة فيبقى معمولا به فيما عدا هذه الاشياء ۞ وذلك يبطل قول الفلاسفة
ان الارواح البشرية ۞ والنفوس الفلكية لا تموت
۞ قال الامام فخر الدين والذوق هنا لا يمكن اجراؤه على ظاهره
لان الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق بل الذوق ادراك خاص
فيجوز جعله مجازا عن اصل الادراك ۞ واما الموت فالمراد منه هنا
مقدماته من الالام العظيمة لان الموت قبل دخوله فى الوجود
يمتنع ادراكه ۞ وحال وجوده يصير الشخص ميتا ۞ والميت لا يذوق
شيئا ۞ قال والاضافة فى ذائقة الموت فى تقدير الانفصال
لانه لما يستقبل كقوله غير محلى الصيد ۞ وهذا بالغ الكعبة انتهى كلامه
ونبلوكم ونختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا ۞ وبما يجب فيه الشكر

من النعم ۞ وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال
العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار بالشر بالفقر
والضر والخير الغنى والنفع فتنة مؤكد لنبلوكم من غير لفظه
والبه ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر
او الشكر ۞ وعن ابن ذكوان ترجعون واذا راك الذين
كفروا ان يتخذونك ما يتخذونك الا هزوا مفعول ثان
ليتخذونك ۞ قال السدي ومقاتل نزلت في ابي جهل مر به
النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو سفيان معه فقال ابو جهل لابي سفيان
هذا نبي بني عبد مناف فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ فقال
ابو سفيان وما تنكر ان نبيا في بني عبد مناف ۞ فسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قولهما فقال لابي جهل ما اراك تنتهي حتى ينزل بك
ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة ۞ واما انت يا ابا سفيان فانما
قلت ما قلته حمية فنزلت هذه الاية كذا قاله الامام فخر الدين
۞ وقال القرطبي وهؤلاء هم المستهزئون المذكورون في سورة
الحجر في قوله انا كفيناك المستهزئين اهذا الذي يذكر
آلهتكم يعيب ۞ قال الزمخشري الذكر يكون بخير وبخلافه ۞ فاذا
دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا
يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا
فهو ذم ۞ ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم ۞ وقوله اهذا الذي
يذكر آلهتكم ۞ والمعنى انهم عاكفون بهمهم على ذكر آلهتهم
من كونهم شفعاء وشهداء وليس همهم ان يذكروها ذاكرا بخلاف

انتهى

انتهى وهم بذكر الرحمن اي بذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية
هم كافرون لا يصدقون به اصلا ۞ فهم احق بان يتخذوا هزوا
منك فانك محق وهم مبطلون ۞ وقيل بذكر الرحمن اي بما انزل
عليك من القرآن هم كافرون جاحدون ۞ والجملة في موضع الحال
اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء والسخرية ۞ وهي الكفر
بالله ۞ وكررهم للتاكيد ۞ او لان الصلة جاءت بينه وبين الخبر
فاعيد المبتدأ كذا في المدارك ۞ قال الزمخشري وقيل معنى
بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة ۞ وقولهم وما
الرحمن انسجد لما تامرنا انتهى خلق الانسان من عجل في المراد
بالانسان قولان ۞ احدهما انه النوع ۞ الثاني انه شخص معين اما
القول الاول فتقريره انهم كانوا يستعجلون عذاب الله ويقولون
متى هذا الوعد فاراد زجرهم عن ذلك ۞ فقدم ذم الانسان على افراط
العجلة فكانه قال لا يبعد منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك
۞ واما القول الثاني ففيه وجهان ۞ احدهما ان المراد آدم عليه
السلام وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والكلبي
ومقاتل والضحاك ۞ قال ابن عباس انه اراد بالانسان آدم وانه
حين بلغ الروح صدره ۞ ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم ۞ وروي
انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ۞ ولما دخل جوفه
اشتهى الطعام ۞ وقيل خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة
قبل غروب الشمس فانتشر في خلقه قبل تعبيها ۞ فلما اجرى الله
راسه استعجل وطلب تتميم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس

بالانسان هو الذي
الحارث ن والمراد
ان المراد م

هذا
قول
والصحيح
مر

فوثب قبل ان يتم
الروح رجليه عجل
لما ثمار الجنة م

اي قال ما رب استعجل
خلقت ۞

وحين أحيى الله راسه عطس • فقال له الملاكه قل الحمد لله فقال ذلك
فقال له رحمك ربك • فهذا هو الذى اورث اولاده العجلة
قاله الامام فخر الدين • قال الزمخشرى كانوا يستعجلون
عذاب الله وايآته الملجئة الى العلم والاقرار ويقولون
متى هذا الوعد • فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم
فقدم ما ولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع
عليه • ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان
تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم
• وقيل العجل الطين بلغة حمير • وقال شاعرهم
والنخل ينبت بين الماء والعجل •
فان قلت لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان
من عجل • وقوله وكان الانسان عجولا • اليس هذا من تكليف ما
لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها
لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة
انتهى كلام الزمخشرى • قال الامام فخر الدين من المفسرين
من اجرى الاية على ظاهرها ومنهم من قلبها • اما الاول فلهم
فيه اقوال • آخرها قول المحققين • وهو قوله خلق الانسان من عجل
اى خلق عجولا وذلك على المبالغة • فانه خلق ركب فيه العجلة وكانه
خلق من العجل ولانه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم
خلق من الكرم • قال المبرد خلق الانسان من عجل اى من شانه
العجلة كقوله خلق من ضعف اى ضعيفا • وماها العجل الطين بلغة

حمير • وماليها قال الاخفش من عجل اى من تعجيل فى الامر وهو قوله
كن • ورابعها من عجل اى من ضعف • اما الذين قلبوها
قالوا معنى قوله خلق الانسان من عجل اى خلق العجل من الانسان
كقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم •
والقول الاول اقرب الى الصواب وابعد الاقوال هذا القول
لانه اذا امكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو ترتيبه الظاهر فهو اولى
ان يحمل على انه مقلوب انتهى • قال فى المدارك ومن عجل اى
عجلا سأريكم آياتى تقماتى • وهى الهلاك المعجل فى الدنيا والعذاب
فى الاخرة وكذلك قوله فلا تستعجلون اى • او الايات ادلة التوحيد
وصدق الرسول • او هى آثار القرون الماضية بالشام واليمن
والاول اقرب يا اليمن فلا تستعجلون بالاتيان بها • وهو الباعث
فلا تستعجلونى عند لعقوب وافقه سهل وعباس فى الوصل ويقولون
متى هذا الوعد اتيان العذاب • او القيامة • واعلم ان
هذا الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء كقوله ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب • فبين تعالى انهم يقولون ذلك
بجهلهم وغفلتهم ان كنتم صادقين قيل هو احد وجهى استعجالهم
• كانه تعالى ذكر فى دفع هذا الحزن عن قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرين وجهين • الاول انه بين ما لصاحب هذا الاستهزاء
من العذاب الشديد فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو
محذوف • وحين مفعول به ليعلمون • اى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلونه

فانه عبارة عن سرعة الايجاد

حال من

الصواب من

بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت يحيط بهم صعب شديد
يحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها
ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم فلما كانوا بتلك الصفة
من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي
هوّنه عندهم قاله الزمخشري قال الامام فخر الدين
وانما خص الوجوه والظهور لان من العذاب لها اعظم موقعا
ولكثرة ما يستعمل ذكرها في دفع المضرة عن النفس ثم انه تعالى
لما بيّن شدة هذا العذاب بيّن ان وقت مجيئه غير معلوم لهم فقال
بل تاتيهم الساعة بغتة فجاءة فتبهتهم فتحيّرهم اي لا يكفونها
بل تفجاءهم فتغلبهم يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه
فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر واعلم ان الله تعالى
انما لم يعلّم المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة
لان المرء مع كتمان ذلك اشد عذرا فلا يستطيعون ردها
فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ثم انه
سبحانه ذكر الوجه الثاني في دفع الحزن عن قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق فحلّ
ونزل بالذين سخروا منهم جزاء ما كانوا به يستهزئون سلّى
رسوله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبياء اسوة
وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما
فعلوا واعلم انه تعالى لما بيّن ان الكفار في الاخرة لا
يكفّون عن وجوههم النار بسائر ما وصفه به انبّه بانهم في الدنيا

ايضا

ايضا لو ان الله تعالى يحفظهم ويحرسهم لما يقوا في السلامة فقال
لرسوله قل لهؤلاء الكفار الذين يستهزئون من يكلؤكم يحفظكم
بالليل والنهار من الرحمن اي من عذابه ان اتاكم ليلا او نهارا
وهذا كما يقول الرجل لمن حصل في قبضته ولا مخلص له منه
الى اين تهرب مني وهل لك مخلص قال الامام فخر الدين
وانما خص اسم الرحمن بالذكر تلقينا للجواب حتى يقول العاقل
انت الكالئ لكل الخلائق برحمتك كما في قوله ما غرّك بربك الكريم
وانما خص الكرم تلقينا وانما ذكر الليل والنهار لان لكل
واحد من الوقتين آيات تختص والمعنى من يحفظكم بالليل اذا نمتم
وبالنهار اذا تصرفتم في معايشكم بل هم عن ذكر ربهم معرضون
اي بل لهم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا
بأسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ
وصلحوا للسؤال عنه ثم بيّن انهم لا يصلحون لذلك بلاء غراضهم
عن ذكر من يكلؤهم كذا في الكشاف ثم اضرب عن ذلك
بما في ام من معنى بل فقال ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اي الهم
آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم وصف
آلهتهم بالضعف فقال مستانفا لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون فبيّن ان ما ليس بقادر على نصر نفسه
ولا منعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره
وينصره ثم بيّن تفضله عليهم مع ذلك بقوله بل متعنا هؤلاء
وآباءهم حتى طال عليهم العمر اي ما هم فيه من الحفظ والكلاءة

والمعنى انه امر
بسوالهم عن الك

إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم
الماضين إلا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم
من الكفار وامهلناهم حتى طال عليهم الامد وقست قلوبهم
وامتدت ايام الروح والطمانينة فظنوا انهم دايمون على ذلك
لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب نعمتهم واستمتاعهم وذلك
طمع فارغ وامل كاذب كذا في الكشاف افلا يرون انا نأتي
الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها اى ننقص ارض الكفر
ونحذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها
دار الاسلام فان قلت اى فايدة في قوله نأتي الارض
قلت الفايدة فيه ان ذكر نأتي ليشير بان الله يجريه على
ايدى المسلمين وان عساكرهم وسرايا هم كانت تغزو ارض
المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها بالظهور لك
عليها يا محمد ارضا بعد ارض وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة افهم
الغالبون افكفار مكة يغلبون بعد ان نقصنا من اطراف ارضهم
اى ليس كذلك بل يغلبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
بنصرنا قل انما انذركم بالوحي اخوفكم من العذاب بالقرآن ولا
يسمع الصم الدعاء بفتح الياء والميم ورفع الصم فاعلا ونصب الدعاء
مفعولا من سمع اخبار عن الكفار ولا تسمع الصم بضم التاء
من اسمع خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وبنصب الصم الدعاء
مفعولا ثانيا مدني اذا ما ينذرون يخوفون والام في الصم
للعهد قال قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون
دعاء

دعاء المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم
اشارة الى هؤلاء المنذرين كأنه قيل للعهد لا للجنس والاصل
ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة
على نصامتهم وسد هم اسماعهم اذا انذروا اى هم على هذه
الصفة من الجرءة والجسارة على التصامم من ايات الانذار كذا
في الكشاف وتلخيصه قال الكواشي يلخيصه هم صم عن الدعاء
الى الايمان وقت الانذار اساسي ولئن مستهم نفحة دفعة
يسيرة من عذاب ربك صفة لنفحة ليقولن يا ويلنا انا
كنا ظالمين اى ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به ادنى
شيء لاعترفوا ودعوا يا ويلنا على انفسهم واقروا
بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة
ثلاث مبالغات لان النفح يدل على القلة يقال نفحته الدابة وهو
رمح يسير ونفحه بعطية رضخه مع ان بناءها للمرة
بين بهذا ان جميع ما نزل بهم في الاخرة لا يكون الا عدلا فيهم
وان ظلموا انفسهم في الدنيا فلن يظلموا في الاخرة ولا يكون الا عدلا
وهذا معنى قوله ونضع الموازين جمع ميزان وهو ما يوزن به
الشيء وتعرف كميته وصفت الموازين بالقسط وهو
العدل مبالغة كانها في نفسها قسط او على حذف المضاف
اى ذوات القسط والكد بقوله فلا تظلم نفس شيا قال الامام
فجر الدين معنى وضعها احضارها ليوم القيمة اى في يوم القيمة او
لاهل يوم القيمة اى لاجلهم وفي وضع الميزان قولان احدهما قال مجاهد

هذا مثل والمراد بالموازين العدل ۞ والمعنى بالوزن القسط بينهم
في الاعمال ۞ فمن راجحت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى
ان حسناته تذهب بسيئاته ۞ ومن راجحت سيئاته بحسناته
فقد خفت موازينه اى ذهبت سيئاته بحسناته حكاه ابن جرير
عن ابن عباس ۞ وبانهما وهو قول ائمة السلف انه سبحانه
يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال ۞ وعن الحسن هو ميزان
له كفتان ولسان ۞ وهو يد جبريل عليه السلام ۞ وروى
ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق
فقال يا الهي من ذا الذي يقدر ان يملاء كفته حسنات ۞ فقال يا داود
انى اذا رضيت عن عبد ملاءتها بتمرة واحدة ۞ ثم على هذا
القول فكيفية وزن الاعمال طريقان ۞ احدهما ان توزن صحائف
الاعمال ۞ والثاني ان يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة
وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة ۞ فان قيل اهل القيمة
اما ان يكونوا عالمين بكونه سبحانه عادلا غير ظالم او لا يعلمون ذلك ۞ فان علموا
كان مجرد حكمه كافيا في معرفة ان الغالب هو الحسنات او السيئات
فلا يكون في وضع الميزان فايدة ۞ وان لم يعلموا ذلك فلا فايدة في وزن
الصحائف لاحتمال ان الله تعالى جعل احدى الصحيفتين اثقل او اخف
والجواب لا يسال عما يفعل ۞ وايضا فيه ظهور حال الاولياء
من الاعداء في مجمع الخلائق ۞ فيكون لاحدى الطائفتين اعظم السرور
وللاخرى اعظم الشرور ۞ ويكون ذلك بمنزلة نشر الصحايف
۞ والجملة فالاقرب هو القول الاول ۞ قال بعض هذه الامة

سافضها ۞

ينافضها قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا الجواب المراد
انه لا يكرمهم ولا يعظمهم ۞ وانما جمع الموازين لعظم شانها كما في قوله
يا ايها الرسل ۞ او لكثرة من توزن اعمالهم وهو جمع صحيح ۞ ويجوز
ان يرجع الى الوزنات كما ذكره الامام فخر الدين ۞ قال القرطبي
في تفسيره الموازين جمع ميزان ۞ وقيل انه بدل بظاهره على ان
لكل مكلف ميزانا يوزن به اعماله ۞ فتوضع الحسنات في كفة والسيات
في كفة ۞ وقيل يجوز ان يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن
بكل واحد منها صنف من اعماله ۞ ويمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر
عنه بالجمع ۞ وخرج اللالكائي كما قاله ابو القاسم في سننه عن انس
رفعه ان ملكا موكل بالميزان فيوتى بابن ادم فيوقف بين كفتي الميزان
فان رجح نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى
بعدها ابدا ۞ وان خف نادى الملك شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها
بعدها ابدا ۞ وخرج عن حذيفة قال صاحب الميزان يوم القيمة
جبريل عليه السلام ۞ وقيل للميزان كفتان وخيوط ولسان
فالجمع يرجع اليها ۞ وقال مجاهد وقتادة والضحاك ذكر الميزان
مثل ۞ وليس ثم ميزان وانما هو العدل ۞ والذي وردت به الاخبار
وعليه السواد الاعظم هو القول الاول ۞ وعن سلمان الفارسي انه قال
توضع الموازين يوم القيمة فلو وضع فيها السموات والارض لوسعتهن
فتقول الملائكة ربنا ما هذا ۞ فيقول الله تعالى اردت به من شئت من خلقي
فتقول الملائكة عند ذلك ربنا ما عبدناك حق عبادتك ۞ وقد جاء
ان كفة الحسنات من نور والاخرى من ظلام ۞ وان كفة النيرة للحسنات

تفخم ص

عراض ص

والكفة المظلمة للسيات ۞ وجاء في الخبر ان الجنة توضع
عن يمين العرش ۞ والنار عن يسار العرش ۞ ويوتى بالميزان فينصب
بين يدي الله عز وجل كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل
الجنة ۞ وكفة السيات عن يسار العرش مقابل النار ۞ وحكي
عن بعضهم انه قال رايت بعضهم في المنام فقلت له ما فعل الله بك
قال وزنت حسناتي وسياتي فرجحت السيات على الحسنات فجاءت
صرة من السما فسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة
فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم ۞ ذكره القرطبي في التذكره
۞ وقال في التذكره ايضا قال علما وبارحمهم الله الناس في الاخرة
ثلاث طبقات ۞ متقون لاكبايرلهم ۞ ومخلطون وهم الذين يواقعون
بالفواحش والكبايرة ۞ والثالث الكفار ۞ فاما المتقون فان حسناتهم
توضع في الكفة النيرة ۞ وصغايرهم ان كان لهم صغاير في الكفة
الاخرى فلا تجعل الله لتلك الصغاير وزنا ۞ وترجح الكفة النيرة حتى
تبرح ۞ وترتفع المظلمة لارتفاع الفارغ الخالي ۞ واما المخلطون
فحسناتهم توضع في الكفة النيرة ۞ وسياتهم في الكفة المظلمة فيكون
لكبايرهم ثقل ۞ فان كانت الحسنات اثقل ولو بصوابة ۞ وان كانت
السيات اثقل ولو بصوابة دخل النار الا ان يغفر الله له ۞ وان
تساويا كان من اصحاب الاعراف ۞ هذا اذا كانت الكباير
فيما بينه وبين الله تعالى ۞ واما اذا كانت عليه تبعات وكانت له حسنات
كثيرة فانه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزا السيات لكثرة ما
عليه من التبعات فيحمل عليه من اوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع ۞
هذا ما

دخل الجنة ص

هذا ما تقتضيه الاخبار ۞ قال محمد بن حرب تبعث الناس
يوم القيمة على ثلاث فرق ۞ فرقة اغنيا بالاعمال الصالحة ۞ وفرقة
فقرا مفاليس ۞ وفرقة اغنيا ثم يصيرون فقرا من شان التبعات
۞ قال سفيان الثوري انك ان تلقى الله بسبعين ذنبا بينك
وبينه اهون عليك ان تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد ۞
واما الكافر فانه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة
توضع في الكفة الاخرى فتبقى فارغة فيامر الله بهم الى النار ۞ واما
المتقون فان صغايرهم تكفر باجتنابهم الكبايرة ويؤمر بهم الى الجنة
۞ فهذا الصنفان هم المذكورون في الاعراف في ايات الوزن لان الله تعالى
لم يذكر الا من ثقلت موازينه ۞ ومن خفت موازينه ۞ فقطع لمن ثقلت
موازينه بالفلاح والعيشة الراضية ۞ ولمن خفت موازينه بالخلود
في النار بعد ان وصفه بالكفر ۞ فاما الذين خلطوا عملا صالحا
واخر سيا فبينهم النبي صلى الله عليه وسلم حسب ما ذكرنا ۞ فهم واردوها
النار فيخرجون بالشفاعة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ما من شي يوضع
في الميزان اثقل من خلق حسن ۞ وفي حديث اخر رايت رجلا
من امتي قد خف ميزانه فجاء اقراضه فثقل ميزانه ۞ وكذلك الاعمال الصالحة
۞ دليله فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ۞ ويروى انه يجاء
بعمل الرجل يوم القيمة فيوضع في كفة ميزانه فيخف ۞ فيجاء بشي له مثل
الغمام ۞ او قال مثل السحاب ۞ فيوضع في كفة ميزانه ۞ فيرجح فيها فيقال
له اتدري ما هذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه
الناس او نحو هذا انتهى كلام القرطبي في التذكره فلا تظلم نفس شيئا

بسبب ص

من ص

من الظلم اى لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد فى اساءة مسىء
وان كان مثقال حبة اى وان كان الشئ مثقال حبة اى
زنة حبة ٥ مثقال بالرفع مدنى ٥ وكذا فى لقمان على كان التامة
من خردل صفة حبة ٥ اتينا بها احضرناها ٥ وانث ضمير
المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه ٥
قال الامام فخر الدين فان قيل الحبة اعظم من الخردلة
فكيف قال حبة من خردل قلنا الوجه فيه ان يفرض الخردلة
كالدينار ثم تعتبر الحبة من ذلك الدينار ٥ والغرض المبالغة فى ان
شيا من الاعمال صغرا كان او كبيرا غير ضايع عند الله تعالى
وكفى بنا حاسبين عالمين حافظين قاله ابن عباس ٥ ومن حسب
شيا فقد علمه وحفظه ٥ روى الترمذى عن عايشة ان رجلا
قعد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى مملوكين
يكذبونى ويخونونى ويعصونى واشتمهم واضربهم فكيف انا
منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم
فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك
وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل
قال فتنحى الرجل فجعل يبكى ويهتف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما تقرا كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيا الاية فقال الرجل والله يا رسول الله ما اجد
لى ولهؤلاء خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم احرار كلهم ٥
قال الترمذى حديث غريب ٥ ويروى عن الشبلى انه رؤى

٢ المنام ٥

فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
حاسبونا فدققوا ٥ ثم منوا فاعتقوا ٥ ولذا كل فالك لمالك يدقيق ٥

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا اعلم
انه تعالى لما تكلم فى دلايل التوحيد والنبوة والمعاد شرع فى قصص
الانبيا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما نالوه من قومه وتقوية
لقلبه على ادا الرسالة والصبر على كل عارض ٥

القصة الاولى قصة موسى عليه السلام

وجه الاتصال انه تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يقول انما انذركم بالوحى اتبعه بذكر عادة الله تعالى فى الانبيا
قبله فقال ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا ٥
قال ٢ المدارك قيل هذه الثلاثة هى التوراة ٥ فهى فرقان
بين الحق والباطل ٥ وضياء يستضاء به ويتوصل به الى سبل
النجاة ٥ وذكرا اى شرفا ٥ او وعظا وتنبيها اى ذكرا
يحتاج الناس اليه فى مصالح دارهم ٥ ودخلت الواو على الصفات
كما فى قوله بدر وسيد او حصورا ونبيا ٥ وتقول مررت بزيد
الكريم والعالم والصالح انهى ٥ قال الامام فخر الدين وقيل
الفرقان ليس التورية بعرفه وجوه ٥ احدها عن ابن عباس
هو النصر الذى اوتى موسى كقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان
يعنى يوم بدر حين فرق بين الباطل الحق والباطل ٥ وثانيها
هو البرهان الذى فرق فيه بين الحق والاديان الباطلة عن ابن زيد
٥ وثالثها فلق البحر عن الضحاك ٥ ورابعها الخروج عن الشبهات

ولما انتفع بذلك المتقون خصهم بقوله للمتقين ومحل
الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه
يخشون ربهم يخافونه بالغيب حال اى يخافونه فى الخلاء
فى الخلوات اذا غابوا عن الناس والمعنى ان خشيتهم من عقاب
الله لازمة لقلوبهم وهم من الساعة القيامة وما هو لها
مشفقون خائفون وقال وكما انزلنا على موسى الفرقان
فكذلك هذا الفرقان المنزل عليك يا محمد وهو معنى قوله
وهذا وهذا اى القرآن ذكر مبارك كثير الخير عزير النفع
انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ
اى جاحدون انه منزل من عند الله القصة الثانية قصة
ابرهيم عليه السلام قوله ولقد آتينا ابرهيم
رشده هداه من قبل من قبل موسى وهرون او من قبل محمد
صلى الله عليه وسلم قال الامام فخر الدين فى الرشد قولان
الاول انه النبوة واحتجوا عليه بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه
تعالى انما يخص بالنبوة من يعلم من حاله انه فى المستقبل يقوم بحقها
ويجتنب ما لا يليق بها الثانى انه الاهتداء لمصالح الدين
والدنيا قال تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
وقيل قول مالك وهو ان يدخل النبوة والاهتداء تحت الرشد
اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا الا وقد دله على مصالح نفسه ومصالح
قومه وكل ذلك من الرشد قال صاحب الكشاف وقرئ
رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعناه انه

رشد

رشد له شأن قال الامام اما قوله من قبل ففيه وجوه
الاول اتينا ابرهيم رشده من قبل موسى عن ابن عباس
الثانى صغره قبل بلوغه حين كان فى السرب فطهرت
له الكواكب فاستدل بها وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتداء
والا لزمه ان يحكم بنبوته عليه السلام قبل البلوغ والثالث
يعنى حين كان فى صلب ادم حين اخذ الله ميثاق النبيين عن ابن
عباس فى رواية الضحاك انتهى وفى المدارك وقيل من قبل اى من قبل
محمد صلى الله عليه وسلم قال الكواشى من قبل اى قبل بلوغه
روى انه لما ولد بعث اليه ملك فقال ان الله يأمرك ان تعرفه
بقلبك وتذكره بلسانك فقال قد فعلت ولم يقل افعل انتهى وكنا به
اى بابرهيم او برشده عالمين اى علمنا انه اهل لما آتيناه قال
الامام فخر الدين المراد انه سبحانه علم منه امورا بديعة واسرارا عجيبة
وصفات قدسية حتى اهله لان يكون خليلا له وهذا كقولك فى خبر
من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا من الاحتوا على محاسن
الاوصاف بمنزلة اسم اذ اما ان تعلق باتينا او برشده انتهى قال لابيه
هو آزر وقومه هو نمروذ ومن تبعه ما هذه التماثيل جمع تمثال اى
الاصنام المصورة على صورة السباع والطيور والانسان وفى قوله
ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغابى ليحقر الهتهم ويصغر شأنها
مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها التى انتم لها عاكفون اى لاجل عبادتها
مقيمون او اللام بمعنى على يعكفون على اصنامهم فلما عجزوا عن
الاتيان بالدليل على ذلك قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم

كقوله ح

اعلم ان القوم لم يجدوا في جوابه الا طريقة التقليد الذي يوجب
مزيد الكبر • قال الزمخشري ما اقبح التقليد والعقول المتقبلة
بغير برهان • وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم
الى ان قلدوا آباهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم
معتقدون انهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم • ومجادلون لاهل
الحق عن باطلهم • وكفى اهل التقليد سبة • ان عبدة الاصنام منهم
انتهى • فاجابهم ابرهيم عليه السلام بقوله قال ابرهيم لقد كنتم انتم
وآباؤكم في ضلال مبين اكد بانتم ليصح العطف لان العطف على ضمير
هو في حكم بعض الفعل ممتنع • ونحوه اسكن انت وزوجك • اراد
ان المقلدين والمقلدين محقا جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى
على مره اذني مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل • بل الا هوى
متبع وشيطان مطاع قالوا اجئتنا بالحق بالجد ام انت من اللاعبين
اي اجاد انت فيما تقول ام لاعب • قال الزمخشري لاستبعادهم
ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم • وحسبوا
ان ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد • فقالوا
له هذا الذي جئتنا به اهو جد وحق ام لعب وهزل انتهى • ثم اضرب
عنهم مخبرا بانه جاد فيما قال غير لاعب • مثبتا لربوبية الملك العلام •
وحدوث الاصنام بقوله قال بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن اي التماثيل فاني يعبد المخلوق ويجحد الخالق • قال
الامام فخر الدين اعلم ان القوم لما اوهموا انه كالمازح فيما خاطبهم
به في امر اصنامهم اظهر ما يعلمون به انه مجد في اظهار الحق الذي هو
التوحيد • وذلك بالقول اولا • ثم بالفعل ثانيا • اما الطريقة القولية
ففي قوله بل ربكم رب السموات والارض فهذه الدلالة تدل على ان الخالق
الذي خلقها لمنافع العباد هو الذي يحسن ان يعبد لا من يقدر على ذلك
بتقدير على ان يضر وينفع في الدار الاخرة بالعقاب والثواب • فرجع
حاصل هذه الطريقة الى الطريقة الاتية التي ذكرها لابيه في قوله
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا انتهى • قال
الزمخشري الضمير في فطرهن للسموات والارض • او للتماثيل • ولكونه
للتماثيل ادخل في تضليلهم • واثبت للاحتجاج عليهم • وشهادته
على ذلك اذ اوه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى
بالشهادة • كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين
الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته
بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على ان
وجدتم عليه آباءكم انتهى • وانا على ذلكم المذكور من التوحيد شاهد
من الشاهدين • واما الطريقة الفعلية • فقوله وتالله
قال الزمخشري فان قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت
ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو والواو بدل من الباء • وان
التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب • كانه تعجب من تسهل الكيد على يده
وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره • ولعمري
ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود
مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه
ولكن • اذا الله سنى عقد شيء تيسرا •

لأكيدن اصنامكم لأكسرنها ٥ قال القرطبي اخبر انه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل يكسر اصنامهم فعل واثق بالله عز وجل موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين بعد ان تولوا مدبرين بعد دعائكم عنها الى عيدكم ٥ قال ذلك سرا من قومه فسمعه رجل واحد فعرض بقوله اني سقيم اي سأسقم ليتخلف فرجع الى بيت الاصنام كذا في المدارك قال الامام فخر الدين قال قائل كما ذا قال لأكيدن اصنامكم والكيد هو الاحسان الى الغير في ضرر لا يشعر به وذلك لا يتاتى في الاصنام فالجواب قاله توسعا لما كان عندهم ان الضرر يجوز عليها ٥ وقيل المراد لأكيدن كفركم في اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم ٥ قال الامام وفي كيفية اول القصة وجهان احدهما قال السدي كانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم ٥ فلما كان هذا الوقت قال ابرهيم لازرلا برهيم لو خرجت معنا لخرج معهم فلما كان ببعض الطريق التوى بعقبه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا وبقي ضعفاء الناس نادى وقال تالله لأكيدن اصنامكم ٥ واحتج هذا القائل بقوله بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم ٥ وانها قال الكلبي كان ابرهيم عليه السلام من اهل بيت ينظرون في النجوم ٥ وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا ٥ فلما هم ابرهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه اراني اشتكي غدا فذلك قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم واصبح من الغد معصوبا راسه ٥ فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف احد غيره ٥

الى عيدنا اعجبك دينا صر

فقال

فقال اما والله لأكيدن اصنامكم ٥ فسمع رجل منهم هذا القول فحفظه عليه ثم ان ذلك الواحد اخبر غيره وانتشر ذلك في جماعة فلذلك قال بعد قالوا سمعنا فتى يذكرهم ٥ واعلم ان كلا الوجهين ممكن ٥ ثم تمام القصة ان ابرهيم لما دخل بيت الاصنام وهن في بهو عظيم ٥ ومستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه اصغر منه والى اصنام بعضها الى جنب بعض ٥ كل صنم الذي يليه اصغر منه كذلك الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا اذا رجعنا وقد برّكت الآلهة عليه اكلنا منه ٥ فلما نظر ابرهيم اليهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تاكلون ٥ فلما لم يجيبوه قال مالكم لا تنطقون ٥ فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفاس في يده ٥ حتى اذا لم يبق الا الصنم الاعظم علق الفاس في عنقه ثم خرج ٥ فذلك قوله بعد فجعلهم جذاذا قطعا من الخزف وهو القطع جمع جذاذة كزجاجة وزجاج ٥ جذاذا بالكسر على جمع جذيذ اي مجذوذ كخفيف وخفاف ٥ قال الرسول لم قال جعلهم وهذا جمع لا يليق الا بالناس ٥ جوابه من حيث اعتقدوا فيها انها كالناس في انها تعظم وتتقرب اليها ٥ ولعله كان فيهم من يظن انها تضر وتنفع الا كبيرا لهم اي للاصنام ٥ او للكفار ٥ اي فكسرها كلها بفاس في يده الا كبيرها تركه ولم يكسره ٥ ووضع الفاس في عنقه ٥ وقيل ربطه على يده ٥ وكانت اثنين وسبعين صنما مصطفة ٥ بعضها من ذهب ٥ وبعضها من فضة ٥ وبعضها من حديد ومن نحاس ورصاص ٥ وحجر وخشب ٥ وكان الصنم الكبير من ذهب

مثلا بالجواهر في عينيه ياقوتان تتقدان ٥ قال وهل لما معنى
الاكبر الهم فنقول يحتمل الكبر في الخلقة ٥ ويحتمل التعظيم
٥ ويحتمل الامرين لعلهم اليه الى الكبير يرجعون فيسألونه عن
كاسرها فيتبين لهم عجزه ٥ او الى ابرهيم ليحتج عليهم ٥ او الى الله
لما رأوا عجزآلهتهم ٥ قال الامام فخر الدين اما اذا قلنا الضمير
راجع الى الكبير ففيه وجهان احدهما ان المعنى لعلهم يرجعون
اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون ما هؤلاء
مكسرة ومالك صحيح والناس على عاتقك ٥ وانما قال ذلك بناء على
كثرة جهالاتهم ٥ فلعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم
٥ والثاني انه عليه السلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه
استهزاء بهم ٥ وان قياس من يسجد له ويؤهله للعبادة انه يرجع
اليه في حل المشكل ٥ قال وقد اولئك الاقوام اما ان يقال
انهم كانوا عقلاء ٥ او ما كانوا عقلاء ٥ فان كانوا عقلاء وجب ان
يكونوا عالمين بالضرورة ان تلك الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا
تضر فاي حاجة في انتساب ذلك الى كسرها ٥ اقصى ما في الباب ان القوم
يقال القوم كانوا يعظمونها كما يعظم الواحد منا المصحف والمسجد
والمحراب ٥ وكسرها لا يقدح في كونها معظمة من هذا الوجه ٥ وان قلنا
انهم ما كانوا عقلاء وجب ان لا تحسن المناظرة معهم ولا بعثة
الرسل اليهم ٥ والجواب انهم كانوا عقلاء وكانوا عالمين بالضرورة
انها جمادات ولكنهم كانوا يعتقدون فيها انها تماثل الكواكب
وانها طلسمات موضوعة بحيث ان كل من عبدها انتفع بها وكل

من استخف بها ناله ضرر شديد ٥ فلعل ابرهيم عليه السلام كسرها
مع انه ما ناله منها البتة ضرر فكان فعله دالا على فساد مذهبهم
قالوا اي الكفار حين رجعوا من عيدهم ورأوا ذلك من فعل
هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين اي ان من فعل هذا الكسر والحطم
لشديد الظلم معدود في الظلمة ٥ اما لجرأته على الآلهة الحقة
عندهم بالتوقير والاعظام ٥ واما لانهم رأوا افراطا في حطمها
وتمادي في الاستهانة بها قاله الزمخشري ٥ قال القرطبي الضمير في قالوا
للصفار الذين سمعوا ابرهيم او للواحد على ما تقدم قالوا سمعنا فتى
يذكرهم يقال له ابرهيم الفتى الشاب والفتاة الشابة ٥ قال
ابن عباس ما ارسل الله نبيا الا شابا ثم قرأ سمعنا فتى يذكرهم ٥
قال الزمخشري فان قلت ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى
واي فرق بينهما ٥ قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول
وهو يذكرهم لا بد منه ليصح لانك لا تقول سمعت زيدا وسكت حتى
تذكر شيئا مما يسمع ٥ واما الثاني فليس كذلك ٥ فان قلت
ابرهيم ما هو قلت قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادى ٥
والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى اي الذي يقال له
هذا الاسم انتهى ٥ قال الامام فخر الدين ظاهر الاية يدل
على ان القائلين جماعة لا واحد فكانهم كانوا من قبل قد عرفوا منه
وسمعوا ما يقوله عليه السلام في الهتهم فغلب على ظنهم انه الفاعل
ولو لم يكن الا قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الى غير ذلك لكفى
قالوا اي نمرود واشراف قومه فأتوا به احضروا ابرهيم على اعين الناس

يسبهم ويعيبها

اي الصنعا الذين سمعوا ابرهيم او الاصنام على ما تقدم

لعلهم يشهدون عليه بما فعل او ينتقمون منه

لنسرن وانت صحيح القائل في عنقك هم

اعلم ان القوم لما شاهد واكسر الاصنام وقبل ان فاعله ابرهيم
عليه السلام قالوا فيما بينهم فأتوا به على اعين الناس قال
الفرطي لما بلغ الخبر نمرود واشراف قومه كرهوا ان ياخذوه بغير
بينة قالوا فاتوا به ظاهرا بمرأى من الناس حتى يروه لعلهم يشهدون
عليه بما قال ليكون ذلك حجة عليه وفي هذا دليل على انه كان لا يواخذ
احد بدعوى احد فيما تقدم لقوله فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
وهكذا الامر فيما نحن فيه انتهى كلامه قال
الزمخشري على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمرأى
منهم ومنظر قال فان قلت ما معنى الاستعلاء في على قلت
هو وارد على طريق التمثيل اى يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن ثبات
الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه
او بما فعله كانهم كرهوا عقابه بلا بينة او يحضرون عقوبته له
قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم في الكلام حذف وهو فاتوا
به وقالوا انت فعلت هذا طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا
على ايذائه فظهرها انقلب الامر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه فقال
قال ابرهيم بل فعله عن الكسائي انه يوقف عليه اى فعله من فعله
وفيه حذف الفاعل وانه لا يجوز ويجوز ان يكون الفعل مسندا
الى الفتى المذكور في قوله سمعنا فتى يذكرهم اوالى ابرهيم في قوله
يا ابرهيم ثم قال كبيرهم هذا وهو مبتدا وخبره والاكثر
على انه لا وقف والفاعل ابرهيم وهذا وصف اوبدل قال
الامام فخر الدين وقوله بل فعله كبيرهم كذب والجواب

للناس

للناس فيه قولان احدهما وهو قول كافة المحققين انه ليس بكذب
وذكروا في الاعتذار عنه وجوها احدها ان هذا من معاريض
الكلام ولطايفه هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الرياضة
من علماء البيان المعاني والقول فيه ان قصد ابرهيم صلوات الله
عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد
تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ به غرضه
من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت
كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا وصاحبك
امي لا يحسن الخط او لا يقدر على الا على خربشة فاسدة فقلت
له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخربش لان اثباته والامر دائر
بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر وثانيها
ان ابرهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة
مرتبة وكان غيظه من كبيرها اشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له
فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطه لها
والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الكامل عليه وبالثها
ان يكون حكاية لما يقوله الى تجويزه مذهبهم كانه يقول ما تنكرون
ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا
واشد منه وهذه الوجوه اللاتة ذكرها صاحب الكشاف قال
ورابعها انه كناية عن غير مذكور اى فعله من فعله وكبيرهم
ابتداء كلام وعن الكسائي انه كان يقف عند بل فعله وقد تقدم

صاحب الكشاف وحكى انه بل فعله كبيرهم غضب ان تعبد هذه الصغار و اكبر منها انتهى

هذا القول ۞ وخامسها انه يجوز ان يكون فيه وقف عند قوله
كبيرهم ثم يبتدئ فيقول هذا فاسئلوهم ۞ والمعنى بل لم يفعله
كبيرهم وعن نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم ۞ وسادسها
ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا
ان كانوا ينطقون فاسئلوهم ۞ وسابعها قراءة محمد بن السميفع
فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم اي لم افعله
انا بل فعله كبيرهم ۞ القول الثاني وهو قول طايفة من اهل
الحكايات ان ذلك كذب ۞ واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه
انه قال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات كلها في ذات الله تعالى
قوله اني سقيم ۞ وقوله بل فعله كبيرهم ۞ وقوله لسارة هي اختي ۞ وفي خبر
اخر ان اهل الموقف اذا سالوا ابرهيم الشفاعة قال اني كذبت ثلاث كذبات
قال الامام فخر الدين واعلم ان هذا القول مرغوب عنه ۞ ولو صح
هذا الخبر فهو محمول على المعاريض على ما قال صلى الله عليه وسلم ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب ۞ اما قوله اني سقيم لعله سقم قلبي ۞ واستقصاء
الكلام فيه تقدم في موضعه ۞ واما قوله بل فعله كبيرهم فقد مضى الجواب عنه
۞ واما قوله لسارة هي اختي فالمراد اخته في الدين ۞ واذا امكن حمل
الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب الى الانبياء عليهم السلام فقد
وجب الحمل على ظاهره ۞ فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب اليهم الا زنديق
انتهى كلام الامام ۞ قال القرطبي في تفسيره روى البخاري ومسلم
والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه لم
يكذب ابرهيم النبي صلى الله عليه وسلم في شيء قط الا في ثلاث ۞ قوله اني سقيم

وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله كبيرهم ۞ قال الترمذي حديث حسن صحيح
۞ ووقع في الاسراء في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة فرقصه ابرهيم قال وذكر
قوله في الكواكب هذا ربي ۞ فعلى هذا يكون الكذبات اربعا الا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد نفى ذلك بقوله لم يكذب ابرهيم النبي قط الا في ثلاث
كذبات تنتين في ذات الله اني سقيم ۞ وقوله بل فعله كبيرهم هذا ۞ وواحدة
في شان سارة الحديث لفظ مسلم ۞ ولم يعد عليه قوله في الكواكب
هذا ربي كذبة ۞ وهو داخل في الكذب لانه والله اعلم كان حينئذ
في حال الطفولية ۞ وليست حال تكليف ۞ او قاله لقومه مستفهما
لهم على جهة التوبيخ والانكار وحذف همزة الاستفهام ۞ او على طريقة
الاحتجاج على قومه تنبيها على ان ما يتغير لا يصلح للربوبية ۞ وقد تقدم
هذه الوجوه كلها في الانعام ۞ قال القاضي ابو بكر بن العربي
في هذا الحديث ثلاثة عظمى تقصم الظهر ۞ وهو انه صلى الله عليه وسلم
قال لم يكذب ابرهيم الا في ثلاث تنتين ما حل بهما في دين الله ۞ وهما قوله
اني سقيم ۞ وبل فعله كبيرهم هذا ۞ ولم يعد هذه اختي في دين الله ۞ وان كان
دافع بها مكروها ۞ ولكنه لما كان لابرهيم فيها حظ من صيانة فراشة وحماية
اهله لم يجعلها في ذات الله ۞ وذلك لانه لم يجعل في حب الله وذاته
الا العمل الخالص من شوائب الدنيا ۞ والمعاريض التي ترجع الى النفس اذا حصلت
للدين كانت لله سبحانه كما قال الا لله الدين الخالص ۞ وهذا لو صدر
منها كان ريبة ۞ ولكن منزلة ابرهيم عليه السلام اقتضت هذا ۞ قال
القرطبي قال علماؤنا الكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ۞ والظاهر
ان قول ابرهيم عليه السلام فيما اخبر به عليه السلام كان من المعاريض

وان كانت معاريض وحسنات وحججا في الخلق ودلالات لكنها اثرت
في الرتبه • وخفضت عن مجيد المنزلة • واستحيى منها قايلها على ما
ورد في حديث الشفاعه • فان الانبيا يشفقون مما لا يشفق غيرهم اجلالا
لله • فان الذي كان يليق بمرتبته في النبوه والخلة ان يقدح بالحق
ويصرح بالامر كيف ما كان ولكنه رخص له فقبل الرخصة وكان ما كان
من العصمة • ولهذا جاء في حديث الشفاعة انما اتخذت خليلا
من وراء وراء • وانصب وراء وراء على البنا لخمسة عشر • والمعنى
اني كنت خليلا متاخرا عن غيري • ويستفاد من هذا ان الخلة بكمالها
لم تصح الا لمن صح له في ذلك اليوم المقام المحمود كما تقدم • وهو نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم كلام القرطبي • قال الخازن في تفسيره ويجوز
ان يكون الله تعالى اذن لابرهيم في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج
عليهم • كما اذن ليوسف عليه السلام حتى اذن مؤذن ايتها العير
انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا انتهى فشاء لوهم اعتراض • وقيل
مرض بالكبر نفسه اليهم • وانما اضاف نفسه اليهم لاشتراكهم في الكفر
• فشاء لوهم عرجالهم ان كانوا ينطقون وانتم تعلمون عجزهم عنه
فرجعوا الى انفسهم اي فرجعوا الى عقولهم وتفكروا بقلوبهم • قال
الزمخشري فلما ألقمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا
انكم انتم الظالمون على الحقيقة بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه حين
قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين • فان من لا يدفع عن راسه
الفاس • كيف يدفع عن عابديه الباس • كذا في المدارك • قال
الامام فخر الدين في قوله انكم انتم الظالمون وجوه • الاول ان ابرهيم عليه السلام

واضافه الى هم

لما نبههم

لما نبههم مما اورده عليهم من قبح طريقتهم تنبهوا فعلموا ان عبادة الاصنام
باطلة وانتم على غرور وجهل في ذلك • والثاني قال معاذ فرجعوا
الى انفسهم فلاموها فقالوا لانفسكم انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتم
ذلك حتى انه اخذ يتهزى بكم في الجواب لابرهيم عليه السلام حيث
تزعمون انه كسرها مع ان الفاس بين يدي الصنم الكبير • ومالها
معناه انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتم ذلك حتى انه اخذ يتهزى
بكم في الجواب • والاقرب هو الاول ثم نكسوا على رؤوسهم قال
في المدارك اجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول فادركتهم
الشقاوة • اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم
• يقال نكسته فنكس انقلب • فجعلت اسفله اعلاه • وانتكس انقلب • اي
استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا
وانقلبوا عن تلك الحالة واخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان جعل
هؤلاء مع تفاوتهما عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة
فضاره منهم • او المعنى انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم
عنه حين تفوا عنها القدرة على النطق • او المعنى قلبوا على رؤوسهم
حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم
فما اجادوا جوابا الا ما هو حجة عليهم • قاله الزمخشري • لقد علمت
اي وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها
والجملة سدت مسد مفعولي علمت • والمعنى لقد علمت عجزهم عن النطق
فكيف تسألهم قال محتجا عليهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا
هو في موضع المصدر اي نفعا ما ولا يضركم ان لم تعبدوه اف لكم
ان عبدتموه

شيئا وقدر الكم

ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر ه اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم ه وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل ه فتأفف بهم لدى الكشاف ه واللام لبيان المتاءفف به اى لكم ولآلهتكم هذا التأفف ه اف مدنى وحفص ه اف مكى وشامى ه اف غيرهم افلا تعقلون ان من هذا وصفه لا يجوز ان يكون الها ه فلما لزمتهم الحجة ه وعجزوا عن الجواب وغلبوا اجمعوا امرهم على اهلاكه ه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة ه فعند ذلك قالوا حرقوه بالنار لانها اهول ما يعاقب به واوقع وانصروا آلهتكم بالانتقام منه ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا ه فاختاروا له اهول المعاقبات وهو الاحراق ه والا فرطتم فى نصرتها ه وليس فى القرآن ذكر من اشار باحراقه ه والمشهور انه نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام ه وقال مجاهد سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول انما اشار بتحريق ابرهيم رجل من الاكراد من اعراب العجم اى من بادية لها ه وقيل اسمه هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ه ذكر القصة فى ذلك فلما اجتمع نمرود وقومه لاحراق ابرهيم حبسوه فى بيت ه وبنوا بنيانا كالحظيرة ه قال القرطبى طول حائطه ثمانون ذراعا ه وعرضه اربعون ذراعا

وذلك

لذلك حالا يعذب بالنار الا خالقها ص

لهذا عظموا النار (ملكهم ص) ليتكلفوا لتشهير امرها وتفخيم شأنها لدعائه لو اجهدا فى ذلك ص

وذلك بقرية يقال لها كوثى ه فجمعوا له صلاب الحطب واصناف الخشب مدة شهر ه حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لاجمعن حطبا لابرهيم ه وكانت المراة تنذر فى بعض ما تطلب لئن اصابته لتحطبن فى نار ابرهيم ه وكانت المراة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها ه وكان الرجل يوصى بشراء الحطب والقائه فيه ه فلما جمعوا ما اراد وا واشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها ه فاوقدوا عليها سبعة ايام ه فلما اراد وان يلقوا ابرهيم لم يعلموا كيف يلقونه ه وقيل ان ابليس لعنه الله جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابرهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا ه فصاحت السموات والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة ه اى ربنا ابرهيم خليلك يلقى فى النار وليس فى ارضك احد يعبدك غيره فأذن لنار نصرته ه فقال الله عز وجل انه خليلى ليس فى خلقى غيره ه وانا الهه ليس له الا غيرى فان استغاث باحد منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينه وبينى ه فلما اراد وا القاءه فى النار اتاه خازن المياه ه وقال ان اردت اخمدت النار ه واتاه خازن الهوآء وقال ان شئت طيرت النار فى الهوآء ه فقال ابرهيم لا حاجة لى اليكم حسبى الله ونعم الوكيل ه وروى عن ابى ركعب ان ابرهيم كان حين اوثقوه ليلقوه فى النار

نسخ ص بالمآء

رفع راسه الى السما فقال اللهم انت الواحد فى السما وانا الواحد فى الارض
ليس احد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل ورُوى عن ابى كعب
عن النبى صلى الله عليه وسلم ان ابرهيم حين قيدوه ليلقوه فى النار قال لا اله
الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال
ثم رموا به فى المنجنيق من مضرب مائتى ميل فاستقبله جبريل عليه السلام
فقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما اليك فلا قال جبريل فسل ربك
فقال ابرهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
فى قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم عليه السلام
حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم وقال كعب الاحبار جعل كل شئ يطفئ عنه النار
الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار وعن ام شريك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بقتل الاوزاغ زاد البخارى وقال كان ينفخ على ابرهيم
وسماها صلى الله عليه وسلم فويسقة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انما
عجز بقوله حسبنا الله ونعم الوكيل قال فى زهره الرياض هنا
اشارة كان الله تعالى يقول ان ابرهيم حين تحيز من الاعداء واجمعوا
عليه كيدهم قصد الى بقوله حسبى الله ونعم الوكيل كيدهم وصيرت
النار عليه بردا وسلاما واذا تحيزت من الشيطان واراد هلاكك
فاقصد الى اكفك كما قال ومن يتوكل على الله فهو حسبه واصبر على
المعصية رحمة وحسنة كما قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وتقدم فى سورة يوسف عليه السلام قصة كتاب يعقوب الى يوسف
وان يعقوب بكى على يوسف حتى ذهب بصره فلما حبس يوسف

اربعين منهم

اخاه

اخاه بنيامين بالسرقه كتب يعقوب الى يوسف عليهما السلام
وهو لا يعلم انه يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب بن اسحق
بن ابرهيم الى عزيز مصر سلام عليك فانى احمد الله الذى لا اله الا
هو اما بعد فانا اهل بيت مولع بنا اسباب البلايا كان جدى
ابرهيم القى فى النار فى طاعة ربه فجعلها الله بردا وسلاما وامر الله جدى
ان يذبح ابى ففداه الله وكان لى ابن من احب الناس الى ففقدته
فاذهب حزنى عليه نور بصرى وكان له اخ من امه كنت اذا ذكرته
ضممته الى صدرى فاذهب عنى بعض وجدى وهو المحبوس عندك
فى السرقه وانى لم اسرق ولم ألد سارقا قال فلما قرا يوسف
عليه السلام الكتاب بكى وصاح وقال اذ هو القميص هذا فالقوه
على وجه ابى يات بصيرا الاية انتهى قال فى زهره الرياض
اعلم ان الله تعالى غير خمسة اشياء عرفها لاجل خمسة نفر
فغير الرمل دقيقا للخليل عليه السلام كما حكى انه وقع فخط
فى عصر ابرهيم عليه السلام فارسل غلمانه الى خليل له بمصر ليبعث
اليه طعاما يطعم المساكين فقال الخليل خليل ابرهيم للرسول انا
اعلم انه يريد الطعام للضيفان فقل له بخ ضيفانك اذ ليس عندنا
غيرها فرجع غلمانه بلا شئ واستحيوا ان يدخلوا البلد صفر اليد
فملاوا الاوعية من الرمال والجوالق من التراب ودخلوا البلد
وكان ابرهيم عليه السلام نائما ففتحت سارة راس واحدة فوجدت
دقيقا احسن الدقيق فصنعت منه طعاما للفقرا فلما انتبه ابرهيم
عليه السلام من النوم وجد ريح خبزها حارا فقال لساره من اين لك هذا

فعالج بعث به صدقك وخليلك المصري • فجاء ابرهيم عليه السلام
وفتح راس واحدة فوجد على كل حبة حنطة مكتوبا لا اله الا الله
• فعلم انه عطاء الرب • فقال يا ساره لم يبعث بهذا الخليل المصري
ولكن بعث به الخليل السماوي • والماء دما للكليم كما روى
ان الله تعالى اوحى الى موسى اضرب بعصاك النيل فتحول فضرب فتحول
دما عبيطا يرده قوم فرعون فيخضب ايديهم دما • وجرت انهارهم دما
وان الرجل من ال فرعون ليدخل الماء ليشرب فيصير الماء دما • ومن بين يديه
ومن خلفه ماء عذب صاف • والحديد ليونا لداود عليه السلام
• والطير خفاشا لعيسى عليه السلام • والبول دما
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال لام سلمة انظري الى الفارورة ولكل واحدة
فصه مذكورة في محلها • وكذلك جعل دم الحصن غذاء للجنس • فنرجو
من الله تعالى ان يبدل السيئة حسنة بفضله • كما اخرج اللبن من بين فرث
ودم • وكذلك يخرج من تقصير الطاعات وارتكاب المعصية بدنا
مغفورا اذا اناب • كما قال تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات انتهى
قال في زهره الرياض ان الله اعطى لابرهيم الخلة • وذلك انه لما راى
ابرهيم في المنام ان يذبح ولده ثم فداه الله تعالى فتعجبت الملائكة من ذلك
حيث اعطى ماله للضيفان • وبدنه للنيران • وقلبه للرحمن • وولده
للقربان • فاكرمه الله بالخلة • واتخذ الله ابرهيم خليلا • قالوا اتخذ
الله ابرهيم خليلا يوم عاشورا • ونجاه الله من النار يوم عاشورا • وابتدأ
ببنا الكعبة يوم عاشورا • وولد اسحق واسمعيل في يوم عاشورا • وكشف
الله البلا عن ايوب يوم عاشورا • قال في زهره الرياض لما اراد

نمرود

نمرود ان يلقى ابرهيم في النار فجاء به مكتوفا ووضعوه في المنجنيق فمدة
عشرة من الرجال فلم تطيقوه وكذلك مايه وماتان • قال ابرهيم اراكم
لا تطيقون القاءي في النار • قالوا بلى • قال ابرهيم اذكروا اسم الله
خليل • قالوا ما يقول هذا المجنون • حتى قالوا على وجه الاستهزاء
بسم الله الرحمن الرحيم فرموه في النار • قال الله لجبريل ادرك
بك فاغثه فجاء جبريل فقال له هل لك من حاجة قال اما اليك فلا حسبي الله ونعم الوكيل ص
• قال جبريل الا تستغيث بالرب وتسال نفسك قال العلم
بحالي مغيوبة والنفس المعيوبة لا تسال من رب طاهر • قال
سل روحك قال الروح عارية والعارية مردودة • قال
سل قلبك قال القلب له يفعل ما يشاء • قال جبريل الا تستغيث
من النار • قال مرا وقد النار قال نمروذ • قال من حكم بذلك قال الجليل
قال ابرهيم الخليل راض بحكم الجليل • قال الله يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم اي كوني بردا على خليلي • فان حبي في قلب خليلي
• ولما نادى الرب النار بكى ابرهيم • قال يا رب انا طرحت في النار والنداء
لغيري والله لو عذبتني بنار الارض والسماء ثم نادتني كان ذلك احب
الي من نعيم الدنيا • قال الله له يا ابرهيم من كانت النار لولا انت
• وذكر في تكملة اللطف • لما القي الخليل في النار خرج ندا من النار
السلام عليك يا خليل الله • واصطفت الطيور في الهوا • والملائكة
في السما وبكوا رحمة للخليل • وكان فيهم طير ضعف القى نفسه في النار
موافقة للخليل • فقال الله يا جبريل ادرك ذلك الطير الضعيف يريد
ان يهلك نفسه موافقة لخليلي وقل له ان لك عندي الف حاجة

اقضيها ص

فسلها حتى اقضيها لك فطار حبريل من سدرة المنتهى حتى بلغ الى الطير
في اسرع من طرفة عين فاخذ الطير من الهوا فوضعه على الارض واخبره
بما قال الله عز وجل • فقال الطير يا جبريل ليس في الدنيا احب الي
من اسمائها الله • واني سمعت الله يعد الف اسم واني احفظ مائة
اسم • واني اريد ان تعلمني تسع مايه اسم حتى يكون الف تام فعلمه اسما
الله يعد • وذلك الطير هو الذي يقال له العندليب بالعربية
• ويقال له بالفارسية هزار دستان • وقال لما اتخذ
الله ابرهيم خليلا • قالت الملايكة له نفس ومال وولد وامراة • قال الله
يعد ليس في قلبه محبة غيري • فابتلى الله خليله بالمال والولد والنفس
والقلب • سلم ماله للضيفان • ونفسه للنيران • وولده للقربان •
وقلبه للرحمن • وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين اي قال ابرهيم
اني ذاهب يعني بقلبي وعملي ونيتي الى ربي رضي وطاعته سيهدين
سيرشدني • ومعنى الذهاب الى الله • والاعتماد على الله
لا اركن الى احد سواه • لا الى المال والولد والنفس • بل اعتماد الخليل
على الجليل • واعتماد العبد الذليل على الرب الجليل • انتهى قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما اي ذات برد وسلام • وتوليغ في ذلك • كان ذاتها
برد وسلام على ابرهيم اراد ابردي فيسلم منك ابرهيم • او ابردي
بردا غير ضار • قال الزمخشري جعلت النار لما وعنها فعل
الله واراد تنه كما مر امر بشيء فامتثله • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها • فان قلت كيف برد
النار وهي نار قلت نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر

حارة م

والاحراق

والاحراق • وابقاها على الاضاءة والاشراق • كما كانت وهو على كل
شيء قدير • ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها
ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم • ويدل عليه قوله
على ابرهيم انتهى • قال الامام فخر الدين قال ابو مسلم الاصفهاني
في تفسير قوله قلنا يا نار • المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار بردا
وسلاما لان هناك كلاما كقوله ان يقول له كن فيكون • اي يكونه
• وقد احتج عليه بان النار جماد فلا يجوز خطابه • والاكثرون على انه
وجد ذلك القول • ثم هو الا لهم قولان • احدهما وهو قول السدي
ان المقابل هو جبريل • والثاني وهو قول الاكثرين ان المقابل هو الله
تعالى وهو الاقرب والاليق بالظاهر • وقوله النار جماد فلا يكون في خطابها
فايدة • قلنا لم لا يجوز ان يكون المقصود من ذلك مصلحة عايدة
الى الملايكة • واختلفوا في ان النار كيف بردت على قولين • احدهما
انه تعالى ازال عنها ما فيها من الحر والاحراق • وابقى ما فيها من الاضاءة
والاشراق • والله على كل شيء قدير • وثانيهما انه سبحانه خلق
في جسم ابرهيم كيفية مانعة من وصول النار اليه • كما يفعل بخزنة
جهنم في الاخرة • وكما انه ركب بنية الغامة بحيث لا يضرها ابتلاع
الحديد المحماة • وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار •
وثالثها انه خلق بينه وبين النار حايلا يمنع من وصول النار اليه
• قال المحققون والاول لا ظاهر قوله يا نار كوني بردا ان نفس
النار صارت باردة حتى سلم ابرهيم من تاثيرها • فان قيل
ان النار اسم للجسم الموصوف بالحرارة واللطافة • فاذا كانت الحرارة

اثر ح

جزءاً من سبعين النار امتنع كون النار باردة فيقول يمكن ان يكون
النار بردا على ابرهيم وانها هي النار كما كانت على الغير • اما
قوله كونه سلاما على ابرهيم فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كالحر
بل لابد من الاعتدال • ثم حصول الاعتدال على ثلثة
اوجه احدها ان يقدر الله بردها بالمقدار الذي لا يؤثر
• وثانيها ان بعض النار صار بردا • وبعضها بقي على حرارته • فتعادل
الحر والبرد • وثالثها انه تعالى جعل في جسمه مزيد حر مسلط
على ذلك البرد فانتفع به والتذ • قال قتادة افكل النيران في الدنيا
زالت وصارت بردا • الحوات ظاهر اللفظ يدل على هذا لكنه
يمكن ان يكون زوالها عن النار بالنسبة في حق ابرهيم لا غير • قال
ابن القرظي قال الكلبي بردت نيران الارض جميعا فاضجت كراعا ولم ينلها
• قال بعض العلماء جعل الله فيها بردا يدفع حرها وحرا يدفع بردها فصار
سلاما عليه • قال ابو العالية لو لم يقل بردا وسلاما
لكان بردها اشد عليه من حرها • ولو لم يقل على ابرهيم لكان بردها
باقيا على الابد • وذكر بعض العلماء ان الله
لو لم يتبع بردا سلاما لمات ابرهيم عليه السلام من بردها • ولم يبق
يومئذ نار الا طفئت ظنت انها لا تعنى • قال السدي وامر الله
كل عود من شجرة ان يرجع شجرة ويطرح ثمرته • وقال
كعب وقتاده ولم تحرق النار من ابرهيم الا وثاقه • فاقام في النار سبعة
ايام لم يقدر احد ان يقرب من النار • ثم جاء فاذا هو قائم يصلي
• وذكر بعض العلماء ان الله بعث اليه جبريل زربية من الجنة فبسطها

في الجحيم

الى طفئت

في الجحيم • وانزل الله ملائكة جبريل وميكائيل وملك البرد وملك السلامة
• وقال المنهال بن عمرو قال ابرهيم ما كنت ايام قط انعم مني
في الايام التي كنت في النار • وقيل اخذت الملائكة بضبعي ابرهيم
فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء وورد احمر وترجس • قالوا
وكان ابرهيم في ذلك الموضع سبعة ايام • قيل وبعث الله
ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد الى جنب ابرهيم يونسه • قالوا
وبعث الله جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وطنفسة
فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه • وقال
جبريل يا ابرهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبابي
• وقال كعب وقتاده والزهري لم يبق يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار
الا الوزغ فانها كانت تنفخ عليه فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه
بقتلها وسماها فويسقة • وقال شعيب الجبائي القي ابرهيم
في النار وهو ابن ستة وعشرين سنة • ثم نظر نمرود
واشرف على ابرهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة
والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب • فنادي يا ابرهيم
كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما اري يا ابرهيم
هل تستطيع ان تخرج منها • قال نعم • قال هل تخشى ان اقمت ان تضرك
• قال لا • قال فقم فاخرج منها • فقام ابرهيم يمشي فيها حتى خرج منها
• فلما وصل اليه قال له يا ابرهيم من الرجل الذي رايته معك مثلك
في صورتك قاعدا الى جنبك • قال ذاك ملك الظل ارسله الي ربي
ليؤنسني فيها • فقال نمرود يا ابرهيم اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت

فيها

من قدرته وعزته فما صنع بك حين ابيت الا عبادته وتوحيده
واني ذابح له اربعة الاف بقرة ۞ قال ابرهم اذا لا يقبل الله منك
ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع ترك
ملكي ولكن سوف اذبحها له ۞ فدخلها نمروذ وكف عن ابرهم عليه
السلام ۞ ومنعه الله عز وجل منه ۞ قال الامام فخر الدين ۞
فان قلت هل يجوز في قوله تعالى وسلاما ما روي عن الحسن من انه سلام
من الله على ابرهيم ۞ والجواب الظاهر انه كما جعل النار بردا وسلاما
جعلها سلاما عليه حتى تخلص فالذي قاله يبعد
وفيه تنبيه الكلام المرتب ۞ فان قلت فيجوز ما روي انه
لو لم يقل سلاما لاذى البرد عليه ۞ الجواب انه يعيد ايضا لان برد
النار لم يحصل منها ۞ وانما حصل من جهنه الله سبحانه فهو القادر على الحر
والبرد فلا يجوز ان يقال كان البرد يعظم لو لا قوله سلاما ۞
فان قلت فيجوز ما قيل من انه كان في النار انعم عيشا منه في سائر
احواله الجواب لا يمنع ذلك لما فيه من اثر مزيد النعمة عليه
وكمالها ۞ ويمكن ان يقال انما صار انعم عيشا لعظم سروره بخلاصه
من ذلك الامر العظيم ولعظم سروره بالظفر على اعدائه ۞ وبما ظهر
من دين الله ۞ وقال المنهال بن عمرو اخبرت ان ابرهيم عليه السلام
لما القي في النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما ۞ وقال ما كنت اطيب
عيشا مني اذ كنت فيها ۞ قال الامام فخر الدين ۞ وروينا
هذه القصة على وجه آخر وهو انهم بنوا لابرهيم بنيانا والقوه فيه
فراوقدوا عليه النار سبعة ايام فطبقوا عليه ۞ ثم فتحوا عنه من الغد

فاذا هو

هارون ۞

فاذا هو غير محترق يعرق عرقا ۞ فقال لهم ابولوط ان النار
لا تحرقه لانه ساحر النار ۞ ولكن اجعلوه على شيء واوقدوا تحته
فطارت شرارة في لحية ابن لوط فاحرقته فان الدخان يعلوه ۞ فجعلوه
فوق بيت واوقدوا تحته فطارت شرارة في لحية ابي لوط فاحرقته
انتهى كلام الامام فخر الدين ۞ وفي زهرة الرياض ۞ قال الخليل
لما خرج من النار ومن مثل والنار لم تعمل في ۞ قيل له لا تنظر الى نفسك
وانما لم تعمل النار فيك ببركة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وكما فدى اسمعيل
عليه السلام كرمة محمد صلى الله عليه وسلم لما كان في صلبه ۞ جعل النار بردا
وسلاما على ابرهيم لكرمته لانه كان في صلبه ۞ ونجى نوحا من الطوفان
لانه كان في جنبته ۞ كان الطوفان ولا غرق ۞ ونار نمروذ ولا حرق
والسكين ولا قطع ۞ وكذلك يوم القيمة الصراط والنار ۞ ولامته
الامن كرمته ۞ قال في زهرة الرياض ۞ جاء ان الله تعالى خمسة نداء
لخمسة نفر ۞ جاء ندا من الله لنار نمروذ يا نار كوني بردا وسلاما ۞ يا نار
الجبار لك ۞ وابرهيم لي ۞ وقال يا بحر ان فرعون لك وموسى لي ۞ وقال
يا محمد الشفاعة لك والرحمة لي ۞ وقال يا نار الذنوب لك والعصاة
لي ۞ وقال يا سكين الكبش لك واسمعيل لي ۞ قال ولما وضع
ابرهيم السكين على حلق اسمعيل لم تقطع السكين فرماها ابرهيم وقال
السكين يا ابرهيم لم تغضب علي قال لانك لم تمتثل امري قال السكين
يا ابرهيم لم تحرق النار قال جاء اذن من الله الى النار ان لا تحرق ابرهيم
فقالت يا ابرهيم جاء الاذن من الله الى النار مرة واحدة ۞ وجاءني سبعين مرة
ان لا اقطع حلق اسمعيل فاخذا مرك امر الله ۞ وفي الخبر

قال ص

قال النبي صلى الله عليه لجبريل هل اصابك تعب في نزولك من السما مع صورتك
الاول هذه قال نعم في اربع مواضع حين القي ابرهيم في النار كنت
تحت العرش قال الله تعالى ادرك عبدي فادركته فعلت هل لك
حاجة قال اما اليك فلا الثاني حين وضع ابرهيم السكين على حلق
اسمعيل كنت تحت العرش قال الله تعالى ادرك عبدي فادركته فطرفة
عين فقلبت السكين قال الله تعالى يا ابرهيم لا ترفع ما وضعته انا
وهو راسه على عنقه فارفع ما وضعته انت وهو محبته في قلبك
الثالث حين شجك الكفار وكسروا رباعيتك يوم احد
قال الرب تعالى ادرك دمه حبيبي فانه ان سقط من دمه
شيء على الارض ما اخرجت نباتا ولا شجرا فنزلت وقبضت دمك
من رمينه في الهوا الرابع حين القي يوسف في الجب قال الله
تعالى ادرك عبدي فادركته قبل ان يصل الى قعر الجب واخرجت حجرا
من اسفل البئر فجلس عليه ونقال لما اراد ابرهيم ذبح اسمعيل
صار طوق في عنقه فقطع الطوق دون الحلق فوقع الحديد على الحديد
لانه وقع السلم على السلم بقوله فلما اسلما فتعجب ابرهيم فقال
جبريل لا تتعجب اما رايت ان نار نمرود احرقت القيود ولم تحرق شعرة
من جسدك كذا هذا وذكر في زهرة الرياض حديث رعصة
روي ان نمرود عليه اللعنة كان له ابنة يقال لها رعصة
فاستاذنت من ابرهيم ان تنظر الى ابرهيم عليه السلام حين القي في النار
فقال يا بنتاه ان ابرهيم قد صار رمادا فاذن لها فلما نظرت الى ابرهيم
قالت يا ابرهيم الا تحرقك النار قال من كان في قلبه معرفة الله
وعلى لسانه بسم الله الرحمن الرحيم لا تحرقه النار قالت
افاذن لي ان ادخل عندك في النار قال قول لا اله الا الله ابرهيم
رسول الله مرادخل ولا تخافي فقالت فدخلت وخمدت النار فاسلمت
ثم رجعت الى ابيها فسمع ابوها قولها فوعظها فلم تقبل وعظه
وعذبها بمسامير الحديد فامر الله جبريل عليه السلام حتى رفعها
من ظهر انهم وجاء بها الى ابرهيم وكان لابرهيم ابن يقال له مدين
فزوجها منه فحملت منه عشرين بطنا فاكرمهم الله بالنبوة فالله
لا يضيع اجر من ذكره وان قل قال ولما القي الخليل في النار
انزل عليه جبريل قطرتين من ماء الكوثر فصبها على النار فصارت النار
عليه بردا وسلاما وفي الحديث ان ابرهيم عليه السلام لما جعل
الله النار عليه بردا وسلاما واهلك عدوه نمرود تزوج سارة
وكانت احسن الناس وجها تشبه حوا في حسنها فعزم ابرهيم على الانتقال
من ارض بابل الى ارض الشام فجعل تابوتا وادخل سارة فيه وحملها
وخرج بها نحو الشام وكان يمر في الطريق على عاشر فلما نزل عليه
عشر ماله حتى بلغ الى التابوت قال افتح التابوت حتى اقوم ما فيه
واعشره قال ابرهيم لا يمكنني فتحه هب ان ما فيه كله ديباج
وحرير فاعشره فابى من ذلك قال هب ان ما فيه كله انه دراهم
ودنانير وجواهر فاعشرها فابى وقال لا بد من الفتح ففتح
باب التابوت فاذا فيه امراة حسنا لم ير الناس مثلها وكان ملكهم
يميل الى النسا فاخبره العشار بها فادعى الملك ابرهيم فقال من اين لك
هذه المراة فقال اختي وخاف ان قال امراتي لعله يقتله واراد انها

الثاني

الثالث

الرابع

ابرهام

اخته فى الاسلام • فعال سلّمها الىّ فسلّمها اليه وادخلها قصره وبقى
ابرهيم خارج القصر متحيرا • فجعل الله حيطان القصر كالزجاجة
حتى ينظر ابرهيم باطنها وظاهرها • فقرّبت سارة الى الملك • فراى
وجها لم ير مثله فمدّ يده اليها ليضمّها الى نفسه • فيبست يده وجعل
يتقلب البيت وحيطانه يتحول عليه • فعام مشرعا من مكانه وخرج
الى صحن الدار • فانهدم البيت كله • فدعى الملك سارة فاخبرته
انها امراة ابرهيم وانه رجل صالح • فعال الملك ادعى الله حتى يعافينى
وانا اسلمك اليه • وكساها من احسن ثيابه • وتضرع اليها • فدعت
الله فعوفى فى الحال • فوهب لها جارية يعال لها هاجر • وعال هذه لكِ
لما نظرت الى شعرك • وردّها الى ابرهيم • وكان ابرهيم ينظر الى هذه
الاحوال كلها خارج القصر • فحملها الى الشام • وكان لا يولد له من سارة
فوهبت هاجر له • وعالت له عسى الله ان يرزقك منها ولدا • وكان ابرهيم
يومئذ ابن مائة سنة انتهى كلام زهرة الرياض • وَاَرَادُوا بِهٖ كَيْدًا
اى احراقا فَجَعَلْنٰهُمُ الْاَخْسَرِيْنَ اى اردوا ان يكيدوه ويمكروا به فما
كانوا الا مقهورين مغلوبين • غالبوا بالجدال فغلّبه الله ولعنته
المبكتة • وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقوّاه • قاله الزمخشرى
• عال القرطبى واراد والهم به كيدا اى اراد نمرود واصحابه
ان يمكروا به • فجعلناهم الاخسرين فى اعمالهم • وردّدنا مكرهم عليهم
بتسليط اضعف خلقنا • عال ابن عباس سلّط الله عليهم اضعف
خلقه البعوض • فما برح نمرود حتى راى عظام اصحابه وخيله بلوح
اكلت البعوض لحومهم وشربت دماءهم • ووقعت واحدة فى منخره

فلم تزل

فدعت فسلم الله

فلم تزل تاكل الى ان وصلت دماغه • وكان اكرم الناس عليه الذى يضرب
راسه بمرزبة مرحديد • فاقام هذا محوا من اربع مايه سنة
اشهر كلام القرطبى • وَنَجَّيْنٰهُ اى ابرهيم وَلُوطًا ابن اخيه هاران
من العراق الى الشام اِلَى الْاَرْضِ الَّتِى بٰرَكْنَا فِيْهَا لِلْعٰلَمِيْنَ اى ارض الى الشام
الشام • وبركتها الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه
فانتشرت فى العالمين شرايعهم واثارهم الدينية وهى البركات
الحقيقية • وعال بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر
والخصب وطيب عيش الغنى والفقر • وعن بعضهم انه خرج
الى الشام فعيل له الى اين فعال الى بلد يملاء فيه الجراب بدرهم
• وعال ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت صخرة بيت المقدس
• وعال ابو العاليه ليس ما عذب الا يهبط من السما الى الصخره
ببيت المقدس ثم تفرق فى الارض • ونحوه عن كعب الاحبار • وعيل
الارض المقدسه مصر • وعال ابن عباس الارض المباركه مكه
• وعيل بيت المقدس لان اكثر الانبيا منها بعث منها عاله القرطبى
• وعن لى قتاده ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عال لكعب الا تتحول
الى المدينه فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره • عال كعب
انى وجدت فى كتاب الله المنزل يا امير المومنين ان الشام كنز الله
فى ارضه وبها كنزه من عباده • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
عال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعول ستكون هجرة بعد هجرة
فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابرهيم اخرجه ابو داود • اراد
بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب فى المعام بها • وعن زيد بن ثابت

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فلت وما ذاك يا رسول الله
قال لان الملايكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذى ۞ وعن
بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرنى قال ههنا
واومأ بيده نحو الشام اخرجه الترمذى ۞ قال محمد بن اسحق
استجاب لابرهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله به من جعل
النار عليه بردا وسلاما عما خوف من نمروذ وملايه ۞ وآمنت
به سارة بنت هاران الاكبر عم ابرهيم وتبعه لوط وكان ابن اخيه
وهو لوط بن هاران وهو اخو ابرهيم ۞ وكان لهما اخ ثالث اسمه
ناحور فثلاثتهم اولاد تارح وهو آزر ۞ فخرج ابرهيم من كوثى من ارض
العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة ۞ فخرج يلتمس الفرار بدينه
والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ۞ ثم خرج
مهاجرا حتى قدم مصر ۞ ثم خرج الى الشام ۞ فنزل السبع من ارض
فلسطين ۞ ونزل لوط بالمؤتفكة ۞ وهى على مسيرة يوم وليلة من السبع
فبعثه الله نبيا الى اهلها وما قرب منها فذلك قوله ونجيناه ولوطا الى الارض
التى باركنا فيها للعالمين كذا فى معالم التنزيل ۞ ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة هو مصدر كالعاقبة من غير لفظ الفعل السابق ۞ اى وهبنا
له هبة ۞ وقيل هو ولد الولد ۞ وقد سال اسحق فاعطيه
واعطى يعقوب نافلة اى زيادة وفضلا من غير سؤال ۞ وهو حال
من يعقوب ۞ اعلم انه تعالى بعد ذكره انعامه على ابرهيم وعلى لوط
بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه بذكر غيره من النعم ۞ وانما
جمع بينهما لان لوطا مع ما كان بينهما من القرابة والشركة فى النبوة

رجع هو بريّة الشام

قوله رب هب لى من الصالحين

مزيد

مزيد انعام ۞ ثم انه ذكر النعم التى افاضها على ابرهيم ۞ ثم النعم
التى افاضها على لوط ۞ اما الاول فمن وجوه ۞ احدها وهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة ۞ النعمة الثانية قوله وكلا اى ابرهيم
واسحاق ويعقوب وهو المفعول الاول لقوله جعلنا والثانى صالحين
صالحين فى الدين اوللنبوة ۞ اى كلا جعلنا صالحين عاملين بطاعة
الله مجتنبين محارمه ۞ او صالحين مرسلين والوجه الاول اقرب
لان لفظ الصلاح يتناول الكل ولانه قال بعد هذه الاية واوحينا
اليهم فلو حملنا الصلاح على النبوة لزم التكرار ۞ واحتج اصحابنا
بهذه الاية على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله جعلناهم
صالحين يدل على ان ذلك الصلاح من قبله ۞ النعمة الثالثة قوله
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم فى الدين يهدون الناس بامرنا
بوحينا ۞ النعمة الرابعة قوله تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات
وهو جميع الاعمال الصالحة ۞ اصله ان تفعل الخيرات ۞ ثم فعلا
الخيرات ۞ ثم فعل الخيرات ۞ وكذلك قوله واقام الصلاة
الصلاة وايتاء الزكاة والاصل واقامة الصلاة الا ان المضاف
اليه جعل بدلا من الهاء ۞ قال ابو القاسم الانصارى الصلاة
اشرف العبادات البدنية وشرعت لذكر الله ۞ والزكاة اشرف
العبادات المالية ۞ ومجموعهما التعظيم لامر الله ۞ والشفقة على خلق الله
۞ واعلم انه سبحانه وصفهم اولا بالصلاح لانه اول مراتب
السائرين الى الله ۞ ثم ارتقى فوصفهم بالامامة ۞ ثم ارتقى فوصفهم
بالنبوة والوحى ۞ واذا كان الصلاح الذى هو العصمة اول مراتب النبوة

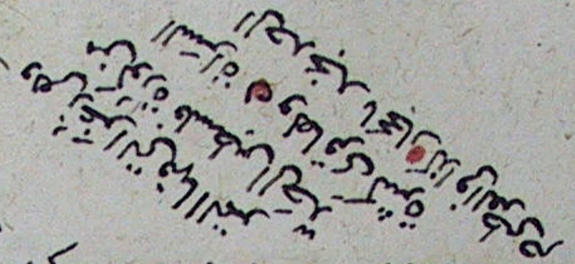

دل ذلك على ان الانبيآ معصومين • فان المحروم عن اول المراتب يكون محروما عن اخرها بالطريق الاولى • ثم انه سبحانه لما بين اصناف نعمه عليهم بين بعد ذلك اشتغالهم بعبودية • فقال وكانوا لنا عابدين لا للاصنام • وانتم يا معشر العرب اولاد ذابرهم فاتبعوه في ذلك • قال الامام فخر الدين كانه سبحانه لما وفى بعهد الربوبية في الاحسان والانعام • فهم ايضا وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبادة •

القصه الثالثة قصة لوط عليه السلام

• قوله تعالى ولوطا انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه حكما حكمة • تقديره واتينا لوطا • والحكمة ما يجب فعله • او حكما اى فصلا بين الخصوم • او نبوة • اعلم انه سبحانه بعد ما ذكر نعمه على ابراهيم اتبعه بذكر نعمه على لوط • فذكر اصناف النعم • احدها الحكم • وثانيها العلم وهو قوله وعلما فقها • وثالثها قوله ونجيناه من القرية من اهل القرية • وهو سدوم التي كانت تعمل الخبائث اللواط • والضراط في المجالس • وحذف المارة بالحصى • والمكس والرمي بالبندق • واللعب بالطيور • وغيرها من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين خارجين عن طاعة الله تعالى • ورابعها قوله وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا • او في الجنة • قال الامام فخر الدين • ويحتمل انه عليه السلام لما اتاه الله الحكم والعلم وتخلص عن جلساء السوء فتحت عليه ابواب المكاشفات • وتجلت له الانوار الالهية وهو بحر لا ساحل له وهو الرحمة الحقيقية انه من الصالحين

اى جزآء له على صلاحه • كما اهلكنا قومه عقابا لهم على فسادهم

القصه الرابعة قصة نوح عليه السلام

• قوله تعالى ونوحا اى واذكر نوحا اذ نادى اى دعى على قومه بالهلاك وهو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا من قبل اى من قبل هؤلاء المذكورين كلهم • قال الامام فخر الدين لا شبهة في ان المراد من هذا النداء دعاؤه على قومه بالعذاب • يؤكده حكاية الله تعالى عنه ذلك تارة على الاجمال وهو قوله انى مغلوب فانتصر • وتارة على التفصيل وهو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا • ويدل عليه ايضا ان الله تعالى اجابه بقوله فاستجبنا له فنجيناه • وهذا الجواب يدل على ان المذكور كان هو المطلوب في السؤال • قال هذا على ان نداءه قد كان بان ينجيه مما يلحقه من جهتهم من ضروب الاذى بالتكذيب والرد عليه • وبان ينصره عليهم ويهلكهم قال فخر الدين والمحققون على ان ذلك النداء كان بامر الله لانه لو لم يكن باذنه لم يكن من المصلحة ان لا يجاب اليه فينصرف سببا لانقطاع حال الانبيآ • ولان الاقدام على مثل هذا الطلب اذا لم يكن بامر الله تعالى كان ذلك مبالغة في الاضرار بهم • وقال احرون انه عليه السلام لم يكن ماذونا في ذلك • قال ابو امامة لم يحشر احد من حلم الله تعالى كحشر آدم ونوح عليهما السلام • فحسرة آدم على قبول وسوسة ابليس • وحسرة نوح على دعآئه على قومه بالهلاك • فاوحى الله تعالى اليه انى دعوتك وافقت قدري انتهى فاستجبنا له اى دعاءه فنجيناه واهله المؤمنين به من ولده وقومه من الكرب العظيم من الطوفان

امور اربعة اعلم ان ادخال السين عليهما يدل على علو شان ذلك الحكم وذلك العلم ص

اربعة ص

وتكذيب اهل الطغيان ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا
معناه منعناه اي من اذاهم • قال الزمخشري نصر هو الذي
طاوعه انتصر • وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم
منه اي اجعلهم منتصرين منه انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين صغيرهم وكبيرهم ذكورهم واناثهم • القصة
الخامسة قصة داود وسليمان عليهما السلام
قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكرهما • اعلم
ان المقصود ذكر نعم الله على داود وسليمان • فذكرا وجه
المشترك بينهما • ثم ذكر ما يخص كل واحد منهما من النعم •
اما النعم المشتركة بينهما ففي قصة الحكومة بقوله اذ ووجه
النعمة فيها ان الله تعالى زينهما بالعلم والفهم في قوله وكلا اتينا
حكما وعلما • ثم هذا ينبه على ان العلم افضل الكمالات واعظمها
وذلك بان الله تعالى قد مر ذكرها هنا على سائر النعم الجليلة • مثل
تسخير الجبال والطير والريح والجن • فاذا كان العلم مقدما على مثل
هذه الاشياء فما ظنك بغيرها اذ بدل منهما يحكمان في الحرث
اكثر المفسرين على ان الحرث هو الزرع • وقال بعضهم هو الكرم
والاول اشبه بالعرف اذ نفشت دخلت فيه غنم القوم
ليلا فاكلته وافسدته • والنفش انتشار الغنم ليلا بلا راع
وكنا لحكمهم اراد داود وسليمان والمتحاكمين اليهما شاهدين
كان ذلك بعلمنا ومرآى منا ففهمناها اي الحكومة
• والفتوى سليمان وفيه دليل على ان الصواب كان مع سليمان

صلوات الله

صلوات الله عليه • واعلم ان في كيفية القصة وجهان •
الاول قال اكثر المفسرين دخل رجلان على داود عليه السلام
احدهما صاحب زرع والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان
هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فافسدته فلم تبق منه شيا
فاعطاه داود رقاب الغنم بالحرث • فخرجا فمرا على سليمان فقال
كيف قضى بينكما فاخبراه • فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير
هذا • وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك
داود فدعاه فقال كيف تقضي • وروي انه قال بحق النبوة والابوة
الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين ما هو • قال ادفع الغنم
الى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها • وتبذر
صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم
اكل دفع الى اهله واخذ صاحب الغنم غنمه • فقال داود القضاء
ما قضيت • وحكم بذلك • الثاني قال ابن مسعود ان راعيا نزل
ذات ليلة تحت كرم فدخلت الاعنام الكرم وهو لا يشعر فاكلت القضبان
وافسدت الكرم فذهب صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى له بالغنم
لانه لم يكن من ثمن الكرم وثمن الاعنام تفاوت • فخرجوا فمروا بسليمان
فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال غير هذا ارفق بالفريقين • فاخبر
داود بذلك • فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والابوة الا ما
اخبرتني بالذي هو ارفق • فقال تسلم الغنم الى صاحب الكرم حتى ينتفع
بمنافعها • ويعمل الراعي في اصلاح الكرم حتى يصير كما كان ثم يرد الغنم
الى صاحبها • فقال داود القضاء ما قضيت • وحكم بذلك • قال

ابن عباس حكم سليمان بذلك وهو ابن احدى عشرة سنة ۞ قال
في المدارك وكان ذلك باجتهاد منهما ۞ وهذا كان في شريعتهم فاما
في شريعتنا فالضمان عند ابي حنيفة واصحابه سواء كان بالليل او بالنهار
۞ الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد ۞ وعند الشافعي رحمه الله يجب
الضمان بالليل ۞ وقال الخاص انما ضمنوا لانهم ارسلوها او نسخ
الضمان بقوله عليه السلام العجماء جبار ۞ وقال مجاهد كان هذا
صلحا ۞ وما فعله داود حكما والصلح خير انتهى كلام المدارك ۞ وكلا
من داود وسليمان آتينا حكما نبوة وعلما معرفة بموجب
الحكم ۞ قال الزمخشري فان قلت لم جعل حكما بوحي او باجتهاد
قلت قيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة
سليمان ۞ وقيل اجتهد كل منهما فيما اجتهد سليمان اشبه
بالصواب ۞ فان قلت ما وجه كل واحد من الحكومتين قلت
اما وجه حكومة داود فلان الضرر دفع بالغنم سلمت بجنايتها
الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه
المولى بذلك او يفديه ۞ وعند الشافعي رحمه الله يبيعه في ذلك
او يفديه ۞ ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث
۞ ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم جزاء ما فات
من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم ۞ واوجب
على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان
۞ مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده
انه يضمن القيمة فيتبع بها المغصوب منه باز آء ما فوتته الغاصب
من منافع

من منافع العبد ۞ فاذا ظهر تراد ا ۞ قال الزمخشري وفي قوله
ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان ۞ وفي قوله
وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب انتهى كلام
الزمخشري ۞ قال البغوي في معالم التنزيل قال الحسن لولا
هذه الاية لرايت الحكام قد هلكوا ۞ ولكن الله تعالى حمد هذا بصوبه
واثنى على هذا باجتهاده ۞ قال واختلف العلماء في ان حكم
داود كان بالاجتهاد او بالنص ۞ وكذلك حكم سليمان ۞ فقال بعضهم
فعلا بالاجتهاد ۞ وقالوا يجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين
۞ الا ان داود اخطا واصاب سليمان ۞ وقالوا يجوز الخطا على الانبياء
الا انهم لا يقرون عليه ۞ فاما العلماء فهم الاجتهاد في الحوادث
اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة ۞ واذا اخطاء فانه موضوع
عنهم لما روي عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران ۞ واذا حكم فاجتهد
فاخطا فله اجر واحد ۞ وقال قوم ان داود وسليمان حكما
بالوحي ۞ وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ۞ وهذا القائل يقول
لا يجوز للانبياء عليهم السلام الحكم بالاجتهاد لانه يستغنون عن الاجتهاد
بالوحي ۞ وقال لا يجوز الخطا على الانبياء عليهم السلام ۞ واحتج
من ذهب الى ان كل مجتهد مصيب بظاهر الاية ۞ وبالخبر حيث وعد
الثواب للمجتهدين على الخطا ۞ وهو قول لبعض اصحاب الشافعي ۞ وذهب
جماعة الى انه ليس كل مجتهد مصيبا ۞ بل اذا اختلف اجتهاد مجتهدين
في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ۞ ولو كان كل واحد مصيبا

لم يكن للتفصيل معنى • وقوله صلى الله عليه اذا اجتهد واخطأ فله اجر واحد بل لم يرد به انه يوجر على الخطاء بل يوجر على اجتهاده فرطلب الحق لا اجتهاده عبادة والاثم في الخطاء عنه موضوع اذ المرء لم يجهد • وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه يقول كان امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احديهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود عليه السلام فقضى به للكبرى • فخرجتا على سليمان فاخبرتاه • فقال ائتوني بالسكين اشقه بينهما • فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها • فقضى به للصغرى • انتهى كلام المعالم • قال الكرماني في شرح البخاري • فان قلت كيف نقض سليمان حكم داود ولا يقال ان الاول كان خطأ اذ لا يجوز على الانبياء الحكم بالخطاء قلت قالوا ان حكما بالوحي لمحكومة سليمان باسخة لمحكومة داود • او بالاجتهاد فاجتهاد سليمان اصوب • وان كانا على الصواب • على ان للمجتهد يعمل • وقال النووي استدل سليمان بشفقة الصغرى على انها امه واما الكبرى فما كرهت ذلك بل ارادته لنشاركها صاحبتها في المصيبة بفقد ولدها • واما داود فيحتمل انه قضى للصغرى لشبه رآه فيهما • او كان في شريعته الترجيح بالكبر • او لكونه كان في يدها • واما سليمان فتوصل بطريق الملاطفة الى معرفة باطن الامر فاوهمها انه يريد شقه قطعه ليعرف من يشق عليها قطعه • ولم يكن مراده قطعه حقيقة • ولعله استشفت الكبرى فاقرت بعد ذلك للصغرى • قال النووي وانما نقض حكم داود لانه كان فتوى من داود

للكبرى

لا حكما

لا حكما • ولعله في شرعهم جواز النقض والفسخ • او ان سليمان فعل ذلك توصلا الى اظهار الحق فلما اقرت به الكبرى عمل باقرارها وان كان بعد الحكم اذا اعترف المحكوم له بعد الحكم ان الحق لصاحبه • انتهى • وفيه من الفقه استعمال الحاكم الحيل التي تستخرج بها الحقوق وتكون دلك عن قوة الذكاء والفطنة وممارسة احوال الحلو • وقد يكون في اهل النهى فراسة دينية وتوسمات نورانية • وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء • قال القرطبي خرج الخصمان على سليمان وكان يجلس على الباب التي يخرج منه الخصوم • وكانوا يدخلون على داود من باب آخر • وان داود قضى بما قضى به سليمان وقال وفقت يا بني لا يقطع الله فهمك قال ولما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم اما انك هدمت الكنيسة التي رآى ابوك تركها • فان كنت مصيبا فقد اخطأ ابوك • وان كان ابوك مصيبا فقد اخطأت انت فاجابه الوليد وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما • قال واحتلف العلماء في جواز الاجتهاد من الانبياء فمنعه قوم وجوزه المحققون • والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين انهم معصومون عن الخطا والغلط وعن التقصير في اجتهادهم • وغيرهم ليس كذلك • هذا هو مذهب الجمهور في ان جميع الانبياء معصومون عن الخطا والغلط في اجتهادهم • وذهب ابو علي ابن ابي هريرة من اصحاب الشافعي الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مخصوص منهم في جواز الخطا عليهم • وفرق بينه وبين غيره من الانبياء انه لم يكن بعده من يستدرك غلطه

فلذلك عصمه الله منه • وقد بعث بعد غيره من الانبيا من يستدرك
غلطه • وقد قيل انه على العموم في جميع الانبيا • وان نبينا وغيره
من الانبيا صلوات الله عليهم في تجويز الخطا على الانبيا سوا • الا
انهم لا يقرون على امضايه فلم يعتبر فيه استدراك من بعدهم من
الانبيا • هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سالته امراة عن العدة
فقال لها اعتدي حيث شيئت ثم قال لها امكثي في بيتك حتى يبلغ
الكتاب اجله • وقال له رجل ارايت ان قتلت صابرا محتسبا
اتجزي عني الجنة شي قال لا • ثم دعاه فقال الا الدين • هكذا اخبرني
جبريل عليه السلام اسر كلام الرحمن • ثم ان الله عز وجل بعد ذلك
من النعم التي خص بها داود امر • الاول قوله تعالى
وسخرنا وذللنا مع داود الجبال يسبحن هو حال بمعنى
مسبحات • او استيناف كان قايلا قال كيف سخرهن فقال
يسبحن • قال الامام فخر الدين في تفسير هذا التسبيح وجهان
احدهما ان الجبال كانت تسبح • ثم ذكروا وجوها • احدها
قال مقاتل كان داود اذا اخطا ذكر ذنبه ذكرت الجبال ربها معه
• وثانيها قال الكلبي اذا سبح داود اجابته الجبال • وثالثها
قال سلمان من حيان كان داود اذا وجد فترة امر الله الجبال فسبحت
فيزداد نشاطا واشتياقا • الوجه الثاني وهو قول بعض
المفسرين انه يحتمل ان يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله وان من شي
الا يسبح بحمده • وتخصيص داود بذلك انما كان بسبب انه كان
يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقينا وتعظيما • والقول الاول اقرب

والطير

لانه لا ضرورة في صرف اللفظ عن ظاهره • والطير معطوف على الجبال
او مفعول معه • قال الزمخشري فان قلت لم قدمت
الجبال على الطير قلت لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة
وادخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق • روي
انه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه • وقيل كانت تسير معه
حيث سار • فان قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت
بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى •
وجواب آخر وهو ان تسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت
على التسبيح وصفت به اسر كلام الزمخشري • وكنا فاعلين
اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم • وقيل
وكنا نفعل مثل ذلك بالانبيا قاله الزمخشري • يقال فضل الله
بعض الانبيا على بعض كما قال بعد تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض • وفضل
آدم بعلم الاسما • ونوحا باجابة الدعوة • وابرهيم بتبويده النار •
واسمعيل بالفداء • وموسى بالكلام • وداود بتسخير الجبال وتسبيح الطير
• وسليمان بتسخير الرياح • وعيسى باحيا الموتى • ومحمد صلى الله عليه
بالقرآن • وقال في زهره اهل الجنة على قامة آدم ستين ذراعا الرياض ص
• وعلى سن عيسى بلات وثلاثين سنة • وحسن يوسف • ونغمة
داود • وكان ينزل الطير من الهوا لحسن صوته ويقف الماء الجاري لحسن
صوته • وعلى خلق محمد صلى الله عليه وسلم وشمائله انتهى • الانعام الثاني
قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم اي عمل الدروع • واللبوس
اللباس والمراد الدرع • قال قتادة كانت الدروع صفائح

قال الامام فخر الدين لا شك ان صنع الدرع من الحديد اشد من صنع الثوب
الا انه على الملك العظيم اهون واسهل • والملائكة كانوا يعلمون داود
ان يبلغ من النعم التي درجة التكليف بل كمال حاله كان الشكر فان
يومر وان لم يكن مكلفا فما ذاك معجزة من حيث جنسه بل من حيث

فجعل يقيله هكذا بيده فجعل لعمان يتعجب ويريد ان يسأله فمنعه حلمه أن يسأل فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال يوم درع الحرب هذه فقال لعمان الصمت حكمة وقليل فاعله

فاول من بردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين ٥ وذكر الحسن ان لقمان الحكيم حضره وهو يعمل الدروع فاراد ان يسأل عما يفعل ٥ فركد حتى فرغ ٥ فقال له الصمت حكمة ٥ قالوا ان الله تعالى الان الحديد لداود يعمل منه بغير نار كأنه طين لتحصنكم ٥ لتحصنكم شامي وحفص اى الصنعة ٥ وبالنون ابو بكر وحماد اى الله تعالى ٥ وبالياء غيرهم اى اللبوس ٥ او الله عز وجل ٥ من بأسكم من حربكم عدوكم ٥ فهل انتم شاكرون استفهام بمعنى الامر اى فاشكروا الله على ذلك ٥ قال الامام فخر الدين فيه دلالة على ان اول من عمل الدروع داود ثم تعلم الناس منه فعمت النعمة بها كل المحدثين من الخلق الى اخر الدهر ٥ فلزم شكر النعمة فقال بعد انتم شاكرون استفهام ٥ اى اشكروا الله على ما يسر عليكم هذه الصنعة ٥ واعلم انه سبحانه لما ذكر النعم التي خص بها داود عليه السلام ذكر بعده النعم التي خص بها سليمان عليه السلام ٥ قال قتادة ورث الله تعالى سليمان من داود ملكه ونبوته ٥ وزاد عليه امرين ٥ سخر له الريح والشياطين ٥ الاول قوله ولسليمان الريح اى وسخرنا لسليمان الريح عاصفة حال اى شديدة الهبوب تجري بأمره بأمر سليمان ٥ اى جعلناها له طايعة منقادة ٥ بمعنى انه ان اراد بها عاصفة كانت عاصفة ٥ وان اراد بها ليّنة كانت ليّنة ٥ والله تعالى سخرها في الحالين ٥ قال الزمخشري فان قلت ٥ وصفت هذه الرياح بالعصف تارة ٥ وبالرخاوة اخرى ٥ يعني في قوله رخاء حيث اصاب ٥ فكيف التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية

رخية طيبة كالنسيم فاذا امرت بكرسيه اسرعت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر ٥ وكانت جامعة بين الامرين ان كانت رخاء في نفسها ٥ وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويختار ٥ آية الى اية ٥ ومعجزة مع معجزة ٥ وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفة ٥ لهبوبها على حكم ارادته انتهى ٥ قال الامام فخر الدين فان قيل قال في داود وسخرنا مع داود الجبال ٥ وقال في حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح فذكر في حق داود بكلمة مع وفي حق سليمان باللام ٥ وراعى هذا الترتيب ايضا في قوله ٥ يا جبال اوبي معه والطير ٥ وقال وسخرنا له الريح تجري بامره رخاء فما الفايدة في تخصيص داود بلفظ مع وسليمان باللام قلت لعل السبب ان الجبل لما اشتغل بالتسبيح حصل له نوع شرف فما اضيف بلام التمليك ٥ واما الريح فلم يصدر عنه الا ما يجري مجرى الخدمة فلا جرم اضيف الى سليمان بلام التمليك ٥ وهذا الجواب اقناعي ٥ ولا يبعد ان يقال الشركة في العمل مما يقتضي التلفظ بلفظة مع والشركة مختصة بداود عليه السلام انتهى ٥ الى الارض التي باركنا فيها بكثرة الانهار والاشجار والثمار ٥ والمراد الشام ٥ وكان منزله بها ٥ فتحمله الريح من نواحي الارض اليها ٥ وذلك انها كانت لسليمان واصحابه الى حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام ٥ قال وهب كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكف عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على سريره ٥ وكان امرا غزاء قل ما كان يقعد

عن الغزو ولا يسمع فرناحية من ارض مملك الا اتاه حتى يذله ٥ وكان
فما يزعمون اذا اراد الغزو امر بمعسكره فضرب له بخشب
ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب
٥ فاذا احمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت
ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء
فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث اراد ٥ وكانت
تمر معسكره الريح الرخاء بالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا
ولا تؤذي طيرا ٥ قال وهب ذكر لي ان منزله بناحية
دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان امامن الانس او من الجن
نحن نزلناه وما بنيناه ٥ ومبنيا وجدناه ٥ غدونا من اصطخر فقلناه ٥
ونحن راجعون منه ان شاء الله فبايتون بالشام ٥ وقال
مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابرسم
٥ وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه
وحوله ثلاثة الاف كرسي يقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضه وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين
٥ وتظلة الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس ٥ وتحمل الريح
البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ٥ وقال الحسن
لما شغلت الخيل نبي الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب لله
فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع ٥ الريح تجري
بامره كيف شاء ٥ وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها
فيكون رواحها بكابل ٥ وروي ان سليمان سار من ارض العراق

فقال لمدينة

فقال لمدينة بلخ منخلا بلاد الترك ثم جاوزهما الى ارض الصين
يغدو وعلى مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ٥ ثم عطف يمنة عن مطلع
الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض القندهار ٥ وخرج منها
الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فمر بها اياما وغدا
منها ٥ فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر
٥ وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فنوهاله بالصفاح
والعمد والرخام الاصفر والابيض هكذا ذكره في معالم التنزيل
وكنا بكل شيء عالمين وقد احاط علمنا بكل شيء فتجري الاشياء
كلها على ما يقتضيه علمنا ٥ الانعام الثاني قوله ومن الشياطين
اي وسخرنا من الشياطين من يغوصون له في البحار بامره باستخراج
الدرر وما يكون فيها ٥ والغوص هو النزول تحت الماء ٥ والغواص
الذي يغوص في البحر على اللولؤ ويعملون عملا دون ذلك اي دون
الغوص ٥ وهو بنا المحاريب والتماثيل والقصور والقدور والجفان واخراج الصنائع
كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات ٥ قال الامام فخر الدين يحتمل ان يكون من يغوصون
هم الذين يعملون سائر الاعمال ٥ ويحتمل انهم فرقة اخرى ويكون
الكل داخلين في لفظة من وان كان الاول هو الاقرب ٥ قال
وليس في الظاهر الا انه سخرهم ٥ لكنه قد روي انه تعالى قد سخر كفارهم
دون المومنين وهو الاقرب من وجهين احدهما الطلاق لفظ
الشياطين ٥ والثاني قوله وكنا لهم حافظين فان المومن اذا سخر
في امر لا يجب ان يحفظ ليلا يفسد وانما يجب ذلك في الكافر

قال العرطي وقد
ان الحمام والنو
والطواحن والق
والصابون من
استخراج الس

وكنا لهم حافظين فيه وجوه احدها انه وكل بهم جمعا
من الملائكة وجمعا من مومني الجن ٥ الثاني سخرهم الله بعد بان
حبب اليهم طاعته وخوفهم من مخالفته ٥ الثالث قال ابن عباس
يريد ان سلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشآء قاله فخر الدين ٥
فان قيل فعن اي شي كانوا محفوظين قلنا الله حافظهم
عن ان يزيغوا عن امره ٥ او يبدلوا ٥ او يغيروا ٥ او يوجد منهم فساد
في الجملة فيما هم مسخرون فيه ٥ قال الامام واعلم ان اجسام
هذا العالم اما كثيفة او لطيفة ٥ اما الكثيفة فاكثف الاجسام
الحجارة والحديد ٥ وقد جعلها الله معجزة لداود عليه السلام فالان له
الحديد وانطق الحجر وكل واحد منهما يدل على التوحيد والنبوة ويدل
على صحة الحشر لانه لما قدر على احيآء الحجارة ٥ فاي بعد في احيآء العظام
الرميمة ٥ واذا قدر على ان يجعل في اصبع داود قوة النار مع ان اصبع
داود في نهاية اللطافة ٥ فاي بعد في ان يجعل التراب اليابس جسما
حيوانا ٥ واما اللطيفة فالطف الاشيا في هذا العالم الهوآء
والنار ٥ وقد جعلهما الله معجزة لسليمان عليه السلام ٥ اما الهوآء
فقوله وسخرنا له الريح ٥ واما النار فلان الشياطين مخلوقون
من النار وقد سخرهم الله تعالى له ٥ ثم كان يامرهم بالغوص في المياه والنار
تنطفي بالماء وهم ما كانوا يضرهم ذلك ٥ وذلك يدل على اظهار قدرته
تعالى على اظهار الضد من الضد انتهى

ابي طاعة سليمان ٥

وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان لو ابعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل اخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه ص

القصه السادسة
قصه ايوب عليه السلام ٥

قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني اي واذكر ايوب اذ دعا ربه بانى مسني الضر

الضر

الضر بالفتح الضرر في كل شي ٥ وبالضم الضرر في النفس من مرض
وهزال ٥ قرق بين البناءين لافتراق المعنيين وانت ارحم
الراحمين قال الرمخشري اتى بالطف في السؤال حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة ٥ وذكر ربه بغاية الرحمة ٥ ولم يصرح بالمطلوب
٥ ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت
يا امير المومنين مشت جرذان بيتي على العصي ٥ فقال
لها اتيتني في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود ٥ ملأ
بيتها حبا انتهى ٥ قال في المدارك وكانه قال انت اهل ان
ترحم ٥ وايوب اهل ان يرحم فارحمه واكشف عنه الضر الذي
مسه انتهى ٥ اعلم ان في امر ايوب عليه السلام وما ذكره الله عن
ثباته ههنا وفي غيره من القرآن عبرة من العبر والدلايل ما ليس في غيره
لانه تعالى مع عظم فضله انزل به من المرض العظيم ما انزل له تعريفا
للناس وتفهيما ان الناس من رعة الاخرة وان الواجب على المرء
ان يصبر على ما ناله من البلآء فيها ويجتهد في القيام بحق الله تعالى ويصبر
في حالتي السرآء والضرآء ٥ قصة ايوب عليه السلام ٥ قال
البغوي في معالم التنزيل قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا
من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق
ابن ابرهيم ٥ وكانت امه من ولد لوط بن هاران ٥ وكان الله تعالى
قد اصطفاه ونباه وبسط له الدنيا ٥ وكانت له البثنية من ارض
الشام من ارض البلقآء من اعمال حوران من ارض الشام كلها
سهلها وجبلها ٥ وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر

والغنم والخيل والحمر ما لا يكون لرجل افضل منه فى العدة والكثرة
وكان له خمس مائة فدان يتبعها خمس مائة عبد لكل عبد امراة
وولد ومال ويحمل الة كل فدان اثنان ولدت اثنى وثلاثة
واربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله قد اعطاه اهلا
وولدا من رجال ونسآ وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم
ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل
وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس
ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل
عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ملائة نفر قد
آمنوا به وصدقوه ورجل من اهل اليمن يقال له اليقين وقيل
نفير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد والاخر
ضافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات
وكان يقف فيها حيث ما اراد حتى رفع الله عيسى عليه السلام
فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات
كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملايكة بالصلاة
على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادرك ابليس الحسد والبغى
فصعد سريعا حتى وقف من السما حيث كان يقف وقال الهى نظرت
فى امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته
فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لخال عما هو عليه من شكرك
وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد
سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض

فجمع

فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة
فقد سلطت على مال ايوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى
لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين اعطيت
من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت كل شئ
اتى عليه قال ابليس فاذهب فات الابل ورعاتها فاتى
الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت
الارض اعصار من نار فاحرقت الابل ورعاتها حتى اتى على اخرها
ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيمه عليها على فعود الى ايوب فوجده
قائما يصلى فقال يا ايوب اهلكت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها
ومن فيها غيرى قال ايوب الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها
وانها مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذ شاء نزعها
وقد كنت وطنت نفسى وما لى على الفناء قال ابليس فان ربك
ارسل عليها نارا من السما فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها
منهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيا وما كان الا فى غرور ومنهم
من يقول لو كان لاله ايوب يقدر على ان يصنع شيا لمنع وليه ومنهم
من يقول بل هو الذى فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه
قال ايوب الحمد لله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت
من بطن امى وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله تعالى ليس
ينبغى لك ان تفرح حين اعارك وتحزن حين قبض عاريته الله اولى بك
وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع الارواح
وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرجك فرجع ابليس

تلكم

الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من القوة فاني لم اكلم قلبه
• قال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعه
دون روح الا خرجت روحه • قال ابليس فأت الغنم ورعاتها
فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة تجمعت اموالنا من عند آخرها
ومات رعاتها • فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب وجده
يصلي فقال له مثل القول الاول • فرد عليه ايوب مثل الرد الاول
• فرجع ابليس الى اصحابه فقال ما ذا عندكم من القوة فاني لم اكلم
قلب ايوب • قال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت
ريحا عاصفا تنسف كل شيء تاتي عليه • قال فأت الفدادين والحرث
فانطلق فلم يشعروا حتى هبت ريح "عاصف" ونسفت كل شيء من ذلك
حتى كانه لم يكن • ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى ايوب وهو
قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول • فرد عليه ايوب بمثل رده الاول
• وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على اخره • كلما انتهى الى هلاك
مال من امواله حمد الله واثنى عليه احسن الثنا ورضي عنه بالقضاء
ووطن نفسه بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال" • فلما راى ابليس انه قد
افنى ماله ولم ينخ منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف
انك فيه وقال الهي ان ايوب يرى منك ما متعته بولده فانت تعطيه المال
فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا يقوم لها قلوب الرجال
• قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانفض عدو الله
حتى اتى نبي الله ايوب وهم في قصورهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى
تداعى عن قواعده • وجعل ينابيح جدره يضرب بعضها ببعض ويرميهم

بالخشب

بالخشب والحجارة • حتى اذا مثل بهم كل مثلة رفع القصر فقلبه وصاروا
تحت منكوسين • وانطلق الى ايوب وتمثل بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة
وهو جريح "مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره • وقال لو رايت بنيك
كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكوسين على رؤوسهم تسيل دماؤهم واذ مغتهم
ولو رايت كيف شقت بطونهم فنثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم
• فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب
فوضعها على راسه • وقال يا ليت امي لم تلدني • فاغتنم ابليس ذلك فصعد
سريعا بالذي كان من جزع ايوب مسرورا به • ثم لم يلبث ايوب ان
فاء وابصر واستغفر • فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته الى الله تعالى فسبقت توبته الى الله
وهو اعلم • فوقف ابليس خاسئا ذليلا • وقال الهي انما هون علي ايوب
المال والولد انه يرى منك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد
فهل انت مسلطي على جسده • فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك
على جسده ولكن ليس لك سلطان "على لسانه وقلبه وعقله • وكان الله
عز وجل اعلم به ولم يسلط عليه الا رحمة "ليعظم له الثواب • وجعله
عبرة للصابرين • وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل به لينال سوابه في الصبر
ورجاء الثواب • فانفض "عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد ايوب
ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل راسه ووجهه فنفخ في منخريه
نفخة "اشتعل منها جسده • فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اثباث
الغنم • ووقعت منه حكة" فحك "باظفاره حتى سقطت كلها • ثم حكها
بالمسوح الخشنة حتى قطعها • ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل
يحك حتى قرح لحمه وتعفن وتقطع وتغير وانتن • واخرجه اهل القرية

الى المزبلة

فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم
غير امرأته وهي رحمة بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب وكانت
تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى البلاء اصحابه
وهم بقين وبلدوضافر ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان
يتركوا دينه فلما طال به انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له
تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضره معهم فتى حديث
السن فآمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم ايها الكهول
وانتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو احسن
من الذي قلتم ومن الرأي اصوب من الذي رايتم ومن الامر اجمل
من الذي اتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي
وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم
ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته
وخيرته من اهل الارض يومئذ ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه
سخط شيئا من امره منذ اتاه الله ماله اتاه الى يومكم هذا ولا على انه
نزع منه شيئا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله
غير الحق في طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى
به عندكم ووضعه في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلي المؤمنين
والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه له دليلا على سخطه
عليهم ولا بهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله
بهذه المنزلة الا انه اخ احببتموه على وجه المحبة لكان لا يجمل بالحليم
ان يخذل اخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعنيه بما لا يعلم

وهو مكروب

وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن
لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله
الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما
يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكنتهم خشيته
من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء العالمون
بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم وطاشت عقولهم
اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال
الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار ابرياء
ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس اقوياء فقال ايوب
عليه السلام ان الله ينزع الحكمة بالرحمة وقلب الصغير والكبير
فاذا ثبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل
السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما في الصبى
لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله عز وجل عليه نورا لكرامته
ثم اقبل ايوب على البلاء وقال اتيتموني غضابا ارهبتم قبل ان
تستوهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني يا بؤ لكم
لعل الله ان يخلصني او قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضى
عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم عوفيتم باحسانكم ولو
نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد ستر ها
الله بعد بالعافية التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقرونني وانا
مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس
لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد علي من مصيبتي ثم اعرض

واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم

عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثاً به متضرعاً اليه وقال يا ربّ اىّ
شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى عرفت الذى
اذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى لو كنت
امتنى فاحقتنى باباى فالموت كان احملنى الم اكن للغريب دارا
وللمسكين قرارا وللبتيم وليا وللارملة قيما الهى انا عبدك ان
احسنت فالمنّ لك وان اسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلآء غرضا
وللفتنه نصبا وقد وقع على من البلآء ما لو سلطته على جبل لضعف عن
حمله فكيف تحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى اذلنى وان سلطانك
هو الذى اسقمنى وانحل جسمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى
واطلق لسانى حتى اتكلم بملء فمى فاذل بعذرك واتكلم ببرآتى واخاصم
عن نفسى لرجوت ان يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه القانى وتعالى عنى
فهو يرانى ولا اراه ويسمعنى ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب
واصحابه عنده اظلّه غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودى يا ايوب
ان الله تعالى يقول يا ايوب ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فمره
فاذل بعذرك وتكلم ببرآتك وخاصم عن نفسك واشدد ازارك
وقم مقام جبار خاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغى ان يخاصمنى
الا جبار مثلى لقد منّتك نفسك يا ايوب امرا ما يبلغ بمثله قوتك
اين كنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على اساسها هل كنت معى
تمدّ باطرافها هل علمت باىّ مقدار قدّرتها او على اىّ شئ وضعت
اكنافها او بطاعتك حمل الماء الارض او بحكمتك كانت الارض للماء
غطاء اين كنت منى يوم رفعت السما سقفا فى الهوآء لا تعلق بسبب

من فوقها ولا يثقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمتك ان تجرى نورها
او تسير بحومها او تخالف بامرك ليلها ونهارها اين كنت منى يوم
انبعثت الانهار وسكنت البحار ابسلطانك حبس امواج البحار
على حدودها او بقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها اين
كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
تدرى على اى شئ ارسيتها او باى مثقال وزنتها او هل لك من ذراع
تطيق حملها او هل تدرى من اين للماء الذى انزلت من السما او هل تدرى
من اى شئ انشأت السحاب او هل تدرى اين خزانة الثلج او اين جبال
البرد او اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة الريح
وباى لغة تكلم الاشجار ومن جعل العقول فى اجواف الرجال
وشقّ الاسماع والابصار ومن دلّت الملائكة الملكه وقهر الجبابرة
بجبروته وقسم الارزاق بحكمته فى كلام كثير يدلّ على آثار قدرته
ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شأنى وكلّ لسانى وعقل
ورأيى وضعفت قوتى عن هذا الامر الذى تعرّضنى
الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شئت
عملت لا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية الهى اوهنى البلآء فكلمت ولم
املك فكان البلآء هو الذى انطقنى ليت الارض انشقت لى فذهبت
فيها ولم اتكلم بشئ يسخطك ربى وليتنى متّ بغمى فى اشد بلائى
قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت بعذرك وسكتّ حتى سكت لئلا يرجعنى
كلمة زللت منى فلم اعد وقد وضعت الآن يدى على فمى وغطيت على لسانى
والصقت بالتراب خدى اعوذ بك اليوم منك واستجير من جهد البلآء

على

فاجرني واستنجبك من عقابك فاغثني واستعينك على امرك
فاعنّي واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك
فاغفر لي فلم اعود لشيء تكرهه منّي ۞ قال الله تعالى يا ايوب
نَعَذ فيك على وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك وردددت
عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون
عبرة لاهل البلاء وعمن آء للصابرين فاركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرّب عمن احبابك قربانا
واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك ۞ روى عن انس رضي الله
عنه يرفعه ان ايوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة ۞ وقال
وهب ثلاث سنين لم تزد يوما ۞ وقال كعب كان في بلائه سبع سنين
واشهرا تختلف ۞ فركض برجله فانفجرت له عين ماء فدخل فيها
واغتسل فاذهب الله كل ما كان به من البلاء ۞ ثم خرج فجلس
فاقبلت امرأته فلم تجده فقامت كالواهة
متردده ۞ فقال يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان
ههنا فقال لها رجل آخر وهل تعرفينه اذا رايته قالت نعم ومالي
لا اعرفه فتبسم وقال انا هو فعرفته فضحك فاعتنقته ۞ قال
ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مرّ
بهما كل مال لهما وولد ۞ فذلك قوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني
الضر واخذ لغوا وقت ندائه والسبب الذي قال لاجله اني
مسني الضر وفي مدة بلائه ۞ روى عن انس رضي الله عنه يرفعه

ان ايوب

ان ايوب لبث في بلائه ثماني عشره سنة ۞ وقال وهب لبث ايوب
في البلاء ثلاث سنين لم تزد يوما ۞ وقال كعب كان في بلائه سبع سنين
وسبعة اشهر وسبعة ايام ۞ وقال الحسن مكث ايوب مطروحا
على كناسة في مزبلة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا تختلف فيه
الدواب لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه تاخذ الصدقة
وتاتيه بطعام ۞ ويحمد الله معه اذا حمد ايوب على ذلك لا يفتر من ذكر
الله والصبر على بلائه ۞ فصرخ ابليس صرخة جمع فيها جنوده من اقطار
الارض ۞ فلما اجتمعوا اليه قالوا ما حزبك قال اعياني هذا العبد
الذي لم ازدع له مالا ولا ولدا ولم يزد الا صبرا ۞ ولم اسلطت على جسده
فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا يقربه الا امرأته فاستغثت
بكم لتعينوني عليه ۞ فقالوا له فاين مكرك الذي اهلكت به من مضى
قال بطل ذلك كله في ايوب ۞ فاشيروا علي قالوا من اين اتيت ادم
حين اخرجته من الجنة ۞ قال من قبل امرأته ۞ قالوا فشأنك بها يا ايوب
من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال
اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امرأة ايوب وهي تصدق ۞ فتمثل
لها في صورة رجل ۞ وقال لها اين تجلك يا امة الله ۞ قالت هو ذاك
يحك قروحه ۞ ويتردد الديدان في جسده ۞ فلما سمعها طمع ان تكون
كلمة جزع فوسوس اليها ۞ وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال
وذكرها جمال ايوب وشبابه ۞ وما هو فيه من الضر وان ذلك
لا ينقطع عنه ابدا ۞ فصرخت ان قد جزعت ۞ فاتاها بسخلة
وقال ليذبح لي هذا ايوب وبراء ۞ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى

اي تاخذ الصدقة

يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين
جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح ٠ قال ايوب
انا لعبد الله فنعم فيك ٠ ويلك ارايت ما تبكين عليه من المال
والولد والصحة ممن اعطانيه ٠ قالت الله ٠ قال فكم هتك نابه ٠ قال
ثمان سنه ٠ قال فذكر ابتلانا ٠ قالت منذ سبع سنين واشهر
٠ قال ويلك ما انصفت ٠ لتصبرن على البلاء ثمان سنه كما كان في الرخاء
ثمان سنه ٠ والله لئن شفاني الله جلدتك مائة جلدة ٠ امرتيني ان
اذبح لغير الله ٠ طعامك وشرابك الذي اتيتني به علي حرام ان
اذوق شيا مما اتيتني به بعد اذ قلت لي هذا اعزبي عني فلا اراك
فطردها وذهبت ٠ فلما نظر ايوب وليس عنده ٠ طعام ولا شراب
ولا صديق خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين ٠ فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك ٠ اركض برجلك
فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها ٠ فلم يبق عليه من دائه
ودائه شئ ظاهرا الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان
٠ ثم ضرب برجله فنبعت عين ماء اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه
داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة ٠ قال فجعل يلتفت فلا يرى شيا
مما كان له من اهل ومال الا وقد اضعفه الله ٠ حتى والله ذكر
لنا ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب
فجعل يقبضه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها
بركتك فمن يشبع منها ٠ قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف
لها ان امراته قالت اراينك ان كان طردني الى من اكله اد عه

لهذا الرجل

الا صبرت

وحرام علي ه

يموت

يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع ٠ رجع اليه فرجعت اليه فلا
الكناسة راث ولا ملك الحالة التي كانت تعرف ٠ ولا الامور
قد تغيرت ٠ فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك
بعين ايوب ٠ وهابت صاحب الحلة ان تاتيه فتسال عن ايوب
فدعاها ٠ وقال ما تريدين يا امة الله فبكت ٠ وقالت اردت ذلك
المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا ادري اضاح امر فاعل
٠ وقال ايوب ما كان منكر ٠ فبكت ٠ وقالت بعلي ٠ قال فهل تعرفينه
اذا رايته ٠ قالت وهل يخفى علي احد رآه ٠ ثم جعلت تنظر اليه وهو
تهابه ٠ ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا ٠ قال
فاني ايوب الذي امرتيني ان اذبح له بليس ٠ واني اطعت الله وعصيت
الشيطان ٠ ودعوت الله فرد علي ما تري ٠ قال
وهب لبث ايوب في البلاء ثلاث سنين ٠ فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع
منه شيا اعترض امراته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم
والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس ٠ له عظم وبهاء
٠ فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى ٠ قالت نعم
قال هل تعرفين ٠ قالت لا ٠ قال انا اله الارض ٠ وانا الذي صنعت
بصاحبك ما صنعت لانه عبد الله السماء وتركني فاغضبني ٠ ولو
سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كلما كان لكما من مال وولد
فانه عندي ٠ فلما راها اياه بطن الوادي الذي لقيها فيه ٠ قال
وهب سمعت انه قال لوان صاحبك ياكل طعاما ولم يسم الله عليه
لعوفي مما به من البلاء والله اعلم ٠ وفي بعض الكتب ان ابليس

في صورة م

قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والولد وأعافي زوجك
فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما أراها، قال لقد اتاك
عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها
مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر مس طمع ابليس في سجود
حرمني له ودعائه اياها واياي الى الكفر ثم ان الله تعالى رحم
امرأة ايوب بصبرها وحمده على البلاء وخفف عليها وأراد ان تبر
يمين ايوب فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها
به ضربة واحدة كما قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
وروي ان ابليس اتخذ نابوتا وجعل فيه أدوية وقعد على
طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة ايوب فقال يا شيخ
ان لي مريضا أفتداويه قال نعم والله لا أريد شيئا الا ان يقول
اذا شفيته انت شفيتني. فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد
خدعك وحلف ان شفاه الله ان يضربها مائة جلدة قال
وهب وغيره كانت امرأة ايوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال
عليه البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها احد التمست له يوما
من الايام ما تطعمه فما وجدت فجزت قرنا من رأسها فباعته
برغيف فاتته به. فقال لها اين قرنك فاخبرته فما تحنث قال
مسني الضر وقال يوما انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه
ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن ابي ثابت
لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ملائة اشياء احدها
قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءاله ولم يبق له الا عيناه

ورايا.

ورايا امرأ عظيما فعالا لو كان لك عند الله منزلة ما اصابك هذا
والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطبخه فباعت ذوائبها
واتته بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه على ان يقول انت
شفيتني وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء حتى
روي انه قيل له بعد ما عوفي ها كان عليك اشد عليك فزلالك قال
شماتة الاعداء اسهى كلام الغوي في معالم المرسلين قال
القرطبي اختلف في قول ايوب مسني الضر على خمسة عشر قولا الاول
انه وثب ليصلي فلم ينهض على النهوض فعال مسني الضر اخبارا عن حاله
لا شكوى لبلائه رواه المرفوعا الثاني اقرارا بالعجز فلم يكن
منافيا للصبر الثالث انه سبحانه اجراه على لسانه ليكون حجة
لاهل البلاء في الافصاح عما ينزل بهم الرابع انه اجراه على
لسانه اكراما له لصفة الادميين في الضعف عن تحمل البلاء الخامس
انه انقطع الوحي عنه اربعين يوما فخاف الهجران ربه فعال مسني
الضر السادس ان ملائكة الذين كانوا يكتبون عنه لما افضت
حاله الى ما انتهت اليه محوا ما كتبوا عنه. وقالوا ما هذا عند الله
قدرا فاشتكى الضر فذهب الوحي والدين من ايدي الناس وهذا
مما لا يصح سنده قاله ابن العربي السابع ان دودة سقطت
من لحمه فاخذها ورددها في موضعها فعقرته. وصاح مسني الضر فقيل
عليك شر صبرا قال ابن العربي وهذا بعيد جدا مع انه يفتقر الى نقل
صحيح ولا سبيل الى وجوده الثامن ان الدود كان يتناول
بدنه وصبر حتى تناولت دودة قلبه واخرى لسانه فعال مسني الضر

لاشتغاله عن ذكر الله • قال ابن العربي وما احسن هذا لو كان
له سند ولم يكن دعوى عريضة • الثامن انه اشكل
عليه جهة اخذ البلاء هل هو تاديب او تعذيب او تخصيص
او تمحيص او دخار او طهر • فقال مسني الضر اي ضر الاشكال وصفة
اخذ البلاء • قال ابن العربي وهذا غلو لا يحتاج اليه • العاشر
انه قيل له سل الله العافية فقال اقمت في النعم سبعين سنة افلا
اقيم في البلاء سبعين سنة • وحينئذ سأله فقال مسني الضر • قال
ابن العربي وهذا ممكن ولكن لم يصح في اقامته مدة ولا في هذه القصة
• الحادي عشر ان ضره قول ابليس لزوجته اسجدي لي فحاف ذهاب
الايمان عنها فتهلك ويبقى بغير كافل • الثاني عشر لما ظهر به البلاء
قال قومه قد اضر بنا كونه معنا وقد رناه فليخرج عنا فاخرجته امرأته
الى ظاهر البلد • وكانوا اذا اخرجوا راوه وتطيروا به وتشاءموا به
بروئته فقالوا لها ليبعد حيث لا يراه احد • فخرج الى بعيد من القرية
وكانت امرأته تقوم عليه وتحمل قوته اليه • فقالوا انها تتناوله وتخالطنا
فيعود بسببه ضره الينا فاراد وا قطعها عنه فقال مسني الضر
• الثالث عشر قال عبد الله بن عمر كان لايوب
اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران يدنوان منه من نتن ريحه فقال
احدهما للاخر لو علم الله في ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا البلاء فلم يسمع
شيا اشد عليه من هذه الكلمة • فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال
اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان قط وانا اعلم مكان جايع فصدقني
فاذى منادٍ من السما صدق عبدي وهما يسمعان فخر ساجدين

الرابع

عشر

• الرابع ان معنى مسني الضر من شماتة الاعدا • ولهذا قيل
له ما كان اشد عليك في بلائك قال شماتة الاعدا • قال ابن العربي
وهذا ممكن فان موسى الكليم قد سأله اخوه العافية من ذلك فقال
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا • الخامس عشر
ان امراته كانت ذات ذوائب فقطعت ذوائبها واشترت بها ممن
يصلها قوتا وجاءت اليه به وكان تستعين بذوائبها في تصرفه وتنقله
فلما عدمها واراد الحركة في تنقله لم يقدر • قال مسني الضر • وقيل
انها لما اشترت القوت بذوائبها جاءه ابليس في صورة رجل وقال
له ان اهلك زنت فاخذت وحلق شعرها فحلف ايوب ان يجلدها
فكانت المحنة على قلب المراة اشد من المحنة على قلب ايوب • قال
القرطبي السادس عشر ذكره ابن المبارك بسنده عن ابن شهاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه من البلا الحديث
• وفيه ان بعض اخوانه ممن صابره ولازمه قال يا نبي الله لقد اعجبني امرك
وذكرته لاخيك وصاحبك انه قد ابتلاك الله بذهاب الاهل والمال
وفي جسدك بعد ثماني عشرة سنة حتى بلغت ما ترى لا يرحمك فيكشف
عنك لقد اذنبت ذنبا ما اظن ان احدا بلغه • فقال ايوب عليه السلام
ما ادري ما تقولان • غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين
يتخاصمان فكل يحلف بالله • او على النفر يتخاصمون فانقلب الى اهلي
فاكفر عنهما يمينهما ارادة ان لا يذكره احد ولا يذكر احدا الا بحق فنادى
ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين • وانما كان دعاوه عرضا
على الله تعالى ليخبره بالذي بلغه صابرا لما يكون من الله تعالى فيه وذكر الحديث

قال القرطبي وقول سابع عشر سمعته ولم أقف عليه
أن دودة سقطت من جسده فطلبها الى موضعها فلم يجدها
فعاد مسني الضر لما فقد من أجر تلك الدودة وكان اراد ان يبقى
له الاجر موفرا الى وقت العافية وهذا حسن الا انه يحتاج الى
سند انتهى كلام القرطبي قال في المعالم فان قيل
ان الله تعالى سماه صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله اني مسني الضر
الشيطان م وانى مسنى الضر بنصب وعذاب قيل ليس هذا شكاية انما
هو دعاء بدليل قوله فاستجبنا له على ان الجزع انما هو في الشكوى
الى الخلق فاما الشكوى الى الله فلا يكون جزعا وان ترك صبرا كما قال
يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله قال سفيان بن عيينة
وكذلك من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعا
كما روى ان جبريل دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف
تجدك قال اجدني مغموما اجدني مكروبا وقال لعايشة حين قالت
وارأساه بل انا وارأساه انتهى قال القرطبي قال العلماء لم يكن قوله
مسني الضر جزعا لانه تعالى قال انا وجدناه صابرا بل كان دعاء منه
والجزع في الشكوى الى المخلوق الى الله تعالى والدعاء لا ينافي الرضا قال
الثعلبي وسمعت استاذنا ابا القاسم بن حبيب يقول حضرت مجلسا
غاصا بالفقها والادبا في دار السلطان فسئل عن هذه الاية بعد
اجتماعهم على ان قول ايوب كان شكاية وقد قال الله تعالى انا وجدناه
صابرا فقلت ليس هذا شكاية وانما كان دعاء ببيانه فاستجبنا
له والاجابة تتعقب الدعاء لا الشكاية فاستحسنوه وارتضوه

وسئل

وسئل الجنيد عن هذه الاية فعال عرفه فاقة السؤال ليمن
عليه بكرم النوال انتهى وقال في المدارك قيل انما اشتكى
اليه تلذذا بالنجوى لا منه تضررا بالشكوى والشكاية اليه
غاية القرب كما ان الشكاية منه غاية البعد انتهى قال
الامام فخر الدين اما قوله بعد وانت ارحم الراحمين فالدليل على انه
سبحانه ارحم الراحمين امور احدها ان كل احد يرحم غيره فاما
ان يرحمه طلبا للثنا في الدنيا والثواب في الاخرة او رفعا للرقة الجنسية
عن الطبع فتكون فحينئذ يكون مطلوب ذلك الراحم حصة نفسه واما
الحق سبحانه فانه يرحم عباده من غير وجه من هذه الوجوه من غير ان
يعود اليه من تلك الرحمة زيادة او نقصان وثانيها ان كل من رحم
غيره لا يكون ذلك الا لمعونة رحمة الله تعالى له فان اعطاه غيره طعاما
اعطى اوثوبا او دفع عنه بلاء فلولا ان الله تعالى خلق المطعوم والملبوس والادوية
والاعذية والا لما قدر احد على اعطاء ذلك الشيء فكان من الواجب
ان يكون ارحم الراحمين وثالثها انه سبحانه اذا لم يخلق في قلب
العبد الداعي والارادة لاستحال صدور ذلك الفعل عنه فكان الراحم
في الحقيقة هو الحق سبحانه من حيث انه هو الذي انشأ تلك الداعية
فثبت انه سبحانه ارحم الراحمين فان قيل كيف يكون
ارحم الراحمين مع انه سبحانه ملأ الدنيا من الافات والاسقام
والامراض والآلام وسلط البعض على البعض بالذبح والكسر والايذاء
والجواب ان كونه تعالى ضارا لا ينافي كونه نافعا بل هو
الضار النافع فاضراره بالغير ليس لدفع مضرة وانتفاعه ليس لجلب منفعة

بل لا يسال عما يفعل انتهى كلام فخر الدين ۞ فاستجبنا له اجبنا دعاه
فكشفنا ما به من ضر وكشفنا ضره انعاما عليه ۞ وذلك انه قال له
اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل
فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله
الارض مرة اخرى ففعل فنبع عين ماء بارد فامره فشرب منها ۞ فذهب
كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما يكون من الرجال واجمله وآتيناه
اهله ومثلهم معهم قال في معالم التنزيل اختلفوا في ذلك فقال
ابن مسعود وقتاده وابن عباس وماده والحسن واكثر المفسرين رد الله
اليه اهله واولاده باعيانهم احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر
القرآن ۞ وقال الحسن اتاه المثل من نسل ماله الذي رد اليه
واهله ۞ يدل عليه ما روى الضحاك عن ابن عباس ان الله تعالى رد الى المراة
شبابها فولدت له سبعة وعشرين ولدا ذكرا ۞ قال وهب كان له
سبع بنات وثلاث بنين ۞ وقال ابن بشار كان له سبع بنين وسبع
بنات ۞ روى عن ابن عباس رفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر
للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على اندر القمح الذهب
۞ وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاض ۞ وروى
ان الله تعالى بعث الله ملكا وقال ان ربك يقرئك السلام ويصبرك
فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل عليه جرادا من ذهب فطارت
واحدة فاتبعها وردها الى اندره ۞ وقال له الملك اما يكفيك ما في اندرك
فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته ۞ وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب

يغتسل

يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب ۞ فجعل ايوب يحثي في ثوبه
فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى ۞ قال بلى يا رب ولكن لا غنى
بي عن بركتك ۞ وقال قوم اتى الله ايوب مثله في الدنيا مثل
اهله الذين هلكوا ۞ فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا
۞ وقال عكرمة قيل لايوب ان اهلك لك في الاخرة ۞ فان شئت
عجلنا هم لك في الدنيا ۞ وان شئت كانوا لك في الاخرة ۞ واتيناك مثلهم
معهم في الدنيا ۞ فقال يكونون لي في الاخرة واوتي مثلهم في الدنيا ۞ فعلى
هذا يكون بمعنى الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم ۞ واراد باهله في الدنيا
الاولاد انتهى كلام معالم التنزيل ۞ قال القرطبي قال ابن مسعود
كان اهل ايوب قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله عز وجل في اقل من
طرف البصر واتاه مثلهم معهم ۞ وعن ابن عباس كان بنوه قد ماتوا
فاحيوا له وولد له مثلهم معهم قاله قتاده وكعب الاحبار والكلبي
وغيرهم ۞ قال ابن مسعود مات اولاده وهم سبعة من الذكور
وسبع من الاناث ۞ فلما عوفي نشروا له ۞ وولدت له امراته سبعة بنين
وسبع بنات ۞ قال الثعلبي فهذا القول ان شاء اشبه بظاهر
الاية ۞ قال القرطبي فهم ماتوا ابتلاء قبل آجالهم حسبما تقدم
بيانه في سورة البقرة في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف ۞ وفي قصة
السبعين الذين اخذتهم الصاعقة فماتوا ثم احيوا وذلك انهم ماتوا قبل
آجالهم كذلك ههنا والله اعلم ۞ قال القرطبي وفي الخبر ان الله
تعالى بعث اليه جبريل عليه السلام حين ركض برجله على الارض ركضة
فظهرت عين ماء حار واخذ بيده ونفضه نفضة فنبعت عنه

في الدنيا

الديدان وغاص في الماء غوصة فنبت لحمه وعاد الى منزله ورد الله
عليه اهله وماله ومثلهم معهم ونشأت سحابة
على قدر قواعد داره فمطرت ثلاثة ايام بلياليها جرادا من ذهب
فقال له جبريل اشبعت قال ومن يشبع من فضل الله فاوحى الله
الله قد القيت عليك الصبر قبل وقوعه في البلاء وبعده ولولا
اني وضعت تحت كل شعرة منك صبرا ما صبرت انتهى كلام القرطبي
رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وهو مفعول له وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ يعني رحمة
منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره
فيثابوا كثوابه **القصة السابعة** قوله تعالى
واسمعيل وادريس وهو اخنوخ بن شيث بن ادم
عليه السلام كذا في المدارك وَذَا الْكِفْلِ اي اذكرهم قال
الزمخشري قيل ان ذا الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل
يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود
على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه
وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذو واسمين
اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح
يونس وذو النون محمد واحمد انتهى كلام الزمخشري
اعلم انه تعالى لما ذكر صبر ايوب اتبعه بذكر هؤلاء فانهم
ايضا كانوا صابرين على الشدايد والمحن والعبادة اما
اسمعيل عليه السلام فانه صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام
ببلدة لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت فلاجرم

اكرمه

اكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين واما
ادريس فقد تقدمت قصته ورسوله مرتين قال ابن عمر
بعث الى قومه داعيا الى الله تعالى فابوا فاهلكهم الله ورفع ادريس
الى السماء واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا
من انبياء بني اسرائيل وكان ملكا اوحى الله اليه اني اريد قبض روحك
فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي بالليل لا يفتر
ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فاد فع ملكك
اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا ووفى فسمي
الله له فسمي ذا الكفل وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو
اني استخلف على الناس يعمل عليهم فرجوتي حتى انظر كيف يعمل
فجمع الناس فقال من يتقبل مني بلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم
الليل ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فردّه ذلك
اليوم وقال مثله اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل
فقال انا فاستخلفه فاتاه ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ
مضجعه للقايله وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة
فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب
فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا فجعل
يطول حتى ذهبت القايلة فقال اذا رجعت فاتني حتى آخذ حقك
فانطلق وراح وكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام
يتبعه فلم يجده فلما كان من الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره
فلم يره فلما رجع الى القايله واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال

ابليس

لهم ص

قال في معالم ا

له ص

من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال المرأة قل اذا قعدت
فأتني قال انهم احبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نخرج نعطيك
حقك واذا قمت جحدوني ٭ قال فانطلق فاذا جلست فأتني
وفاتنه العاتله فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس
فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا
الباب حتى انام فانه قد شق علي النعاس ٭ فلما كان تلك الساعة
نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور
منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال
ما فلان الم آمرك قال انما من قبل فلم تؤت ٭ فانظر من اين اتيت
فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت
فقال انا مرو الخصوم بابك فنظر اليه فعرفه ٭ فقال اعدو الله
قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لإرضاء غضبك فعصمك الله ٭ فسمي
ذا الكفل لانه تكفل بما مر فوفى به ٭ وقيل ان ابليس جاءه وقال
ان لي غرما يمطلني فاحب ان تقوم معي وتستوفي حقي منه فانطلق
معه حتى اذا كان في السوق خلاه وذهب ٭ وروي انه اعتذر
وقال ان صاحبي هرب ٭ وقيل ان ذا الكفل رجل كفل ان يصلي
كل ليلة مائة ركعة الى ان قبضه الله فوفى به انتهى كلام المعالم
٭ قال القرطبي وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وغيره
من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل
رجل يقال له ذو الكفل لا يتورع عن ذنب عمله فاتبع امراة
فاعطاها ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل من المراة ارتعدت
وبكت

وبكت فقال ما يبكيك قالت من هذا العمل والله ما عملته قط قال
اكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة ٭ قال اذهبي فهو لك والله
لا اعصي الله ابدا فمات من ليلته فوجد على بابه مكتوب
ان الله قد غفر لذي الكفل ٭ وخرجه ابو عيسى الترمذي ايضا
ولفظه عن ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة واحدة او مرتين
حتى عد سبع مرات ولكني سمعته اكثر من ذلك ٭ سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كان ذو الكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب
عمله فاتته امراة فاعطاها ستين دينارا على ان يطأها فلما قعد
منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت فقال وما يبكيك اكرهتك
قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجة فقال
تفعلين انت هذا وما فعلته اذهبي فهو لك ٭ وقال والله لا اعصي الله
بعدها ابدا فمات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر لك
اولذي الكفل وكما قال ٭ قال هذا حديث حسن ٭ وقال
كعب كان في بني اسرائيل رجل ملك كافر فمر ببلاده رجل صالح
فقال والله لئن خرجت من هذه البلاد حتى اعرض على هذا الملك
الاسلام فعرض عليه فقال ما جزاء من قال الجنة ووصفها له ٭ قال
فمن يتكفل لي بذلك قال انا فاسلم الملك وتخلى عن المملكة ٭ واقبل
على طاعة ربه حتى مات فدفن فاصبحوا فوجدوا لبنة خارجة من القبر
وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بنور ابيض ٭ ان الله قد غفر لي وادخلني
الجنة ٭ ووفى كفالة فلان ٭ فاسرع الناس الى ذلك الرجل بان ياخذ عليهم

الايمان وتكفل لهم بما تكفل به للملك ففعل ذلك فآمنوا كلهم فسمي
ذلك الكفل ◦ وقيل كان رجلا عفيفا يتكفل بشان كل
انسان وقع ولا او تهمة او مطالبة بنجيه الله على يديه ◦ وقيل
سمي ذا الكفل لان الله بعد تكفل له فرسعيه وعمله بضعف عمل غيره
من الانبياء الذين كانوا في زمانه ◦ والجمهور على انه ليس بنبي
◦ وقال الحسن هو نبي قتيل الياس ◦ وقيل هو زكريا لكفالة
مريم ◦ وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا انتهى كلام القرطبي
وادخلناهم في رحمتنا نبوتنا ◦ او هي النعمة في الاخرة انهم من
الصالحين اي ممن له نصيب صالح كدأب الفساد ◦ **القصة**
الثامنة قصة يونس عليه السلام ◦ قوله تعالى
وذا النون اي واذكر صاحب الحوت ◦ والنون الحوت فاضيف
اليه لابتلاعه اياه ◦ وهو يونس بن متى بلا خلاف بين المفسرين
اذ ذهب مغاضبا حال اي مراغما لقومه ◦ قال في المدارك
ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب
عليهم عندها ◦ روي انه برم بقومه لطول ما ذكرهم
فلم يتعظوا واقاموا على كفرهم فراعمهم اي فارقهم وظن ان
ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وبغضا للكفر واهله
وكان الواجب عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة
عنهم فابتلي ببطن الحوت انتهى وهذا القول تبع فيه الزمخشري
صاحب المدارك
فانه لم يذكر الا هذا الوجه ◦ قال القرطبي قوله اذ
ذهب مغاضبا قال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير اي مغاضبا

لربه عز وجل واختاره الطبري واستحسنه المهدوي وروي
عن ابن مسعود ◦ وقال النحاس وربما انكر هذا من لا يعرف اللغة
وهو قول صحيح ◦ والمعنى مغاضبا لاجل ربه كما يقول غضب لك
اي لاجلك ◦ والمؤمن يغضب لله اذا عصي ◦ واكثر اهل اللغة يذهب
الى ان قول عائشة النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة انسرطك لهم الوله من هذا
◦ وبالغ القتيبي في نصرة هذا القول ◦ وفي الخبر في وصف يونس
انه كان ضيق الصدر فلما حمل اعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع
تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي الآبق الناد ◦ وهذه
المعاضبة كانت صغيرة ◦ ولم يغضب على الله ولكن غضب اذ رفع
العذاب عنهم ◦ وقال ابن مسعود ابق من ربه اي من امر ربه
حين امره بالعود اليهم بعد رفع العذاب عنهم فانه كان توعد قومه
بنزول العذاب في وقت معلوم وخرج من عندهم في ذلك الوقت
فاظلهم العذاب فتضرعوا فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم فلذلك
ذهب مغاضبا وكان من حقه ان لا يذهب الا بامر من الله تعالى
◦ وقال الحسن امره الله تعالى بالمسير الى قومه فساله ان ينظر
لينأهب فاعجله الله تعالى حتى ساله ان ياخذ نعلا ليلبسها فلم
ينظر وقيل له الامر اعجل من ذلك ◦ وكان في خلقه ضيق
فخرج مغاضبا لربه ◦ فهذا قول ◦ وقال النحاس احسن
ما قيل في تاويله اي خرج مغاضبا من اجل ربه اي غضب على قومه
من اجل كفرهم بربه ◦ وقيل انه غاضب قومه حين طال عليه
امرهم وتعنتهم فذهب فارا بنفسه ولم يصبر على اذاهم ◦ وكان الله

لربه عز وجل

امره بملازمتهم والدعآء ۞ وكان ذنبه خروجه من بينهم من غير اذن
من الله ۞ وروى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك
وان يونس كان شابا ولم تحمل اثقال النبوة ۞ ولهذا قيل للنبى صلى الله
عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت ۞ وعن الضحاك انه خرج مغاضبا
لقومه لان قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله عز وجل
وكفروا به فوجب ان يغاضبهم ۞ وعلى كل احد ان يغاضب من عصى الله
عز وجل ۞ وقالت فرقة منهم الا خفش انما خرج مغاضبا للملك
الذى كان على قومه ۞ قال ابن عباس اراد شعيا النبى والملك
الذى كان فى وقته اسمه حزقيل قبل ان يبعثوا يونس الى ملك ۞ وكان
غزا بنى اسرائيل وسبى الكثير منهم ليتكلم حتى يرسل معه بنى اسرائيل
۞ وكان الانبياء فى ذلك الزمان يوحى اليهم والامر والسياسة الى ملك
قد اختاروه فيعمل على وحى ذلك النبى ۞ وكان اوحى الى شعيا ان
قل لحزقيل الملك ان يختار نبيا من بنى اسرائيل فيبعثه الى اهل نينوى ال ص
فيامرهم بالتخلية عن بنى اسرائيل فانى خلقت فى قلوب ملوكهم وجبابرتهم قويا امينا ص
التخلية عنهم ۞ فقال يونس لشعيا هل ادرك الله باخراجى قال لا
قال فهل سماه لك قال لا ۞ قال ان ههنا انبيا قويا امنا ۞ فالحوا
عليه فخرج مغاضبا للنبى والملك وقومه ۞ فاتى بحر الروم فكان
من قصته ما كان فابتلى ببطن الحوت لتركه امر شعيا ۞ ولهذا
قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو ملوم ۞ والملوم من فعل ما يلام
عليه ۞ وكان ما فعله اما صغيرة او ترك الاولى ۞ وقيل
خرج ولم يكن نبيا فى ذلك ولكن امره ملك من ملوك بنى اسرائيل ان ياتى الوقت ص

نينوى

نينوى ليدعو اهلها يا مر شعيا ۞ فخاف ان يكون ذهابه اليهم يامر
شعيا احد غير الله ۞ فخرج مغاضبا للملك ۞ فلما نجى من بطن الحوت
بعثه الله الى قومه فدعاهم وامنوا به ۞ قال القشيرى والاظهر
ان هذه المغاضبة كانت بعد ارسال الله تعالى اياه وبعد رفع
العذاب عنهم عن القوم بعد ما اظلهم فانه كره رفع العذاب عنهم
۞ قال القرطبى وهذا احسن ما قيل فيه على ما ياتى بيانه وبالصافات
ان شاء الله تعالى ۞ وقيل انه كان من اخلاق قومه قتل من جربوا
عليه الكذب فخشى ان يقتل فغضب وخرج فارا على وجهه
حتى ركب فى سفينة فسكنت ولم تجر فقال اهلها فيكم آبق فقال
انا هو وكان من قصته ما كان وابتلى ببطن الحوت تمحيصا من الصغيره
۞ كما قال فى اهل احد حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر من بعد ما اراكم ما تحبون
وليمحص الله الذين آمنوا فعاتب الانبيا مغفوره ۞ ولكن قد يجرى تمحيص
وتضمن ذلك زجرا عن المعاودة ۞ وقول رابع انه لم يغاضب
ربه ولا قومه ولا الملك ۞ وانه من قولهم غضب اذا انف ۞ وفاعل
قد يكون من واحد ۞ فالمعنى انه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم
تابوا فكشف عنهم العذاب ۞ فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك
فخرج ابقا ۞ وهذا فيه نظر فانه يقال لصاحب هذا القول
ان ملك المغاضبة وان كانت من الانفة فالانفة لابد ان يخالطها
الغضب وان دق على من كانت ۞ وانت تقول لم يغضب على قومه
ولا على ربه فذلك الغضب الذى يخالطه الانفة على من كان
انتهى كلام القرطبى فظن ان لن نقدر نضيق عليه وعن ابن عباس

انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن الباذخة
فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك • قال وما هو يا معاوية
فقراءة الاية • وقال يعني معاوية او يظن نبي الله ان لا يقدر
عليه • فقال ابن عباس هذا من القدرة • قال
القرطبي قيل معناه استزله الشيطان ابليس ووقع في ظنه امكان
ان الله لا يقدر عليه بعاقبته • وهذا قول مردود مرغوب عنه
لانه كفر حكاه المهدوي عن سعيد بن جبير والثعلبي عن الحسن • قال
الثعلبي وقال عطا وسعيد بن جبير وكثير من العلماء نقدر نضيق عليه
كقوله • ومن قدر عليه رزقه • قال القرطبي وهذا الشبه بقول
سعيد بن جبير والحسن • وقدر وقدر بمعنى • وهو قول ابن عباس
• وقيل هو من القدر الذي هو القضاء والحكم • اي فظن ان لن
نقضي عليه العقوبة ما حوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة
والاستطاعة • قال القرطبي وهذان التاويلان تاولهما
العلماء في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات
فحرقوه فوالله لين قدر الله علي ليعذبني الحديث • فعلى التاويل
الاول يكون تقديره والله لين ضيق الله علي وبالغ في محاسبتي وجزاني
على ذنوبي ليكونن ذلك • وعلى التاويل الثاني اي لئن كان سبق
في قدر الله وقضائه ان يعذب كل ذي جرم على جرمه ليعذبني الله
على اجرامي وذنوبي عذابا لا يعذب به احدا من العالمين • وحديثه
خرجه الائمة في الموطا وغيره • والرجل كان مؤمنا موحدا
• وقد جاء في بعض طرقه لم يعمل خيرا قط الا التوحيد • وقد قال حين الله

قال الله

قال الله له لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب والخشية لا تكون الا
لمؤمن مصدق • قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء • وقيل
ان معنى ظن ان لن نقدر عليه الاستفهام • وتقديره او ظن فحذف
الف الاستفهام اجتزاء • وهو قول سليمان بن المعتمر انتهى كلام القرطبي
قال في معالم التنزيل مكث في بطن الحوت ما بين اربعة ايام يوم
وليلة • وقيل سبعة ايام • وقيل بلاه • وقال ان الحوت
ذهب به ستة مسيرة سنة الاف سنة • وقيل بلغ به تخوم
الارض السابعة • فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت • قال
البغوي والتاويلات المتقدمة اولى بحال الانبياء انه ذهب مغاضبا
لقومه او للملك • فنادى في الظلمات اختلف العلماء في جمع الظلمات
ما المراد به • قال الزمخشري اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
في بطن الحوت كقوله يعذبهم الله في بطون بيوتهم وتركهم في ظلمات • وقوله
يعني يخرجونهم من الظلمات الى النور الى الظلمات • وقيل ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل • وقيل التقم حوته حوت اكبر منه
فجعل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر انتهى • قال الامام
فخر الدين فان كان النداء بالليل فهناك ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت
• وان كان بالنهار اضيف اليه ظلمة امعاء الحوت وان حوتا ابتلع
الحوت الذي هو في بطنه • او ان الحوت اذا عظم غوصه في قعر
الحوت البحر كان ما فوقه من البحر في ظلمة • اقول من قال ان
الحوت الذي ابتلعه غاص في الارض السابعة • فان ثبت ذلك بخبر
فلا كلام • وان قيل بذلك لم يتم نداؤه في الظلمات • فما قدمناه يغني

يغني عن ذلك ۞ وعن عبد الله بن مسعود قال لما ابتلع الحوت يونس
عليه السلام اهوى به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى
في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ۞ فنبذناه بالعراء
وهو سقيم كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش ۞ وذكر الماوردي
ان الله سبحانه اوحى الى الحوت لا تؤذي له شعرة فاني جعلت بطنك
سجنا وليس اجعله طعاما لك ۞ وروي ان يونس سجد في بطن الحوت
حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر ۞ وذكر ابن ابي الدنيا عن سعيد
بن ابي الحسن قال لما التقم الحوت يونس ظن انه قد مات فطول رجليه
فاذا هو لم يمت فعاد الى عادته يصلي ۞ فقال في دعائه واتخذت لك
مسجدا حيث لم يتخذه احد ۞ وقال ابو المعالي قوله صلى الله
عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى ۞ المعنى فاني لم اكن وانا ارسد
المنتهى بأقرب الى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت ۞ وهذا
يدل على ان الباري سبحانه ليس في جهة ان اي بان ۞ او تكون ان بمعنى
اي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لنفسي وفي
خروجي من قومي قبل ان ينادني ۞ وقال القرطبي اني كنت
من الظالمين بريد فيما خالفت فيه من ترك ملازمة قومه والصبر عليهم
۞ قال ولم يكن ذلك عقوبة من الله تعالى للانبياء عليهم السلام لا يجوز
ان يعاقبوا والما كان تمحيصا ۞ وقد يؤدب من لا يستحق العقاب
كالصبيان ذكره الماوردي ۞ وقيل من الظالمين في دعاء على قومه
بالعذاب ۞ وقد دعا نوح على قومه فلم يؤاخذ ۞ وقال الواسطي
معناه نزهه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا

ومثل

ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا ۞ وفي الحديث ما من مكروب
يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ۞ وعن الحسن ما نجى والله الا باقراره
على نفسه بالظلم ۞ قال الامام فخر الدين كانه قال كنت من الظالمين
وانا الان من النادمين فاكشف عني المحنة ۞ يدل عليه قوله
فاستجبنا له ۞ وفيه وجه آخر وهو ان يونس عليه السلام وصفه
بكمال الربوبية بقوله لا اله الا انت ۞ ووصف نفسه بقوله كنت من
الظالمين بضعف البشرية والقصور في ادا حق العبودية ۞ وهذا
القدر يكفي في السؤال على ما قال المتنبي ۞ وفي النفس حاجات
كلام عندها وخطاب ۞
وروى ابو داود عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعا
ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
لم يدع به رجل مسلم في شيء الا استجيب له ۞ وقد قيل انه اسم الله
الاعظم ۞ وروى ابو هريرة رضي الله عنه مرفوعا قال اوحى الله
الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه بفيه حتى
به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال
في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر ۞ قال فسبح
هو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه ۞ فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا
في ارض غربية ۞ وفي رواية صوتا معروفا في مكان مجهول فقال
ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت ۞ فقالوا العبد الصالح الذي
كان يصعد اليك منه في كل ليلة ويوم عمل صالح قال نعم فشفعوا
له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل ۞ قال

الخازن في تفسيره قال قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة
من اجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله انه ذهب مغاضبا
ومنها قوله فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله انى كنت من الظالمين
قلت اما الجواب الجملي فقد اختلف في هذه الواقعه هل كانت
قبل الرساله او بعدها قال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه
الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى والصافات بعد ذكر خروجه
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعه كانت
قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوه ومنعها وهو الصحيح ص
بعد النبوة واما الجواب التفصيلي فقوله تعالى اذ ذهب مغاضبا
فحمله انه لقومه او للملك اولى بحال الانبياء واما قوله فظن ان
لن نقدر عليه فقد نقدر ان معناه ان لن نضيق عليه وذلك ان قوله
فظن ان لن نقدر عليه ان يونس ظن انه مخير ان شاء اقام وان شاء خرج
وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل هو من القدر لا من القدره
واما قوله ان كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه
وهذا اعتراف منه بعضهم بذنبه اما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه
وهذه الاشياء ترك الافضل مع القدره على تحصيله وكان ذلك
ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعه بدليل قوله تعالى وان
يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الكلام
عن هذه الواقعه ما تقدم من التفصيل انتهى كلام الخازن وعن
ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من تعار من الليل فقال لا اله الا انت
سبحانك

صلاة الحاجة

سبحانك اني كنت من الظالمين انتهى من دعوته كما تنسلخ الشاه من جلدها
كذا في كتاب اللؤلؤة لتقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحيي الواسطي
وذكر الشيخ خليل في كتاب الملخص من تذكره الاعداد ليوم المعاد
من صلاة الحاجة يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة الاخلاص
خمسا ويسجد بعد السلام ويقول في سجوده لا اله الا انت سبحانك
كنت من الظالمين احدى واربعين مرة ويسأل من الله حاجته ويرفع
راسه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسالك توسلت بدعاء ذي النون
اسالك ان يجعلني من الواصلين اليك والمقربين لديك اسالك ان تكفيني
همي وتقضي حاجتي برحمتك وبفضلك وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم قال وذكر بعض اهل العلم ان من وقع في شدة
يكررها الفين وثلثمائة مرة وثلاث مرات كذا عن مساعد رحمه الله
وقال مساعد ايضا اذا وقع في هلكة كاد ان لا يخلص
منها فليكررها على طهاره سبعين الفا وان كان ساجدا فهو ارجى
فلا شك ولا ريب في نجاته ولد يعقوب وفنا اشهر قال
في زهره الرياض روى ان يونس عليه السلام لما القمه الحوت اوحى الله
الله انا لم نجعل بونس رزقا لك وانما جعلناك له حرزا ومسجدا فلا
تخدش له لحما ولا تكسر له عظما ثم اهوى به الى مسكنه في البحر
وبقال رقق الله له جلد الحوت حتى كان ينظر الى جميع ما كان
في البحار وان الوحي الحوت قذفه بالساحل بنينوى كما قال فنبذناه
بالعراء وهو وجه الارض فلما اخرجه الله من بطن الحوت انبت الله
له شجرة من يقطين وهو القرع ليلا يقع عليه الذباب لانه خرج كالفرخ

المعلّط فجعل يشتطل بها ووكّل الله به وعلًا تخلف اليه ويشرب
من لبنها فذلك قوله وانبتنا عليه شجرة من يقطين اى عنده فيبست
الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة
الف او يزيدون اردت ان اهلكهم وفى هذا الطايف
واشارات وهو ان يونس صحب حوتا اربعين ليلة فوقع عليه اسم الحوت
وهو قوله وذا النون فكيف بمن استقام على الاسلام اربعين ليلة
سنة قال اعلم ان من كان اقرب الى الله فحالته اخطر
لان يونس عليه السلام عاتبه الله بغضبة وادم بأكلة ونوحا
بدعوة وابرهيم بزلة وموسى بوكزة ويوسف بهمة
وداود بنظرة انتهى فاستجبنا له ونجيناه من الغم غم الذلة
والوحشة والوحدة وكذلك ننجى المؤمنين اذا دعونا واستغاثوا
بنا ننجّى شامى وابو بكر بادغام النون فى الجيم عند البعض لكن
النون لا تدغم فى الجيم وقيل تقديره نجّى النجاء المومنين
فسكّن الياء تخفيفا واسند الفعل الى المصدر ونصب المومنين
بالنجاء لكن فيه اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول
وهذا لا يجوز وفيه تسكين الياء وانه من الضرورات وقيل
اصله ننجى من التنجية فحذف النون الثانية لاجتماع النونين
كما حذفت احدى التاءين فى تتنزّل الملايكة كذا فى المدارك
قال الكواشى فى توجيه هذه القراءة تقديره نجّى النجاء المومنين
اقيم المصدر مقام الفاعل تنبيها على قوته لانه الاصل ولان الفعل
يقتضى المصدر ابلغ من اقتضايه المفعول به لان الفعل المتعدى

واللازم

والملازم لا بدّ له من مصدر الا ما شذّ فكان قيامه مقام الفاعل
اولى من قيامه مقام المفعول به ونصب المومنين بالمصدر او بنجّى
لان المصدر قايم مقام الفاعل فبقى المومنين مفعولا به صريحا
تقديره نجّى النجاء المومنين وزعم بعضهم ان هذا لحن لا
لا وجه له وزعم آخر ان هذا غلط من الراوى وزعم آخر
انه انما قرأها لانه رآها فى بعض المصاحف بنون واحده وزعم
آخر ان من تحمّل لصحبه فجعله فعّل وقال نجّى النجاء المومنين
فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المومنين بالنجاء متعسّف
بارد التعسف هذا قول الزمخشرى هنا وقال الجاشه ليجزى
قوما قال معناه ليجزى الجزاء قوما ولا شك ان هذه اقوال من
غفل عن ثبت اصل اخذت منه العربية فظن انها اخذت من اقوال
واشعار نقلها عن العرب من لا يعتمد عليه لجهله او لعدم عدالته
او جهالتها وجعل ذلك اصلا وميزانا يعتبر به صحة ما صح بل تواتر
من فساده وهو القران العظيم ولو لم يجعل المنقول عن العرب
اصلا يعتبر به لما طعن فى هذه القراة ونحوها لانه بقوله له لم يات
مثلها عن العرب يشير الى انه قد احاط بجميع كلام العرب وهذا
تحجر واسع وسهو ظاهر لانه قد رآها وهو عن ما انكر فى افصح كلام
العرب واصحّه نقلا وهو لا يشعر وهو القران المنزل بلغه العرب
الذى نقلته وشهد بصحته العدل عن العدل عن افصح العرب عن محمد
صلى الله عليه ولا يلتفت الى الطاعن فى الرواة لثبوت عدالتهم وضبطهم
عند اهل الجرح والتعديل وفى قول من قال انما قرأها لانه رآها

في بعض المصاحف بنون واحدة اشارة الى بطلانها لانها على زعمه
لم ينقلها العدل عن العدل فكانت غير مقطوع بصحتها ومن
قال انه متعسف بارد التعسف فاعتباره ما ثبتت صحته
بما لم تثبت صحته ابشع واشنع تعسفا ولا ينكر علينا ذلك فان
العاقل يتبع الدليل ويترك ما قيل بلا دليل ولا تحمله التقليد
على الطعن في المعجز على مرور الازمان لان ارباب النظر المعتمد
عليهم يقولون آحاد السبعة بجميعها في الصحة والتواتر ملخصه
هم المخطئون وليست تخطيتي لهم بافتح من تخطيتهم كما صح بل
تواتر عن النبي صلى الله عليه وقد ذكرت في الانعام وقوله وكذلك
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاءهم الكلام على مثل هذا
والغرابة على زعمهم مستوفى انتهى كلام الكواشي

القصة التاسعة قصة زكريا عليه السلام

قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث اعلم
انه تعالى لما انقطاع زكريا الى ربه لما مسه الضر بتفرده واحب
من يونسه ويقويه على امر دينه ودنياه ويكون قايما مقامه بعد
موته فدعى الله بعد دعاء مخلص عارف بانه قادر على ذلك واشتهت
الحال به وبزوجته من كبر وغيره ما يمنع من ذلك لحكم العادة
وقال ابن عباس كان سنه مايه وسن زوجته تسعة وتسعين
وانت خير الوارثين اى فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك
خير وارث ويحتمل انه ثنا على الله تعالى بانه الباقي بعد فناء الخلق

لم يرد امره الى الله مستسلما فعالم

وانه الوارث

وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز كقوله وانت
خير الوارثين فاستجبنا له اى فعلمنا ما اراده لاجل سواله
وفي ذلك اعظام له فلذلك يقول العلماء ان لاستجابه ثوابا
لما فيه من الاعظام قاله فخر الدين وقال القرطبي فاستجبنا له اى
اجبنا دعاءه ووهبنا له يحيى ولدا وهو كالمفسر للاستجابة واصلحنا
له زوجه جعلناها صالحة للولاد بعد عقرها وقيل جعلناها
حسنة الخلق وكانت سيئة الخلق طويلة اللسان قال
القرطبي ويحتمل ان يكون جمعت المعنيين فجعلت ولودا حسنة
الخلق انهم كانوا اى الانبيا المذكورين في هذه السورة
وقيل الضمير راجع الى زكريا وامرانه ويحيى كانوا يسارعون
في الخيرات اى انهم انما استحقوا الاجابة الى طلباتهم لمبادرتهم
ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها ويدعوننا رغبا ورهبا اى
طمعا وخوفا كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وهما مصدران
في موضع الحال او المفعول له اى للرغبه فينا والرهبه منا
قال القرطبي وقيل الرغبة رفع بطون الاكف الى السما والرهب
رفع ظهورها قال ابن عطيه ويلخص هذا ان عادة كل داع يستعين
بيديه فالرغب من حيث هو طلب يحسن منه ان يوجه باطن الراح
نحو المطلوب منه اذ هو موضع اعطا وبها يتملك والرهب من حيث
دفع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الى ذهابه وتوقيه
بنفض اليد ونحوه قال القرطبي روى الترمذي عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه اذا رفع يديه

في الدعا لم يحطها حتى يمسح بهما وجهه ◦ وقد مضى في الاعراف
الاختلاف في رفع الايدي وذكرنا هذا الحديث وغيره هناك
◦ وعلى القول بالرفع فقد اختلف الناس في صفته ◦ والى ان
وكان بعضهم يختار ان يبسط كفيه رافعا حذو صدره وبطونهما
الى وجهه ◦ هكذا روى عن ابن عمرو ابن عباس رضي الله عنهم ◦ وكان
على يدعو باطن كفيه ◦ وعن انس مثله ◦ وهو ظاهر حديث البرمذي
◦ وقوله صلى الله عليه اذا سالتم الله فاسالوه ببطون اكفكم
ولا تسالوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم ◦ وروي عن
ابن عمر وابن الزبير رفعهما الى وجهه ◦ واحتجوا لحديث لسعد
الخدري قال وقف رسول الله صلى الله عليه بعرفة فجعل يدعو وجعل
ظهر كفيه مما يلي وجهه ورفعهما فوق ثديه واسفل من منكبيه ◦
وقيل يحاذي بهما وجهه وظهورهما مما يلي وجهه ◦ قال
ابو جعفر الطبري والصواب ان يقال كل هذه الآثار المروية عن
النبي صلى الله عليه غير مختلفة المعاني ◦ ويجوز ان يكون ذلك
من النبي صلى الله عليه لاختلاف احوال الدعاء ◦ كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما اذا اشار احدكم باصبع واحدة فهو الاخلاص ◦
واذا رفع يديه حذو صدره فهو الابتهال الدعاء ◦ واذا رفعهما حتى يجاوز
بهما راسه وظاهرهما مما يلي وجهه فهو الابتهال ◦ وقد روى
قتادة عن انس قال رايت النبي صلى الله عليه يدعو يظهر كفيه وباطنهما
اهـ كلام القرطبي ◦ وكانوا لنا خاشعين متواضعين خائفين

◦ وعن مجاهد الخشوع الخوف الدايم في القلب ◦

القصة العاشرة

وقيل اي متواضعين
◦ وسيل الاعمش عن الخشوع فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني
قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه ◦ فليرى الله منه خيرا ◦ لعلك تظن انه ان
يا كل خشنا ويلبس الوحه خشنا ويظاهر راسه م

العاشرة قصة مريم عليها السلام

◦ قوله تعالى واذكر التي احصنت فرجها حفظته من الحلال والحرام
كما قال ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ◦ قال القرطبي وقيل
المراد بالفرج فرج القميص اي لم تعلق بثوبها ريبة اي انها طاهرة
الاثواب ◦ وفروج القميص اربعة ◦ الكمان والاعلى والاسفل ◦ قال
السهيلي فلا يذهبن وهمك الى غير هذا فانه من لطيف الكناية
لان القران انزه معنى واوزن لفظا والطف اشارة ◦ واحسن عبارة
من ان يريد ما يذهب اليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من روح القدس
ما امر القدس ◦ فاضيف القدس الى القدس ◦ ونزه المقدسة
المطهرة عن الظن الكاذب والحدس الخائن فنفخنا فيها من روحنا قال
في المدارك اي اجرينا فيها روح المسيح عليه السلام ◦ او امرنا
جبريل فنفخ في جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ عيسى في بطنها
◦ واضافة الروح اليه تفخيم لشريف عيسى انتهى ◦ قال
الزمخشري ◦ فان قلت نفخ الروح والجسد عبارة عن احيائه
قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته ◦ واذا ثبت
ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل
على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه
في جوفها ◦ ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي
نفخت في المزمار في بيته ◦ ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة
روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل
النفخ الى جوفها انتهى كلامه وجعلناها وابنها آية منصوبان للعالمين
اي دلالة للعالمين على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب انتهى ◦ قال

في الدعا لم يحطها حتى يمسح بهما وجهه ● وقد مضى في الاعراف
الاختلاف في رفع الايدي وذكرنا هذا الحديث وغيره هناك
● وعلى القول بالرفع فقد اختلف الناس في صفته ● والى ان
وكان بعضهم يختار ان يبسط كفيه رافعا حذو صدره وبطونهما يديه م
الى وجهه ● هكذا روى عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ● وكان
على يدعو باطن كفيه ● وعن انس مثله ● وهو ظاهر حديث البرمذي
● وقوله صلى الله عليه اذا سالتم الله فاسالوه ببطون اكفكم
ولا تسالوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم ● وروي عن
ابن عمر وابن الزبير رفعهما الى وجهه ● واحتجوا بحديث لسعد
الخدري قال وقف رسول الله صلى الله عليه بعرفة فجعل يدعو وجعل
ظهر كفيه مما يلي وجهه ورفعهما فوق ثديه واسفل من منكبيه ●
وقيل يحاذي بهما وجهه وظهورهما مما يلي وجهه ● قال
ابو جعفر الطبري والصواب ان يقال كل هذه الآثار المروية عن
النبي صلى الله عليه متفقة غير مختلفة المعاني ● ويجوز ان يكون ذلك
من النبي صلى الله عليه لاختلاف احوال الدعاء ● كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما اذا اشار احدكم باصبع واحدة فهو الاخلاص ●
واذا رفع يديه حذو صدره فهو الابتهال الدعاء ● واذا رفعهما حتى يجاوز
بهما راسه وظاهرهما مما يلي وجهه فهو الابتهال ● وقد روى
قتادة عن انس قال رايت النبي صلى الله عليه يدعو بظهر كفيه وباطنهما
انتهى كلام القرطبي ● وكانوا لنا خاشعين متواضعين خائفين
● وعن مجاهد الخشوع الخوف الدايم في القلب ●

القصة العاشرة

وقيل اي متواضعين
● وسيل الاعمش عن الخشوع فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني
فقال بيني وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه ● فليس لله منه خبرا ● لعلك تظن انه ان
يأكل خشنا ويلبس الوحه خشنا ويظاهر راسه م

وهي آخر القصص م

العاشرة قصة مريم عليها السلام

● قوله تعالى
والتي اي واذكر التي احصنت فرجها حفظته من الحلال والحرام
كما قال ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ● قال القرطبي وقيل
المراد بالفرج فرج القميص اي لم تعلق بثوبها ريبة اي انها طاهرة
الاثواب ● وفي فروج القميص اربعة ● الكمان والاعلى والاسفل ● قال
السهيلي فلا يذهبن وهمك الى غير هذا فانه من لطيف الكناية
لان القرآن انزه معنى واوزن لفظا والطف اشارة واحسن عبارة
من ان يريد ما يذهب اليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من روح القدس
بامر القدس ● فاضيف القدس الى القدس ● ونزه المقدسة
المطهرة عن الظن الكاذب والحدس المنتن فنفخنا فيها من روحنا قال
في المدارك اي اجرينا فيها روح المسيح عليه السلام ● او امرنا
جبريل فنفخ في جيب درعها فاخذ النفخ عيسى في بطنها
● واضافة الروح اليه تقريرا لتشريف عيسى انتهى ● قال
الزمخشري ● فان قلت نفخ الروح والجسد عبارة عن احيائه
قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته ● واذا ثبت
ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل
على احيا مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه
في جوفها ● ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي
نفخت في المزمار في بيته ● ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة
روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل
النفخ الى جوفها انتهى كلامه وجعلناها وابنها آية منصوبتان للعالمين
اي دلالة للعالمين على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير اب انتهى ● قال

قال الزمخشري فان قلت هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا
الليل والنهار آيتين قلت لان حالهما المجموعة آية واحدة وهي
ولادتها اياه من غير فحل انتهى وقال في المدارك وقيل القدير
وجعلناها آية وانما كذلك فآية مفعول المعطوف عليه ويدل عليه
قراءة من قرا آيتين وقال القرطبي وانما ذكر مريم وليست من
الانبيآ لتتميم ذكر عيسى ولهذا قال وجعلناها وابنها آية للعالمين
لان جعل الكلام وجعلنا من شانهما وامرهما وقصتهما آية للعالمين
وقال الرجاح ان الاية فيهما واحدة لانها ولدته من غير فحل
وقيل عرايانها انها اول امراة قبلت فرالنذر في المتعبد
ومعنى ان الله تعالى غذاها برزق من عنده لم يجعله على يد غيره من عباده
وقيل انها لم تلقم ثديا قط وقوله آية اي علامة واعجوبة
للخلق وعلما لنبوة عليه السلام ودلالة على نفوذ قدرتنا كما نشاء
انتهى كلام القرطبي قال الامام فخر الدين ومن اياتها انها تكلمت
ايضا وصبيا كما تكلم عيسى إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
الأُمَّةُ الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام وهي ملة جميع الانبيآ
وامة واحدة حال اي متوحدة غير متفرقة والعامل ما دل
عليه اسم الاشارة اي ان ملة الاسلام وهي ملتكم التي يجب ان تكونوا
عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة كذا في المدارك
قال القرطبي لما ذكر الانبيا قال هؤلآ كلهم مجتمعون على التوحيد
وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ اي ربيتكم اختيارا فاعبدوني شكرا وافتخارا
والخطاب للناس كافة كذا في المدارك وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ

اصل

عيسى م

اصل الكلام وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة
الالتفات والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا فصاروا فرقا
واحزابا روى عن رسول الله صلى الله عليه انه قال تفرقت بنو
اسرايل على احدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون وخلصت فرقة
وان امتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة
وتخلص فرقة قالوا يا رسول الله ومن تلك الفرقة قال الجماعة
الجماعة وهذا الخبر تبين ان المراد بقوله ان هذه امتكم امة
المتمسكة بما بينه الله في هذه السورة من التوحيد والنبوات قال
الامام فخر الدين طعن بعضهم في صحة هذا الخبر فقال ان اراد بالاثنتين
و سبعين فرقة اصول الاديان فلن تبلغ هذا القدر وان اراد الفروع
فانها تتجاوز هذا القدر الى اضعاف ذلك وقيل انها على ضد ذلك
وهو انها كلها ناجية الا فرقة واحدة والجواب المراد ستفترق
امتي في حال ما وليس فيه دلالة على افتراقها في سائر الاحوال لا يجوز
ان يزيد وينقص انتهى وتوعدهم بان هؤلآ الفرق المختلفة
كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ فنجازيهم على اعمالهم فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ شَيْئًا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ مما يجب الايمان به فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ اي فان سعيه مشكور
مقبول والكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه
وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه
وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ اي كاتبون ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله
وما نحن مثبتوه فهو غير ضايع ومثاب عليه صاحبه ونظيره قوله
اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى اي كل ذلك محفوظ لنجازي عليه

لسعيه م

فمن موحد و
ومن نصراني و
وثني او صنم

على ترتيبه م

ونظر قوله فلا كفران لسعيه قوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وحرام وحرم كقوله غير حفص وخلف وهما لغتان كحل وحلال وزنا وضده معنى والمراد بالحرام الممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم وابى ان يكونا لهم اهلكناها اى اهلكنا اهلها انهم لا يرجعون والمعنى وممتنع على كل مهلك غير ممكن ان لا يرجع الى الله بالبعث بل لا بد من البعث او المعنى وحرام على قرية اهلكناها اى قدرنا اهلاكهم او حكمنا باهلاكهم ذلك وهو المذكور فى الاية المقدمة من العمل الصالح والسعى المشكور غير المكفور انهم لا يرجعون اى لانهم لا يرجعون من الكفر الى الاسلام كذا فى المدارك قال القرطبى قال النحاس والاية مشكلة ومن احسن ما قيل فيها واجله ما رواه ابن عيينة عن ابن عباس فى قوله وحرام على قرية اهلكناها قال وجب انهم لا يرجعون اى لا يتوبون وقيل فى الكلام اضمار اى وحرام على قرية حكمنا باستيصالها او بالختم على قلوبها ان تقبل منهم عملا انهم لا يرجعون اى لا يتوبون ولا عذر لهذه انتهى كلام القرطبى حتى اذا قال الزمخشرى فان قلت بم تعلقت حتى واقعة غاية له والاية الثلاث هى قلت هى متعلقة بحرام وهى غاية له وهى حتى التى تحكى بعدها الكلام والكلام المحكى هو الجملة من الشرط والجزاء اعنى اذا وما فى حيزها فتحت ياجوج وماجوج اى فتح سدهما فحذف المضاف كما حذف المضاف فى واسال

القرية

القرية اى اهلها فتحت شامى وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج وماجوج يخرجون حين يفتح السد من كل حدب لنشز من الارض اى ارتفاع ينسلون يسرعون قال الخازن فى تفسيره والاصح ان المراد بقوله وهم من كل حدب ينسلون بدليل ما روى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كانى اشبهه بعبد العزى ابن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرى واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم ياتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله

ياجوج وماجو

فيومنون

فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من اموالهم
ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها
كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف
فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل
وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه
السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين
واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ راسه قطر واذا
رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه
الا مات ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب
لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه
فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو
كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان
لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء
ويحصر نبي الله عيسى واصحابه حتى يكون رأس
الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله
واصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت
نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون
في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى
واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله

مدرسل

ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها
كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ
تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل
حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر
لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس
فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض
روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر
فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم شرح غريب الفاظه
قوله حتى ظباه ربما يقه النخل اي ناحية النخل وجانبه قوله
فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به في امره
وقيل انه خفض من امره نهوضا له ورفع من شدة فتنته والخوف
من امره قوله شاب قطط اي جعد الشعر قوله طافيه اي خارجه
عن حدها قوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا او طريقا بين جهتين
والخلل الدخول في الشئ قوله دعاث اي مفسد قوله فاقدروا
له اي قدروا قدر يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل يوم صلاته
قوله فتروح عليهم سارحتهم اي مواشيهم قوله فيصبحون ممحلين
اي مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب
النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين
جزلتين رمية الغرض اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى
بالنشاب قوله بين ممصرتين بالدال المعجمة والمهملة اي شقتين
وقيل خلتين وقيل الممصر الصبغ الاصفر بالورس والزعفران

بقدر صلاته

قوله لا يدان لاحد بقتالهم اى لا قوة لاحد بقتالهم قوله والنعاف دود
يكون فى انوف الابل والغنم قوله فرسى جمع فريس وهو القتيل
قوله زعمهم اى زعمهم المنتنة قوله كالزلقة ما لقاف اراد به
استواءها ونظافتها قوله تاكل العصابة اى الجماعة قيل يبلغون
اربعين رجلا وقحف الرمانة قشرها والرسل بكسر الراء اللبن
والملحة الناقة ذات اللبن والغيارى الجماعة من الناس والفخذ
دون القبيلة قوله يتهارجون اى يختلفون والتهارج الاختلاط
واصله القتل وعن حذيفة بن اسيد الغفارى قال اطلع
النبى صلى الله عليه علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة
قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال
والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج
وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم انتهى
كلام الخازن فى النفس واقترب الوعد الحق اى القيامة وجواب
اذا قوله فاذا هى وهو اذا المفاجأة وهو تقع فى المجازاة سادة
مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا
على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هو شاخصة اى فهى
شاخصة كان سديدا قوله هى ضمير منهم يوضحه الابصار
وهو ضمير الشان والقصة ويفسره كما فسر الذين ظلموا وأسروا
ابصار الذين كفروا اى مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول
ما هم فيه يا ويلنا متعلق بقول تقديره ويقولون يا ويلنا ويقولون

حال من الذين

يا معشر المشركين

حال من الذين كفروا قد كنا فى غفلة من هذا اليوم بل كنا ظالمين
بوضعنا العبادة فى غير موضعها انكم وما تعبدون من دون الله
يعنى الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم
فى حكم عبدتهم ويصدقه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون
صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الاية
فاقبل عبد الله من الزبعرى السهمى فرآهم يتهامسون فقال فيم
خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه
فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى
أانت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا
الملائكة فقال صلى الله عليه بل هم عبدة الشياطين التى امرتهم بذلك
فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى عزيرا والمسيح والملائكة
قال الزمخشرى فان قلت فلم قرنوا بالهتهم قلت
لانهم لا يزالون لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم
بسببهم والنظر يجب الى وجه العدو بابا من العذاب ولانهم قدروا
انهم لسبب تشفعون بهم فى الاخرة ويتفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا
الامر على عكس ما قدروا لم يكن شئ ابغض اليهم منهم فان قلت
اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما معنى لهم فيها زفير قلت
اذا كانوا هم واصنامهم فى قرن واحد جاز ان يقال لهم زفير وان لم يكن

اى يخوضون الكلا

الزافرين الا بهم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس انتهى كلامه
حَصَبُ جَهَنَّمَ ۝ قال القرطبي لما نزلت
هذه الاية شق على كفار قريش وقالوا ايشتم آلهتنا واتوا
ابن الزبعرى واخبروه فقال لو حضرته لرددت عليه ۝ قالوا وما
كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح تعبده النصارى واليهود
تعبد عزيرا فهما من حطب جهنم فعجبت قريش من مقالة ذلك وقالوا
ان محمدا قد خصمنا فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون ۝ وفيه نزلت ولما ضرب ابن مريم مثلا ۝ يعني ابن الزبعرى
اذا قومك منه يصدون بكسر الصاد اى يضجون وسيأتي ۝ قال
القرطبي ويظهر من هذه الاية ان الناس من الكفار وما يعبدونه
من الاصنام حطب لجهنم ۝ ونظيره قوله فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة ۝ وقيل ان المراد بالحجارة حجارة الكبريت على ما تقدم
في سورة البقرة ۝ وان النار لا تكون على الاصنام عذابا ولا عقوبة
لانها لم تذنب ولكن تكون عذابا لمن عبدها اول شيء بالحشرة ثم تجمع
على النار فتكون نارها اشد من كل نار ثم يعذبون بها ۝ وقيل
ثم تلتصق بهم زيادة في تعذيبهم ۝ وقيل انما جعلت في النار
تبكيتا لعبادها وهم انتهى كلام القرطبي انتم لها واردون فيها داخلون
۝ قال القرطبي والخطاب للمشركين عبدة الاصنام اى انتم واردوها
مع الاصنام ۝ ويجوز ان يقال الخطاب للاصنام وعبدتها لان الاصنام
وان كانت جمادات فقد تخبر عنها بكنايات الآدميين ۝ قال
العلماء ولا يدخل في هذا الخطاب عيسى ولا عزير ولا الملائكة صلوات الله عليهم

لان ما لغير الادميين ولو قال ذ اراد ذلك لقال ومن انتهى ۝ لو كان هؤلاء
آلهة كما زعمتم ما وردوها ما دخلوا النار ۝ ثم انه تعالى وصف
ذلك العذاب بامور ثلاثة احدها الخلود فقال لهى وكل اى العابد
والمعبود فيها في النار خالدون وهو مفسر لقوله انكم وما تعبدون
من دون الله ۝ وثانيها قوله لهم فيها زفير اى انين وبكاء وعويل
۝ قال القرطبي اى لهؤلاء الكفار الذين وردوا النار من الكفار والشياطين
۝ واما الاصنام ففعل الخلاف فيها هل يحييها الله ويعذبها الله
حتى يكون لهم فيها زفير اولا قولان ۝ والزفير صوت نفس المغموم
يخرج من القلب وقد تقدم في هود ۝ وثالثها قوله وهم فيها لا
يسمعون شيئا قالا نهم صاروا صما ۝ وفي السماع نوع انس فلم يعطوا
۝ وقال الكواشي او معنى وهم فيها لا يسمعون اى لشدة غليان
النار وما بهم من الامر اعاذنا الله واياك منها ۝ وقيل يجعل في اذانهم
مسامير من نار انتهى ۝ قال القرطبي وهم فيها لا يسمعون شيئا
لانهم يحشرون صما كما قال الله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما وفي سماع الاشقياء نوع انس فمنع الله الكفار ذلك في النار
۝ وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم
من الزبانية ۝ وقيل اذا قيل لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون حينئذ
تصيرون صما بكما ۝ وقال ابن مسعود اذا بقي من يخلد في النار
في جهنم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت التوابيت في توابيت اخرى
ثم ملئ التوابيت وتوابيت اخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا
ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره انتهى ۝ قال

لان ما

الامام فخر الدين والقول الاول وهو انهم لا يسمعون شيأ ضعيف لان اهل
النار يسمعون كلام اهل الجنه ولذلك يستغيثون بهم على ما ذكره الله
تعالى في سوره الاعراف انتهى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ
الخصلة المفضلة والحسنى تانيث الاحسن وهي السعادة ﴿ او البشرى
بالثواب ﴿ او التوفيق للطاعة ﴿ قال في المدارك نزلت جوابا
لقول ابن الزبعرى عند تلاوته عليه السلام على صناديد قريش
انكم وما تعبدون من دون الله الى قوله خالدون ﴿ أَلَيْسَ الْيَهُودُ عَبَدُوا
عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملايكة ﴿ على ان قوله وما
تعبدون لا يتناولهم لان ما لمن لا يعقل ﴿ الا انهم اهل عناد فزيد
في البيان انتهى ﴿ قال الفرطبي يعني الكلام الاستثناء ﴿ ولهذا
قال بعض اهل العلم ان ههنا معنى الا وليس في القرآن غيره ﴿ وقال
محمد بن حاطب سمعت عليا رضي لطالب يقرا هذه الاية على المنبر ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عثمان
منهم انتهى ﴿ أُولَٰئِكَ يعني عزيرا والمسيح والملايكة عَنْهَا عن جهنم
مُبْعَدُونَ لانهم لم يرضوا بعبادتهم ﴿ قال في المدارك وقيل
المراد بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى جميع المومنين لما روى ان عليا
رضي الله عنه قرا هذه الاية فقال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف اذا قيمت الصلاة فقام بحر
رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها ﴿ وقال الجنيد رحمه الله
سبقت لهم منا العناية في البدايه ﴿ فظهرت لهم الولاية في النهاية
انتهى ﴿ الصفة الثانية قوله لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا اي حسيس النار

اي صوتها

ثم انه تعالى شرح في احوال ثوابهم امورا خمسة ﴿ الاول قوله ص

اى صوتها الذى يحس وحركة تلهبها ﴿ وهذه مبالغة في الابعاد
عنها ﴿ اى لا يقربونها حتى يسمعوا صوتها وصوت من فيها ﴿ قال
الامام فخر الدين فان قلت اى وجه في ان لا يسمعوا حسيسها
مع البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم قلت المراد تاكيد بعدهم
عنها لان من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها ﴿ فان قلت
اليس اهل الجنه يرون اهل النار وكيف لا يسمعون حسيس النار الحوات
اذا حملناه على النار زال هذا السوال ﴿ قال القرطبي وقال الماكيدص
ابن جريج عن عطاء قال قال ابو راشد الحبراني سالت ابن عباس لا يسمعون
حسيسها فقال ابن عباس مجنون انت فاين قوله تعالى وان منكم الا واردها
﴿ وقوله تعالى فاوردهم النار ﴿ وقوله الى جهنم وردا ﴿ لقد كان دعا
من مضى اللهم احعله اخرجني من الذين سالما وادخلني الجنه صابرا
﴿ وقال محمد ابو عثمان النهدي على الصراط حيات تلسع
اهل النار فيقولون حس حس ﴿ وقيل اذا دخل اهل الجنه الجنة
لم يسمعوا حس النار ﴿ وقيل ذلك لا يسمعون انتهى ﴿ الصفة
الثالثه قوله وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ مقيمون ﴿ الشهوة من النعيم ص
طلب النفس اللذة ﴿ وقيل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ﴿ وقال
ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿ قال العارفون
للنفوس شهوة وللقلوب شهوة ﴿ وللارواح شهوة ﴿ الصفة
الرابعه قوله لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ هو اهوال يوم القيمه والبعث
عن ابن عباس ﴿ وقيل النفخه الاخيرة لقوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع
من في السموات ومن في الارض ﴿ وعن الحسن هو وقت يومر بالعباد الى النار

وقيل هو حين تطبق النار على اهلها ويذبح الموت بين الجنة
والنار وقال سعيد بن جبير وذو النون المصرى هو القطعة
والفراق وعن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم الفزع فى كتيبة
المسك الاذفر لا يخزيهم الفزع الاكبر رجل امّ قوما محتسبا
وهم له راضون ورجل اذّن لقوم محتسبا ورجل ابتُلى برقّ والدنيا
فلم يشغله عن طاعة الله تعالى وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن
مررت برجل يضرب غلاما له فاشار الىّ الغلام فكلمت مولاه
حتى عفى عنه فلقيت ابا سعيد الخدرى فاخبرته فقال يا ابن اخى
مرا غاث مكروبا اعتقه الله من النار يوم الفزع الاكبر سمعت ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى القرطبى الصفة الخامسة قوله
وتتلقّاهم الملائكة اى تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة يقولون
هذا يومكم الذى كنتم توعدون اى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم
ربكم فى الدنيا قد حلّ وقال القرطبى وقيل تستقبلهم ملائكة الرحمة
عند خروجهم من القبور عن ابن عباس لما سهى وعن الضحاك الملائكة
هم الحفظة الذين كتبوا اعمالهم ويقولون لهم مبشرين هذا يومكم
الذى كنتم توعدون قاله الامام فخر الدين العامل فى يوم قوله
يوم نطوى السماء لا يحزنهم اذ تتلقاهم تطوى السما بزيد
وطيها تكوير نجومها ومحو رسومها وقيل هو ضد النشر اى
جمعها ونطويها قال القرطبى واراد بالسما الجنس دليله والسموات
مطويات بيمينه كطىّ السجل اى الصحيفة للكتب حمزة وعلىّ
وحفص اى للمكتوبات اى لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وغيرهم

للكتاب

للكتاب اى كما يطوى الطومار للكتابة اى ليكتب فيه اولما
يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب
وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه
وقيل السجل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب
على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها وكل مضاف الى الفاعل
وعلى القول الاول مضاف الى المفعول كذا فى المدارك وضعفوا القول قال القرطبى
الاخير لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفون وليس منهم من
اسمه السجل ولا فى اصحابه من اسمه السجل وقال ابن عباس
وابن عمر والسدى السجل ملك وهو الذى يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت
اليه وقيل انه فى السما الثالثة ترفع اليه اعمال العباد يرفعها
اليه الحفظة الموكلون بالخلق فى كل خميس واثنين وكان من اعوانه
فيما ذكرها روت وماروت وقال القرطبى والطىّ فى هذه
الاية يحتمل معنيين احدهما الدرج الذى هو ضد النشر قال الله
تعالى والسموات مطويات بيمينه والثانى الاخفا والتعمية والمحو
لان الله يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها قال الله تعالى اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت الى قوله واذا السما كشطت انتهى كلام
القرطبى قال الامام فخر الدين وقال الزجاج السجل هو الرجل
بلغة الحبشة كما يقال كطىّ زيد الكتاب واللام فى الكتاب زايدة
كما فى قوله ردف لكم وروى النسائى عن ابن عباس عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيمة عراة غرلا واول من يكسى يوم القيمة
ابو هيم عليه السلام ثم قرأ اول خلق نعيده وعن ابن عباس

رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال يا ايها الناس تحشرون الى الله تعالى حفاة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلايق
يكسى يوم القيمة ابرهيم عليه السلام وذكر الحديث ٥ وعن
عبد الله بن مسعود قال يرسل الله عز وجل من تحت العرش ماء كمني
الرجال فتنبت منه لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض بالثرى
وقرا كما بدانا اول خلق نعيده كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
انتصب الكاف بفعل مضمر ويفسره نعيده ٥ وما موصولة اى نعيد
مثل الذى بدأنا نعيد ٥ واول خلق ظرف لبداءنا ٥ اى اول
ما خلق ٥ او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت
فى المعنى ٥ واول الخلق ايجاده ٥ اى فكما اوجده اولا يعيده ثانيا
تشبيها للاعادة بالابداء فى تناول القدرة لهما على السواء ٥ والتنكير
فى خلق مثله فى قولك هو اول رجل جاءنى تريد اول الرجال ٥ ولتنكير خلق
ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا ٥ فكذلك معنى اول خلق بمعنى
اول الخلايق لان الخلق مصدر لا يجمع كذا فى المدارك ٥ قال
العرطى كما بدانا اول خلق نعيده اى نحشرهم حفاة عراة غرلا ٥
وعن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال يا ايها الناس تحشرون الى الله تعالى حفاة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلايق يكسى
يوم القيمة ابرهيم عليه السلام وذكر الحديث ٥ وعن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه قال يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء كمني الرجال فتنبت
منه

منه لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض بالثرى وقرا كما بدانا اول خلق
نعيده ٥ وهذه الاية نظير قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة ٥ وقوله وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول
مرة ٥ وقال ابن عباس المعنى نهلك كل شى ونفنيه كما كان اول
مرة ٥ وعلى هذا فالكلام متصل بقوله يوم نطوى السما اى نطويها
فنعيدها الى الهلاك والفنا فلا نكون شيا ٥ وقيل المعنى نطوى
السما ثم نعيدها مرة اخرى بعد طيها ونوالها كقوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات والقول الاول اصح انتهى كلام العرطى ٥
قال الامام فخر الدين اختلفوا فى كيفية الاعادة ٥ فمنهم
من قال ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد
تركيبها فذاك هو الاعادة ٥ ومنهم من قال انه يعدمها بالكلية ثم
يوجدها بعينها مرة اخرى ٥ وهذه الاية دالة على هذا الوجه
لانه سبحانه شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة
عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل هو الوجود بعد العدم وجب ان يكون
الاعادة كذلك ٥ احتج القايلون بالمذهب الاول بقوله تعالى
والسموات مطويات بيمينه ٥ فدل هذا على ان السموات حال كونها
مطوية تكون موجودة ٥ وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
وهذا يدل على ان الارض باقية لانها جعلت غير الارض انتهى كلامه
وَعْدًا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عِدَةٌ للاعادة عَلَيْنَا اى وعدا
كائنا لا محالة إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ذلك اى محققين هذا الوعد ٥ فاستعدوا
له ٥ وقدموا صالح الاعمال ٥ للخلاص من هذه الاهوال ولقد كتبنا

في الزبور كتاب داود عليه السلام مِن بَعدِ الذِّكرِ اى التورية
انّ الارض اى الشام يَرِثُها عِبادِيَ ساكنة الياء حمزة وعمرو
بفتح الياء الى امة الصالحون اى امة محمد صلى الله عليه وسلم اى
يرثها المومنون بعد الكفار كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا ان الارض لله يورثها من يشآء من عباده والعاقبة للمتقين
وقيل الزبور بمعنى المزبور اى المكتوب يعنى ما انزل
على الانبيآء من الكتب والذكر على هذا القول هو ام الكتاب يعنى
اللوح المحفوظ لان الكل اخذ منه وقد دليله قرآءة حمزة وخلف
بضم الزاى على جمع الزبر بمعنى المزبور والارض على هذا القول
ارض الجنة كذا في المدارك كقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة
حيث نشآء إنّ في هذا في القرآن او في المذكور في هذه السورة من الاخبار
والوعد والوعيد والمواعظ البليغة لَبَلاغاً لكفاية واصله ما
تُبلَّغ به البغية لِقَومٍ عابِدِينَ موحدين وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم
وما أرسَلناكَ إلّا رَحمَةً قال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة
لِلعالَمِينَ لانه جآء ما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما
اتى من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله
عيناً غدقة فيسقى ناس زروعهم ومواشيهم بمآئها فيفلحوا
ويبقى ناس حفروا طون عن السقى فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها
نعمة من الله تعالى ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه
حيث حرمها ما ينفعها قال في المدارك وقيل رحمة للمومنين

اى واسعه كثيره ن

2 الدارين

في الدارين وللكافر في الدنيا بتاخير العقوبة عنه وقيل رحمة للمومنين م
والكافرين في الدنيا بتاخير عذاب الاستيصال والمسخ والخسف
ورحمة مفعول له او حال اي ذا رحمة انهى قال الامام
فخر الدين انه عليه السلام كان رحمة في الدين والدنيا اما في الدين
فلانه صلى الله عليه وسلم بعث والناس في جاهلية وضلال واهل الكتابين
كانوا في حيرة من امرهم لطول مكثهم وانقطاع موادهم ووقوع
الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق
سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبل الصواب
وشرع لهم الاحكام وبين الحلال والحرام ثم انما ينتفع بهذه الرحمة
من كانت همته طلب الحق ولا يركن الى التقليد ولا الى العناد والاستكبار
وكان التوفيق قرينا له قال الله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين
لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى واما في الدنيا فلانهم
تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتل قال وقيل كيف كان رحمة
وقد جآء بالسيف واستباحة المال فله الجواب من وجوه احدها
انه جآء بالسيف لمن انكر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر وقال ومن اوصاف
الله تعالى الرحمن الرحيم مع انه مشتق من العصاة وقال وانزلنا من السمآء
مآء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وايضا ان كل نبي مثل نبينا
اذا كذب به قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وانه تعالى
اخر عذاب من كذب رسولنا الى الموت او القيامة وقال تعالى وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم وايضا انه صلى الله عليه وسلم
كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال

ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه ادع على المشركين فقال انما
بعثت رحمة ولم ابعث عذابا ◦ وقال في رواية حذيفة انما انا
بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل سببته او لعنته فاجعلها اللهم
عليه صلاة يوم القيمة ◦ ورابعها قال عبد الرحمن بن زيد الا
رحمة للعالمين يعني المومنين خاصة ◦ قال الامام ابو القاسم
الانصاري والقولان يترجحان لما بينا الى معنى واحد لما بينا انه كان
رحمة للكل لتدبروا في ايات الله وايات رسوله ◦ فاما من اعرض
واستكبر فانما وقع في المحنة من قبل نفسه كما قال وهو عليهم عمى اشي
كلام فخر الدين ◦ قال ابن رجب في اللطايف خرج الامام
احمد من حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته
◦ وسوف انبئكم بتاويل ذلك ◦ دعوة ابي ابرهيم وبشارة
عيسى قومه ◦ ورؤيا امي التي رأت انه خرج منها نور اضات له
قصور الشام ◦ وخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد ◦ المقصود من هذا
الحديث ان نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت معروفة مذكورة معروفة
من قبل ان يخلقه الله عز وجل ويخرجه الى دار الدنيا حيا ◦ وان ذلك
كان مكتوبا في ام الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام
◦ وفسر ام الكتاب باللوح المحفوظ وبالذكر في قوله يمحو الله
ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ◦ وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سئل كيف ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه
عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ◦ ولا شك ان علم الله
قديم

قديم ازلي لم يزل عالما بما يحدثه من مخلوقاته ◦ وانه بعد كتب ذلك
في كتاب عنده قبل خلق السموات والارض كما قال بعد ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله
يسير ◦ وفي صحيح البخاري عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان الله ولا شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء
ثم خلق السموات والارض ◦ وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو
بن العاص عن النبي صلى الله عليه قال ان الله كتب مقادير الخلايق
قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ◦ وكان عرشه على الماء
◦ ومن جملة ما كتب الله في هذا الذكر وهو ام الكتاب ان محمدا
خاتم النبيين ◦ ومن حينيذ انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم
الى مرتبة الكتابة وهو نوع من انواع الوجود الخارجي ◦ ولهذا
قال سعيد بن راشد سالت عطاء هل كان النبي صلى الله عليه وسلم
نبيا قبل ان يخلق الخلق قال اي والله وقبل ان يخلق الدنيا بالوف عام
خرجه ابو بكر الاجري في كتاب الشريعة ◦ وهذا اشارة الى ما ذكرنا
من كتابة نبوته صلى الله عليه وسلم في ام الكتاب عند تقدير المقادير
◦ وفي حديث ميسرة الصبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا
قال وادم بين الروح والجسد ◦ خرجه الامام احمد والحاكم ◦ وروى
ابن سعد من رواية جابر الجعفي عن الشعبي قال قال رجل للنبي صلى الله
عليه وسلم متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حتى اخذ
مني الميثاق ◦ وهذه الرواية تدل على انه صلى الله عليه وسلم حينئذ
استخرج من ظهر آدم ونبيء واخذ ميثاقه ◦ فيحتمل ان يكون ذلك

في حين رأى طينة آدم

دليلا على ان استخراج ذرية آدم من ظهره واخذ الميثاق منهم كان قبل
نفخ الروح في آدم ● ولكن اكثر السلف على ان استخراج ذرية آدم
منه كان بعد نفخ الروح فيه ● وعلى هذا تدل اكثر الاحاديث ● فيحمل
هذا على ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر
آدم قبل نفخ الروح فيه ● فان محمدا صلى الله عليه هو المقصود من خلق النوع
البشري الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده ● فلا
بعد ان يكون اخرج من ظهر آدم عند خلقه قبل نفخ الروح فيه
● وقد روى ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه مكتوبا
على العرش ● وان الله عز وجل قال لآدم لولا محمد ما خلقتك ● وقد خرجه
الحاكم في صحيحه ● فيكون حينئذ من حين صور آدم طينا استخرج
منه صلى الله عليه ونبي واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى خرج
في وقت خروجه الذي قدره الله عز وجل خروجه فيه ● ويشهد لذلك
ما روى عن قتادة عن النبي صلى الله عليه قال كنت اول النبيين في الخلق
واخرهم في البعث ● وفي رواية اول الناس في الخلق خرجه ابن سعد
وغيره ● فمحمد صلى الله عليه اول الرسل خلقا واخرهم بعثا ● فانه استخرج
من ظهر آدم لما صور بل ونبي حينئذ واخذ ميثاقه ثم اعيد الى ظهره
● وقد استدل الامام احمد بحديث العرباض هذا على ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يزل على التوحيد منذ نشأ ● ورد بذلك على من زعم
غير ذلك ● بل وقد يستدل بهذا الحديث على انه صلى الله عليه ولد نبيا
فان نبوته وجبت له من حين اخذ الميثاق حيث استخرج من صلب
آدم وكان نبيا من حينئذ ● لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متأخرة

عن ذلك

الوقت ص

عن ذلك وذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه ● كمن يولى ولاية
ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين
ولايته وان كان تصرفه يتأخر الى مجيء الوقت ● ثم استدل صلى الله
عليه وسلم على سبق ذكره والتنويه باسمه ونبوته وشرف قدره
بخروجه الى الدنيا بثلاث دلائل ● وهو مراده بقوله صلى الله عليه وسلم
وسأنبئكم بتأويل ذلك ● الدليل الاول دعوة ابيه ابرهيم
عليه السلام الى وهو اشارة الى قوله تعالى حكاية عن ابرهيم واسمعيل ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك
انت العزيز الحكيم ● فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة
رسولا منهم بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعى مع ابيه ابرهيم بهذا
الدعاء ● وقد امتن الله على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة
التي دعى بها ابرهيم واسمعيل ● قال الله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ● ومعلوم انه لم يبعث في امة رسولا منهم
بهذه الصفة غير محمد صلى الله عليه وهو من ولد اسمعيل ● ذكر
تعالى انه من على المؤمنين بهذه الرسالة فليس لله نعمة اعظم من ارسال
محمد صلى الله عليه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ● وقوله تعالى وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين اشارة الى ما كان الناس عليه قبل انزال هذا
الكتاب من الضلال ● قال الله تعالى نظر حينئذ الى اهل الارض فمقتهم عربهم

وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب تمسكوا بدينهم الذى لم يبدل ولم يغير
وكانوا قليلا جدا ● فاما عامة اهل الكتاب فكانوا قد بدلوا كتبهم
وغيروها وحرفوها وادخلوا فى دينهم ما ليس منه فضلوا واضلوا
● فاما غير اهل الكتاب وكانوا على ضلال بين ● فالامیون وهم العرب
اهل شرك يعبدون الاوثان ● والمجوس يعبدون النيران ويقولون
بالهين اثنين ● وكذلك غيرهم من اهل الارض منهم من كان يعبد
النجوم ● ومنهم من كان يعبد الشمس والقمر ● فهدى الله المومنين
بارسال محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من الهدى ودين الحق ليظهره واظهر
الله دينه حتى بلغ مشارق الارض ومغاربها فظهرت فيها كلمة التوحيد
والعمل بالعدل بعد ان كانت الارض كلها ممتلئة من ظلمة الشرك والظلم
● وقد رؤى الامام احمد بعد موته فى المنام فسئل عن حاله
فقال لولا هذا النبى لكنا مجوسا ● وهو كما قال فان اهل العراق لولا
رسالة محمد لكانوا مجوسا ● واهل الشام ومصر والروم لولا محمد
صلى الله عليه وسلم لكانوا نصارى ● واهل جزيرة العرب لولا رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم لكانوا مشركين عبادا اوثانا ● ولكن رحم الله عباده بارسال محمد
صلى الله عليه وسلم فانقذهم من الضلال الى الهدى كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ● ولهذا قال بعد ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
● فمن حصل له نصيب من دين الاسلام فقد حصل له الفضل العظيم ● وقد عظمت
عليه نعمة الله فما احوجه الى القيام بشكر هذه النعمة وان يسال الله دوامها
والثبات عليها الى الممات والموت عليها فبذلك تتم النعمة ● الدليل
الثانى بشارة عيسى عليه السلام به ● وعيسى اخر انبياء بنى اسرائيل ● وقد قال تعالى

واذ قال

واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى
من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد ● وقد كان المسيح
عليه السلام يحض على اتباعه ويقول انه سيبعث بالسيف فلا يمتنعلون
ذلك منه ● قال ابن اسحاق وحدثنى بعض اهل العلم ان عيسى عليه السلام
قال ان احب الامم الى الله امة احمد قيل له وما فضلهم الذى يذكر
قال لم تمر بذلك لا اله الا الله على السن امة من الامم مثل ما على السنتهم
● الدليل الثالث ما دل على نبوته قبل ظهورها رؤيا امه التى رات
انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام ● وذكر ان امهات
النبيين كذلك ترين ● والرؤيا هنا ان اريد بها رؤية المنام فقد
روى انها ان آمنة بنت وهب رات فى اول حملها بالنبى صلى الله عليه وسلم
انها بشرت بانه يخرج منها عند ولادتها نور يضئ له قصور الشام
● وروى الطبرانى باسناده عن عمرو بن مرة الكندى عن النبى صلى الله عليه
قال انه سئل اى شئ كان اول نبوتك قال اخذ الله من النبيين ميثاقهم
كما اخذ من النبيين ميثاقهم قولى ومنك ومن نوح الآية ● ورات
ام رسول الله صلى الله عليه فى منامها انه خرج من بين يديها سراج اضاءت
لها منه قصور الشام ● وقال ورات ذلك مرضعاته اوثلاثا
● وان اريد بها رؤيا عين كما قال ابن عباس فى قول الله عز وجل وما
جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس انها رؤيا عين اريها النبى صلى الله عليه
ليلة اسرى به ● وقد روى ان آمنة رات ذلك عند ولادة النبى صلى الله
عليه وسلم ● قال ابن اسحاق كانت آمنة بنت وهب تحدث
انها اتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه فقيل لها انك حملت بسيد هذه

الامة فاذا وقع الى الارض وقول اعبده بالواحد من بشر كل حاسد
وآيته ذلك ان خرج معه نور يملا قصور بصرى من ارض الشام فاذا
وقع سميه محمدا فان اسمه في التوريه احمد يحمده اهل السما واهل الارض
واسمه في الانجيل احمد يحمده اهل السما واهل الارض واسمه في القران
محمد وروى ابن اسحاق ان امنه قالت اني حملت به فلما وضعا
قط كان اخف على منه ولا اعظم بركة منه لقد رايت نورا كانه
شهاب خرج من حيث وضعته اضات له اعناق الابل ببصرى
اشارة ص وخروج هذا النور عند وضعه الى ما جي به من النور الذي اهتدى
به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال بعد قد جاكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وقال بعد والذين امنوا
به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون
وفي هذا المعنى يقول العباس في ابياته المشهوره
وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد نخترق
واما اضاته قصور بصرى بالنور الذي خرج منه فهو اشارة
الى ما خص الشام من نور نبوته بانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب
السابقه محمد رسول الله مولده بمكه ومهاجره بيثرب وملكه
بالشام فمن مكه بدات نبوته وال الشام منتهى ملكه ولهذا
اسرى به الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر ابرهيم عليه السلام
الى الشام قال بعض السلف ما بعث الله نبيا الا من الشام

فاذا لم

وان لم تبعث منها هاجر اليها وفي المسند والترمذي وعمرها عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم
مهاجر ابرهيم يعني الشام وبالشام ينزل عيسى بن مريم في اخر الزمان
والشام هي اخر الزمان ارض المحشر والنشر يحشر الناس اليها
قبل يوم القيمه من اقطار الارض فيها جرجيا ر اهل الارض لما هاجر
ابرهيم وهي ارض الشام وفي سنن ابي داود عن ابي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب دمشق
يقال لها دمشق من خير مدائن الشام اسهل كلام ابن رجب في اللطائف
قل انما انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد
قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان انما
يوحى اليه مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد
بمنزلة انما زيد قائم وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية
كذا في الكشاف قالوا اذا قلت انما زيد فقيه فهو ذم اي هو
مقصور على الفقه لا يعرف سواه وانما يفقه زيد مدح اي يفقه
هو ولا يفقه غيره يوحى الي انما الهكم اله واحد والمعنى يوحى الي
وحدانية الهي ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي قال
الامام فخر الدين فهل انتم مسلمون استفهام بمعنى الامر اي اسلموا
قال الزمخشري وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد
على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد
وفيه ان صفة الوحدانيه يصح ان يكون طريقها السمع انتهى

فان تولوا عن الاسلام فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به
• قال الزمخشري آذن منقول من آذن اذا علم ولكنه
كثر استعماله في الجري مجرى الانذار • ومنه قوله نعم فآذنوا
بحرب من الله ورسوله • وقول ابن جلنة
آذنتنا ببينها اسماء • اي انذرتنا • على سواء حال
اي مستوين في الاعلام به ولم اخص بعضكم • قال الزمخشري
والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب
توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه
هدنة • فاحس منهم بغدرة • فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ
واشاعه واذنهم جميعا بذلك • على سواء اي مستوين في الاعلام
به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها
• قال في المدارك وفي الاية دليل بطلان مذهب الباطنية
وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون اي لا ادري متى يكون
يوم القيمة لان الله تعالى لم يطلعني عليه ولكني اعلم بانه كائن لا محالة
• او لا ادري متى يحل بكم العذاب ان لم تؤمنوا • قال
الزمخشري وما توعدونه من غلبة المسلمين عليكم كائن لا محالة
ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري
متى يكون ذلك لان الله تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه انه يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي انه عالم بكل شيء يعلم
ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم
من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وان ادري

لعله

لعله فتنة لكم • وما ادري لعل تاخير العذاب عنكم في الدنيا
امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع لكم الى الموت
ليكون ذلك حجة عليكم قل رب احكم بالحق • اقض بيننا وبين اهل
مكة بالعدل • او انا او بما يحق عليهم من العذاب ولا تجابهم
وشدد عليهم كما قال اشدد وطاءتك على مضر • قال
رب احكم حصل على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه رب
احكم بيزيد • ربي احكم ربيعي يعقوب كذا في المدارك قال قلت
كيف قال رب احكم بالحق والله لا يحكم الا بالحق قيل
الحق هنا بمعنى العذاب • كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا
يوم بدر • ونظيره قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق كذا
في معالم التنزيل • ختم السورة بان امر النبي صلى الله عليه وسلم
بتفويض الامر اليه وتوقع الفرج من عنده • اي احكم بيني وبين هؤلاء
المكذبين وانصرني عليهم • وروى سعيد عن قتادة قال
كانت الانبياء تقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فامر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يقول رب احكم بالحق • وكان اذا لقي العدو
يقول وهو يعلم انه على الحق وعدوه على الباطل • رب احكم بالحق
كذا في الوطي • قال الامام فخر الدين قال القاضي انما ختم
الله تعالى هذه السورة بقوله قل رب احكم بالحق لانه عليه السلام
كان بلغ الغاية في البيان لهم • وبلغوا النهاية في ايذائه • فصار
امره تعالى بذلك تسلية له • ونظيره ان المقصود مصلحتهم • فاذا
ابوا الا التمادي في كفرهم فعليك الانقطاع الى ربك ليحكم بينك وبينهم

بالحق • واما تعجيل العقاب بالجهاد او بغيره • واما بتاخير ذلك فان امرهم وان تاخر فما هو كائن قريب • وما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في حروبه • فهو كالدلالة على ان الله تعالى امره بان يقول هذا القول كالاستعجال للامر وربنا الرحمن العاطف على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون وعن ابن ذكوان بالياء • كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه • وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة • فكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم • ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وخذلهم

تم تفسير سورة الانبيا عليهم السلام •

سورة الحج

وهي مكية • الا قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآيتين • او الا هذان خصمان الآيات الست الى قوله عذاب الحريق فانها مدنيات • او هي مدنية الا وما ارسلنا قبلك من رسول الآيات الاربع الى عذاب يوم عقيم فهي مكيات • وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات • قال القرطبي السورة مختلطة منها مكي ومنها مدني • وهذا هو الاصح لان الآيات تقتضي ذلك لان يا ايها الناس مكي • ويا ايها الذين آمنوا مكي مدني • قال الغزنوي وهي من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا وسفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلما وحربا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها مختلف العدد • قال القرطبي وجاء في فضلها ما رواه الترمذي وابو داود والدارقطني عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما لفظ الترمذي • وقال

حديث

حديث حسن اسناده ليس بالقوي • واختلف اهل العلم في هذا فروي عن عمر بن الخطاب وابن عمر انهما قالا فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين وبه يقول ابن المبارك والشافعي واحمد واسحق • ورأى بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري • وروى الدارقطني عن عبد الله بن ثعلبة قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجد في الحج سجدتين قلت في الصبح قال في الصبح •

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم اعلم اولا ان اتصال هذه السورة بما قبلها وذلك ان من الحكمة في ارسال الرسل والانبيا دعوة الخلق الى الحق سبحانه بالبشارة والانذار لاهل الخير والابرار والفسقة والفجار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب وبيان الآخرة واحوالها واقتراب الساعة واهوالها • وهذه السورة مع ما قبلها يشتركان في هذا المعنى وهذا ظاهر • ثم انه تعالى اوعد الكفار في آخر تلك السورة بالقيمة كما قال اقريب ام بعيد ما توعدون • واخبر في اول هذه السورة عن هول القيمة بعد الامر بالتقوى فقال ان زلزلة الساعة شي عظيم • روي ان هاتين الآيتين نزلتا بالليل والناس يسيرون فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا حوله فقراهما عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا القدور والناس من بين باك وجالس حزين متفكر فقال صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك اليوم قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام

ثم فابعث بعث النار من ولدك فيقول ماربّ وما بعث النار فقال
فيقول الله عز من كل الف تسع مائة وتسعة وتسعين الى النار
وواحد الى الجنة • وعند ذلك يشيب الصغير وتذهل كل مرضعة
عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد • فكبر ذلك على المؤمنين فبكوا وقالوا
فمن ينجو يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا وسددوا وقاربوا
فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتا يأجوج ومأجوج
• ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله • ثم قال
اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله • ثم قال
اني لارجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة • ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا
ثمانون منها امتي • وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب
البعير • وكالشعرة البيضاء في الثور الاسود • ثم قال ويدخل
من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب • فقال عمر رضي الله عنه
سبعون الفا فقال نعم ومع كل واحد سبعون الفا • فقام عكاشة
بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال صلى الله
عليه وسلم انت منهم • فقام رجل من الانصار وقال مثل قوله فقال
سبقك بها عكاشة • فخاض الناس في السبعين الفا • فقال بعضهم
هم الذين ولدوا في الاسلام • وقال بعضهم هم الذين امنوا وجاهدوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
قالوا • فقال هم الذين لا يكتوون ولا يكتوون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون • اعلم انه سبحانه امر

ثم ادم

وفي رواية فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم وقالوا يا رسول الله ايانا ذلك الرجل ح

بني ادم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها
باهول صفة بقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم ليتطروا
الى تلك الصفة ببصائرهم وتتصور دونها بعقولهم حتى يتقوا
على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به
زاجرهم من التردي بلباس التقوى الذي يؤمنهم من تلك الافزاع • وقوله شيء عظيم اي يوصف لعظمته فلذلك نكر شيئا

• قال الزمخشري والزلزلة شدة التحريك والازعاج
• ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي
التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي • فتكون الزلزلة مصدرا
مضافا الى فاعله • او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع
في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله بل مكر الليل
والنهار • وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض
زلزالها • واختلف في وقتها فقيل هي الزلزلة المعروفة
التي هي احدى اشراط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيمة هذا
قول الجمهور • وقيل ان هذه الزلزلة تكون في النصف من شهر
رمضان • ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها • وعن الحسن انها
تكون يوم القيمة • قال الامام فخر الدين وهي الزلزلة التي تكون
معها الساعة • وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
الصور انه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع • ونفخة
الصعق • ونفخة القيمة • فان عند نفخة الفزع يسير الله الجبال
وترجف الراجفة تتبعها الرادفة • قلوب يومئذ واجفة • وتكون
الارض كالسفينة حضرتها الامواج • او كالقنديل المعلق ترجحها الرياح

او الى الظرف كما تكون فيها ح

وقال معاذ بن زيد هذا في اول يوم من ايام الاخرة
واعلم انه ليس في اللفظ دلالة على شيء من هذه الاقوال
انتهى قال في المدارك ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم
شيئا فان هذا اسم لها حال وجودها انتهى وانتصب يوم
ترونها اى الزلزلة او الساعة بقوله تذهل نفعل
والذهول الغفلة كل مرضعة عما ارضعت
او عن الذي ارضعته وهو الطفل قال الزمخشري فان قلت
لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع
ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر
الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول
اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه
لما يلحقها من الدهشة انتهى قال القرطبي وهذا يدل على ان الزلزلة
في الدنيا اذ ليس بعد البعث حمل وارضاع الا ان يقال من ماتت
حاملا تبعث حاملا فتضع حملها للهول ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك
ويقال هذا كما قال الله تعالى ويجعل الولدان شيبا وقيل
تكون الزلزلة مع النفخة الاولى وقيل مع قيام الساعة حين يتحول
الناس من قبورهم في النفخة الثانية ويحتمل ان يكون الزلزلة في
الاية عبارة عن اهوال يوم القيمة كما قال الله تعالى
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وكما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اهزم بهم
وزلزلهم وفائدة ذكر هول ذلك اليوم التحريض على الذاهب له والاستعداد
بالعمل الصالح واعلم انه بعد ذكر من اهوال ذلك اليوم امورا
احدها قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت وثانيها

ذهاب الزمخشري والذهول
وفسر الذهاب عن الامر مع
عاد دهشة ص

قوله وتضع

وتضع كل ذات حمل حملها اى ولدها
قبل تمامه من هول ذلك اليوم قال الامام فخر الدين والمعنى
انها تسقط ولدها تاما او غير تام من هول ذلك الوقت وهذا
يدل على ان هذه الزلزلة انما تكون قبل البعث قال الحسن
تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير
تمام قال القفال يحتمل ان يقال ان من ماتت حاملا او مرضعة
بعثت حاملا ومرضعة تضع حملها من الفزع ويحتمل ان يكون المراد
من هول المرضعة ووضع الحامل على جهة المثل كما يقال يوم يجعل
يجعل الولدان شيبا وما لها قوله وترى الناس سكارى وترى
الناس ايها الناظر سكارى على التشبيه لما شاهد وابساط
العزة وسلطنة الجبروت وسرادق الكبرياء حتى قال
كل بني بنيتي نفسي وما هم بسكارى على التحقيق ولكن
عذاب الله شديد هو خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم
وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وعن الحسن
وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب
سكرى فيهما الا ما لا حمزة وعلي وهو لعطشى في عطشان
قال في المدارك روى انه نزل الايتان من اول السورة الى هنا
ليلا في غزوة بني المصطلق وقرأهما النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا
من تلك الليلة انتهى قال الزمخشري فان قلت
ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية علقت بالزلزلة
فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا يكون الناس

قبل ص
اولا م

قوله وتضع

على حال السكر فلا بدّ ان يجعل كل واحد منهم رئيسا لسائرهم
انتهى ومن الناس من يجادل في الله فرد نزل الله بغير علم حال
قال الزمخشري قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا
يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين والله غير
قادر على احياء من بلى وصار ترابا قال الامام فخر الدين
وجه نظم هذه الاية بما قبلها انه تعالى اخبر فيما تقدم عن اهوال
القيامة وشدتها ودعى الناس لما تقوى الله ثم بيّن في هذه
الاية قوما من الناس الذين ذكروا في الاول واخبر عن مجادلتهم
قال وفي قوله ومن الناس وجهان احدهما انهم الذين ينكرون
البعث ويدل عليه قوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة الى اخر
الاية فان هذه الاية في وصف البعث وما بعدها في الدلائل على البعث
وثانيها انها نزلت في النضر بن الحارث كان يكذب بالقرآن ويزعم
انه من اساطير الاولين يأتيكم به محمد كما كنت احدثكم عن القرون
الماضية وهو قول ابن عباس قال في المدارك وفعل هو عامة
في كل من خاصم في الدين بالهوى قال الزمخشري وهو عامة في كل
من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال
ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان
ولا نزول عن النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق
بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم
من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمره له ولا بنته
الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار انتهى قال

الامام

الامام فخر الدين وهذه الاية تدل بعمومها على جواز المجادلة
الحقة لان تخصص المجادلة مع عدم العلم بالذم يدل على ان المجادلة
مع العلم جايزة والمجادلة الباطلة هي المراد من قوله ما ضربوه
لك الا جدلا والمجادلة الحقة هي المراد من قوله وجادلهم
بالتي هي احسن انتهى قال ودلت الاية على ان المجادلة في الله
اذا كان لا يعرف الحق بها مذمومة معاقب فدل على ان المعارف ليست
ضرورية انتهى ويتبع في ذلك كل شيطان مريد عات مستمر
في الشر قال فخر الدين الرازي وفي قوله كل شيطان قولان
احدهما يجوز ان يريد شياطين الانس وهم رؤساء الكفار الذين
يدعون من دونهم الى الكفر والثاني ان يكون المراد بذلك ابليس وجنوده
قال في المدارك ولا وقف على مريد لان ما بعده صفته كتب
عليه قضي على الشيطان انه ان الامر والشأن وهو فاعل
كتب من تولاه تبعه اي تبع الشيطان فانه فان الشيطان
يضله عن سواء السبيل ويهديه الى عذاب السعير النار
قال الزجاج الفاء في فانه للعطف وان مكررة للتاكيد
ورد عليه ابو علي وقال ان من ان كان للشرط فالفاء دخل
لجزاء الشرط وان كان بمعنى الذي فالفاء دخل على خبر المبتدإ
والتقدير فالامر انه يضله قال والتاكيد والعطف والتاكيد
يكون بعد تمام الاول والمعنى كتب على الشيطان اضلال من تولاه
وهدايته الى النار كذا في المدارك لما الزم الحجة على منكري البعث
قال يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث يعني ان ارتبتم

من تراب ح

فى البعث فمن يل ربكم ان تنظروا فى بدء خلقكم ٠ وقد كنتم
فى الابتداء ترابا وماء ٠ وليس سبب انكاركم البعث الا هذا
وهو ضرورة الخلق ترابا او ماء ٠ قال الرازى اعلم
انه سبحانه لما حكى عنهم الجدال بغير علم فى اثبات الحشر والنشر
وذمهم عليه هو سبحانه اورد الدلالة على ذلك من وجهين احدهما
الاستدلال بخلقة الحيوان اولا وهو موافق لما اجمله فى قوله قل انشاها
بحييها الذى انشاها اول مرة ٠ فكانه سبحانه قال ان كنتم فى ريب
من البعث ففكروا فى خلقكم اولا الاول لتعلموا ان القادر على خلقكم
اولا قادر على خلقكم ثانيا ٠ ثم انه سبحانه ذكر ثمن مراتب الخلقة الاولى
امورا سبعة ٠ المرتبة الاولى قوله فانا خلقناكم اى اصلكم
وهو ابو كل آدم عليه السلام لقوله كمثل ادم خلقه من تراب ٠ وقوله
منها خلقناكم ٠ ويكون المعنى على حقيقته اى خلقنا كم من تراب وذلك
ان خلقة الانسان من المنى ودم الطمث وهما انما يتولدان من الاغذية
والاغذية اما حيوان او نبات وغذاء الحيوان ينتهى الى النبات
دفعا للتسلسل والنبات يتولد من الارض والماء فصح قوله
انا خلقناكم من تراب ٠ المرتبة الثانية قوله ثم من نطفة وهو
اسم للماء القليل اى ما كان ٠ وهو هنا ماء الفحل ٠ وكانه سبحانه يقول
انا الذى قلبت ذلك التراب اليابس ماء لطيفا مع انه لا مناسبة
بينهما البتة ٠ المرتبة الثالثة قوله ثم من علقة وهى قطعة
الدم الجامدة ولا شك ان بين الماء والدم مباينة شديدة ٠ المرتبة الرابعة
الثالثة قوله ثم من مضغة وهى اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ ٠ ومنه

الحديث الاولان فى الجسد مضغة ٠ قال القرطبى وهذه
الاطوار اربعة اشهر قال ابن عباس وفى العشر بعد الاشهر الاربعة
ينفخ فيه الروح فذلك عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا
٠ وعن ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهم ان النطفة اذا استقرت
فى الرحم اخذها ملك بكفه قال يا رب ذكر ام انثى شقى ام سعيد
ما الاجل والاثر باى ارض تموت ٠ فيقال له انطلق الى ام الكتاب
فانك تجد فيها قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها فى ام الكتاب
فتخلق فتاكل رزقها وتطأ اثرها فاذا جاء اجلها قبضت فدفنت
فى المكان الذى قدر لها ٠ وفى الصحيح عن انس مرفوعا ان الله قد وكل
بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا
اراد الله ان يقضى خلقا قال الملك اى رب ذكر او انثى شقى او سعيد
فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك فى بطن امه ٠ وفى الصحيح ايضا
عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا
فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ٠ ثم يقول اى
رب ذكر ام انثى وذكر الحديث ٠ وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك
ثم يكون مضغة مثل ذلك ٠ ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر
باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقى وسعيد الحديث
٠ قال القرطبى فهذا الحديث يفسر الاحاديث الاول وان فيه

ثم سعيد ام شقى

فوالذى لا اله غ
ان احدكم ليعمل بعمل
اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيـ
عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل النار فيدخلها ٠ وان
احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها م

بجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة
ثم اربعين يوما مضغة ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح فهذه
اربعة اشهر وفي العشر ينفخ الملك الروح وهذه علة المتوفى
عنها زوجها كما قال ابن عباس وقوله ان احدكم يجمع خلقه
في بطن امه قد فسره ابن مسعود رضي الله عنه سئل الاعمش
ما يجمع في بطن امه قال حدثنا خيثمة قال قال عبد الله بن مسعود
اذا وقعت النطفة في الرحم واراد الله ان يخلق منها بشرا طارت في شعرة
المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين يوما ثم تصير دما في الرحم
فذلك جمعها وهذا وقت كونها علقة قال القرطبي نسبة
الخلق والتصوير الى الملك نسبة مجازية لا حقيقية وانما صدر عنه
فعل ما في التصوير والتشكيل بقدرة الله وخلقه واختراعه الا تراه
سبحانه عز وجل قد اضاف الى نفسه الخلق الحقيقة وقطع عنها نسب
جميع الخليقة فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقال
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
وقال بعد هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم قال وصوركم
فاحسن صوركم وقال بعد ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال
خلق الانسان من علق الى غير ذلك من الايات ما دلت عليه قاطعات البراهين
ان لا خالق لشيء من المخلوقات الا رب العالمين وهكذا القول
في قوله ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح اي ان النفخ سبب خلق الله
فيها الروح والحياة وكذلك القول في سائر الاسباب المعتادة فانه
باحداث الله لا بغيره فتامل هذا الاصل وتمسك به ففيه النجاة

مرمذاهب

من مذاهب اهل الضلال الطبايع وغيرهم قال القرطبي
لم يختلف العلماء ان نفخ الروح في يكون بعد مائة وعشرين يوما
وذلك تمام اربعة اشهر ودخوله في الخامس كما بيناه بالاحاديث
وعليه يعول فيما يحتاج اليه من الاحكام في الاستلحاق عند التنازع
وفي وجوب النفقات على جمل المطلقات وذلك لتيقنه بحركة الجنين
في الجوف وقد قيل انه الحكمة في عدة المراة من الوفاة باربعة
اشهر وعشر وهذا الدخول في الخامس يحقق براءة الرحم ببلوغ
هذه المدة اذ الم تظهر حمل قال القرطبي النطفة ليست بشيء
يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المراة ان لم تجتمع في الرحم فهي كما لو كانت
في صلب الرجل فاذا طرحته علقة فقد تحققت ان النطفة قد استقرت
في الرحم واجتمعت واستحالت الى اول احوال ما يتحقق به انه ولد
انتهى كلام القرطبي مخلقة وغير مخلقة المخلقة المسواة الملساء
من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه
ومن قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى
يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب
ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس
في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم قاله الزمخشري
قال القرطبي قال الفراء المخلقة تام الخلق وغير المخلقة السقط
وقال ابن الاعرابي مخلقة قد بدا خلقه وغير مخلقة لم يصور بعد
وقال ابن زيد المخلقة التي خلق الله فيها الراس واليدين والرجلين
وغير المخلقة التي لم تخلق فيها شيء قال ابن الاعرابي اذا رجعنا الى الاصل

الاشتقاق قال النطفه مخلقه والعلقه والمضغه كذلك لان الكل خلق الله
تعالى وان رجعا الى التصوير الذى هو منتهى الخلقه كما قال الله تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر فذلك ما قال ابن زيد وقيل ان قوله
مخلقه وغير مخلقه يرجع الى الولد بعينه لا الى السقط اى منهم من تتم
الرب سبحانه خلقه فيخلق له الاعضاء اجمع ومنهم من يكون جدعا
ناقصا غير تمام وقيل المخلقه ان تلد المراة لتمام الوقت
ابن عباس المخلقه ما كان حيا وغير المخلقه السقط قال
العرطى اجمع العلماء على ان الامة تكون ام ولد بما تسقطه من ولد تام
الخلق وعند الاوزاعى ومالك بالمضغه سواء كانت مخلقه وغير مخلقه
وقال ابو حنيفه والشافعى ان تبين له شى من خلق بنى آدم لهو اصبع
او ظفر او غير ذلك فهى به ام ولد واجمعوا على ان المولود لا اذا استهل
صارخا يصلى عليه فان لم يستهل صارخا لم يصل عليه عند مالك وابى حنيفه
والشافعى وغيرهم وروى عن ابن عمر انه يصلى عليه وقاله ابن المسيب
وابن سيرين وغيرهما وروى عن المغيره بن شعبه انه كان يامر بالصلاه
على السقط ويقول سموهم وغسلوهم وكفنوهم وحنطوهم قال الله
اكرم بالاسلام صغيركم وكبيركم ويتلو هذه الايه انا خلقناكم من تراب
الى وغير مخلقه قال ابن العربى لعل المغيره بن شعبه اراد بالسقط
ما تبين خلقه فهو الذى تسمى وما لم تبين خلقه لا وجود له وقال
بعض السلف يصلى عليه متى نفخ فيه الروح وتمت له اربعة اشهر
روى ابو داود عن ابى هريره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا استهل المولود ورث والاستهلال رفع الصوت فكل مولود كان ذلك
منه

منه او حركة او عطاس او نفس فانه يورث لاجل ما فيه من دليل
الحيوه والى هذا ذهب سفيان الثورى والاوزاعى والشافعى وقال
ابو حنيفه ان استهل صلى عليه والا لا روى ابن ماجة عن
ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السقط اقدمه بين يدى احب
الى من فارس اخلفه واخرجه الحاكم وقد معرفه علوم الحديث له عن ابى هريره
رضى الله عنه وقال احب الى من الف فارس اخلفه وراءى اشهر كلام العرطى
لنبين لكم اى انما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين
لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر
من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر
على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة
مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل فى القدرة
من ذلك والهون فى القياس ووروود الفعل غير متعد الى المبين اعلام
بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الفكر
ولا يحيط به الوصف كذا ذكره الزمخشرى ونقر بالرفع عند غير المفضل
مستانف بعد وقف اى نحن نثبت فى الارحام ما نشاء ثبوته
اى لا تسقطه ولا تمجه الى اجل مسمى اى وقت الولادة وما لم نشاء
ثبوته اسقطته الارحام قال الزمخشرى فالقراءة برفع نقر اخبار
بانه يقر فى الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت
الوضع اخر سنة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر
وما لم يشاء اقراره مجته الارحام او اسقطته انتهى قال
العرطى وقال ما نشاء ولم نقل من نشاء لانه يرجع الى الجمل انتهى

المرتبه الخامسه قوله ثم نخرجكم من الرحم طفلا حال اريد به
الجنس فلذا لم يجمع ◦ او اريد به ثم نخرج كل واحد منكم طفلا ◦ والطفل
يطلق من وقت انفصال الولد الى البلوغ ◦ وولد كل وحشية طفل
◦ المرتبه السادسه قوله ثم لتبلغوا تقديره ثم نربيكم لتبلغوا
اشدكم كمال عقلكم وقوة تكركم ◦ وهو من الفاظ الجموع التى لم تستعمل
لها واحد ◦ قال الامام فخر الدين فنبه بذلك على الاحوال التى بين خروج
الطفل وبين بلوغ الاشد ◦ ويكون بين الحالتين وسايط ◦ وذكر بعضهم انه
ليس بين حال الطفولية ◦ وبين ابتداء حال بلوغ الاشد واسطة ◦ حتى جوز
ان يبلغ فى السن ويكون طفلا كما يكون غلاما ثم يدخل فى الاشد ◦
◦ المرتبه السابعه قوله ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او
قبله او بعده ◦ اى يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر
اخسه ◦ يعنى الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى فى اوان طفوليته
ضعف البنية ◦ سخيف العقل قليل الفهم ◦ بين انه كما قدر على ان يرقيه
فى درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام ◦ فهو قادر على ان يحطه
حتى ينتهى به الى الحالة السفلى ◦ كما قال تعالى فى سورة يس ومن نعمره ننكسه
فى الخلق ◦ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ◦ فيقول اللهم انى اعوذ بك من البخل
واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدجال
وعذاب القبر اخرجه النسائى عن سعد ◦ وقال كان يعلمهن بنيه كما
يعلم المكتب الغلمان ◦ وقد مضى فى سورة النحل هذا المعنى لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا اى لكيلا يعلم شيا من بعد ما كان يعلمه ◦ اوليلا
يستفيد علما وينسى ما كان عالما به كذا فى المدارك ◦ وقال الزمخشرى

لكى لا

لكى لا يعلم من بعد علم شيا ليصير نساء ◦ بحيث اذا اكتسب علما فر شى
لم يتيسر ان يثبته ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته
◦ يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه
اسهى ◦ قال الرازى قال المفسرون كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم
شا مع انه يعلم بعض الاشيا كالطفل فلنا المراد انه يزول
عقله فيصير كانه لا يعلم شيا لا مثل ذلك قد يكون فى النفى لاجل المبالغة
◦ وهذا لا يكون الا نفيا والكل بل فى البعض ◦ ومن الناس من قال
هذه الحالة لا تصلح للمؤمنين ◦ وهذا ضعيف لانا نشاهد هذه الحالة
فى البعض منهم ولا يلزم منه الخلل فى الاسلام ◦ هذا تمام الاستدلال
◦ ثم ذكر دليلا آخر على البعث وهو الاستدلال بحال خلقة النبات
وهو قوله تعالى وترى الارض هامدة ميتة يابسة ◦ قال
العرطى ذكر الله تعالى ادلة اخرى على البعث فقال فى الاول انا خلقناكم من تراب
فخاطب جمعا ◦ وقال فى الثانى وترى الارض فخاطب واحدا فانفصل
اللفظ عن اللفظ ◦ ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكرى البعث
◦ قال الزمخشرى ◦ وهذه دلالة ثانية على البعث ◦ ولظهورها
وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى فى كتابه فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت ◦ وربأت
حيث كان يزيد ◦ ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج حسن
سار للناظر اليه ◦ قال الرازى قوله وانبتت مجاز لان الارض لا تنبت
والله تعالى هو المنبت لذلك لكنه يضاف اليها توسعا ◦ ومعنى من كل
زوج من كل نوع من انواع النبات من زرع وغرس ◦ ثم انه سبحانه

اى من

لقوله تعالى يردد اسفل سافلين الا امنوا

لما قرن هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة • فذكر
امورا خمسة • احدها قوله ذلك مبتدا وخبره بان الله
هو الحق اى ذلك الذى ذكرنا من خلق بنى آدم واحياء الارض
مع ما فى تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطايف حاصل بهذا
وهو ان الله هو الحق اى الثابت الموجود • وثانيها قوله
وانه يحيى الموتى كما احيى الارض • فهذا ينبه على انه لما لم يبعد
من الاله ايجاد هذه الاشيآ فكيف يستبعد منه اعادة الاموات
• وثالثها قوله وانه على كل شئ قدير قادر اى قادر على احيآ
الموتى وعلى كل مقدور • يعنى ان الذى يصح منه ايجاد هذه الاشياء
لا بد وان يكون واجب الاتصاف بالقدرة لذاته • ومن كان كذلك
كان قادرا على الاعادة • ورابعها قوله وان الساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اى انه حكيم لا يخلف ميعاده
وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفى بما وعد • قال الرازى
فان قيل فاى منفعة لذكر مراتب خلقة الحيوان وخلقة
النبات فى هذه الدلالة قلنا انه يدل على انه سبحانه قادر على كل
الممكنات وعالم بكل المعلومات ومتى صح ذلك فقد صح كون الاعادة
ممكنة • فان الخصم لا ينكر المعاد الا بناء على انكار احد هذين الاصلين
لذلك فانه سبحانه حيث اقام الدلالة على البعث ذكر بانه ذكر معه كونه
عالما لقوله بعد قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم
اى ومن الناس من يجادل فى الله فى صفاته فيصفه بغير ما هو له
• نزلت هذه الاية فى النضر بن الحارث • وقيل فى ابى جهل بن هشام

وخامسها م

قاله

قاله ابن عباس • والجمهور على انها نزلت فى النضر بن الحارث كالاية
الاولى فهما فى فريق واحد • والتكرير للمبالغة فى الذم كما تقول
لرجل توبخه وتذمه انت فعلت هذا انت فعلت هذا • ويجوز
ان يكون التكرير لانه وصفه فى كل آية بزيادة • فكانه قال ان النضر
بن الحارث يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد • ومن غير
هدى وكتاب منير ليضل عن سبيل الله • وهو كقولك زيد يشتمنى
ويؤذينى ويضربنى وهو تكرار مفيد • وقيل نزلت فى النضر بن الحارث
بضع عشرة آية • فالمراد بالاية الاولى انكاره البعث • وبالثانية
انكاره النبوة • وان القرآن منزل من جهة الله • وقيل كان من قول
النضر بن الحارث ان الملائكة بنات الله • وهذا جدال فى الله كما ذكر الزمخشرى
• قال الزمخشرى • وقيل كرر يعنى قوله ومن الناس من يجادل
فى الله بغير علم كما كررت سائر الاقاصيص • وقيل الاول فى المقلدين
وهذا فى المقلدين بغير علم اى ضرورى • ولا هدى اى استدلالى
لانه يهدى الى المعرفة • ولا كتاب منير اى وحى • اى يجادل بظن
وتخمين لا باحد هذه الثلاثة • والعلم للانسان يكون من احد هذه
الوجوه الثلاثة • العلم بطريق الضرورة والاستدلال والوحى
• قال الرازى الاية دالة على ان الجدال مع العلم والهدى والكتاب
حق وحسن • ثانى عطفه اى لاويا عنقه عن طاعة الله تعالى كبرا
وخيلاء • نظيره قوله بعد واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ليضل
بعد واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ليضل • ليضل
تعليل للمجادلة • لما كان جداله مفضيا الى الضلال قال ليضل •

ليضل مكي وابو عمرو ۞ دل على ان المجادل فعل الجدال واظهر
الكفر لكي تتبعه غيره فيضله عن طريق الحق ۞ فجمع بين الضلال
والكفر واضلال الغير عن سبيل الله عن دينه ۞ ثم انه سبحانه
شرح حاله في الدنيا والاخرة ۞ اما في الدنيا يوم بدر ۞ اما على
قول ابن عباس انها نزلت في النضر بن الحارث فانه قتل يوم بدر صبرا ۞ وهو القتل
۞ واما الذين لم يخصصوا هذه الاية قالوا المراد بالخزي في الدنيا
ذمه ولعنه ومجاهدته ۞ واما في الاخرة فقوله ونذيقه
يوم القيمة عذاب الحريق اي جمع له عذاب الدارين ذلك اي
النازل بك مبتدا خبره بما قدمت يداك من العمل اي السبب في عذاب
الدارين هو ما قدمت نفسه من الكفر والتكذيب ۞ وكنى عن النفس
باليد لان اليد آلة الكسب ۞ قال الكواشي ولا وقف هنا لان
قوله وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على بما ۞ يعني فلا ياخذ
سبحانه احدا بغير ذنب ولا بذنب غيره ۞ وذكر الظلام بلفظ
المبالغة لاقترانه بلفظ الجمع وهو العبيد ۞ ولان القليل منه مع
علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منا ۞ اعلم انه تعالى لما بين
حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر المنافقين فقال
ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على طرف من الدين لا في وسطه
وقلبه ۞ قال الكواشي وهو حال من يعبد ۞ قال الزمخشري وهذا
مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة
كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر
واطمان ۞ والا فر وطار على وجهه ۞ قال القرطبي وهذه الاية

خبر

خبر عن المنافقين ۞ قال ابن عباس يريد شيبة بن ربيعة كان قد اسلم
قبل ان يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اوحي اليه ارتد ابن ربيعة
۞ وقال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله
وتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني ۞ قال
ان الاسلام لا يقال ۞ فقال اني اصبت فرد علي هذا اخيرا ذهب
بصري ومالي وولدي ۞ فقال يا يهودي ان الاسلام ليسبك الرجال
كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ۞ فانزل الله ومن
الناس من يعبد الله على حرف ۞ وروى اسرائيل عن ابي حصين
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ومن الناس من يعبد الله على حرف
قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما وانتجت خيله
قال هذا دين صالح ۞ وان لم تلد امراته ولم تنتج خيله قال هذا دين
سوء ۞ وقال المفسرون نزلت في اعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله
عليه وسلم فيسلمون ۞ فكان احدهم اذا صح بدنه وتتجت فرسه
مهرا سريا ۞ وولدت امراته غلاما سويا ۞ وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان ۞ وان
كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب ۞ وعن سعيد
الخدري ان رجلا من اليهود اسلم ۞ قال القرطبي وصح على حرف
على شرط ۞ وذلك ان شيبة بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل
ان يظهر امره ادع لي ربك ان يرزقني مالا وابلا وخيلا وولدا حتى
اومن بك واعبدك الى دينك ۞ فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فرزقه الله
عز وجل ما تمنى ۞ ثم اراد الله تعالى فتنته واختباره وهو اعلم به

فاخذ منه ما كان رزقه بعد ان اسلم فارتد عن الاسلام • فانزل الله
تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اى شرط • وقال الحسن
هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه • اسهر كلام القرطبي **فان اصابه**
خير صحة في جسمه وسعة في معيشته **اطمان** سكن واستقر
به بالخير الذى اصابه • او بالدين فيعبد الله **وان اصابته فتنة**
بلاء في جسده وضيق في معيشته **انقلب على وجهه** جهته
اى ارتد ورجع الى الكفر • وذلك لان الثبات في الدين انما يكون لو
كان الغرض منه اصابة الحق وطاعة الله تعالى والخوف من عقابه • فاما
اذا كان غرضه الخير المعجل فانه يظهر الدين عند السراء ويرجع عنه
عند الضراء فلا يكون الا منافقا مذموما • وهو مثل قوله مذبذبين بين ذلك
• وكقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم • قال الرازى
فان قلت كيف قال وان اصابته فتنة انقلب على وجهه والخير ايضا
فتنة لانه امتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة • والجواب
مثل هذا كثير في اللغة لان النعمة بلاء وابتلاء لقوله تعالى فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه • ولكن انما يطلق اسم البلاء على ما يثقل
على الطبع وكذلك الخير كله • فان قلت اذا كانت الاية في المنافق
فما معنى قوله انقلب على وجهه وهو في الحقيقة لم يسلم حتى ينقلب وارتد
الجواب المراد انه اظهر بلسانه خلاف ما اضمره • فصار بذكر
الدين عند الشدة وكان من قبل يمدحه • وذلك انقلاب على الحقيقة
• فان قلت مقابل الخير هو الشر فلما قال فان اصابه خير اطمان به
كان يجب ان يقول وان اصابه شر انقلب على وجهه • الجواب

لما كانت

لما كانت الشدة لبست بقبيحة لم يصح ان يقال وان اصابه شر بل يقال
انه ليس بخير **خسر الدنيا والاخرة** حال وقد مقدرة • دليله
قراءة روح وزيد خاسرا الدنيا والاخرة • والخسران في الدنيا
بالقتل فيها • وفي الاخرة بالخلود في النار • قال الرازى لانه يخسر
في الدنيا العز والكرامة واصابة الغنيمة واهلية الشهادة والامامة
والقضاء ولا يبقى ماله مصونا • واما الاخرة فيفوته الثواب الدايم
ويحصل له العقاب الدايم وهو هو ذلك هو الخسران المبين •
وقال الزمخشرى المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله
والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين • احدهما ذهاب
ما اصيب به • والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران
الدارين **ذلك** اى خسران الدارين **هو الخسران المبين** الظاهر
الذى لا يخفى على واحد **يدعو من دون الله** يعنى الصنم • فانه بعد
الردة يفعل كذلك • اى هذا الذى رجع الى الكفر يعبد الصنم **مالا**
يضره ان لم يعبده **وما لا ينفعه** ان عبده **ذلك هو الضلال**
البعيد عن الصواب • قال الزمخشرى استعير الضلال البعيد
من ضلال من ابعد في التيه ضلالا فطالت وبعدت مسافة
ضلاله **يدعو لمن ضره اقرب من نفعه** قال هذه الاية
من مشكلات القرآن وذلك انه تعالى نفى الضرر والنفع عن الاصنام
في الاية المتقدمة واثبتهما لها هنا • والجواب ان المعنى اذا فهم
ذهب هذا الوهم • وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد
جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا • وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله وهو

انه لينتفع به حين لينتفع به ثم قال الله تعالى يقول هذا الكافر
يوم القيمة بدعاء صراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله
النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره
اقرب من نفعه لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب وهو ابو
او كرر ويدعو كانه قال يدعو من دون الله ما لا يضره
وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره اقرب من نفعه بكونه شفيعا
كذا ذكره الزمخشري قال القرطبي قوله يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه اي هذا الذي انقلب على وجهه يعبد من ضره اذى من نفعه
يعني في الاخرة لانه بعبادته دخل النار ولم ير منه نفعا اصلا
ولكنه قال ضره اقرب من نفعه تنويعا للكلام كقوله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل يعبدونهم بتوهم
انهم يشفعون لهم غدا كما قال الله تعالى ويعبدون من دون الله ما
لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال
الله بعد ما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يدخل الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله
يفعل ما يريد هذا وعد لمن عبد الله بكل حال لا لمن عبده على حرف
كذا في المدارك قال الرازي اعلم انه سبحانه لما بين في الاية
السالفة حال عباده المنافق وحال معبودهم بين في هذه الاية
صفة عبادة المومن وصفة معبوده اما عبادتهم فقد كانت
على الطرف الذي لا تمكن عليه واما معبودهم فلا ينفع ولا يضر
واما المومنون فعبادتهم حقيقية ومعبودهم يعطيهم اعظم المنافع

ولعل الكتبة

بكونه معبودا ص

الكافر ص

العشير الخليط ص

لبئس المولى والعشير

وهو الجنة ومن كمال الجنة التي تجمع من الزرع والشجر ان تجري من تحتها
الانهار وبين بعد ان يفعل ما يريد بهم من انواع الفضل والاحسان
زيادة على اجورهم كما قال بعد فيوفيهم ويزيدهم من فضله انتهى
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة المعنى ان الله
ناصر رسوله في الدنيا والاخرة فمن ظن من اعاديه غير ذلك فليمدد
بسبب بحبل الى السماء بيته ثم ليقطع ثم ليختنق
به وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه
وبكسر اللام بصري وشامي فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
اي الذي يغيظه او ما مصدرية اي غيظه والمعنى فلينظر
وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه
وسمي فعله كيدا على سبيل الاستهزاء لانه لم يكده به محسوده
انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب
كما يغيظ كذا في المدارك قال الزمخشري وقيل المعنى
فليمدد بحبل الى السما المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي
ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم
وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر
واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت
امره فنزلت الاية وقد فسر النصر بالرزق وقيل
معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضا
بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة

اجورهم ص

ولا يرد مردودا انتهى كلام الزمخشري **وكذلك** انزلناه ومثل ذلك
الإنزال انزلنا القرآن كله **آيات بينات** واضحات **وأن الله**
يهدي من يريد اى ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون
او يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى انزل له كذلك مبينا
كذا في المدارك **إن الذين آمنوا والذين هادوا** هم اليهود المنتسبون
الى ملة موسى **والصابئون** وهم قوم يعبدون النجوم **والصابئين**
وهم قوم يعبدون النجوم **والنصارى** هم المنتسبون الى ملة عيسى
والمجوس وهم عبدة النيران القائلون ان للعالم اصلين نور وظلمة
قال قتادة الاديان خمسة "اربعة" للشيطان "وواحد للرحمن"
قال العرطي وقيل المجوس في الاصل النجوس لتدينهم بالنجاسات
والنون والميم متعاقبان كالغين والغين والاين والايم
وقد مضى في البقرة مستوفى **والذين اشركوا** هم العرب عبدة
الاوثان **إن الله يفصل بينهم يوم القيمة** ~~يفصل بقضي بينهم~~ اى
بين المؤمنين والكافرين في الاحوال والاماكن فلا يجازيهم جزاء
واحدا ولا يجمعهم في موطن واحد وخبر **إن الذين امنوا** قوله
ان الله يفصل بينهم كما تقول ان زيدا ان اباه قائم قال
الزمخشري وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة
التاكيد ونحوه قول جرير

إن الخليفة إن الله سربله ... سربال ملك به ترجى الخواتيم

قال العرطي قوله ان الله يفصل بينهم قيل هذا الفصل بان يعرفهم
الحق من الباطل بمعرفة ضرورية والبوم يتميز المحق من المبطل
في الدنيا بالنظر

والصابئون نوع من النصارى فلا يكون سته ص

قال الزمخشري وصل يفصل بينهم بقضي بين المؤمنين والكافرين ص

بالنظر والاستدلال **إن الله على كل شيء شهيد** عالم به حافظ له
فلينظر كل امرئ معتقده وقوله وفعله وهو ابلغ وعيد
ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قال في المدارك قيل
ان الكل تسجد له ولكنا لا نفقه على تسبيحها قال الله
تعالى **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** قيل
سميت انقيادا غير المكلف له فيما يحدث له فيه من افعاله وتسخيره
له سجودا له تشبيها لمطاوعتها بسجود المكلف الذي كل خضوع
دونه **وكثير من الناس** اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة او هو مرفوع على الابتداء ومن الناس صفة له والخبر
محذوف "وهو مثاب" ويدل عليه قوله **وكثير حق عليه العذاب**
اى وكثير منهم حق عليه العذاب بكفره وابائه السجود اشهر كلام
المدارك قال العرطي قال ابو العالية ما في السموات نجم ولا قمر
ولا شمس الا يقع ساجدا لله حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له
فيرجع من مطلعه قال الزمخشري وورد هذا في خبر مسند وحق
الشمس فهذا سجود حقيقي ومن ضرورته تركب الجبوة والعقل
في هذا الساجد وسياتي الحديث في سورة يس عند قوله والشمس تجري
لمستقر لها انتهى **ومن يهن الله** بالشقاوة **فما له من مكرم** بالسعادة
إن الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة وغير ذلك قال
في المدارك وظاهر هذه الاية والتي قبلها ينقض على المعتزلة قولهم لا يهم
يقولون شاء اشياء ولم يفعل وهو يقول يفعل ما يشاء وهذه السجدة

الم تعلم يا محمد ان يقوم مقام العقل

من عزائم سجود القرآن فيجب على التالي والسامع ان يسجد عند تلاوتها
وسماع تلاوتها هذان خصمان اي فريقان خصمان فالخصم وصف
وصف بها الفريق كانه قيل هذان فريقان مختصمان قال الكواشي
الخصم مصدر يعم المفرد والجمع والذكر والانثى فلذلك قال اختصموا
اختصموا رد الى المعنى وهذان للفظ في ربهم في دينه
وصفاته واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عباد
قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان
اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي
وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة
اخرجاه في الصحيحين وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال انا
اول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيمة قال قيس بن عباد
فيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم
بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة قال محمد بن اسحاق وخرج يوم بدر عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة
فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة معوذ ومعاذ ابنا الحارث وامهما
عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار
فقالوا حسن انتم اكفاء كرام فنادى مناديهم يا محمد اخرج
الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة
بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم
قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة

وكان اسن

وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد
بن عتبة فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وعلي الوليد
واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر
حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه
وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا به الى رسول الله صلى الله عليه
قال الست شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان ابو طالب
حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث يقول
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل
وقال ابن عباس نزلت الاية في المسلمين واهل الكتاب قال اهل
الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المسلمون نحن احق بالله آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون بنبينا وكتابنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم في ربهم
وقيل هم المؤمنون والكافرون من اي ملة كانوا فالمؤمنون خصم
والكافر خصم وقيل الخصمان الجنة والنار روى البخاري ومسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه تحاجت الجنة والنار
فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لا يدخلني
الا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله عز وجل للجنة انت رحمتي ارحم بك
من اشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشاء من عبادي
ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عز وجل رجله
فتقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها الى بعض ولا يظلم ربك
من خلقه احدا واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا وهذا القول ضعيف

والقول الاول اصح لان حمل الكلام على ظاهره اولى ه انتهى ه هذا
جزاء كل خصم بقوله فالذين كفروا وهو فصل الخصومة المعنى
بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم ثياب من نار
كان الله يقدر لهم نيرانا على قدر جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع
الثياب الملبوسة ه قال القرطبي قطعت لهم ثياب من نار
اى خيطت وسويت ه وشبهت النار بالثياب لانها لباس لهم كالثياب
ه وقوله قطعت اى تقطع لهم في الاخرة ثياب من نار ه وذكر بلفظ
الماضي لان ما كان من اخبار الاخرة فالموعود منه كالواقع المحقق قال
الله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم الى قلت للناس اتخذوني وامي
اى يقول الله ه ويحتمل ان يكون قطعت بمعنى اعدت لا ريب ان الثياب
اعدت لهم ليلبسوها اذا صاروا الى النار ه وقال سعيد بن جبير
من نار اى من نحاس فتلك الثياب من نحاس قد اذيبت ه وهي السرابيل
المذكورة في قوله سرابيلهم من قطران ه وليس في الاية شر اذا حمى يكون
اشد حرا منه ه وقيل المعنى ان النار قد احاطت بهم كاحاطة
الثياب المقطوعة اذا البسوها ه فصارت من هذا الوجه ثيابا لانها بالاحاطة
كالثياب مثل وجعلنا الليل لباسا انتهى كلام القرطبي يصب من فوق
رؤسهم بكسر الهاء والميم بصري ه وبضمهما حمزة وعلي وخلف
ه وبكسر الهاء وضم الميم غيرهم الحميم الماء الحار المغلي بنار جهنم
ه عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ه اذا
دنا منهم شوى وجوههم وانماعت فروة رؤسهم ه فاذا شربوه
قطع امعاءهم كما قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم يصهر

هو كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ص

يذاب

يذاب به بالحميم ما في بطونهم والجلود اى يذيب امعاءهم واحشاءهم
كما يذيب جلودهم ويؤثر في الظاهر والباطن ه وهو ابلغ من قوله
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ
حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه
وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب صحيح ه وقال القرطبي قوله والجلود اى وتحرق الجلود
ه او تشوى الجلود فان الجلود لا تذاب ه ولكن يضمر في كل شيء ما يليق به
كما تقول اتيته فاطعمني ثريدا اى والله ولبنا قارصا اى وسقاني
لبنا ه وقوله على فتها تبنا وماء باردا ه وما لهم قوله ولهم مقامع
سياط مختصة بهم من حديد يضربون بها ه في الحديث لو وضعت
مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها ه قال
القرطبي وقيل المقامع المطارق وهي المرازب ايضا ه وفي الحديث
بيد كل ملك من خزنة جهنم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة
فيهوي بها سبعين خريفا ه وقيل المقامع سياط من نار ه وسميت
بذلك لانها تقمع المضروب اى تذلله كلما ارادوا ان يخرجوا منها من
من غم بدل اشتمال من منها باعادة الجار ه او الاولى لابتداء الغاية
والثانية بمعنى من اجل ه يعني كلما ارادوا الخروج من النار من اجل غم
يلحقهم فخرجوا كذا في المدارك ه قال الزمخشري ومعنى الخروج كما
يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا
في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا ه والعامل في كلما

جمع مقمعة ه

اعيدوا فيها بالمقامع ● ومعنى الخروج عند الحسن ان النار تضربهم
بلهيبها فتلقيهم الى اعلاها فضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين
خريفا ● فالمراد اعادتهم الى معظم النار لانهم ينفصلون عنها بالكلية
ثم يعودون اليها ● قال القرطبي قال ابو ظبيان ذكر لنا انهم
يحاولون الخروج من النار حين تجيش بهم وتفور فتلقي من فيها الى اعلا
ابوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزنة فيها ● وقيل
اذا اشتد غمهم فيها فروا فمن خلص منهم الى شفيرها اعادته الملائكة
فيها بالمقامع وذوقوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق هو
الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ● والذوق مماسة "يحصل
معها ادراك الطعم وهو هنا توسع" ● والمراد به ادراكهم الالم ● لما
ذكر حال احد الخصمين وهو الكافر ذكر حال الخصم الاخر وهو المؤمن
فقال من اربعة اوجه ● احدها المسكن وهو قوله ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون
فيها من اساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب ولؤلؤا بالنصب
مدني وعاصم "على يؤتون لؤلؤا" وبالجر غيرهم عطفا على من ذهب
● وبترك الهمزة الاولى في كل القرآن ابو بكر ● ذكر القرطبي في تفسيره
قال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساورة والتيجان
جعل الله ذلك لاهل الجنة ● وليس احد من اهل الجنة الا وفي يديه
ثلاثة اسورة ● سوار من ذهب ● وسوار من فضة ● وسوار من لؤلؤ
● قال هنا وفي فاطر من ذهب ولؤلؤ ● وقال في سورة الانسان وحلوا
اساور من فضة ● وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة سمعت

وما نهاية الحلية
وهو قوله حر

خليل

خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء
● وقيل حلي النساء بالذهب والرجال بالفضة ● وفيه نظر
والقرآن يرده ● واللؤلؤ هو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف
● قال العشري والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ ● ولا يبعد
ان يكون في الكبنه سوار من لؤلؤ مصمت ● قال القرطبي وهو ظاهر القرآن من
غير نصه ● وثالثها الملبوس وهو قوله ولباسهم فيها حرير اى
ابريسم ● قال القرطبي جميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم
وستورهم حرير وهو اعلى ما في الدنيا ● وروى النسائي عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الاخرة ● ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الاخرة
● ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الاخرة ● ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لباس اهل الجنة وشراب اهل الجنة
وآنية اهل الجنة فاره ● قلت قد سوى النبي صلى الله عليه وسلم بين
هذه الاشياء الثلاثة ● وانه يحرمها في الاخرة ● فهل يحرمها اذا دخل
الجنة قلت نعم اذا لم يتب منها حرمها في الاخرة وان دخل الجنة
لاستعجاله ما حرم الله عليه في الدنيا ● لا يقال انما يحرم
ذلك في الوقت الذي يعذب في النار ● او يطول مقامه في الموقف ● فاما
اذا دخل الجنة فلا لان رحمان شيء من لذات الجنة لمن كان في الجنة نوع
عقوبة ومواخذة والجنة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة فيها
بوجه ● فانا نقول ما ذكرتموه محتمل لولا ما جاء ما يدفع هذا
الاحتمال ويرده من ظاهر الحديث الذي ذكرناه ● وما رواه الائمة

من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا
ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة • والاصل التمسك بالظاهر حتى
يرد نص يدفعه • بل قد ورد نص على صحة ما ذكرناه وهو ما ذكره
رواه ابو داود الطيالسي في مسنده من حديث سعد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة
وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو • وهذا نص صريح
واسناده صحيح • فان كان قوله وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم
يلبسه هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو الغاية في البيان • وان كان
من كلام الراوي على ما ذكرناه فهو اعلم بالمقال واقعد بالحال • ومثله
لا يقال بالرأي والله اعلم • وكذلك من شرب الخمر ولم يتب • ومن استعمل
آنية الذهب والفضة • وكما لا يشتهي منزلة من هو ارفع منه كذلك
كذلك لا يشتهي حرير الجنة ولا خمرها ولا يكون ذلك حقيقة • وفي كتاب
التذكرة للقرطبي ان شجر الجنة وثمارها تنفق عن صياصيها عن
ثياب الجنة • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال دار المؤمن في الجنة
من لؤلؤة مجوفة في وسطها شجرة • تنبت الحلل • ويأخذ باصبعه
او قال باصبعيه سبعون حلة منظمة • ما فيها اللؤلؤ والمرجان • وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال بلغني ان ولي الله يلبس حلة ذات وجهين
يتجلى وبان بصوت • يقول الذي يلي جسده انا اكرم على ولي الله
منك انا امس بدنه وانت لا تمس بدنه • ويقول الذي يلي وجهه
انا اكرم على ولي الله منك انا ارى وجهه وانت محجوب لا ترى وجهه
• وعن لبسه في الدنيا لم يلبسه في الاخرة • قال القرطبي في التذكرة

عقوبة م

وهذا على

وهذا على معنى شارب الخمر انه اذا دخل الجنة لا يشرب فيها خمرا ولا
يذكرها ولا يراها ولا تشتهيها نفسه • وكذلك لابس الحرير في الدنيا
ان لم يتب منه • وكذلك من استعمل آنية الذهب والفضة ولم يتب
من استعمالها • وقيل ان حرمانه للخمر ولابس الحرير والشرب
في آنية الذهب والفضة انما هو في الوقت الذي يعذب في النار ويسقى
من طينة الخبال فاذا خرج من النار وادخل الجنة لم يحرم شيئا منها
لا خمرا ولا حريرا ولا غيره انتهى • ورابعها قوله وهدوا الى الطيب
من القول قال ابن عباس هو شهادة ان لا اله الا الله • مثل قوله
كلمة طيبة • وقوله اليه يصعد الكلم الطيب • وهو صراط
الحميد اي الاسلام لقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم •
وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله •
وقيل هو القرآن • وقيل المعنى هداهم الله في الاخرة والهمهم
ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده • وهداهم الى طريق الجنة
• والحميد الله المحمود بكل لسان • قال الرازي وعندي في الطيب
من القول وجه • وهو ان العلاقة البدنية جارية مجرى حجاب
الارواح البشرية في الاتصال بعالم القدس • فاذا فارقت ابدانها
انكشف الغطاء • ولاحت الانوار الالهية • فظهور تلك الانوار
هو المراد من قوله وهدوا الى الطيب من القول إن الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون عن الدخول في الاسلام • ويصدون
حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون • اي الصدود منهم مستمر
دايم كما تقول فلان يحسن الى الفقراء فانه يراد به استمرار وجود

ارشد
في الدن

الاحسان منه في الحال والاستقبال • اعلم انه سبحانه لما
بين ان فضل بين الكفار والمومنين ذكر عظم حرمة البيت
فعظم كفرهم فقال ان الذين كفروا لما جاءه محمد صلى الله
عليه وسلم ويصدون عن سبيل الله وذلك بالمنع من الهجرة
والجهاد • قال القرطبي اعاد الكلام الى مشركي العرب حين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام الحديبية
وذلك انه لم يعلم انهم صدوا قبل ذلك الجمع • الا ان يريد
صدهم افراد الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث انتهى
والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام والدخول فيه
• قال القرطبي قيل انه المسجد الحرام نفسه وهو ظاهر القران
لانه لم يذكر غيره • وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية فنزل خارجا
عنه • قال الله تعالى وصدوا كفر عن المسجد الحرام • وقال سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام انتهى • الذي جعلناه للناس
مطلقا من غير فرق بين حاضر وباد ومكي وافاقي • قال
في المدارك فان اريد بالمسجد الحرام مكة فقيه دليل على انه لا يباع دور
مكة • وان اريد به البيت فالمعنى انه قبلة لجميع الناس سواء بالنصب
حفص مفعول ثان لجعلناه اي جعلناه مستويا العاكف المقيم
فيه والباد وغير المقيم • بالياء مكي وافقه ابو عمرو في الوصل
• وغيره بالرفع على انه خبر والمبتدا سواء اي العاكف فيه والباد
سواء • والجملة مفعول ثان • وللناس حال • قال الزمخشري
وقد

وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله قائلين ان المراد
بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها • وعند
الشافعي لا يمتنع ذلك • وقد جاور اسحق بن راهويه • واحتج
بقوله بعد للذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكها
او غير مالكها • واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن
من مالكيه او غير مالكيه انتهى • وقال الكواشي فان اريد بالمسجد
الحرام مكة فالمعنى المقيم فيه والخارج عنه الوارد اليه سواء يخص بعضا
دون بعض غير انه لا يزعج احد من منزله نزله اذا كان قد سبق
الله عند محمد واحدى الروايتين عن ابي حنيفة • والشافعي يخص
الملك بمنزله • ولا يجوز بيع دور مكة عند محمد واحدى الروايتين
عن ابي حنيفة • وجوزه الشافعي انتهى • قال القرطبي قوله الذي
جعلناه للناس سواء اي للصلاة والطواف والعبادة وهو كقوله
ان اول بيت وضع للناس • سواء العاكف فيه والباد المقيم الملازم
والبادي اهل البادية ومن يقدم عليهم • يقول سواء في تعظيم حرمته
وقضاء النسك فيه الحاضر والذي يأتيه من البلاد • فليس اهل مكة
احق من الوارد اليه • وقيل ان المساواة انما هي في دوره ومنازله
ليس المقيم فيها اولى من الطارئ عليها • وهذا بناء على ان المسجد
الحرام الحرم كله وهو قول مجاهد ومالك والاوزاعي • وروي
عن عمر وابن عباس وجماعة ان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب
المنزل ان يؤوي وبه شاء او ابى • وكذلك كان الامر في الصدر الاول
كانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة فاتخذ رجل بابا

فانكر عليه عمر رضي الله عنه وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله
وقال انما اردت حفظ متاعهم من السرقه فتركه فاتخذ الناس
الابواب ● وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يامر
الموسم بقلع الابواب من دور مكة حتى يدخلها الذى يقدم
فينزل حيث شاء ● وكانت الفساطيط تضرب في الدور ● وروى
عن مالك رحمه الله ان الدور ليست كالمسجد ولاهلها الامتناع منها
والاستبداد ● وهذا هو العمل اليوم ● وقال بهذا جمهور الائمة
● وهذا الخلاف مبنى على اصلين ● احدهما ان دور مكة
هل هي ملك لاربابها ام للناس ● والخلاف سببان ● احدهما
هل فتح مكة كان عنوة فتكون مغنومة لكن النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقسمها واقرها لاهلها ولم يجا بعدهم كما فعل عمر رضي الله عنه
بارض السواد وعفى لهم عن الخراج كما عفى عن سبيهم واسترقاقهم احسانا
اليهم ودور سايرالكفار فلا تباع ولا تكرى ● ومن سبق الى موضع كان
اولى به ● وبهذا قال مالك وابو حنيفة واحمد واوزاعي ● او كان فتحها
صلحا ● والبه ذهب الشافعي رضي الله عنه ● فتبقى دياربهم بايديهم
وفي املاكهم يتصرفون كيف شاؤا ● وروى عن عمر رضي الله عنه
انه اشترى دار صفوان بن امية باربعة الاف وجعلها سجنا
● وهو اول من حبس في السجن في الاسلام على ما تقدم بيانه
في آية المحاربين من سورة المايدة ● وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
حبس في تهمة ● وكان طاوس يكره السجن بمكة ويقول لا ينبغي
لبيت عذاب ان يكون في بيت رحمة ● قال القرطبي الصحيح

ما قاله مالك وعليه يدل ظواهر الاخبار الثابتة بانها فتحت عنوة
● وقال ابو عبيدة ولا نعلم مكة يشبهها شي من البلاد ● وروى
عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وما تدعى دور مكة الا السوائب من احتاج
سكن ومن استغنى اسكن ● وروى ايضا عن علقمة بن نضلة الكناني
قال كانت تدعى بيوت مكة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر السوائب لانتباع من احتاج سكن ومن استغنى اسكن
● وروى ايضا عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الله حرم مكة فحرام رباعها واكل ثمنها ● وقال من اكل
من اجر بيوت مكة شيا فانما ياكل نارا ● واسند الدارقطني ايضا
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مباح
لا تباع رباعها ولا تواجر بيوتها ● وروى ابو داود عن عايشه
قالت قلت يا رسول الله الا ابني لك منى بيتا او بنا يظلك من الشمس
فقال لا انما هو مناخ من سبق اليه فهو اخ له ● وتمسك الشافعي
رحمه الله بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله ● فاضاف الدار اليهم ● وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
من اغلق بابه فهو امن ● ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن ● قال
القرطبي واجمع الناس على الاستواء في نفس المسجد الحرام ● واختلفوا في مكة
وقد ذكرناه انفا في كلام القرطبي ● وقال تقي الدين الفاسي في تحفة
الكرام باخبار البلد الحرام ● اختلف السلف رحمهم الله في ذلك فحكى
ابو جعفر الابهري عن مالك انه كره بيع دور مكة وكراها فان بيعت

او اكريت لم تفسخ ● وحكى ابن الكاج فى منسكه عن ملك انه يرى بيع رباع مكه واكرائها لها ● وقال السهيلى ان ارضها يعنى مكه ودورها لاهلها ولكن اوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج اذا قدموها وان لا ياخذوا منهم كراء فى مساكنها هذا حكمها ● ولا عليك بعد هذا فتحت عنوة او صلحا ● وكره ابو حنيفه رحمه الله بيع دور مكة واجارتها واجاز ذلك صاحباه ابو يوسف ومحمد وعليه الفتوى على ما قال الصدر الشهيد ● وعن احمد بن حنبل فى ذلك روايتان ورجح كلا منهما مرجح ● ومذهب الشافعى جواز بيع دور مكة واجارتها ● وسبب الخلاف فى ذلك عند من ملكيه الخلاف فى مكة هل فتحت عنوة او صلحا ● وقيل ان اسفلها فتح عنوة ومنه دخل خالد بن الوليد ● واعلاها فتح صلحا ● ومنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم وخواص اصحابه ● وسبب الخلاف عند من لا يملكيه فى ذلك مع اتفاقهم على انها فتحت عنوة اختلافهم فى مكة هل مَنَّ بها على اهلها فلم تقسم كما لهم لما عظم الله من حرمتها ● وعليه بنى جواز بيع دورها واجارتها ● او هل اقرت للمسلمين وعليه بنى المنع ● وذكر الامام المازرى فى شرح مسلم ان القول بان فتح مكه عنوة هو قول جماهير العلماء واهل السير انتهى كلام تقى الدين ● ثم قال تقى الدين فى موضع اخر من تحفه الكرام ● قال ابو اليمن ابن عساكر بعد ان ذكر حديث عايشه رضى الله عنها وقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا نبنى لك بمنى بيتا يظلك من الشمس فقال لا انما هو مناخ من سبق ● قال ابو اليمن مفهوم هذا الخطاب يدل على انه لا يجوز احياء شئ من مواتها ولا تملك

وان تملك جهة من جهاتها ● فلا ينبغى لاحد ان يخص بمكان من اماكنها دون غيره فيحظر عليه حظارا او يتخذه دارا بل الناس فى النزول بها شرع واحد واهل مكة وغيرهم فى ذلك سواء ● قال الله تعالى سواء العاكف فيه والباد ● والضمير فى قوله فيه مختلف من اهل العلم فيه ● فمن قال اراد به جميع الحرم وهو الاكثر منع من جواز احياء موانها وتملكها ● ومن ملك منها شيا قبل ذلك كان هو وسواه فى منافعه سواء فلا يجوز له بيعه ولا كراؤه ● ثم قال ومن تاول الاية على المسجد الحرام اجاز بيع دورها واكراءها ● وبه قال ابو يوسف والشافعى ● وكره مالك رحمه الله على جميعهم البيع والكراء ● وفى جواز احياء موات عرفه ومن دلفه اختلاف من بعض اهل العلم ● وما ذكرناه فى منى اولى بالمنع لقوله صلى الله عليه وسلم انما هو مناخ من سبق اشى كلا فى اليمن ● وقال المحب الطبرى فى القرى لما تكلم على هذا الحديث ● وقد احتج بهذا من لا يرى دور مكة مملوكة لاهلها ثم قال قلت ويحتمل ان يكون ذلك مخصوصا بمنى لمكان اشتراك الناس فى النسك المتعلق بها ● فلم ير صلى الله عليه وسلم لاحد اقتطاع موضع فيها بيتا ولا غيره بل الناس فيها سواء ● وللسابق حق السبق ● وكذلك الحكم فى عرفه ومزدلفه الحاقا بها انتهى ● وجزم النووى فى المنهاج من زوايده بان منى ومزدلفه لا يجوز احياء موانها كعرفه انتهى ● ونقل عن الشافعى انه بنى بمنى مضربا ينزل فيه اصحابه اذا حجوا ● وروى عنه ذلك ابو ثور وهو احد رواة القديم ● وتمسك به بعضهم على جواز البناء بمنى ● وفى العمل به على تقدير صحته عن الشافعى نظر

ولا تملك

لامرين • احدهما ان الشافعي قال اذا صح الحديث فهو مذهبي • والحديث
الوارد في النهي عن البناء بمنى تقوم به الحجة لان الترمذي حسنه • واما
داود فسكت فهو في معنى الصحيح تقوم الحجة به على ما هو مقرر في علم
الحديث • والشافعي رحمه الله حيث يقول به ويصير ذلك مذهبه
• ومثل هذا لا ينكر لانه وقع للنووي مثله في غير ما مسئلة • ولعله
لحظ هذا فيما ذكره من عدم جواز تملك احياء موات منى ومن دلفه
مع قياسهما على عرفة لمشاركتهما لعرفة في علة الحكم • الامر
الثاني انه لا ريب في ان الشافعي رحمه الله على تقدير ثبوت بنائه بمنى
لم يكن يحجر بناءه عن احد ولا يأخذ على النزول فيه اجرا • وان بناءه
بمنى لاجل الارتفاق به من جهة الظل وصيانة الامتعة وشبه ذلك
فلا يقاس عليه من لم يقصد ببنائه الا اختصاصه بنزوله واخذ
الاجرة على نزوله كما هو الغالب من احوال اهل العصر • والحاق من هو
بهذه الصفة بمن حسنت نيته كالشافعي رحمه الله لا يحسن
• وسمعت قاضي القضاة جمال الدين بن ظهيرة يقول ان جدي لامي
ابا الفضل النويري قاضي القضاة بمكة كان ينكر البناء بمنى وينشد فيه
وينهى عنه اشد النهي • واما ما افتى به الشيخ نجم الدين عبد الرحمن
بن يوسف الاصفوني الشافعي مؤلف مختصر الروضة من ان منى كغيرها
في جواز سع دورها واجارتها واخذ اجرتها فان ذلك غير سديد نقلا
ونظرا • اما النقل فلمخالفته مقتضى الحديث وكلام النووي
وابن عساكر والمحب الطبري وغيرهم • واما النظر فلان اعظم
ما يتمسك به في ذلك كون موات الحرم يحوز احياؤه ومنى من الحرم

فيملك

فيملك ما احيي فيها ويجري عليه احكام الملك • وهذا لا يستقيم
لان في منى امرا زائدا يقتضي عدم املاكها بموات الحرم وهو كونها متعبدا
ونسكا لعامة المسلمين فصارت كالمساجد وغيرها من المستبلات
وما هذا شانه لا اختصاص فيه لاحد الا بالسبق في النزول لا بالبناء
اذ هو ممتنع فيه فالبناء بمنى ممتنع حينئذ ولا يملك ولا يكون كغيره مما
يصح تملكه • ويجري حكم البناء بمنى على حكم البناء بعرفة لمساواتها لعرفة
في السبب الذي لاجله امتنع البناء بعرفة على الاصح • فمنى كذلك من باب
اولى لانها من الحرم • وكثير من العلماء يقول بما لا يعلم تملك ذلك اهـ كلام
تقي الدين الفاسي • ومن يرد فيه في المسجد الحرام بالحاد بظلم حالان
مترادفان • ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه
قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما • فالالحاد العدول
عن القصد • واصله الحاد الكافر للقبر نذقه من عذاب اليم
في الاخرة • وخبر ان الذين كفروا محذوف لدلالة جواب الشرط
عليه • تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم
من عذاب اليم • وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك • اي ملحدا
ظالما • والباء في بالحاد زائدة كزيادتها في تنبت بالدهن • اي ومن
يرد فيه الحادا بظلم • قال الزمخشري يعني ان الواجب
على من كان في المسجد الحرام ان يضبط نفسه ويسلك طريق
السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده • وقيل الالحاد
في الحرم منع الناس عن عمارته • وعن سعيد بن جبير الاحتكار
وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله • وعن عبد الله

ابن عمر انه كان له قسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم
فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا
نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله
وعن الحسن ومن يرد الحاد فيه بظلم ارادة الحاد فيه فاضافه
الى الاتساع في الظرف كملء الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد
فيه ظالما انتهى كلام الزمخشري قال المفسرون الامام فخر الدين
ذكر المفسرون في تفسير الالحاد وجوها احدها انه الشرك يعني
من جاء الحرم والله ليشرك به عذبه الله وهو احدى الروايات
عن ابن عباس وهو قول عطاء وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل
ومنها قول ابن عباس نزلت في عبد الله بن سعد حين اسلم
النبي صلى الله عليه وسلم فارتد مشركا وقال مقاتل نزلت في عبد الله
بن خطل حين قتل الانصاري وهرب الى مكة كافرا فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بقتله يوم الفتح ومنها قتل ما نهى الله عنه من
الصيد ومنها دخول مكة بغير احرام وارتكاب ما لا يحل
للمحرم وخامسها انه الاحتكار وسادسها المنع عن عبادته
وسابعها عن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله بلى والله
ومنها وهو قول المحققين ان الالحاد بظلم عام في كل
المعاصي لان جميع ذلك صغيرا وكبيرا يكون هناك اعظم منه في سائر
البقاع وقال مجاهد تضاعف السيات فيه كما تضاعف
الحسنات وعن ابن مسعود لو ان رجلا بعدن هم بان يقتل فيه
عند البيت اذاقه الله عذابا اليما قال القفال كيف يقال
ذلك مع ان قوله نذقه من عذاب اليم غير لائق بجميع المعاصي
قلنا بل هو لائق لان العذاب لا يكون الا اليما الا انه يختلف مراتبه
على حسب اختلاف المعصية انتهى كلام فخر الدين وقال
القرطبي والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات فتكون المعصية
معصيتين احدهما بنفس المخالفة والثانية باسقاط حرمة
البلد الحرام وهكذا الاشهر الحرم سواء قال ذهب قوم
من اهل التاويل منهم الضحاك وابن زيد الى ان هذه الاية تدل
على ان الانسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وان لم يعملها
وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا لو هم رجل
بقتل رجل بهذا البيت وهو بعدن ابين لعذبه الله قال
القرطبي وهذا صحيح وقد جاء هذا في سورة ن والقلم مبينا
على ما ياتي بيانه هناك ان شاء الله تعالى انتهى كلام القرطبي
قال قاضي القضاة عز الدين بن جماعة في مناسكه الكبرى قال
ابن عباس ان حسنة الحرم بمائة الف وان الكثرة دون على المتاع
القياس في هذا الباب اذ لا مجال للعقل فيه ولم ينقل عن
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحسنة مطلقا في مكة بمائة
الف انما ثبت ذلك في الصلاة بالمسجد الحرام خاصة وذهب
ابن عباس واحمد بن حنبل الى ان السيات تضاعف فيها وقال
ابن عباس وقد سئل عن مقامه بمكة بغير مكة فقال مالي وبلد
تضاعف فيها السيات كما تضاعف فيها الحسنات فيحمل ذلك
من سمعه على مضاعفة السيات بالحرم ثم اختلفوا في تضعيفها

عاقبهم

الانسان يعاقب على المعاصي وان لم يعملها

ان م

فقيل تضاعفة الحسنات بالحرم ● وقيل لمضاعفة الحسنات
خارج الحرم ● وهذا خرج مخرج ما وضح من القرآن الكريم قال الله
تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وهم لا يظلمون ● وتعظيم الحرم يمكن بغير حرج التضعيف ●
فلا حرم قلنا بتعظيم الجناية في الحرم حتى غلظت الجناية الدية
على القاتل فيه ● ولما كان تضعف الحسنات من باب الفضل
والكرم والرحمة ناسب التخفيف في جانب السيئات فضلا من الله
ونعمة فان قيل قول الله تعالى يا نساء النبي من يات منكن
بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين يقتضي جواز
تضعف السيئات فالجواب ان التضعف وقع في العقوبة
لا في نفس السيئة وهذا الشرف المعاقب ورفعته وتمييزه ● ومثل
ذلك في الشرع التفريق بين الحر والمملوك في الحدود والاحكام
● واكثر اهل العلم على ان السيئة لا تضاعف بمكة للآية المتقدمة
● وللحديث الصحيح اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه
فان عملها فاكتبوها سيئة ● واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا ● وفي روايه في الصحيح فان عملها
كتبت عشر حسنات الى سبع مائة ضعف ● ولا يمتنع ان تضاعف
العقوبة في الاخرة على سيئة الحرم ● وقال احمد بن حنبل لو ان
رجلا بعدن وهم بان يقتل عند البيت اذاقه الله من العذاب
الاليم ثم قرا الاية ● وفي سرح المختار من كتب الحنفية ان في الحديث
ان الحسنة تضاعف فيه الى مائة الف وان السيئة كذلك ● وهذا

كره

كره ابو حنيفه رحمه الله المجاورة بمكة انتهى كلام عز الدين ابن جماعة
● وفي تاريخ الازرقي عن ابن عباس انه قال حج الحواريون فلما بلغوا
الحرم مشوا تعظيما للحرم ● وعن ابي جرج قال كان الرجل يلقى قاتل
اخيه او ابيه في الكعبة او في الحرم او في الشهر الحرام فلا يتعرض له
● وروى ابو علي ابن السكن في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
بمكة اذا اراد حاجة الانسان خرج الى المغمس ● ويروى ان الشيخ
ابا عمرو الزجاجي احد كبار مشايخ الصوفيه بمكة اقام بمكة اربعين سنة
لم ينبل ولم يتغوط في الحرم ● وروى ان الامام ابا محمد
عبد الله بن سعيد جاور بمكة دهرا فكان اذا اراد قضاء الحاجة
خرج من الحرم ● ومما ورد في تعظيم الذنب في الحرم ما روى في تاريخ
الازرقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه كان يقول ان من الالحاد في الحرم
ان يقول كلا والله وبلى والله ● وعن عمر بن الخطاب انه قال يا اهل مكة
لا تختكروا الطعام فان احتكار الطعام بها للبيع الحاد ● وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لان اخطئ سبعين خطيئة بركبة احب
الي من ان اخطئ خطيئة واحدة بمكة انتهى وركبة موضع مجاور
لذات عرق ميقات اهل العراق ● وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنه انه قال الالحاد في الحرم ظلم الخادم ● وفي تاريخ
الازرقي سمي الحطيم لان الناس كانوا يحطمون هناك فقتل من دعى
هنالك على ظالم الا هلك ● وقل من حلف هنالك اثما الا عجلت له العقوبة
● وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغي فيها احد
الا اهلكته فكانت تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها

الا هلك فيقال ما سميت بكة الا انها تبك اعناق الجبابره
اذا الحدوا فيها واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اى واذكر يا محمد
حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه
للعمارة والعبادة وقد رفع البيت الى السما ايام الطوفان
وكان من ياقوته حمرا فاعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه
بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه
القديم كذا فى الكشاف قال نقى الدين الفاسى فى تحفه الكرام
باخبار البلد الحرام لا شك ان الكعبه المعظمه بنيت مرات وقد اختلف
فى عدة بنائها ويحصل من مجموع ما قيل فى ذلك انها بنيت عشر
مرات منها بنا الملائكه عليهم السلام ومنها بنا آدم
عليه السلام ومنها بنا اولاده ومنها بنا الخليل
ابرهيم عليه السلام ومنها بنا العمالقه ومنها بنا جرهم
ومنها بنا قصى بن كلاب ومنها بنا قريش ومنها
بنا عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدى رضى الله عنهما ومنها
بنا الحجاج بن يوسف الثقفى واطلاق العبارة بانه بنى الكعبة تجوز
لانه لم يبن الا بعضها فاما بنا الملائكة للكعبه فكان قبل خلق
آدم عليه السلام كما ذكره الازرقى وذكر الازرقى رحمه الله ما يشهد
ان بنا الملائكه بعد بنا آدم واختلف فى ذلك هل بنا الملائكه قبل بنا
آدم او بناوه قبل بنا الملائكة وكلا البنائين على تقدير صحتهما ناسيين
واما بنا آدم فروى الازرقى خبرين عن ابن عباس رضى الله عنهما
فى احدهما انه بناه من خمسة اجبل لبنان وطور زيتا وطور سينا والجودى
وحرا

كما ذكره السهيلى والنووى رح

بنا آدم وبنا الملائكه الكعبه ايهما كان ناسيا

وحرا حتى استوى على الارض وفى الآخر وكان آدم عليه السلام
اول من اسس البيت وحفل قبه وفى مصنف عبد الرزاق ان آدم
بنى البيت من هذه الخمسه الجبال وان ركنه كان من حرا والركن
هنا هو الاساس المستدير بالبيت وفى تاريخ الازرقى عن مقاتل رفعه
الى النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام قال اى رب انى اعرف
شقوتى انى لا ارى شيا من ولدى يعبدك فانزل الله عز وجل البيت
المعمور على عرض البيت وموضعه من ياقوته حمرا وكان طوله كما بين السما
والارض وامره ان يطوف به فاذهب الله عنه الغم الذى كان يجد
قبل ذلك ثم رفع على عهد نوح عليه السلام واما بنا بنى آدم
للكعبة فذكره الازرقى لانه روى بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت
الخيمه التى عزى الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنه حين وضعت
له بمكه فى موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده
مكانها بنيا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم
حتى كان زمن نوح عليه السلام فلسفه الغرق وغير مكانه حتى بوئ
لابراهيم عليه السلام اسى وقال السهيلى وكان بناؤها فى الدهر خمس
مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم عليه السلام انتهى وهذا
يخالف ما تقدم من بنا الملائكة وآدم للكعبة ولعل السبب عند من قال
ان شيثا اول من بنى الكعبة كون بنائه كان بنيانا بالطين والحجارة
بخلاف بنا آدم فانه كان بناء على اساس البيت كما فى خبر بنيانه وانزل الله
عليه من الجنه الخيمة المشار اليها فى خبر وهب بن منبه ولعل سبب نسبة
هذا البنا لشيث بن آدم دون اخوته كونه كان وصى ابيه كما يروى عن وهب

من منبه والله اعلم ● واما بنآ الخليل عليه السلام للكعبه فهو
ثابت بنص القرآن والسنه ● وهو اول من بنى البيت كما ذكر العاكهى
عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وجزم به الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره
وقال لم يجئ خبر عن معصوم ان البيت كان مبنيا قبل الخليل انتهى ●
وفى تاريخ الازرقى عن ابن اسحق ان الخليل لما بنى الكعبه البيت جعل طوله
فى السما تسعة اذرع ● وعرضه فى الارض اثنى وثلاثين ذراعا من الركن
الاسود الى الركن الشامى الذى عنده الحجر من وجهه ● وجعل
عرض ما بين الركن الشامى الى الركن الغربى اثنى وعشرين ذراعا ● وجعل
طول ظهرها من الركن الغربى الى الركن اليمانى احدا وثلاثين ذراعا ● وجعل
بابها بالارض غير مبوب ● وحفر جبا فى ربط البيت عاميين من داخله يكون
خزانة للبيت ● وكان بنى واسمعيل ينقل له الحجارة على رقبته ● وعن
ابن عباس قال اما والله ما بنياه بقصبة ولا مدر ولا كان بعضها من الاحوال
والاموال ما يسقفانه ● ولكنهما اعلماه وطافا به ● وعن عثمان بن
ساج انه بلغه ان الخليل عليه السلام بنى الكعبه من سبعة اجبل ● وعن
ثعلبه انه بناه من خمسه اجبل ● حرا وثبير ولبنان والطور والجبل
الاحمر ● وعن قتاده قال ذكر لنا ان الخليل بناه من خمسة اجبل
اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى وحرا ● قال
وذكر لنا ان قواعده من حرا انتهى ● ويروى انه اسس البيت من ستة
اجبل من بنى قنبس من قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى
ومن احد انتهى ● قال الفاسى هذا يعكر على الحكمة التى ذكرها
السهيلى فى كون الخليل بنى الكعبة من خمسة اجبل على ما قيل ● والله ● ●

واما بنآ

واما بنآ العمالقه وجرهم للكعبة فذكره الازرقى انه روى
بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال وراثنا خبر بنآ ابرهيم
للكعبه ثم انهدم فبنته العمالقه ● ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم
● ثم انهدم فبنته قريش انتهى ● وذكره العاكهى لانه روى
بسنده عن على قال اول من بنى البيت ابرهيم ● ثم هدم فبنته جرهم
● ثم هدم البيت فبنته العمالقه ● ثم هدم فبنته قريش ● وهذا
يقضى ان جرهما بنت البيت قبل العمالقه ● والخبر الاول يقضى ان
العمالقه بنته قبل جرهم ● وبه جزم المحب الطبرى فى القرى ● وذكر
المسعودى ما يقتضى ان الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض
الاصغر لانه لما ذكر خبرهم قال فيه ان الحارث هذا زاد فى بنآ البيت
عما كان عليه من بنآ ابرهيم انتهى والله اعلم بحقيقة ذلك ● واما
بنآ قصى بن كلاب فذكره الزبير بن بكار قاضى مكة فركبا به النسب
لانه قال اخذ قصى فى بنيان البيت وجمع نفقته وهدمها فبناها بنيانا
لم يبن احد ممن بناها مثله ● وسقفها بخشب الدوم والجريد
النخل ● وبناها على خمسه وعشرين ذراعا ● وجزم به الماوردى
فى الاحكام السلطانيه لانه قال وكان اول من جدد بنآ الكعبه من قريش
بعد ابرهيم عليه السلام قصى بن كلاب وسقفها بخشب الدوم والجريد
النخل انتهى ● ولم يذكر ذلك الازرقى جملة ● والله اعلم بحقيقة ذلك
● واما بنآ قريش الكعبه فهو ثابت فى السنه الصحيحة عن النبى
صلى الله عليه وسلم وحضره صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنه ● وقيل
ابن خمس وعشرين سنه حكاه ابن حماده ومناسكه وموسى بن عقبه فى مغازيه

ملخص مقام

وجزم به ◦ وقيل ابن بلاس سنة حكاه ابن خليل في مسكه وجزم به ◦ وهو الذي وضع الحجر الاسود موضعه من الكعبه حين اختلف قريش في ذلك ◦ وكان سبب بنائهم لها توهين من الحريق والسيل ◦ وجعلوا ارتفاعها من خارجها من اعلاها الى الارض بمانيه عشر ذراعا ◦ منها تسعه اذرع زايدة على طولها حين عمرها الخليل عليه السلام ◦ واقتصروا من عرضها اذرعا جعلوها في الحجر ليقصر النفقه الحلال التي اعدت وهي لعماره الكعبة عرف ذلك فيها ◦ ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ◦ وكسوها وجعلوا في داخلها ستة دعايم في ستة ◦ ثلاث فركل صف من الشق الذي يلي الحجر الى الشق اليماني ◦ وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطحها وجعلوه مسطحا ◦ وجعلوا فيه ميزابا يصب في الحجر ◦ هذا مختصر مما ذكره الازرقي في خبر بنا قريش ◦ واما بنا ابن الزبير الكعبه فانه ثابت مشهور ◦ وسبب ذلك توهين الكعبة من حجارة المنجنيق التي اصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة فرارا من اهل سنة ست واربعين من الهجرة لمعاندته يزيد بن معاوية ◦ وما اصابها مع ذلك من الحريق بسبب النار التي اوقدها بعض اصحاب الزبير في خيمة له فطارت الرياح بلهب تلك النار فاحرقت كسوة الكعبة ◦ والساج الذي بني في الكعبه حين عمرتها قريش ◦ فصدعت حدرات الكعبة حتى انها لتنقض من اعلاها الى اسفلها ◦ ويقع الحمام عليها فيثنا ثر حجارتها ◦ ثم هدمها ابن الزبير في يوم السبت النصف من جمادى الاخره سنه اربع وستين ◦ وبناها على قواعد ابراهيم ◦ ولا دخل فيها ما اخرجته منها

قريش في الحجر ◦ وطولها على بنا الخليل ابراهيم عليه السلام ◦ وذلك تسعة اذرع ◦ فصار طولها سبعا وعشرين ذراعا ◦ وهي سبعة وعشرون مدماكا ◦ وجعل لها بابين لاصقين بالارض احدهما بابها الموجود اليوم ◦ والاخر المقابل له المسدود ◦ وجعل فيها ثلاث دعايم وجعل لها درجة في ركنها الشامي تصعد منها الى سطحها ◦ وجعل فيه ميزابا يصب في الحجر ◦ وجعل فيه روازن للضوء ◦ هذا ملخص بالمعنى مما ذكره الازرقي في خبر بنا ابن الزبير الكعبة ◦ وما ذكره من زيادة ابن الزبير تسعة اذرع في طول الكعبة هو المشهور ◦ وفي صحيح مسلم من حديث عطاء عن رباح ان ابن الزبير زاد في طول الكعبه عشرة اذرع ◦ وفيه ما يقتضي انه لم يهدم الكعبة في الوقت الذي ذكره الازرقي ◦ وصرح ابن الاثير في كامله بان عمارته ابن الزبير للكعبه كانت سنة خمس وستين ◦ وقال وقيل كانت عمارتها في سنة اربع وستين ◦ وهذا يوافق ما ذكره الازرقي والقول الاول يوافق ما في مسلم والله اعلم ◦ ولم ار في تاريخ الازرقي ذكر الوقت الذي فرغ فيه ابن الزبير من بنا الكعبة ◦ وهو سنه خمس وستين كما ذكر ذلك المسبحي في تاريخه ◦ واما بنا الحجاج للكعبه فهو ايضا ثابت مشهور ذكره الازرقي وغيره ◦ وملخص ذلك ان الحجاج بعد محاصرة ابن الزبير وقتله كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير زاد في الكعبه ما ليس منها واحدث فيها بابا اخر ◦ واستاذنه في رد ذلك على ما كان عليه قبل اهلته ◦ فكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي ويهدم ما زاده ابن الزبير فيها من الحجر ويكسيها به على ما كانت عليه ففعل ذلك الحجاج ◦ وبناه في الكعبه الجدار الذي من جهة الحجر ◦ والباب

المسدود في ظهر الكعبه عند الركن اليماني • وما تحت عتبة الباب الشرقي
وهو اربعة اذرع وشبر كما ذكره الازرقي • وترك بقية الكعبه على ما
ابن الزبير • هذا ملخص ما ذكره الازرقي • ثم ان عبد الملك بن مروان
ندم على ما وقع منه في امر الكعبه • وقال ودِدتُ والله اني كنتُ تركتُ
ابن الزبير وما تحمل حين بلغه حديث عائشه رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لها لولا ان قومك حديث عهد بالجاهلية لهدمت الكعبه
والزقتها بالارض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا وبابا غربيا • ولزدتُ
فيه ستة اذرع من الحجر في البيت • فان قريشا استقصرت لما بنت الكعبه
البيت انتهى • وكان اخراج الحجاج لذلك من الكعبه وما صنعه فيها ومن سنه
اربع وسبعين من الهجره انتهى كلام العباسي في تحفة الكرام • قال
عز الدين ابن جماعه • قال الشافعي في الام • روى عن سلمة بن عبد الرحمن
انه قال لما اهبط الله عز وجل ادم من الجنه طاف به فشكى الوحشة
لما اصوات الملائكه فقال يا رب مالي لا اسمع حس الملائكه • فقال خطيئتك
يا ادم ولكن اذهب فابنِ لي بيتا بمكة فائتِه فافعل حوله نحو ما رايتَ
الملائكة يفعلون حول عرشي • فاقبل تخطو موضع كل قدم قرية
وما بينهما مفازة • فلقيته الملائكة بالردم فقالوا بَرَّ حجك يا ادم لقد
حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام • ويروى انه لما اهبط ادم الى الارض
بارض الهند كان راسه في السما ورجلاه في الارض فكانت الملائكه تهابه
فنقص له ستين ذراعا فحزن اذ فقد اصوات الملائكة وتسبيحهم الحديث
بمعنى ما اورده الشافعي • ويروى انه لما اهبطه الله سبحانه اشفق
لما الجنه فانزل الله اليه الحجر الاسود وهو ياقوته من ياقوت الجنه فاخذه

فضمه

فضمه اليه استيناسا به • وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه رفع البيت
زمن الطوفان • وكان الانبيا يحجونه ولا يعلمون مكانه • حتى بوأه الله
لابرهيم واعلمه مكانه رواه ابو ذر • وروى ان الطوفان اقلعه
وانه رفع له السما فصار معمورا فيها • وانه كان موضع البيت بعد الغرق
اكمة حمراء لا تعلوها السيول • وكان ياتيها المظلوم ويدعو عندها
المكروب فقلّ من دعى عندها الا استجيب له • وكان ذلك حتى بوأه الله
لابرهيم فكان البيت • وذلك بعد ان ولد اسمعيل عليه السلام فامر
ببنا البيت وهو الشام • وسنه مايه سنة • وسن اسمعيل بنت وثلاثون
سنه • فقال يا رب بيّن لي صفته • فارسل الله له سحابة على قدر الكعبة
فيها رأس فسارت معه حتى قدم مكة • فوقف في موضع البيت وتودى
من الراس الذي في السما ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص • وكان بنى واسمعيل
يناوله الحجارة • ويروى انه لما بنى شافا قال لاسمعيل ابغني حجرا
فذهب اسمعيل الى الوادي يطلب حجرا • ونزل جبريل بالحجر الاسود وقد
كان رفع الى السما حين غرقت الارض وجا اسمعيل بالحجر من الوادي فوجد
ابرهيم قد وضع الحجر فقال من اين هذا يا ابت جاء به قال من لم يكلني
اليك ولا الى حجرك • ويروى انه لما غرقت الارض استودع الله
ابا قبيس الحجر الاسود وقال اذا رايت خليلي يبني لي بيتا فاعطه اياه
• فلما ابتغى ابرهيم عليه السلام الحجر ناداه من ابي قبيس الا انا هذا فاخذ
الله ابرهيم فاخذه فوضعه بالموضع الذي هو فيه اليوم • ويروى ان
ذا القرنين قدم مكه وهما يبنيان فقال ما هذا فقالا نحن عبدان مامورات
امرنا بالبناء قال فهاتا البينة • فقامت حمسة اكبش فقلن نشهد

ان ابرهيم واسمعيل عليهما السلام عبدان مامورات بالبنآ فقال قد رضيت
وسلمت ومضى ولما فرغ من بنآئها اتاه جبريل فاراه الطواف
ثم اتى به جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات
وقال ملك في المدونة وبلغني ان الله تعالى اوحى الى الجبال فتنحت
حتى اري الله ابرهيم موضع المناسك وهو قوله وارنا مناسكنا انتهى
كلام عز الدين ابن جماعة ان هي المفسرة للقول المقدر اي
قائلين له لا تشرك بي شيئا من الاصنام قال الرمحسري فان قلت
كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة
قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة وكانه قيل
تعبدنا ابرهيم فقلنا له لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام
والاقذار ان تطرح حوله وبفتح الياء مدني وحفص للطايفين
لمن يطوف به والقايمين والمقيمين بمكة والركع السجود اي المصلين
جمع راكع وساجد قال القرطبي قوله ان لا تشرك بي
شيئا هو خطاب لابرهيم عليه السلام في قول الجمهور وفي الاية طعن
على من اشرك من قطان البيت اي كان هذا الشرط على ابيكم فمن بعده
وانتم فلم تفوا بل اشركتم وقال فرقه الخطاب في قوله ان لا
تشرك لمحمد صلى الله عليه وسلم وامر بتطهير البيت والتاذين بالحج والجمهور على
ان ذلك لابرهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع
وجميع النجاسات والدماء وقال ابن عباس به النظر عن الاوثان كما
قال بعد فاجتنبوا الرجس من الاوثان وذلك لان جرهما والعمالقة كانت
لهم اصنام في محل البيت وحوله قبل ان يتبوئه ابرهيم عليه السلام

وقيل

وقيل المعنى نزهه عن ان يعبد فيه صنم وهذا امر باظهار التوحيد
فيه وذكر بعد من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع
والسجود اشهر كلام القرطبي وفي تاريخ الازرقي عن عايشة رضي الله عنها
قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وعنها قالت ان من
اطيب الكعبة احب الي من ان اهدي لها ذهبا وفضة وعن
ابن جريج ان معوية اجرى للكعبة وظيفة الطيب لكل صلاة وكان
يبعث بها بالمجمر والخلوق في الموسم وفي رجب واخذها عبيدا
ثم اتبعت ذلك الولاة بعده وكان عبد الله بن الزبير يجمر الكعبة
كل يوم بطل من مجمر وبجمر الكعبة كل يوم جمعة بطلين من مجمر
قال المحب الطبري المجمر ما يتجمر به وهو العود الطيب
وبالضم ما يتجمر فيه والخلوق طيب معروف تتخذ من الزعفران
وغيره من انواع الطيب وتغلب عليه الصفرة والحمرة وقال
قال الامام ابو عبد الله الحليمي روي عن سعيد بن جبير انه كان يكره
ان يوخذ من طيب الكعبة ليستشفى به وقال قال عطا كان
احدنا اذا اراد ان يستشفي به جا بطيب من عنده فمسح به الحجر ثم اخذه
ذكره ابن الصلاح في منسكه وذكر النووي انه لا يجوز اخذ شي
من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره ومن اخذ شيا من ذلك لزمه رده
فان اراد التبرك اتى بطيب من عنده فمسح به ثم اخذه انتهى واذن
في الناس بالحج ناد فيهم والحج هو القصد البليغ الى مقصد
متبوع وفي المامور قولان احدهما وعليه اكثر المفسرين انه هو
ابرهيم عليه السلام قالوا لما فرغ ابرهيم عليه السلام من بناء

البيت قال الله سبحانه اذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ
صوتي قال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابرهيم
جبل ابي قبيس وفي رواية الصفا وفي اخرى على المقام وصاح
يا ايها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت العتيق فسمعه
ما بين السما والارض فما بقي شي سمع صوته الا اقبل يلبي يقول لبيك
اللهم لبيك وفي رواية اخرى ان الله قد امركم بحج هذا البيت
ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فاجابه من كان
في اصلاب الآبا وارحام النسآء لبيك اللهم لبيك قال
الامام فخر الدين الرازي وفي رواية على على المقام قال ابرهيم
كيف اقول قال حسبك قل لبيك اللهم لبيك فهو اول من لبى
قال الرازي فكل من وصل الله صوته من شجر او حجر او مدر
اجابه قال مجاهد فما حج انسان ولا حج احد حتى تقوم الساعة
الا وقد اسمعه ذلك النداء فمن اجاب مرة حج مرة ومن اجاب
مرتين او اكثر حج مرتين او اكثر على قدر اجابته وروي
عن الفضل قال قال ابن عباس اندرى ما كان اصل التلبية قلت
لا قال لما امر الله ابرهيم عليه السلام ان يوذن في الناس بالحج
تواضعت له الجبال وخفضت رؤسها وارتفعت له القرى فنادى
في الناس بالحج فاجابه كل شي لبيك اللهم لبيك قال القاضي
عبد الجبار بعد قولهم انه اجابه الحجر والمدر لا ان الا علام لا يكون
الا لمن يؤمر بالحج دون الجماد فاما ان سمع اهل المشرق واهل المغرب
نداه فلا يمتنع اذا قواه الله تعالى ورفع الموانع ومثل ذلك قد يكون

في ازمان

وفي ازمان الانبيآء قال قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة قيل
اصل التلبية ما روي ان ابرهيم لما فرغ من بنآء البيت وذكر ما
تقدم وروي انه علا على المقام ونادى بذلك فارتفع
به حتى علا على الجبال وخفضت له الارض فسمعه سهلها وجبلها
برها وبحرها وانسها وجنها حتى اسمعهم جميعهم وقيل
بدء التلبية ان الله عز وجل وحى الى ابرهيم عليه السلام وشان
بنآء البيت وكان قد غرق زمن الطوفان وبقي اساسه فامره الله
تعالى ان يتتبع سحابة وبنى على مقدارها فكان كلما نودي ان ابرهيم
ابن بيتي قال لبيك اللهم لبيك وقيل لما امره الله تعالى بدعآء
الناس الى الحج استقبل كل من الجهات الاربع المشرق والمغرب
واليمن والشام فدعى الى الله تعالى فاجيب لبيك اللهم لبيك اتى
وروي انه لما فرغ ابرهيم من بنآء البيت قال يارب قد فرغت
فاوحى الله اليه ان اذن في الناس بالحج فقال ابرهيم اي رب وما
عسى ان يبلغ صوتي فقال الله تعالى اذن وعلي البلاغ فصعد ابرهيم
على المقام فارتفع به وعلا حتى صار كاطول جبل فادخل اصبعيه
في صماخي اذنيه والتفت بميمنته وشمائله ووراه وامامه ونادى
ايها الناس ان الله قد بنى بيتا فحجوه فلبى كل رطب ويابس وسمعه
من بين المشرق والمغرب واجابوه من اصلاب الآبا وارحام النسآء
لبيك اللهم لبيك فليس احد يحج الى يوم القيمة الا ممن اجاب نداء ابرهيم
وروي ان من اجابه مرة حج مرة ومن اجابه مرتين حج مرتين
ومن اجابه اكثر فاكثر على حسب اجابته هذا قول جمهور المورخين

وروى انه كان من ذلك ومن ان بعث الله محمدا ملائة الان
سنة وروى عن عثمان بن عفان انه قال كان اول من اجاب
دعوة ابرهيم عليه السلام ما لبيه اهل اليمن وذهب
جماعة الى ان المامور به قوله واذن في الناس بالحج سيدنا ونبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فقال قوله واذن في الناس اى اعلمهم ان عليهم
الحج قال الجبائى امره الله تعالى ان يعلن بالتلبية فيعلم الناس
انه حاج فيحجوا معه قال وفي قوله يأتوك دلالة على ان المراد
ان يحج معتدا به انتهى والقول الاول اظهر يعنى انه خطاب
لابرهيم عليه السلام وجواب الامر قوله يأتوك رجالا مشاة
جمع راجل كقايم وقيام وعلى كل ضامر حال معطوفه على حال
كانه قال رجالا وركبانا والضامر البعير المهزول وقدم الرجال
على الركبان اظهارا لفضيلة المشاة كما ورد في الحديث واختلف
العلماء في هذه المسئلة ان المشى افضل من الركوب وهو الذى يظهر
للحديث المتقدم وصحح النووى ان في طريق الحج افضل ام الركوب
وصحح الاول قال عز الدين بن جماعة وهو مناسكه الكبرى وصحح الرافعى
من احد قولى الشافعى ان المشى افضل من الركوب وهو الذى يظهر
للحديث المتقدم وصحح النووى ان الركوب افضل وقال ان به
قطع معظم العراقيين وقال العبدرى انه قول اكثر الفقهاء والقائلون
بافضلية المشى قالوا انما حج النبى صلى الله عليه وسلم راكبا لانه كان القدوة
فكانت الحاجة ماسة الى ظهوره ليراه الناس وليشرف عليهم
فيساله من احتاج الى سواله ويقتدى به من كان منه على بعد
ويقصده

ويقصده من بعد له اليه حاجة فلذلك ترك النبى صلى الله عليه وسلم
المشى وان كان افضل وكان الركوب ارفقه صلى الله عليه وسلم
افضل من المشى والله اعلم ورجح قاضى خان الحنفى في فتاويه
ان الركوب افضل وقال انه ظاهر الرواية وهو قول كثير من الحنفيه
ومقتضى كلام صاحب الهداية منهم ان المشى افضل
وفي الغاية ان الحسن روى عن ابى حنيفه رضى الله عنه كراهة المشى
في طريق الحج وجمع بعض متاخرى الحنفيه من كلام اصحابهم
فقال من اطلق ان الركوب افضل فكلامه محمول على من يسوء خلقه
بالمشى ويجادل رفقته او يجمع بين الصوم والمشى ومن اطلق
ان المشى افضل فمحمول على مشى من لم يمكن لذلك وفي النوادر
من كتب المالكيه قال مالك والحج على الابل والدواب احب الى
من المشى لمن يجد ما يتحمل به ولذلك فعل النبى صلى الله عليه وسلم
وقال اللخمى من المالكيه ارى ان المشى افضل قال
وقد استحب مالك المشى للعبيد والاستسقاء قال وكل هذه
الطاعات تستحب للعبد اذا تاتى مولاه فيها منذ للاماشيا
وقال ابن الجوزى من الحنابله في كتابه مناسك الحج
من آداب الحج المشى قال واستحباب المشى في المناسك والتردد
من مكه الى المواقيت والى منى الا من في الطريق قال وقد قال
بعض العلماء الركوب الى مكه افضل لما فيه من الاعانة والمونة قال
وهذا بعيد لان مشقة البدن عند اكثر الناس اعظم من مشقة
اخراج المال انتهى كلام عز الدين بن جماعة على اقوال الائمه الاربعة
وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما اسى على شى الا انى لم احجج ماشيا فان سمعت الله
تعالى يقول يأتوك رجالا وقال ابن ابى نجيح حج ابن همام واسهل ما شئت

يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع ● وقرأ عبد الله يأتون
صفة للرجال والركبان من كل فج طريق عميق بعيد ● قال
محمد بن ياسين قال لي شيخ في الطواف من اين قلت من خراسان قال
كم بينكم وبين البيت قلت مسيرة شهرين او ثلاثة قال فانتم جيران
البيت ● فقلت انت من اين جئت ● قال من مسيرة خمس سنوات
خرجت وانا شاب فاكتهلت ● قلت هذه والله الطاعة الجميلة
والمحبة الصادقة فضحك وقال

زر من هويت وان شطت بك الدار ● وجال من دونه حجب واستار
لا يمنعنك بعد من زيارته ● ان المحب لمن يهواه زوار ●

قال المحب الطبري القرطبي واختلفوا في الواصل الى البيت العتيق
هل يرفع يديه عند رؤيته امرة ● قال احمد بن حنبل رحمه الله
اذا دخلت الحرم فقل اللهم هذا حرمك وامنك فاسلك ان تحرم
لحمي ودمي على النار ● اللهم اجرني من عذابك يوم تبعث عبادك ● وزاد
بعض السلف ووفقني للعمل بطاعتك واسترعلي بقضاء مناسكك وتب
علي انك انت التواب الرحيم ● وقال عز الدين بن جماعة ومناسكه
وينبغي ان يستحضر عند دخوله الحرم الخشوع والخضوع وقلبه
ما امكنه فانه اشرف على دخول الباب الاعلى ● ووصل الى الجناب
سراد قاته ● فليستعد لهيبة ملاقاته ● وليسلك الادب في سكناته
وحركاته ● وليرج من فضل الله امنياته ● فان المحل عظيم ● والمقام
كريم ● والكرم عميم ● وحق الزائر مراعى ● وذمام الكريم محفوظ ●
● ويجوز دخول مكة ليلا ونهارا باتفاق الائمة الاربعة ● ودخل

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام حجه الوداع صباحا ● ودخلها
لما اعتمر من الجعرانة ليلا ● والافضل دخولها نهارا ● ولا يكره ليلا عند
الائمة الاربعة ● ويروى عن النبي صلى الله عليه انه قال لفتح هذا
البيت سبعون نبيا كلهم خلعوا نعالهم بذي طوى تعظيما للمكان
● وكان صلى الله عليه يقول عند دخوله اللهم البلد بلدك والبيت بيتك
جئت اطلب رضاك رحمتك واؤم طاعتك متبعا لامرك راضيا
بقدرك مسلما لامرك اسالك مسئلة المضطر اليك المشفق من
عذابك ان تستقبلني بعفوك وان تجاوز عني برحمتك وان تدخلني جنتك ●
● وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول من توضأ فاحسن الوضوء ثم دخل مكة فتواضع لله عز وجل واشتد رضي الله على
جميع اموره لم يخرج من الدنيا حتى يغفر له ذكره المحب الطبري وقال انه
حديث حسن ● ويستحب عند رؤية البيت ان يرفع يديه بباطن كفيه
كما يرفعهما للدعاء ولا يرفع صوته كما يفعل العوام ● ويقول بخشوع
وخفض صوت اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة
وزد من شرفه وكرمه ممن حجه واعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما
وبرا لما روى ابن جريج رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه كان اذا راى
البيت رفع يديه وقال ذلك ● رواه الشافعي ● وروي ان النبي
صلى الله عليه كان اذا راى البيت رفع يديه دخل مكة فراى البيت رفع يديه
وكبر وقال اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ●
وسئل جابر رضي الله عنه عن الرجل يرى البيت ويرفع يديه فقال
ما كنت ارى احدا يفعل هذا الا اليهود قد حججنا مع النبي صلى الله عليه فلم يكن

فلم نكن نفعله رواه ابو داود والنسائي ۞ وسئل جابر بن عبد الله ارفع
الرجل يديه اذا راى البيت قال حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكنا نفعله ۞ وقال البيهقي ان الرواية في اثبات الرفع اشهر عند اهل
العلم وضعف احمد بن حنبل حديث جابر ۞ ويروى عن النبي
صلى الله عليه وآله قال تفتح ابواب السماء ويستجاب دعوة المسلم عند
رؤية الكعبة ۞ فليدع الانسان عند ذلك بما احب من امر الدنيا والاخرة
واهمها طلب المغفرة ليشهدوا منافع لهم ۞ قال مجاهد هي منافع الدنيا والاخرة ۞ وعن جماعة
من السلف انهم قالوا في تفسيرها غفر لهم ورب الكعبة ۞ قال
في المدارك نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية
لا توجد في غيرها من العبادات ۞ وهذا لان العبادة شرعت
للابتلاء بالنفس كالصلاة والصوم ۞ او بالمال كالزكوة ۞ وقد
اشتمل الحج عليهما مع ما فيه من تحمل الاثقال ۞ وركوب الاهوال
وخلع الاسباب ۞ ومفارقة الاصحاب ۞ ومهجرة البلاد والاوطان ۞
وفرقة الاولاد والاخلان ۞ والتنبيه على ما يسمر عليه اذا انتقل من دار
الفنا الى دار البقاء فالحاج اذا دخل البادية لا يتكل فيها الا على عتاده
ولا ياكل الا من زاده ۞ وكذا المرء اذا خرج من شاطئ الحيوة ۞ وركب
بحر الوفاة ۞ لا ينفع وحدته الا ما سعى في معاشه لمعاده ۞ ولا يونس
وحشته الا ما كان يانس به من زاده ۞ وغسل من يحرم وتاهبه
۞ ولبسه غير المخيط وتطيبه ۞ مرآة لما سياتي عليه ۞ من وضعه
على سريره لغسله وتجهيزه مطيبا بالحنوط ۞ ملففا في كفن غير مخيط

سيمر

تم المجلد

ثم المحرم يكون اشعث حيران ۞ فكذا يوم الحشر يخرج من القبر
لهفان ۞ ووقوف الحجيج بعرفات ۞ امليين زعقا ورهبا ۞ صائحين
خوفا وطمعا ۞ وهم بين مقبول ومخذول ۞ كموقف العرصات
لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد ۞ والافاضة الى المزدلفة
بالمساء ۞ وهو السوق لفضل القضاء ۞ ومنى هو موقف المتمنى
للمدبس ۞ الى شفاعة الشافعين ۞ وحلق الراس والتنظيف ۞ كالخروج
من السيات بالرحمة والتخفيف ۞ والبيت الحرام الذي من دخله كان
آمنا من الايذاء والقتل ۞ انموذج لدار السلام ۞ التي من نزلها بقي سالما
من الفنا والزوال ۞ غير ان الكعبة خصت بمكارم النفس غادية
كما ان الكعبة خصت بمتالف البادية ۞ فمرحبا لمن جاور مهالك
البوادي ۞ شوقا الى اللقاء يوم التنادي ۞ انتهى كلام المدارك ۞ وعن
الحسن رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات قبل الحج فلما
حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصايص ويذكروا
اسم الله عند الذبح في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة
عند ابي حنيفة رضي الله عنه ۞ واخرها يوم النحر ۞ وهو قول ابن عباس
واكثر المفسرين رضي الله عنهم ۞ وعند صاحبيه رحمهما الله هي
ايام النحر وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما ۞ وقد مضى في البقرة
الكلام على الايام المعلومات والمعدودات ۞ قال الزمخشري
كني عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن
ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا ۞ وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي
فيما يتقرب به الى الله تعالى ان يذكر اسمه ۞ وقد حسن الكلام

تحسينا بينا ان جمع من قوله ليذكروا اسم الله ◦ وقوله على ما
رزقهم ◦ ولو قيل ليخرجوا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم
تر شيئا من ذلك الحسن ◦ اهـ كلام الزمخشري ◦ قال
القرطبي واختلفوا في ليالي النحر هل تدخل مع الايام فيها الذبح
ام لا ◦ روى عن مالك في المشهور انها لا تدخل ◦ فلا يجوز الذبح بالليل
قال وذكر الايام دليل على ان الذبح في الليل لا يجوز ◦ وقال
ابو حنيفة والشافعي واحمد الليالي داخلة في الايام ◦ ويجزي الذبح
فيها انتهى على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي على ذبح بهيمة ما رزقهم من ح
الانعام وهو يؤيد قولهما ◦ والبهيمة مبهمة ◦ فكل ذات اربع
في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والغنم والضان
والمعز فكلوا منها من لحومها ◦ والامر للاباحة ◦ فيجوز الاكل
من هدي التطوع والمتعة والقران لانه دم نسك فاشبه الاضحية
ولا يجوز الاكل من بقية الهدايا ◦ قال الزمخشري الامر
بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكم
◦ ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ◦ ومن استعمال
التواضع ◦ ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار
الثلث ◦ وعن ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرتموه وكلوا
وتصدقوا وابعثوا منه الى عتبة يعني ابنه ◦ وفي الحديث
كلوا وادخروا واتجروا ◦ وفي قصة حجه الوداع قدم علي رضي الله عنه
ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنه فنحر
منها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثة وستين بدنه ونحر علي ما بقي
ثم امر من اجاره الاجزاء ◦ وهو الصدقة على الفقراء اي اطلبوا الاجر بالاطعام ◦

ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ◦ ثم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوخذ بضعة من كل بدنة فتجعل وقال رضي الله عنه على اصح الاقوال
في قدر فاكلا من لحمها وشربا من مرقها ◦ واطعموا البائس الذي
اصابه بؤس اي شدة الفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا
تفثهم ليزيلوا عنهم ادرانهم كذا قال نفطويه ◦ وقيل قضاء
التفث قص الشارب ◦ والاظفار ◦ ونتف الابط ◦ والاستحداد
◦ والتفث الوسخ ◦ والمراد قضاء ازالة التفث ◦ وقال ابن عمر
وابن عباس رضي الله عنهم قضاء التفث مناسك الحج كلها كذا في المدارك
المعنى ليقضوا بعد نحر الهدايا والضحايا ما بقي عليهم من امر الحج كالحلق
والرمي وازالة شعث ونحوه وليوفوا نذورهم مواجب حجهم
والعرب تقول لكل من خرج عما وجب عليه وفى بنذره ◦ وان لم ينذره
◦ او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم ◦ وليوفوا بسكون اللام
والتشديد ابو بكر وليطوفوا طواف الزيارة الذي هو ركن الحج
وتقع به تمام التحلل ◦ والطواف المذكور في هذه الاية هو طواف
الافاضة الذي هو ركن الحج ◦ قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في ذلك
◦ قال الزمخشري وقيل هو طواف الصدر وهو طواف الوداع
◦ قال في المدارك واللامات اللامات ساكنة عند غير ابن عامر
وابي عمرو بالبيت العتيق اختلف المتاولون في وصف البيت بالعتق
◦ فقيل العتق القدم لانه اول بيت وضع للناس بناه آدم
ثم جدده ابراهيم ◦ وقيل العتق الكرم لانه كرم على الله تعالى قال مجاهد خلق قبل الارض بالفي عام
◦ ومنه عتاق الخيل للكرائم منها ◦ وعتاق الرقيق الخروج من ذل
العبودية الى كرم الحرية ◦ وقيل لانه اعتق من الغرق لانه رفع

زمن الطواف ۞ وقتل من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار
وكم من جبار ساء اليه ليهدمه فمنعه الله عز وجل ۞ وفي الترمذي
عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي
البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار وقال حديث حسن غريب
۞ قال القرطبي فان قيل ان الحجاج بن يوسف نصب
المنجنيق على الكعبة حتى كسرها قيل انما اعتقه عن كفار
الجبابرة لانهم اذا اتوا بانفسهم متمردين ولحرمة البيت غير معتقد
وقصدوا الكعبة بالسوء فعصمت منهم ولم تنه ابدا بهم كان ذلك
دلالة على ان الله عز وجل صرفهم عنها قسرا ۞ فاما المسلمون
الذين اعتقدوا حرمتها فانهم ان كفوا عنها لم يكن في ذلك من الدلالة
على منزلتها عند الله مثل ما يكون منها في كف اهل العدا ۞ فقصر الله
بعار هذه الطائفة على الكف بالنهي والوعيد ولم يتجاوزه الى القهر
بالالجاء والاضطرار وجعل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
۞ قال الزمخشري فان قلت قد تسلط عليه
الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن
به ابن الزبير رحمه الله فاحتيل لاخراجه ثم بناه ۞ ولما
قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل انتهى ۞ وقيل
اعتق من الملاك فلم يجر عليه ملك لاحد من خلق الله تعالى ۞
قال في المدارك وهو مطاف اهل الغبراء كما ان العرش
مطاف اهل السما ۞ فان الطالب اذا هاجته منيعة الطرب
وجذبته جواذب الطلب ۞ جعل يقطع مناكب الارض مراحل

ويتخذ مسالك المهالك منازل ۞ فاذا عاين البيت لم يزده
التسلل به الا اشتياقا ولم يغذه التشفي باستلام الحجر الا
احتراقا فيذيبه الاسف لهفان ويردده اللهف
حوله في الدوران وطواف الزيارة اخر فرائض الحج الثلاثة
واولها الاحرام وهو عقد التزام يشبه الاعتصام بعروة
الاسلام حتى لا ينقض بارتكاب ما هو محظور فيه وبقي
عقده مع ما يفسده وينافيه كما ان عقد الاسلام لا يحل
بازدحام الآثام وترتفع الف حوبه بتوبه وثانيها
الوقوف بعرفات بسمة الابتهال في صفة الاهتبال
وصدق الاعتزال عن رفع الاتكال على مراتب الاعمال
وشواهد الاحوال انتهى كلام المدارك ذلك خبر مبتدا محذوف
اي الامر ذلك او تقديره ليفعلوا ذلك ۞ قال الزمخشري ذلك
خبر مبتدا محذوف اي الامر او الشان ذلك ۞ كما يقدم الكاتب
جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر
قال هذا وقد كان كذا ومن يعظم حرمات الله الحرمة ما لا يحل
هتكه ۞ وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك
الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون
خاصا فيما يتعلق بالحج ۞ وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس
الكعبة الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام والمشعر الحرام والبلد
الحرام فهو اي التعظيم خيرا له عند ربه ومعنى التعظيم العلم
بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها واحلت لكم

او تقديره ليفعلوا ذلك

وقوله عند ربه يد
على الثواب المد
لانه لا يقال عند
فيما قد حصل مرا

الا نعام الى اكلها الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك قوله فى سورة
المايدة حرمت عليكم الميتة الاية والمعنى ان الله تعالى قد احل لكم
الانعام الا ما استثنى فى كتابه فحافظوا على حدوده ولا تحرموا
شيئا مما احل لكم كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك
ولا تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك
ولما حث على تعظيم حرماته اتبعه الامر باجتناب الاوثان
وقول الزور بقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول
الزور لان توحيد الله تعالى ونفى الشرك عنه وصدق القول
اعظم الكرمات واسبقها خطوا والاوثان بيان للرجس لان
الرجس مبهم يتناول كل شئ كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذى هو
الاوثان وسمى الاوثان رجسا كذلك الخمر والميسر والازلام
على طريق التشبيه يعنى كما انكم تنفرون بطباعكم عن الرجس
وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل ذلك النفرة
ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
جعل العلة فى اجتنابه انه رجس مجتنب وجمع بين الشرك
وقول الزور فى قران واحد لان الشرك من باب الزور اذ المشرك
زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة
الاوثان التى هى راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تفرقوا شيئا
منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشئ من قبيله عبادة
الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان
الافك من الافك اذا صرفه كذا فى الكشاف قال العوطى

الرجس

الرجس هو الشئ القذر والوثن التمثال من خشب او حديد
او ذهب او فضة ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها والنصب
ينصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال لها وقال
عدى بن حاتم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب
فقال الق هذا الوثن وسماها رجسا لانها سبب الرجز وهو العذاب
وقيل وصفها بالرجس والرجس النجس فهى نجسة حكما وليست
النجاسة وصفا ذاتيا للاعيان والما هو وصف شرعى من احكام
الايمان فلا تزال الا بالايمان كما لا تزول نجوز الطهارة الا بالماء
وقول الزور هو الكذب والبهتان وقيل هو قولهم هذا
حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل هو
شهادة الزور وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه انه قال من اكبر
الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور او قول
الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فما زال
يكررها حتى قلنا ليته سكت وقيل الزور قول اهل الجاهلية
فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
حنفاء لله مسلمين غير مشركين به حال محنفاء ومن يشرك
بالله فكانما خر سقط من السماء فتخطفه الطير تسلبه بسرعة
فتخطفه اى تخطفه مدنى او تهوى به الريح اى تسقطه
والهوى السقوط فى مكان سحيق بعيد يجوز ان يكون هذا
تشبيها مركبا ويجوز ان يكون مفرقا فان كان تشبيها مركبا
فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا لا يسر بعده

بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير
فتفرّق قطعا مزعا في حواصلها او عصفت به الريح حتى
هوت به في بعض المهاوي البعيدة وان كان مفرّقا فقد شبّه
الايمان في علوه بالسماء والذي اشرك بالله بالساقط من السماء
والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الذي يوقعه
في الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة
كذا في الكشاف ذلك اي الامر ذلك ومن يعظم شعائر الله
تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها معالم الحج ان يختارها عظام
الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها
فقد كانوا يغالون في ثمنها ويكرهون المكاس فيهن الهدي
والاضحية والرقبة وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي
انه اهدى بختية طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن
ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان
ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وجلالها وقيل تعظيم شعائر الله ان يعتقد ان طاعة الله
في التقرب بها واهداؤها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام
به ويسارع فيه كذا في الكشاف فانها من تقوى القلوب اي فان
تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب وحذفت هذه المضافات
ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء

للناس

الى البدن

ال للرجل المنسوب
ا القبط قبطي
الثوب المنسوب
ا القبط قبطي كالدهر
هو المنسوب الى الدهر

الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى
التي اذا اثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم
فيها منافع من الركوب عند الحاجة وشرب البانها عند الضرورة
وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى
رجلا يسوق بدنة فقال اركبها قال انها بدنة قال اركبها قال انها
بدنة قال اركبها ويلك في الثانية او في الثالثة وروى عن جابر
ان عبد الله وسئل عن ركوب الهدى فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اركبها بالمعروف اذا الجئت اليها حتى تجد ظهرا
الى اجل مسمى الى ان تنحر وتتصدق بلحومها ويوكل منها ثم
محلها اي وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت العتيق قال
الزمخشري وثم للتراخي في الوقت فاستعير للتراخي في الاحوال
والمعنى لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم وانما
يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا
في النفع محلها الى البيت العتيق اي وجوب نحرها او وقت وجوب
نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد
نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت
ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارف فتموه
واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك
كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه اشتهر كلام الزمخشري
قال القرطبي قوله محلها الى البيت العتيق يريد انها

وتعظيمها ا

فقد دل

وقوله اذا الجئت ا
يدل على ما قاله ال
والشافعي انه لا
ان اضطر الى
ابو حنيفة ا
الركوب الى
فقد دل

تنتهي الى البيت وهو الطواف • فقوله محلها من احلال المحرم
والمعنى ان شعائر الحج كلها من الوقوف بعرفه ورمي الجمار والسعي
ينتهي الى مكة وقال الشافعي الى الحرم الطواف الافاضه بالبيت
العتيق • فالبيت على هذا الماويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا
• وقال عطا ينتهي الى مكة • وقال الشافعي الى الحرم • وهذا
بنا على ان الشعائر هي البدن • ولا وجه لتخصيص الشعائر مع عمومها
والغاء خصوصية البيت انتهى كلام القرطبي ولكل امة جماعة
مؤمنة قبلكم جعلنا منسكا حيث كان بكسر السين بمعنى الموضع
عمل وحمزة اي موضع قربان • وعمرو هما بالفتح على المصدر اي اسكا
وهو اراقة الدماء وذبح القرابين ليذكروا اسم الله دون غيره على
ما رزقهم من بهيمة الانعام اي عند نحر الانعام وذبحها فالهكم
اله واحد اي اذكروا على الذباح اسم الله وحده فان الهكم اله
واحد • وفيه دليل على ان ذكر اسم الله شرط • يعني ان الله تعالى
شرع لكل امة ان ينسكوا له اي يذكروا الوجه على وجه التقرب
وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماوه على
النسائك كذا في الكشاف فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة
واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك وبشر
المخبتين المطمئنين بذكر الله • او المتواضعين الخاشعين من الخبت
وهو المطمئن من الارض • عن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين
لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا • وقيل تفسره ما بعده
اي الذين اذا ذكر الله وجلت اي خافت قلوبهم منه هيبة

فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم وصدق ايمانهم
لربهم • فكانهم من يديه • ثم وصفهم بالصبر واقامة الصلاة اي
ادامتها • وروي ان هذه الاية قوله وبشر المخبتين نزلت
في ابي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم • قال القرطبي هذه
الاية نظير قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون •
وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله • هذه حالة العارف بالله الخائف من سطوته وعقوبته
لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة من الزعق والزفير
ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير • فيقال لمن تعاطى ذلك
ويزعم ان ذلك وجد وخشوع انك لم تبلغ ان تساوي حال
رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا حال اصحابه في المعرفة بالله والخوف
منه والتعظيم لجلاله • ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم
عن الله والبكا خوفا من الله • وبذلك وصف الله تعالى احوال اهل
المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه • ومن لم يكن كذلك فليس
على هديهم ولا على طريقتهم • قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا
فاكتبنا مع الشاهدين • فهذا وصف حالهم وحكاية احوالهم
فمن كان مستنا فليستن • ومن تعاطى احوال المجانين والمجنون
هو من اخسهم حالا • والجنون فنون • روي في الصحيح

عن انس بن مالك ان الناس سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى
احفوه في المسئلة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني
لا تسالوني عن شيء الا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا فلما سمع
القوم ذلك ارموا ورهبوا ان يكونوا بين يدي حضر قال انس
فجعلت التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف راسه في ثوبه
يبكي وذكر الحديث وقد مضى القول في هذه المسئلة باشبع من هذا
في الانفال والصابرين على ما اصابهم من المحن والمصائب والمقيمي
الصلاة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون بتصدقون والبدن
جمع بدنة سميت بذلك لعظم بدنها وفي الشريعة يتناول الابل
والبقر وقرئ برفعها وهو كقوله والقمر قدرناه قال الزمخشري
البدن هي الابل خاصة والحق رسول الله صلى الله عليه وسلم البقر
بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر
في حكم الابل فصارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند
ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية
جعلناها لكم من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها
الله تعالى واضافتها الى اسمه تعالى تعظم لها ومن شعائر الله
ثاني مفعولي جعلنا قال القرطبي اختلف العلماء في البدن
هل تطلق على غير الابل من البقرام لا فقال ابن مسعود وعطا والشافعي
لا وقال مالك وابو حنيفة نعم وفايدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد
بدنة او لم يقدر عليها وقدر على البقرة فهل تجزيه فعلى مذهب
الشافعي وعطا لا تجزيه وعلى مذهب مالك تجزيه احتج الشافعي بقوله

صلى الله

بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في يوم الجمعة من راح
في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية
فكانما قرب بقرة الحديث فنفر بقة عليه السلام من البدنة
والبقرة يدل على ان البقرة لا يقال عليها بدنة وايضا قوله فاذا
وجبت جنوبها يدل على ذلك فان هذا الوصف خاص بالابل والبقر
تضحى وتذبح كالغنم ودليلنا ان البدنة ما حوته من البدانة وهي
الضخامة والضخامة توجد فيهما جميعا واما الهدى فهو عام
في الابل والبقر والغنم لكم فيها خير عموم النفع في الدنيا والاجر
في العقبى قال الزمخشري ومن شان الحاج ان يحرص على شيء
فيه خير ومنافع بشهادة الله على بعض السلف انه
لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فعيل له في ذلك فقال
سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عمر من احتاج الى ظهرها ركب
ومن احتاج الى لبنها شرب قال الشافعي والشافعية
يستحب لمن قصد مكة بحج او عمرة ان يهدي اليها
شيا من النعم وانه سنة موكدة اعرض الناس اكثر الناس
او كلهم عنها فهذه الازمان وقد قال تعالى جعل الله الكعبة البيت
الحرام قياما للناس والهدي والشهر الحرام والهدي والقلا
ئد وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس حجوا واهدوا فان الله
تعالى يحب الهدي والى ذلك الاشارة في قوله تعالى ذلك ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب وتعظيمها استحسانها واستثمانها
وقال الامام ابو بكر بن مسندي في مناسكه اعلم انه صلى الله

قال القرطبي وهو
ابن حماعه ومن

عليه وسلم قصد البيت فرح او عمرة بغير هدى ولا احد من الخلفا
بعده اهى ٥ وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه اهدى فى الحج بدنة
وفى العمرة بدنة اخرجه ملك ٥ واول من اهدى الى البيت
الياس بن مضر ٥ وساق النبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة الحديبية
سبعين بدنة ٥ وفى عمرة القضية ثمانين بدنة ٥ وفى سنن ٥
واهدى النبى صلى الله عليه عام الحديبية جملا كان لابى جهل فى انفه
برة من فضة ٥ وفى سنن ذهب ليغيظ بذلك المشركين ٥ واهدى
صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع مائة بدنة من الابل كما ثبت فى صحيح
البخارى ٥ ويروى كما ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ان حكيم بن
حزام لما صح فى الاسلام اهدى مائة بدنة وحللها بالخبر ولفها
عن اعجازها ٥ واهدى الفرشاة ٥ ووقف بعرفه مائة رصيف
فى اعناقهم اطواق الفضة منقوش فيها عتقاء الله عن حكيم بن حزام
٥ وكان عروة يقول لبنيه يا بنى لا يهدى احدكم لله تعالى من البدن
ما يستحيى ان يهديه للكريم فان الله اكرم الكرماء ٥ واحق من اختير
له اخرجه ملك ٥ وعن نافع ان ابن عمر سار فيما بين مكة والمدينة
على ناقة خبية فقال لها بخ بخ ٥ فاعجبته فنزل عنها واشعرها
رواه سعيد بن منصور انتهى كلام ابن جماعة فاذكروا اسم الله
عليها عند نحرها صوافّ حال من الهاء اى قائمات قد صففن ايديهن
وارجلهن ٥ قال الزمخشرى ذكر اسم الله ان يقول عند النحر
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك ٥ وقرئ
صوافن من صفون الفرس ٥ وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة
على طرف

على طرف سنبكه والسنبك طرف الحافر لان الابل تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلاث اذا اراد نحرها ٥ قال الشاعر
الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا ٥ قال
القرطبى وكافة العلما على استحباب كون الابل قياما معقولة الا ابا حنيفة
فانه اجاز ان ينحرها باركة والصحيح ما عليه الجمهور لقوله تعالى فاذا
وجبت جنوبها معناه سقطت بعد نحرها ومنه وجبت الشمس
٥ وفى صحيح مسلم عن ابن عمر انه راى رجلا وهو ينحر بدنة باركة
فقال ابعثها قياما مقلدة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
٥ وروى ابو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا
ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقى من قوائمها
٥ وكان ابن عمر رضى الله عنهما ياخذ الحربة بيده ويغفوان عمره
فينحرها فى صدرها وجرحها على سنامها ٥ فلما اسن كان ينحرها باركة
لضعفه ويمسك معه الحربة رجل آخر وآخر بخطمها انتهى كلام
القرطبى فاذا وجبت جنوبها وجوب الجنوب وقوعها على الارض
من وجب الحائط وجبة اذا سقط ٥ اى اذا سقطت جنوبها على الارض
بعد نحرها وسكنت حركتها فكلوا منها ان شئتم ٥ والامر للندب
٥ قالوا يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر وامثال اذكان
اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم واطعموا القانع السائل من
قنعت اليه اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر الذى يتعرض
بنفسه ويتعرض ولا يسال ٥ وقيل القانع الراضى بما عنده وبما
يعطى من غير سؤال ٥ من قنعت قنعا وقناعة ٥ والمعتر المتعرض

بالسؤال ۞ كذلك سخرناها لكم اى كما امرناكم بنحرها سخرناها لكم
مع قوتها وعظم اجرامها لتتمكنوا من نحرها ۞ قال الزمخشري
من الله على عباده بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذى راوا
وعلموا ياخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويجسسونها صافة
قوائمها ثم يطعنون فى لباتها ۞ ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز
من بعض الوحوش التى هى اصغر منها جرما واقل قوة ۞ وكفى بما يتابد
من الابل شاهدا وعبرة لعلكم تشكرون لكى تشكروا انعام الله عليكم
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينالة التقوى منكم اى لن
يتقبل اللحم والدماء ولكن يتقبل التقوى ۞ اولن يصيبه رضى الله
اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم
والدماء ۞ والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا بمراعاة
النية والاخلاص ورعاية شرط التقوى ۞ فاذا لم يراعوا ذلك لم
تغن عنهم التضحية والتقرب وان كثر ذلك منهم ۞ وقيل كان
اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه
بالدم ۞ فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كذلك سخرها
لكم اى البدن لتكبروا الله لتسموا الله عند الذبح ۞ او لتعظموا
الله على ما هداكم على ما ارشدكم اليه ۞ قال الزمخشري كرر
تذكير النعمة بالتسخير ۞ ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام
دينه ومناسك حجه ۞ بان تكبروا وتهللوا ۞ فاختصر الكلام بان ضمن
التكبير معنى الشكر وعدى تعديته انتهى ۞ قال القرطبي
ذكر تعالى ذكر اسمه عليها فى الاية قبلها ۞ فقال فاذكروا اسم الله عليها

صواف ۞ وذكرهنا التكبير ۞ وكان ابن عمر رضى الله عنهما يجمع بينهما
اذا نحر هديه فيقول بسم الله والله اكبر وهذا من فقهه رضى الله عنه
۞ وفى الصحيح عن انس رضى الله عنه قال ضحى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده ووضع قدمه على
صفاحهما وسمى وكبر ۞ وروى ابو داود عن جابر قال ذبح النبى
صلى الله عليه وسلم يوم النحر كبشين اقرنين موجوئين املحين فلما وجههما
قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا الى قوله وانا
اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر
ثم ذبح وبشر المحسنين اى الممتثلين اوامره بالثواب ۞ قال
القرطبي روى انها نزلت فى الخلفاء الاربعة حسب ما تقدم فى الاية
التى قبلها ۞ فاما ظاهر اللفظ فمقتضاه العموم فى كل محسن ان الله
يدفع مكى وبصرى ۞ وعمرو يدافع ۞ اى يبالغ فى الدفع عنهم عن الذين
آمنوا اى يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ۞ ونحوه انا لننصر رسلنا
والذين امنوا ۞ وقال انهم لهم المنصورون ۞ واخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب ۞ ثم علل ذلك بقوله ان الله لا يحب كل خوان
فى امانة الله كفور لنعمة الله ۞ اى لانه لا يحب اضدادهم وهم الخونة
الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون امانتهم ويكفرون
نعمة الله ويغبطونها ۞ قال القرطبي قوله ان الله يدفع عن الذين
امنوا الاية روى انها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة واذاهم
الكفار وهاجر منهم حزب الى ارض الحبشة واراد بعض مؤمنى مكة ان يقتل
من امكنه من الكفار ويغار ويغدر ويخان فنزلت هذه الاية الى قوله

كفور • فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى عن الخيانة والغدر
• وقد مضى في الانفال الشديد في الغدر وانه ينصب للغادر
لواء بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان انتهى • قال
صاحب الدر الدراري قال مقاتل ان الله يدافع كفار مكة عن الذين امنوا بمكة
هذا حين امر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم
فاستاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في قتلهم سرا فانهاهم • قال
وهذه الاية بشارة للمؤمنين باعلائهم على الكفار وكف بوائقهم عنهم
• قال ونظير قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور • قوله لا تخونوا الله
والرسول وتخونوا اماناتكم • قال مقاتل اقروا بالصانع وعبدوا
غيره فاي خيانة اعظم من هذه انتهى اذن مدني وبصري وعاصم
• اذن غيرهم للذين يقاتلون وبفتح التاء مدني ومكي وشامي • والمعنى
اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه
بانهم ظلموا بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله صلى الله
قال الزمخشري ص عليه وسلم • كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون
رسول الله صلى الله عليه من بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه • فيقول
لهم اصبروا • فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه • وهي
اول آية اذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية
• وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة
فاذن لهم في قتالهم كذا في الكشاف • قال القرطبي قيل هذا
قوله ص بيان ان الله يدفع عن الذين امنوا الخ • اي يدفع عنهم غوائل الكفار
بان يبيح لهم القتال وينصرهم • قال ابن عباس وابن جبير

نزلت

نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة • وروى النسائي
والترمذي عن ابن عباس قال لما اخرج النبي صلى الله عليه من مكة قال
ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن • فانزل الله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير • فعلم ابو بكر رضي الله عنه لقد علمت
انه سيكون • قال الترمذي حديث حسن صحيح • قال وفي الاية
دليل على ان الاباحة من الشرع خلافا للمعتزلة لان قوله اذن معناه ابيح
وهو لفظ موضوع في اللغة لاباحة كل ممنوع • قال وقراءة من قرأ
يقاتلون بكسر التاء اي يقاتلون عدوهم • ومن قرأ يقاتلون بفتح
التاء اي يقاتلهم المشركون وهم المؤمنون وهذا قال بانهم ظلموا
اي اخرجوا من ديارهم انتهى • ونزلت هذه الاية بالمدينة • قال
الكواشي ونسخت هذه الاية سبعين آية لانها اول اية نزلت في الاذن
بالقتال • قال القرطبي كان رسول الله صلى الله عليه قبل بيعة
العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم يحل له الدماء انما يومر بالدعاء
الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل • مدة عشرة اعوام
لاقامة حجة الله تعالى عليهم • ووفى بعهده الذي امتن به بفضله
في قوله • وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا • فاستمر الباس في الطغيان
وما استدلوا بواضح البرهان • وكابد قريش فاضطهدت من تبعه
من قومه من المهاجرين فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم
فمنهم من فر الى ارض الحبشة • ومنهم من خرج الى المدينة • ومنهم
من صبر على الاذى • فلما عتت قريش على الله تعالى • وردوا امره
وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم • وعذبوا من امن به وعبده ووحده

اول آية نزلت في الاذن بالقتال

وصدق نبيه عليه السلام واعنصم بدينه اذن الله لرسوله في القتال
والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وانزل اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا الى قوله الامور قال القرطبي في هذه الاية دليل على ان
نسبة الفعل الموجود من المكره مسببة الى الذي اكاه
واكرهه لان الله سبحانه نسب الاخراج الى الكفار وهذه الاية مثل
قوله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا والكلام فيهما واحد وقد تقدم في براءة
انتهى كلامه وان الله على نصرهم على نصر المومنين لقدير قادر
وهي بشارة للمومنين بالنصر وهو مثل قوله ان الله يدافع عن الذين
امنوا الذين في محل جر بدل من الذين او نصب باعني او رفع
باضمار هم اخرجوا من ديارهم بمكة بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله
اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب والتمسك لا موجب
الاخراج لامر ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ومحل
ان يقولوا جر بدل من حق والمعنى ما اخرجوا من ديارهم
الا بسبب قولهم ولولا دفع الله دفاع ندبي ويعقوب الناس
بعضهم ببعض لهدمت وبالتخفيف حجازي صوامع وبيع وصلوات
ومساجد اي لولا اظهاره وتسليطه المسلمين على الكافرين بالمجاهدة
لاستولى المشركون على اهل الملل المخالفة فراز منتهم وعلى متعبداتهم
فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا
لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد وسميت الكنيسة صلاة
لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية
صلوثا او لغلبة المشركون فراز منة محمد صلى الله عليه وسلم

الافرار

اي كنايس ر

على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين كذا في المدارك قال القرطبي قال ابن عباس الصلوات
الكنائس وقال ابو العالية الصلوات مساجد الصابئين وقال
ابن زيد هي صلوات المسلمين تنقطع اذا دخل عليهم العدو وتهدم
المساجد فعلى هذا استعير الهدم للصلوات من حيث التعطيل
او اراد مواضع صلوات فحذف المضاف وعلى قول ابن عباس
يكون الهدم حقيقة وقال الحسن هدم الصلوات تركها وقال
قطرب الصلوات هي الصوامع الصغار ولم يسمع لها واحد وذهب
حصيف الى ان القصد بهذه الاسماء تقسيم متعبدات الامم
فالصوامع للرهبان والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد
للمسلمين قال ابن عطية والاظهر انها قصد بها المبالغة وذكر
المتعبدات وهذه الاسماء تشترك الامم في مسمياتها الا
البيعة فانها مخصصة بالنصارى فرقه العرب ومعاني هذه الاسماء
هي الامم التي لهم كتاب على قدم الدهر ولم يذكر في هذه الاية
المجوس ولا اهل الاشراك لانهم لا كتاب لهم ليس لهم ما يحث حمايته ولا يوجد
ذكر الله الا عند اهل الشرائع قال القرطبي لقد امت صوامع
اهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين قيل لانها اقدم
بناء وقيل لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر كما
اخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات انتهى كلام القرطبي تذكر فيها اسم الله كثيرا في المساجد
او في جميع ما تقدم ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه

واجاب الرا
كواب مالث
ولان الله او
اخر العمل فلما ك
رسولنا صلى الله عل
متاخرا اخر الامم لا
كانوا اخره وان

واولیآءه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ قال فخر الدين الرازى نَصْرُ اللهِ العبدَ
ان يقوّيه على اعدايه حتى يكون هو الظاهر ويكون بايضاح
الادلة والبيّنات ويكون بالاعانه على المعارف والطاعات
وفيه ترغيب فى الجهاد من حيث وَعَدَهم النصر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾
على نصر اوليآيه ﴿عَزِيزٌ﴾ على انتقام اعدايه ﴿الَّذِينَ﴾ محله نصبٌ بدلٌ
ممن ينصره او جرٌّ تابعٌ للذين اخرجوا ﴿إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾
وصف سبحانه وتعالى الذين أُذِنَ لهم فى القتال فى الاية وقال الذين
ان مكنّاهم فى الارض قال الزمخشرى هذا اخبار من الله سبحانه
بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرةُ المهاجرين رضى الله عنهم انّ
مكّنهم فى الارض وبسط لهم فى الدنيا وكيف يقومون بامر الدين
وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناءٌ قبل بلاءٍ يريد انّ
الله تعالى قد اثنى عليهم قبل ان يجدوا من الخير ما احدثوا قالوا
فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لان الله تعالى لم يعط التمكين
ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظّ لذلك
للانصار والطلقآء وعن الحسن هم امّة محمد صلى الله عليه وسلم
انتهى كلام الزمخشرى قال فخر الدين الرازى المراد من هذا
التمكين السلطنة ونفاذ القول على الخلق لان المتبادر الى الفهم من قوله
مكناهم فى الارض ليس الا هذا ولانا لو حملناه على اصل القدرة
لكان كل العباد كذلك وحينئذ تبطل ترتيب الامور الاربعة عليه
المذكورة فى معرض الجزآء اذا ثبت هذا فنقول المراد بذلك

هم المهاجرون

اراد بالطلقآء اهل مكة ان سموا به بعد فتح مكة لانه عليه السلام اطلقهم بعد اسرهم

هم المهاجرون لان قوله الذين ان مكناهم صفةٌ لمن تقدم وهو قوله
الذين اخرجوا من ديارهم والانصار ما اخرجوا من ديارهم فيصير
معنى الاية انه تعالى وصف المهاجرين انه ان مكنهم من الارض
واعطاهم السلطنة فانهم اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة
وايتآء الزكوة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن قد ثبت ان الله
تعالى مكّن الائمة الاربعة من الارض واعطاهم السلطنة عليها
فوجب كونهم آتين بهذه الامور الاربعة ولا يجوز حملها
على على رضى الله عنه لان الاية دالة على الجمع انتهى كلام الرازى قال
القرطبى المراد بقوله الذين ان مكناهم فى الارض اربعة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فى الارض غيرهم وقال
ابن عباس المراد المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وقال
قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة هم اهل الصلوات الخمس
وقال الحسن وابو العالية هم هذه الامة اذا فتح الله عليهم اقاموا
الصلاة وقال ابن لهيعة يعنى الولاة وقال الضحاك هو شرط
شرطه الله عز وجل على من اتاه الملك وهذا حسن قال
سهل بن عبد الله الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على السلطان
وعلى العلمآء الذين يفتون ولیس على الناس ان يأمروا السلطان لان ذلك
لا نفر له واجب عليه ولا يأمروا العلمآء فان الحجة قد وجبت عليهم
انتهى كلام القرطبى ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ اى مرجعها الى حكمه وتقديره
وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليآيه واعلآء كلمتهم قال
الرازى وفيه دلالة على ان الذى تقدم ذكره من سلطنتهم وملكهم كائن

لا محالة ۞ لان الامور ترجع الى الله تعالى بالعاقبة فانه سبحانه هو
الذى لا يزول ملكه ابدا ۞ وهذا ايضا يؤكد ما قلناه اخيرا من كلامه ۞
وان يكذبوك هذا تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم من يكذب اهل
مكة اياه ۞ اى لست باوحدى فى التكذيب فقد كذبت قبلهم
قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا وثمود صالحا
وقوم ابرهيم ابرهيم وقوم لوط لوطا + واصحاب مدين شعيبا
وكذب موسى كذب به فرعون والقبط ۞ ولم يقل وقوم موسى
لان موسى عليه السلام ما كذب به قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير
قومه ۞ وجواب آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم
وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وظهور معجزاته فما ظنك بغيره
كداوى المدارك فامليت للكافرين فامهلتهم واخرت عقوبتهم ثم
اخذتهم عاقبتهم على كفرهم فكيف كان نكير انكارى وتغييرى
حيث ابدلتهم بالنعم نقما ۞ وبالحيوة هلاكا ۞ وبالعمارة خرابا
۞ نكيرى بالياء فى الوصل والوقف يعقوب فكاين من قرية اهلكناها
اهلكتها بصرى وهى ظالمة حال اى واهلها مشركون فهى خاوية
ساقطة من خوى النجم اذا سقط ۞ او خالية من خوى المنزل
اذا خلا من اهله ۞ وخوى بطن الحامل على عروشها متعلق بخاوية
والمعنى انها ساقطة على سقوفها ۞ اى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف ۞ ولا محل لجملة فهى خاوية من
الاعراب لانها معطوفة على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل
۞ وهذا اذا جعلنا كاين منصوب المحل على تقدير كثيرا من القرى

اهلكناها وبئر معطلة اى متروكة لفقد دلوها ورشائها
ورفض تفقدها ۞ او هى عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء
الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر مشيد
مجصص من الشيد الجص ۞ او مرفوع البنيان من شاد البناء رفعه
۞ والمعنى كم قرية اهلكناها ۞ وكم بئر عطلنا عن سقايها
وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه ۞ اى اهلكنا واردتها البادية من
والحاضرة جميعا فخلت القصور عن اربابها والآبار عن واردتها
۞ والاظهر ان البئر والقصر على العموم كداوى المدارك ۞ قال
الزمخشرى وفى هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه ۞ وروى
ان هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن آمن به ونجاهم
الله من العذاب ۞ وهى بحضرموت ۞ وانما سميت حضرموت لان صالحا
حين حضرها مات ۞ وثمة بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها
قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم
كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا
فقتلوه فاهلكهم الله بعد وعطل بئرهم وخرب قصورهم اهـ
كلام الزمخشرى ۞ وقال القرطبى وقال ان هذه البير
والقصر بحضرموت معروفان ۞ فالقصر مشرف على قلة جبل
لا يرتقى اليه كال ۞ والبئر فى سفحه لا تقر الريح شيئا سقط فيه
الا اخرجته ۞ واصحاب القصر ملوك الخضر ۞ واصحاب البئر
ملوك البوادى ۞ فاهلكنا هولاء وهولاء ۞ وذكر الضحاك وغيره
فيما ذكره الثعلبى وابو بكر محمد بن الحسن المقرى وغيرهما ان البئر كانت

بعدن باليمن بحضرموت فى بلد يقال لها حضورا نزل بها اربعة
الاف ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فمات صالح
فسموا المكان حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حضورا
وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا يقال له الفلس
بن جلاس بن سميد فيما ذكره العزيزى وقال الثعلبى جلهس
بن جلاس وكان حسن السيرة فيهم عادلا عليهم وجعلوا وزيره
شيخا ريب من سوادة فاقاموا هناك دهرا وتناسلوا حتى كثروا وكانت
البئر تسقى المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم
والبقر وغير ذلك لانها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها
ورجال كثير موكلون بها وآبار بالنون من رخام وهى شبه
الحياض كثيرة تملأ للناس واخر للدواب واخر للسقر واخر
للغنم والقوم يسقون عليها بالليل والنهار يتداولون عليها
ولم يكن لهم ما عمرها وطال عمر الملك الذى امرهم فلما جاءه
الموت اطلى بدنه لتبقى صورته ولا يتغير وكذا كانوا يفعلون
اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق عليهم
ذلك ورأوا ان امرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكاء وغشيتهم
الشيطان منهم فدخل فى جثة الملك بعد موته بايام كثيرة فكلمهم
وقال انى لم امت ولكن تغيبت عنكم حتى ارى صنيعكم ففرحوا
اشد الفرح وامر خاصته ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم
ويكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت فى صورته ونصبوا صنما
من وراء الحجارة لا ياكل ولا يشرب واخبرهم انه لا يموت ابدا

وانه

فعكفوا ظ
مكسه

وانه الالهة لهم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق
كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم اقل من المصدق
به وكلما تكلم ناصح لهم زجروه وقهروه فاصطفوا على عبادته فبعث
الله اليهم نبيا كان الوحى ينزل عليه فى النوم دون اليقظة
وكان اسمه حنظلة بن صفوان فاعلمهم ان الصورة صنم لا روح
فيها وان الشيطان قد اضلهم وان الله لا يتمثل بالخلق وان الملك
لا يجوز ان يكون شريكا لله تعالى ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة
الله ونقمته فاذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة حتى قتلوه
فى السوق وطرحوه فى البئر فعند ذلك اصابتهم النقمة فبانوا شباعا
رواء من الماء فاصبحوا والبئر قد غارماؤها وتعطلت رشاؤها فضاجوا
باجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشا حتى عمهم
الموت وشملهم الهلاك وخلفتهم فى ارضهم السباع وفرمنا لهم
الثعالب والضباع وتبدلت جناتهم واموالهم بالسدر والشوك
العضاه فلا يسمع فيها الا عريف الجن وزئير الاسد نعوذ بالله
من سطواته ومن الاصرار على ما يوجب نقماته قال
السهيلى واما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن ارم لما
بنى فى الارض مثله فيما ذكروا وزعموا وحاله ايضا كحال البئر
المذكورة فى ايحاشه بعد الانيس واقفاره بعد العمران وان احدا
لا يستطيع ان يدنو منه على اميال مما يستمع فيه من عريف الجن والاصوات
المنكرة بعد النعم والعيش الرغيد وبها دار الملك وانظام الاهل
كالسلك فباد واوما عادوا فذكرهم الله تعالى فى هذه الاية موعظة

هذه م

وعبرة وتذكرة وذكرى • وتحذيرا من بغتة المعصية • وسوء
عاقبة المخالفة • نعوذ بالله من ذلك ونستجيره من سوء المآل
• وقال ان الذين اهلكهم نحن نصر على ما تقدم في سورة
الاسراء بوله ولم قصمنا من قرية كانت ظالمة فتقطعت بتر هم
وخربت قصورهم اهى كلام القرطبي افلم يسيروا في الارض
هذا حث على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا
آثارهم فيعتبروا • قال الزمخشري ويحتمل ان يكونوا قد سافروا
ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا
اهى فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها
اى يعقلون ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب
سماعه من الوحي • قال الرازي المقصود منه ذكر ما يتكامل
به ذلك الاعتبار لان للروية الحظ العظيم من الاعتبار • وكذلك
السماع للاخبار فيه مدخل • ولكن لا يكمل هذان الامران الا بتدبر
القلب لان من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع البتة
ولو تفكر بلا رؤية وسماع لا ينفع • ولهذا قال فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور الضمير في فانها ضمير القصة
والشان يجيء مونثا ومذكرا • وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
فانه • ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار • اى فانها
عميت ابصارهم عن الابصار • بل قلوبهم عن الاعتبار • قال
الزمخشري والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما
العمى بقلوبهم • اولا يجدي بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة

لما عمى

هم هو الاصم

الى عمى القلوب • قال ابن عطية • قال العرطي مادة
البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة والبصر النافع هو القلب
• وقال مجاهد لكل انسان اربع اعين عينان في راسه
لدنياه وعينان في قلبه لآخرته • فان عميت عينا راسه وابصرت
عينا قلبه لم يضره عماه شيا • وان ابصرت عينا راسه وعميت
عينا قلبه لم ينفعه نظره شيا • وقال مادة وابن جبير
نزلت هذه الاية في ابن ام مكتوم الاعمى • قال ابن عباس
ومقاتل لما نزلت هذه الاية ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم
يا رسول الله فانا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اى من كان في هذه
اعمى بقلبه عن الاسلام فهو في الاخرة في النار اهى • قال
الزمخشري قال قلت • اى فائدة في التصاق ذكر الصدور يعني
ان كل احد يعلم ان القلب لا يكون الا في الصدر • قلت
الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه البصر
وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها • واستعماله في القلب
استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة
العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير
الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب
لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي
بين فكيك • فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه
وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير • وكانك قلت ما نفيت

المضاء عن السيف واثبته للسانك فلنة ولا سهوا مني ولكن
تعمدته بالياء بتية تعمدا انتهى كلام المحسري ه قال
الرازي وعندي وجه آخر وهو ان القلب قد يجعل كناية عن الخاطر
والتدبر كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ه وعند
قوم ان محل التفكر هو الدماغ فالله تعالى بين ان محل ذلك هو
الصدر ه قال ولقائل هل تدل الاية على ان العقل هو العلم
وعلى ان محل العلم هو القلب الجواب نعم لان المقصود من قوله
تعالى يعقلون بها العلم ه وقوله يعقلون بها يدل على ان القلب
آلة التعقل ومحل له ه وسمي الجهل بالعمى لان الجاهل لكونه
متحيرا يشبه الاعمى انتهى كلام الرازي ويستعجلونك بالعذاب
الاجل استهزاء ولن يخلف الله وعده انكر استعجالهم بالمتوعد
به من العذاب العاجل او الاجل ه كانه قال ولم يستعجلون به
كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على من يجوز عليه
الخلف ه والله لا يخلف الميعاد ه وما وعده ليصيبنهم ولو بعد
حين وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون يعدون ملكي
وكوفي غير عاصم ه اي كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد
من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدايد
طوال ه قال القرطبي نزلت في النضر بن الحارث وهو قوله ائتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ه وقيل انها نزلت في جهل
بن هشام وهو قوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ه وقوله
وان يوما عند ربك الاية ه قال ابن عباس ومجاهد يعني من ايام
الى

في المدارك وذكر
بعد ورليان ان محل
العلم القلب ه وليلا
ان القلب يعني
غير هذا العضو
ال القلب لب
شي ص

لهذا ظ

الزمخشري او كان
اليوم الواحد
مدة عذابه كالف
سنة من سني العذاب
ص

التي خلق الله فيها السموات والارض ه وقال عكرمة يعني من ايام
الاخرة ه فاعلمهم الله اذا استعجلوه بالعذاب فرايام قصيرة فانه
يأتيهم به في ايام طويلة ه قال الفراء هذا وعيد لهم بامتداد
عذابهم في الاخرة ه اي يوم من ايام عذابهم الف سنة ه وقيل
المعنى وان يوما في الخوف والشدة في الاخرة كالف سنة من سني الدنيا
فيها خوف وشدة ه وكذلك يوم النعيم فيما سواه انتهى ه وكاين من قرية
املیت لها وهي ظالمة اي وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين
قد انظرتهم حينا ثم اخذتها بالعذاب والي المصير اي المرجع
الي فلا يفوتني شيء ه قال قيل وكاين من قرية اهلكتها
بالفا ه وقال هنا وكاين من قرية املیت لها بالواو فلم كانت الاولى
معطوفة بالفا وهذه بالواو قيل الاولى وقعت بدلا عن قوله
فكيف كان نكير ه واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ه قال القياس ان يقال
انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قيل الحديث
مسوق للمشركين ه ويا ايها الناس ندا آخر لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا
ووصفوا بالاستعجال ه وانما اقحم المومنون وثوابهم ليغاظوا ه وقدم
نذير مبين وبشير ه فبشر اولا فعال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم اي حسن ه ثم انذر فعال
والذين سعوا في آياتنا اي القرآن معاجزين حال ه معجزين حيث كان مكي وابن عمرو

ابن لكم ما كنا
من امر دينكم

وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما فى طلب اعجاز الاخر عن اللحاق
به • فاذا سبقه قيل اعجزه الطعن وعجزه • والمعنى سعوا فى ابطال معناها
بالفساد من الطعن فيها حيث سموها شعرا وسحرا واساطير الاولين
ومن تثبيط الناس عنها سابقين فى زعمهم وتقديرهم
طامعين ان كيدهم للاسلام ينفذ لهم اولئك اصحاب الجحيم
النار الموقدة وما ارسلنا من قبلك من ابتدا الغاية من رسول
من زايدة لتاكيد النفى ولا نبى قال فى المدارك هذا دليل بين على
ثبوت المغايرة بين الرسول والنبى • واختلفوا فى ذلك • فقال بعضهم
كما قال الامام فخر الدين الرسول هو الذى حدث وارسل • والنبى هو الذى
لم يرسل • ولكنه الهم او راى فى النوم • وقال بعضهم هما واحد
فكل رسول نبى وكل نبى رسول ولا فرق بينهما • واحتجوا على فساد
القول الاول بوجوه احدها هذه الاية فانها دالة على ان النبى
قد يكون مرسلا • وكذا قوله تعالى وما ارسلنا فى قرية من نبى • وبانها
ان الله خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم مرة بالنبى ومرة بالرسول
فدل هذا على انه لا منافاة بين الامرين • وعلى القول الاول المنافاة
حاصلة • وبالثانى انه تعالى نص على انه خاتم النبيين • ورابعها
ان اشتقاق لفظ النبى اما من النباء وهو الخبر • او من قولهم نبا اذا
ارتفع • والمعنيان لا يحصلان الا بقبول الرسالة • واما القول
الثانى فلا ابطله شئ من تلك الوجوه بل هذه الاية تدل عليه لانه عطف
النبى على الرسول وذلك يوجب المغايرة • وهو من باب عطف العام
على الخاص • وقال فى موضع اخر وكم ارسلنا من نبى فى الاولين

وذلك

وس النبى والرسول

الامام فخر الدين ر

بعضهم كل رسول
ما ليس كل نبى
ولا • وقال
سرله ص

وذلك يدل على انه كان نبيا فجعله الله رسولا • وقيل الرسول الله
صلى الله عدد كم المرسلون فقال ثلثمائة وثلاثة عشر • قيل وكم الانبيا
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا جما غفيرا • هذا الحديث
رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه من حديث ابى ذر
بلفظ وعشرون الفا • وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات • ورواه احمد
واسحق بن راهويه فى مسنديهما من حديث ابى امامة بلفظ واربعة
وعشرون الفا • وقال فى الرسل بضعة وخمسة عشر كذا ذكره الشيخ
ولى الدين ابو زرعه العراقى فى كتاب الانصاف من الكشاف • قال
فخر الدين الرازى ذكروا فى الفرق بين الرسول والنبى امورا • احدها ان
الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه • والنبى غير
الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى كتاب من قبله
• والثانى ان من كان صاحب معجزة وصاحب كتاب وشرع شرع
من قبله فهو الرسول ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبى غير
الرسول • وهو لا يلزمهم ان لا يجعلوا اسحق ويعقوب وايوب ويونس
وهرون وداود وسليمان مرسلين لانهم ما جاوا بكتاب ناسخ • والثالث
ان من جاءه الملك ظاهرا وامره ان يدعو الخلق فهو الرسول • ومن لم يكن
كذلك بل راى فى النوم كونه رسولا او اخبره واحد من الرسل بانه رسول
فهو النبى الذى لا يكون رسولا • وهذا هو الاولى انتهى كلام الرازى
قال فى المدارك وقيل الرسول واضع شروع والنبى حافظ
شرع غيره انتهى الا اذا تمنى اى قراءة • وانشد
تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل

ألقى الشيطان في أمنيته تلاوته كذا فسره في المدارك ٠
وقال الزمخشري السبب في نزول هذه الآية ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفوه
تمنى ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم
فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو وادي
قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها ٠ فلما بلغ قوله ومناة
الثالثة الاخرى ألقى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس
اليه بما شفعها به ٠ فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط
الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى اشتد
كلام الزمخشري ٠ وقال الشيخ ولي الدين ابو زرعة العراقي
في الانصاف من الكشاف ٠ روى هذا الحديث البزار ومسنده
والطبراني في معجمه من حديث سعيد بن جبير ٠ قال في رواية البزار
عن ابن عباس فيما احسب ٠ الشك في الحديث ٠ وقال في رواية
الطبراني لا اعلمه الا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
بمكة فقرأ سورة النجم حتى انتهى الى قوله تعالى افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى فجرى على لسانه تلك الغرانيق العلى الشفاعة
منها ترتجى ٠ قال فسمع بذلك مشركو مكة ٠ فسروا بذلك
فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته ٠ ثم قال
البزار هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد

متصل

متصل يجوز ذكره الا بهذا الاسناد ٠ ولا نعلم احدا اسند هذا
الحديث الا امية بن خالد وغيره يحدث عنه عن بشر عن سعيد
بن جبير مرسلا ٠ وانما يعرف هذا الحديث عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس ٠ وامية ثقة مشهور ٠ وقال ابو حيان
ذكر المفسرون في كتبهم ابن عطية والزمخشري فمن قبلهما ومن
بعدهما ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين فكيف بالمعصوم صلوات
الله وسلامه عليه ٠ وهي قضية سئل عنها الامام محمد بن اسحق جامع
السيرة النبوية ٠ فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف في ذلك
كتابا ٠ وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وقال
معناه ان رواتها مطعون عليهم ٠ وليس في الصحاح ولا في التصانيف
الحديثية شيء مما ذكروه فوجب اطراحه ٠ ولذلك نزهت كتابي
عن ذكره فيه ٠ والعجب من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله تعالى
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى ٠ وقال تعالى امرا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما يكون
لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي ٠ وقال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ٠
٠ وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا الآية
فالتثبيت واقع ٠ والمقاربة منفية ٠ وقال تعالى لنثبت به فؤادك
٠ وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى ٠ وهذه نصوص تشهد بعصمته
٠ وأما من جهة المعقول فلا يمكن ذلك لا يجوزه تطرق
الى تجويزه في جميع الاحكام والشريعة ٠ فلا يؤمن فيها التبديل والتغيير

واستحالة ذلك معلومة ۞ قال الشيخ ولي الدين وقال القاضي عياض في الشفا ويكفيك في توهين هذا الحديث انه لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ۞ وانما اولع به ومثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ۞ وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والمفسرين وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته ۞ فقائل يقول انه قالها في الصلاة ۞ واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة ۞ واخر يقول قالها وقد اصابته سنة ۞ واخر يقول بل حدث نفسه فسها ۞ واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه ۞ وانه صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام قال ما هكذا اقرأتك ۞ واخر يقول بل اعلمهم الشيطان انه صلى الله عليه وسلم قرأها ۞ فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ۞ ومن حكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين وغيرهم لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب ۞ واكثر الطرق عنهم ضعيفة والمرفوع منها حديث البزار ۞ وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره بسوى ما ذكره وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك ۞ وحديث الكلبي الذي اشار اليه لا يجوز روايته لكذبه وقوة ضعفه ۞ والذي منه في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد

فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس انتهى كلام ابي زرعة ۞ وقال في المدارك قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان في نادي قومه فقرأ والنجم فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى جرى على لسانه ملك الغرانيق العلى ۞ وان شفاعتهن لترتجى ۞ ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه ۞ وقيل نبهه جبريل عليه السلام فاخبرهم ان ذلك كان من الشيطان ۞ قال صاحب المدارك وهذا القول غير مرضي لانه لا يخلو اما ان يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بها عمدا ۞ وانه لا يجوز لانه كفر ۞ ولانه بعث طاعنا للاصنام لا مادحا لها ۞ او اجرى الشيطان ذلك على لسان النبي صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه ۞ وهو ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ۞ ففي حقه اولى ۞ او جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة ۞ وهو مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ۞ ولانه تعالى قال في صفة المنزل عليه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ۞ وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۞ فلما بطلت هذه الوجوه لم يبق الا وجه واحد وهو انه صلى الله عليه وسلم سكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى ۞ فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلا بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم ۞ فوقع عند بعضهم انه عليه السلام هو الذي تكلم بها ۞ فيكون هذا القاء في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ۞ وكان الشيطان يتكلم في زمن

النبي صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامه ۞ فقد روى انه
نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل ۞ وقال يوم بدر له غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم انهى كلام صاحب المدارك
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اى يذهب به ويبطله ويخبر انه
من الشيطان ۞ اعلم انه سبحانه لما شرح حال هذه الوسوسة
اردف ذلك بحثين الاول كيفية ازالتها وذلك هو قوله
تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان والمراد ازالة اثره
فهو النسخ اللغوي لا النسخ الشرعي المستعمل في الاحكام ثم يحكم
الله آياته يثبتها ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان والله
عليم بما اوحى لانبيه بقصد الشيطان حكيم لا يدعه حتى يكشفه
ويزيله ۞ البحث الثاني انه ما اثر تلك الوسوسة ۞ ثم انه سبحانه
شرح اثرها في حق الكفار اولا ۞ ثم في حق المؤمنين ثانيا ۞ اما في حق الكفار
فهو قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة محنة وابتلاء للذين في
قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم هم المشركون المكذبون
فيزداد وابه شكا وظلمة وان الظالمين المنافقين والمشركين
۞ واصله وانهم فوضع الظاهر موضع المضمر قضاء عليهم بالظلم
لبغي شقاق خلاف بعيد عن الحق ۞ واما في حق المؤمنين
فهو قوله وليعلم الذين اوتوا العلم بالله وبدينه وبالآيات انه
ان القرآن الحق من ربك فيؤمنوا به بالقرآن فتخبت فتطمئن
له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم فيتأولوا
ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه

المحمل

المحمل الصحيح الذي تقتضيه الاصول المحكمة حتى لا يلحقهم حيرة ولا
تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم ۞ ولما بين سبحانه حال الكافرين
اولا ثم حال المؤمنين ثانيا عاد الى شرح حال الكافرين مرة اخرى
فقال ولا يزال الذين كفروا في مرية شك منه من القرآن او من
الصراط المستقيم حتى تأتيهم الساعة بغتة فجأة او يأتيهم
عذاب يوم عقيم اليوم العقيم يوم بدر ۞ وانما وصف يوم الحرب
بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقمن لم يلدن
۞ او لان المقاتلين يقال لهما ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم
الحرب بالعقم على سبيل المجاز ۞ وقيل هو الذي لا خير فيه
يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا ۞ وقيل شديد
لا رحمة فيه ۞ وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه
۞ وعن الضحاك انه يوم القيمة ۞ وان المراد بالساعة مقدماتها
۞ قال العرطي مثل عذاب يوم لا ليل له وهو يوم القيمة ۞ قال
الجاحظ سمي يوم القيمة عقيما لانه ليس بعقب بعده يوما مثله انهى
الملك يومئذ اى يوم القيمة ۞ والتنوين عوض عن الجملة اى يوم
يبعثون ۞ او يوم تأتيهم ولم يأتهم لله فلا منازع له فيه ۞ يعني يوم القيمة
لله وحده لا منازع له ولا مدفع ۞ والملك هو اتساع المقدور لمن
له تدبير يحكم بينهم اى يقضي ۞ ثم بين حكمه فيهم بقوله فالذين
آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ۞ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
فاولئك لهم عذاب مهين ۞ اعلم انه تعالى لما ذكر ان الملك له يوم القيمة
وانه حكم للمؤمنين بالجنات اتبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين ۞ وافرد لهم

والكافرين با

بالذكر لعظم شأنهم فعال والذين هاجروا في سبيل الله خرجوا
من ديارهم مجاهدين ثم قتلوا في الجهاد او قتلوا شهداء او ماتوا
حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل الرزق الحسن الذي
لا ينقطع ابدا قال فخر الدين اختلفوا فيمن اريد بقوله والذين
هاجروا في سبيل الله فقال بعضهم من هاجر الى المدينة طلبا
لنصرة رسول الله وتقربا الى الله تعالى وقال اخرون المراد
من خرج مع الرسول مجاهدا او في سرايا له لنصرة الدين ولذلك ذكر
القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين واختلفوا من وجه آخر
فقال بعضهم المراد قوم مخصوصون وروى مجاهد انها نزلت
في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
وظاهر الكلام للعموم قال الزمخشري روى ان طوائف من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا
ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فانزل الله هاتين الآيتين انتهى قال القرطبي سبب
نزول هذه الآية لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد
الاسد قال بعض الناس من قتل في سبيل الله افضل ممن مات حتف
انفه فنزلت الآية مسوية بينهم وان الله يرزقهم جميعهم رزقا حسنا
وظاهر الشريعة يدل على ان المقتول افضل وقال بعض اهل
العلم ان المقتول في سبيل الله والميت في سبيل الله شهيد وقال
بعضهم هما سواء واحتج بالآية وبقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وبحديث ام حرام

انتهى كلام فخر الدين

فانها

فانها صرعت عن دابتها وماتت ولم تقتل فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم انت من اهل الجنة وبقوله النبي صلى الله عليه وسلم وحدث
عبد الله بن عتيك من خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله فخر
عن دابته فمات او لدغته حية فمات او مات حتف انفه فقد
وقع اجره على الله ومن مات بجمع ~~فقد استوجب الجنة~~ وذكر ابن
المبارك عن فضالة بن عبيد في حديث ذكر فيه رجلين احدهما اصيب
في غزاة بمنجنيق والاخر مات هناك فجلس فضالة عند الميت فقيل
له تركت الشهيد ولم تجلس عنده فقال ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت
ثم تلى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الآية وقال
سليمان بن عامر كان فضالة بن عبيد اميرا على الاجناد فخرج في جنازة
رجلين احدهما قتل والاخر توفي فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل
لما حفرته فقال ان اكرمها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده
ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اقرؤا قوله بعد والذين هاجروا في سبيل الله
ثم قتلوا او ماتوا هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره وهو معنى ما ذكره ابن المبارك
واحتج من قال ان للمقتول زيادة فضل بما ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل اي الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده
افضل الشهداء انتهى كلام القرطبي قال الرازي لا بد له من شرط
اجتناب الكبائر في كل وعد في القرآن لان هذا المهاجر لو ارتكب كبيرة
كان حكمه في المشية على قولنا ويخرج من ان يكون اهلا للجنة قطعا على
قول المعتزلة فان قيل ان كان كما قلتم فلم فضلوا على سائر المؤمنين
في الوعد قلنا يظهر بذلك ان ثوابهم افضل وقال تعالى

فاب

وقد قال بعد وقد قال بعد لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ۞ ومعلوم ان
من هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم وفارق اهله ودينه لتقوية دينه
ونصرة دينه مع شدة قوة الكفار وظهورهم صار فعله كالسبب
لقوة الدين ولهذا عظم محل الانصار حتى صار ذكرهم والثنا عليهم
تاليا لذكر المهاجرين لما آووه ونصروه انتهى كلام الرازى وان الله لهو
خير الرازقين لانه المخترع للخلق بلا مثال المتكفل للرزق بلا ملال
۞ قال فخر الدين الرازى اختلفوا فى معنى قوله وان الله لهو خير الرازقين
مع ان كل الرزق من عنده على وجوه ۞ احدها ان التفاوت انما
كان بسبب انه سبحانه يختص بان يرزق ما لا يقدر عليه غيره
۞ وثانيها ان يكون المراد انه الاصل وغيره انما يرزق من جهته
حضرته تعالى ۞ وثالثها ان غيره ينقل الرزق من يده الى يد
غيره لانه يفعل نفس الرزق ۞ ورابعها ان غيره اذا رزق
فانما يرزق اما لاجل المدح والثنا واما لغيره من الاغراض ۞ والله تعالى
منزه عن ان يرزق لغرض بل الرزق الصادر منه هو محض الاحسان
۞ وخامسها ان غيره انما يرزق لو حصل فى قلبه ارادة ذلك الفعل
وتلك الارادة من الله تعالى فالرازق فى الحقيقة هو الله تعالى ۞ وسادسها
ان الرزق يكون تحت منة الرازق ومنة الله تعالى اسهل تحملا من منة
الغير فكان هو خير الرازقين ۞ وسابعها انه لولا انه تعالى اعطى
ذلك الانسان انواع الحواس والصحة والسلامة والقدرة على الانتفاع
به لما امكن الانتفاع به ۞ فرزق العبد لا بد ان يكون مسبوقا برزق الله

ومخلفا

ومخلفا به حتى يحصل الانتفاع به ۞ واما رزق الله تعالى فانه لا حاجة
به الى رزق غيره ۞ فثبت انه سبحانه خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا
وبفتح الميم مدنى ۞ والمراد الجنة يرضونه لارفعها ما تشتهى الانفس
وتلذ الاعين ۞ قال فخر الدين الرازى فصل فى المدخل الذى
يرضونه انه خيمة من درة مضاء لها سبعون الف مصراع ۞ وقال
ابو القاسم القشيرى هو ان يدخلهم الجنة من غير مكروه تقدم ۞ وهو
نظير قوله تعالى فى عيشة راضية ۞ وقوله ارجعى الى ربك راضية مرضية
وقوله ورضوان من الله اكبر وان الله لعليم باحوال من قضى نحبه مجاهدا
واعمال من مات وهو ينتظر معاهدا حليم بامهال من قاتلهم تعاندا
ذلك اى الامر ذلك وما بعده مستانف ۞ قال الزجاج اى الامر
ما قصصنا عليك من انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا او ماتوا ومن
عاقب بمثل ما عوقب به سمى الابتدا بالجزا لملابسة له من حيث انه
سبب وذلك مسبب عنه ۞ قال القرطبى قال مقاتل نزلت
فى قوم من مشركى مكة اتوا قوما من المسلمين فى الليلة بقيت من المحرم
فقالوا ان اصحاب محمد يكبرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم
فناشدهم المسلمون ان لا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فابى المشركون الا
القتال فحملوا عليهم فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين وحل
فى نفس المسلم من القتال فى الشهر الحرام فنزلت الاية ۞ وقيل
نزلت فى قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين فقتلوهم يوم احد
فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ۞ اى من جازى الظالم بمثل ما ظلمه
فسمى جزاء الظلم ظلما لاستواء الفعلين فى الصورة ۞ وهو مثل وجزاء

كما يجاوز المنظر على
والتقبيض على التقبيض
للمداينة وغيره

سيئة سيئة مثلها ٥ ومثل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما
اعتدى عليكم ٥ وقد تقدم هذه الله معنى هذا في سورة البقرة انتهى كلامه
ثم بغي عليه اى بالكلام والاز عاج من وطنه ٥ وذلك ان المشركين كذبوا
نبيهم واذوا من امن به واخرجوهم وظاهروا على اخراجهم لينصرنه
من مكة الله اى من جازى بمثل ما فعل به ٥ ثم ظلم بعد ذلك فحق على الله ان ينصره
ان الله لعفو يمحو آثار الذنوب غفور يستر انواع العيوب ٥
في المدارك قال الزمخشري فان قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا
هذا الموضع قلت المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل
على العفو وترك العقوبة ٥ بقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله ٥ وان
تعفوا اقرب للتقوى ٥ ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور ٥ فحين
لم يؤثر ذلك وانتصر فهو تارك للافضل ٥ وكانه مذنب ٥ فمعنى
العفو انه لا يلومه على ترك الافضل وهو ما من لينصره في الكرة
من العفو الثانية اذا ترك العفو وانتقم من الباغي ٥ وعرض مع ذلك بما كان
اولى به من ذكرها بين الصفتين ٥ وقيل دل بذكر العفو والمغفرة
على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ٥
كما قيل العفو عند القدرة انتهى كلام المدارك ذلك بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اى ذلك
النصر للمظلوم بسبب انه قادر على ما يشاء ٥ ومن ايات قدرته
انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ٥ قال الزمخشري
فان قلت فما معنى ايلاج احد الملوين في الاخر ٥ قلت
تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بغيبوبة الشمس ٥ وضياء
ذلك

ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها ٥ كما يضر السرب بالسراج ويظلم
بفقده ٥ وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الاخر
من الساعات انتهى ٥ قال في المدارك وقيل معنى الاية
ذلك بان الله يولج الليل في النهار اى بسبب انه خالق الليل
والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما جرى فيهما على ايدي عباده
من الخير والشر والبغي والانصاف ٥ وانه سميع لما يقولون
ولا يشغله سمع عن سمع ٥ وان اختلفت في النهار الاصوات
بفنون اللغات ٥ بصير بما يفعلون ٥ ولا يستتر عنه شيء
بشيء وان في الليالي وان توالت الظلمات ذلك بان الله هو
الحق وان ما يدعون من دونه
العالي على كل شيء والعالي عن الاضداد هو الباطل وان الله هو العلي الكبير اى ذلك الوصف بخلقه
الليل والنهار واحاطته بما يجري فيهما وادراكه كل قول
وفعل بسبب انه الله هو الحق الثابت الهيته ٥ وان كل ما
يدعى الها دونه باطل الدعوة ٥ وانه لا شيء اعلى منه شانا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء مطرا فتصبح
الارض مخضرة بالنبات بعدما كانت مسودة يابسة ٥ اعلم
انه تعالى لما دل على قدرته من قبل بما ذكر من ولوج الليل في النهار
والنهار في الليل ونبه به على نعمه اتبعه بانواع اخر من الدلائل
على قدرته ونعمته ٥ وهي ستة ٥ اولها قوله الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ٥ قال الرازي قوله
الم تر فيه وجوه ثلاثة ٥ احدها ان المراد هو الرؤية الحقيقية قالوا

لا ر الما الناول من السما يرى بالعين واخضرار الارض النبات
على الارض يرى واذا امكن حمل الكلام على حقيقته فهو اولى
• وما هنا ان المنزل على سبيل الاستفهام • وما لها لم
تعلم • والقول الاول ضعيف لان الما وان كان مرئيا الا ان كون
الله منزلا له من السما غير مرئي • واذا ثبت هذا وجب حمله
على العلم • فان قلت لم قال فتصبح الارض ولم يقل فاصبحت
الجواب لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد
زمان • كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاغدو واروح شاكرا
له • ولو قلت فغدوت ورحت لم يقع ذلك الموقع • قال قلت
لم رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قيل لو نصب لاعطى
ما هو عكس الغرض • وهذا لا معناه اثبات الاخضرار فينقلب
بالنصب الى نفي الاخضرار • كما تقول لصاحبك الم تر اني انعمت
عليك فتشكرني ان نصبته نفيت شكره وشكوت من تفريط فيه
وان رفعته اثبت شكره • قاله الزمخشري • قال وهذا وامثاله
مما يجب ان يرغب له من تسمر بالعلم في علم الاعراب وتوفير
لاهله انهى • قال القرطبي فيه دليل على كمال قدرته اي من
يقدر على هذا قادر على اعادة الحيوة بعد الموت • كما قال فاذا انزلنا
عليها الماء اهتزت وربت • قال ابن عطية وروي عن عكرمة
انه قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة • ومعنى هذا انه اخذ
من قوله فتصبح انه صباح ليلة المطر وذاهب الى ان ذلك الاخضرار
بناحية من سايرالبلاد • وقد شاهدت هذا بتونس لا قصى نزل المطر
ليلا

ليلا بعد قحط اصبحت ملك الارض الرملة التي تسفيها الرياح
قد اخضرت بنبات ضعيف رقيق • اهر كلام القرطبي ان الله
لطيف واصل علمه او فضله الى كل شي خبير بمصالح الخلق ومنافعهم
او اللطيف المختص بدقيق التدبير • الخبير المحيط بكل قليل
وكثير • او لطيف بارزاق عباده • خبير بما في قلوبهم من الفتوة •
او لطيف باستخراج النبت • خبير بكيفية خلقه • الدلالة الثانية
قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وان الله هو
الغني المستغني بكمال قدرته بعد فناء ما في السموات وما في الارض
الحميد المحمود بنعمته قبل ثناء من في السموات ومن في الارض
• الدلالة الثالثة قوله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من البهايم
تعيبة للركوب في البر • قال الزاري سخر لكم ما في الارض اي ذلل لكم
ما فيها فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد • ولا اكثر تعيبة من النار
وقد سخر لكم وسخر الحيوانات اضاحي لتنفعوا بها من حيث الاكل
والركوب والحمل عليها والانتفاع والنظر اليها • فلولا تسخيره تعالى للابل
والبقر مع قوتها حتى يذل لها للضعف من الناس وهو يتمكن منها
لما كان ذلك نعمة • الدلالة الرابعة قوله والفلك تجري في البحر
بامره اي ومن المراكب جارية في البحر • ونصب الفلك عطفا على ما
• وتجري حال منها • اي وسخر لكم الفلك في حال جريها • الدلالة الخامسة
قوله ويمسك السما ان تقع على الارض اي يحفظها من ان تقع على الارض
الا باذنه بامره • او بمشيته • اي الا باذن الله لها بالوقوع فتقع
باذنه ان الله بالناس لرؤف بتسخير ما في الارض رحيم •

بامساك السماء ليلا تقع على الارض ۝ ودفع سايرالنقم ۝ قال
في المدارك عدد الاءه مقرونة باسمايه ليشكروه على الايه
ويذكروه باسمايه ۝ وقال الغرنوي عدد الاءه واسماءه ليشكروه
على الاءه الكبرى ويذكروه باسمايه الحسنى ۝ وعن لي حسنه
رحمه الله ان اسم الله الاعظم في الايات الثماني ليستجاب لقارئها
البتة من قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الى قوله
لرؤف رحيم انتهى كلام الغرنوي ۝ وهكذا نقله عن لي حسنه صاحب
المدارك ۝ الدلاله السادسه قوله وهو الذي احياكم في ارحام امهاتكم
بعد ان كنتم جمادا تراثا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم عند
انقضاء آجالكم ثم يحييكم لايصال جزايكم ان الانسان لكفور
لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم ۝ ودفع عنه صنوف
النقم ۝ اولكفور اى لا يعرف نعمة الله له الانشاء المبدئ
للوجود ۝ ولا الافناء المقرب الى الموعود ۝ ولا الاحياء الموصل
الى المقصود كذا في المدارك ۝ قال فخر الدين الرازي لما فصل
الله تعالى هذه النعم قال ان الانسان لكفور ۝ وهذا كما يعدد المرء
نعمه على ولده ثم يقول ان الولد لكفور لنعم الوالد زجرا له عن الكفران
وبعثا على الشكر ۝ ولذلك اورد تعالى ذلك في الكفار ۝ فبين انهم دفعوا
هذه النعم وكفروا بها وجهلوا خالقها مع وضوح امرها ۝ ونظيره
قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ۝ قال ابن عباس الانسان ههنا
هو الكافر ۝ وقيل هو الاسود بن عبد الاسد وابو جهل والعاص بن وايل
وابي بن خلف ۝ والاولى انه في كل المنكرين انتهى كلام الرازي

اعلم

اعلم انه تعالى لما ذكر نعمه اتبع ذكر نعمه بما كلف تعالى لكل امة
اهل دين ۝ انما حذف الواو من قوله لكل امة لانه لا تعلق لهذا الكلام
بما قبله فلا جرم حذف منه العاطف جعلنا منسكا مريقوه ۝ وهو
رد لقول من يقول ان الذبح ليس بشريعة الله اذ هو شريعة كل امة
هم ناسكوه عاملون به فلا ينازعنك فلا يجادلنك ۝ والمعنى فلا
تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك في الامر امر الذبح والدين
نزلت هذه الاية حين قال المشركون للمسلمين ما لكم تاكلون
ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعني الميتة وادع الناس الى ربك
الى عبادة ربك انك لعلى هدى مستقيم طريق قويم ۝ قال
الزمخشري فان قلت لم لم يذكر الواو في قوله لكل امة بخلاف
ما تقدم قلت لان ملك وقعت مع ما بينا سببها من الاى الواردة
في امر النسايك فعطفت على اخواتها ۝ واما هذه الاية وقعت
مع اباعد عن معناها فلم تجد تعطفا ۝ انتهى كلامه وان جادلوك
يا محمد يريد مشركي مكة اى خاصموك مراء وتعنتا كما يفعله السفها
بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال قل الله
اعلم بما تعملون اى فلا تجادلهم واد فعهم بهذا القول ۝ والمعنى
ان الله اعلم باعمالكم وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به ۝ وهذا
وعيد وانذار ولكن برفق ولين ۝ قال العرطي قال معاذل
هذه الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا وهو في السما السابعة
لما راى من ايات ربه الكبرى فاوحى الله اليه وان جادلوك بالباطل فادفعهم
بقولك الله اعلم بما تعملون من الكفر والتكذيب فامره الله بالاعراض عن مقالاتهم

صيانة له عن الاشتغال بتعنتهم ولا جواب لصاحب العناد
الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون هذا خطاب
من الله للمومنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب والعقاب
ومشاهدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم قال
العرطى هذه الاية ادب حسن علمه الله عباده فى الرد على من جادلك
تعنتا ومراء ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا القول الذى علمه
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان هذه الاية
منسوخة باية السيف يعنى السكوت عن مخالفته والا كتفاء بقوله
الله يحكم بينكم انتهى الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض اى
كيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث
فى السموات والارض ان ذلك الموجود فيما ذكر كتاب فى اللوح المحفوظ
ان ذلك على الله يسير اى علمه بجميع ذلك عليه يسير قال
الزاركى قوله الم تعلم هو استفهام تقرير معناه تقوية قلب الرسول صلى الله
عليه وسلم والوعد له وابعاد الكافرين ان كل فعلهم محفوظ عند الله
لا يضل عنه ولا ينسى قال والخطاب مع الرسول والمراد سائر
العباد قال وقوله ان ذلك فى كتاب يفهم ان علمه
تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فاى فايدة فى ذلك الكتاب
فنقول فى الاول ان كتبه ملك الاشياء فى ذلك الكتاب
مع كونها مطابقة للموجودات من ادل الدلايل على انه سبحانه
غنى فى علمه عن ذلك الكتاب وعن الثانى ان الملائكة ينظرون
فيه ليروا الحوادث داخلة فى الوجود على وفقه فصار ذلك دليلا لهم

الجواب عن

يدل

يدل على كونه سبحانه عالما بجميع المعلومات ثم اشار الى جهالة الكفار
بعبادتهم غير المستحق لها بقوله ويعبدون يريد كفار قريش من دون الله
ما لم ينزل به سلطانا ينزل لمكى وبصرى سلطانا حجة وبرهانا
وما ليس لهم به علم اى فى عبادتهم لها برهان سماوى من جهة
الوحى والسمع ولا الجاءهم اليها علم ضرورى ولا حملهم عليها
دليل عقلى وما للظالمين من نصير وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم
من احد ينصرهم ويجيب مذهبهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
يعنى القران تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر الانكار بالعبوس
والكراهة والمنكر مصدر كالمكر ومعنى الاكرام يكادون يسطون
يبطشون والسطو الوثب والبطش بالذين يتلون عليهم آياتنا
هو النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه قل افانبئكم بشر من ذلكم
من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة
والضجر بسبب ما تتلى عليكم النار خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال
ما هو فقال النار اى هو النار وعدها الله الذين كفروا استيناف
كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها خبرا وبئس المصير
النار ولما كانت دعوتهم بان لله شريكا جارية مجرى المثل
الامثال فى الغرابة والشهرة قال الله تعالى يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له لضرب هذا المثل قال وقد الذى جاء
به ليس بمثل فكيف سماه مثلا الجواب لما كان المثل فى الاكثر نكتة
عجيبة غريبة جاز ان يسمى كلما كان كذلك مثلا قال وقوله
ضرب مثل يفيد فيما مضى والله تعالى هو المتكلم بعد الكلام ابتداء

لم يتمسكوا

المسير

الجواب اذا كان ما يورد من الوصف فعلوما من قبل جاز نفيه
ذلك فيه • ويكون ذكره بمنزلة اعادة امر قد تقدم • وقوله
فاستمعوا له اى فتدبروه حق تدبره لان مس السماع لا ينفع وانما
ينفع بالتدبر ان الذين تدعون من يدعون سهل ويعقوب من دون الله
آلهة لن يخلقوا ذبابا لن لتاكيد نفي المستقبل • وتاكيده هنا الدلالة
على ان خلق الذباب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوه • وخصيص
الذباب لمهانته وضعفه واستقذاره • وسمي ذبابا لانه كلما ذب
استقذارة اب لاستكباره • وفي مسند ابي يعلى الموصلي من حديث
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر الذباب اربعون ليلة والذباب
كله في النار الا النحل • وفي الكامل عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذباب كله في النار غير النحل • فعلل كونه في النار ليس لعذاب
له وانما ليعذب به اهل النار بوقوعه عليهم • وروى النسائي
والحاكم عن لقيط عن ابيه قال كنت وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكوا بعيرنا فقال عليكم بتعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل
تعس الشيطان فانه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي • ولكن قل
بسم الله فانه يصغر حتى يصير مثل الذباب • وروى الطبراني وابن
لقيط الدنيا من حديث ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل بالمؤمن مائة
وستون ملكا يذبون عنه مما لا يقدر عليه • فمن ذلك سبعة املاك
يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف • ومما لو بدا لكم
لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه • ومما لو وكل
العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين • والذباب اجهل الخلق

لانه يلقي

لانه يلقي نفسه في المهلكة • وقال الجوهري يقال ليس شيء من الطيور
يلقح الا الذباب • وهو متولد من العفونة لم يخلق لله له اجفانا لصغر
احداقه • ومن شأن الاجفان ان تصقل مرآة الحدقة من الغبار فجعل
الله بعارها يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا تراى الذباب ابدا
يمسح بيديه عينيه • وفي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ولغ
الذباب في اناء احدكم فليمقله • فان في احد جناحيه داء وفي الاخر دواء
وانه يتقي بجناحه الذي فيه الداء • وفي رواية النسائي وابن ماجه
ان احد جناحي الذباب سم والاخر شفاء فاذا وقع في الطعام فامقلوه
فانه يقدم السم ويوخر الشفاء • وذباب الناس يتولد من البراز ويكثر
الذباب اذا هاجت ريح الجنوب ويخلق في تلك الساعة • واذا هبت ريح
الشمال خف وتلاشى • وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض • ومن
عجيب امره انه يلقي رجيعه على الابيض اسود وعلى الاسود ابيض • ولا يقع
على شجرة اليقطين • ولذلك انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام لانه خرج
من بطن الحوت لووقعت عليه ذبابة لآلمته • فمنع الله عنه الذباب
بذلك فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه • ولا يظهر كثير الا فيما كان العفونة
ومبدأ خلقه منها ثم من السفاده • ومما بقي الذكر على الانثى عامة اليوم •
وهو من الحيوان الشمسية لانه يختفي شتاء ويظهر صيفا • وفي شفاء الصدور
وتاريخ ابن البخار مسندا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقع على خده جسده
ولا ثيابه ذباب اصلا • وقد قاتل من سلمان يوما واسند ظهره الى القبلة
وقال سلوني عما دون العرش حتى اخبركم فقال له رجل الذبابة معاوها وقد مها
امر مؤخرها فبقي لا يدري ما يقول • كذا في حياة الحيوان للدميري • ولو اجتمعوا له

متحيرا امر

لخلق الذباب ۞ ومحله النصب على الحال ۞ كانه قال مستحيل منهم ان
يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه
۞ وهذا من ابلغ ما انزل الله في تجهيل قريش حيث وصفوا باياته الهية
التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات
عن احرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله
واذله ۞ ولو اجتمعوا لذلك كما في المدارك ۞ قال الرازي كانه سبحانه
قال ارهذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر على خلق ذبابة مع ضعفها فكيف
يليق بالعاقل جعلها معبودا ۞ فقوله اجتمعوا له نصب على الحال ۞ كانه يقول
يستحيل ان يخلقوا الذباب حال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم ۞ الذي
قوله **وان يسلبهم الذباب شيئا** بان مفعول يسلبهم **لا يستنقذوه منه**
اي هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف من الاصنام شيا فاجتمعوا
على ان يستخلصوه منه لم يقدروا ۞ وعن ابن عباس ان الاصنام كانت
بلمامه وستر صنها حول الكعبة وكانوا يضمخونها بانواع الطيب ويطلونها
بالزعفران ورؤسها بالزعفران ويغلقون عليها الابواب ويغلقون
عليها الابواب فيدخل الباب الذباب من الكوى فياكله ۞ فاذا سلبه الذباب
عجز الاصنام عن اخذه **ضعف الطالب** اي الصنم يطلب ما سلب منه
من الطيب **والمطلوب** الذباب يطلب ما سلب ۞ وهذا كالتسوية
بينهم وبين الذباب في الضعف ۞ ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف ۞ فالذباب حيوان وهو جماد والصنم جماد ۞ والذباب غالب
والصنم مغلوب ۞ وقال الغزنوي الطالب والمطلوب العابد والمعبود
۞ او السالب عن القدرة ۞ والمسلوب عن النصرة ۞ ويصلح مثلا للخادم
والمخدوم في شرك الاسباب ۞ فان المخدوم يحتاج الى ان يذب الخادم
عنه الذباب ۞ ويحرس عليه الباب ۞ وتملك الملوك بعون المماليك الممالك
ويدفع الحامي بالمحمي عن نفسه المهالك ۞ واحق من راى خدمته مستحقة
لو ظلمته بقة ۞ لا يرتجع منها حقه ۞ والجالس على سرير الشرف
باشرف مما منه وهو القلب ابدا قاير بين يدي من بين يديه يقوم
ساعة جلوسه وهو ناير ۞ فالحامي من المحمي اضعف ۞ والراعي من المرعي
لمخوف ۞ والمحتاج اليه الى من احتاج اليه احوج ۞ والمحتاج اليه الى
من احتاج اليه اهوج ۞ انتهى كلام الغزنوي **ما قدروا الله حق قدره**
ما عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذا الصنم الضعيف شريكا له
۞ او ما عظموه حق عظمته ۞ قال الغزنوي لم يعرفه اهل الشرك
حق الشريعة ۞ ولم يعرفه اهل الكوى حق الحقيقة ۞ وقال قطرب ما
وصفوه حق وصفه ۞ نزلت في اليهود حيث قالوا ان الله فقير ۞ وقال
ابن عباس في قولهم استراح الله يوم السبت ۞ واعلم ان منشاء
هذه الشبهات هو القول بالتشبيه فمن نزه ذات الله عن مشابهة
سايرالذوات خلافا لما يقوله المشبهة ۞ ونزه افعاله عن مشابهة
سايرالافعال اعني في الغرض والداعي واستحقاق المدح والذم
خلافا لما يقوله المعتزلة ۞ قال الامام ابو القاسم الانصاري
رحمه الله فهو سبحانه خيار النعت ۞ عزيز الوصف ۞ قال وهام لا تصوره
والافكار لا تقدره ۞ والعقول لا تميزه ۞ والابصار لا تدركه ۞ والجهات
لا تحويه ولا تحده ۞ صمدي الذات ۞ سرمدي الصفات كذا قاله الرازي
ان الله لقوي عزيز ان الله تعالى قادر غالب ۞ فكيف يتخذ العاجز
المغلوب شبيها به ۞ او لقوي ينصر اولياءه ۞ عزيز ينتقم من اعدايه ۞

قال الضحاك

قال الغربوى يقهر من عدل به قدر غيره ۞ عزيز يعز من اعترف بان لا يقدره احد حق قدره الله يصطفى يختار من الملايكة رسلا كجبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومن الناس رسلا كابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم عليهم السلام ۞ قال فى المدارك هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر ۞ وبيان ان رسول الله على ضربين ملك وبشر ۞ قيل نزلت حين قالوا ءانزل الله عليه الذكر من بيننا الاية ۞ قال فخر الدين الرازى اعلم انه سبحانه لما قدم ما تعلق بالالهيات ذكر ههنا ما يتعلق بالنبوات فان الولد من المنعم قال ءانزل عليه الذكر من بيننا فانزل الله هذه الاية ۞ قال قلت كلمة من للبعض فقوله الله يصطفى من الملايكة رسلا يقتضى ان يكون الرسل بعضهم لا كلهم ۞ وقوله جاعل الملايكة رسلا يقتضى كونهم كلهم رسلا ففيه تناقض ۞ والجواب جاز ان يكون المذكور ههنا من كان رسولا الى بنى ادم وهم اكابر الملايكة كجبريل وميكائيل واسرافيل والحفظة صلوات الله عليهم ۞ واما كل الملايكة فبعضهم رسل الى البعض إن الله سميع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته ۞ او سميع لاقوال الرسل فيما تتلقاه العقول ۞ بصير باحوال الامم فى الرد والقبول يعلم ما بين ايديهم ما مضى وما خلفهم ما الم يأت ۞ او ما عملوه وما سيعملونه ۞ او امر الدنيا وامر الاخرة وإلى الله ترجع الامور اى اليه مرجع الامور كلها ۞ والذى هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدبيره واختيار رسله ۞ ترجع شامى وحمزة وعلى ۞

يا ايها الذين

يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا فى صلوتكم ۞ وكانوا اول ما اسلموا يصلون بلا ركوع وسجود فامروا ان يكون صلوتهم بركوع وسجود ۞ وفيه دليل على ان الاعمال ليست من الايمان ۞ وان هذه السجدة للصلاة لا للتلاوة ۞ وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما ۞ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين ۞ وبذلك احتج الشافعى فرأى سجدتين فى سورة الحج ۞ وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع ۞ فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واعبدوا ربكم وافعلوا الخير وافعلوا الصنع لوجه الله لا الصنم قال الزمخشرى للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات ۞ وفى هذه السورة دلالات على ذلك ۞ فمن ثم دعى المؤمنين اولا الى الصلاة التى هى ذكر خاص ۞ ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والعمرة ۞ ثم عمم بالحث على سائر الخيرات ۞ قال فى المدارك وقيل اريد به صلة الارحام ومكارم الاخلاق ۞ قال الامام فخر الدين اعلم انه سبحانه لما تكلم فى الاصناف المختلفة من النبوات اتبعه الكلام فى الشرائع وهو من اربعة اوجه ۞ احدها تعيين المامور ۞ وثانيها اقسام المامور به ۞ وثالثها ذكر ما يوجب قبول تلك الاوامر ۞ ورابعها ذكر ما يزول ذلك التكليف ۞ اما الاول فهو قوله يا ايها الذين امنوا ۞ وفيه قولان احدهما المراد منه جميع المكلفين مومنا كان او كافرا لان التكليف عند هذه الاشياء عام لان الكل فلا معنى للتخصيص بالبعض ۞ وثانيهما ان المراد منه

قوله والخير الذكرى

المومنون فقط ه اما الاولان اللفظ صريح فيه ه واما ثانيا
فلان قوله بعد بعد ذلك هو اجتباكم ه وقوله هو سماكم المسلمين ه وقوله
وتكونوا شهداء على الناس كلها تدل على ان المراد منه المومنون ه انتهى
ما في الباب ان يقال لما كان ذلك واجبا على الكل فاى فايدة في التخصيص
فنقول تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ه فيمكن ان يكون
واجبا على الكل والخطاب مخصوص بالبعض لشرفه في وجود ذلك
البعض ه اما النوع الثاني وهو المامور به فقد ذكر الله تعالى امورا
اربعة ه الاول الصلاة وهو المراد من قوله اركعوا واسجدوا
لما كان اشرف اركان الصلاة الركوع والسجود كان ذكرهما جاريا
مجرى ذكر الصلاة ه الثاني قوله واعبدوا ربكم ه اى اعبدوه
ولا تعبدوا غيره ه او اعبدوا ربكم في سائر المامورات والمنهيات
ه الثالث قوله وافعلوا الخير ه قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم
الاخلاق ه والصلاة نوع من انواع العبادة ه والعبادة نوع من انواع
الخير لان الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم
لامر الله ه والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله
ه فكانه قال بعد قال امركم بالصلاة بل هو كما هو الا عم منها وهو
العبادة بل هو كما هو الا عم منها وهو فعل الخير انتهى كلام الرازي
ملخصا ه لعلكم تفلحون اى كي تفوزوا ه او افعلوا هذا كله وانتم
راجون الفلاح غير مستيقنين فلا تتكلوا على اعمالكم ه الرابع
قوله وجاهدوا امر بالغزو ه او بمجاهدة النفس والهوى وهو
الجهاد الاكبر ه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته
فقال

قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ه رواه البيهقي والزاهد
من حديث جابر ه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من
غزاة فقال صلى الله عليه وسلم قدمتم خير مقدم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر ه قيل وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد هواه
قال البيهقي اسناده فيه ضعيف ه قال في المدارك وجاهدوا في الله
وجاهدوا لله قيل هو كقولك حق عبد لامر جابر في الله اى في ذات الله
ومن اجله حق جهاده وهو ان لا يخاف في الله لومة لائم ه يقال
هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ه ومنه حق جهاده قال فلت ما
ه وكان القياس حق الجهاد فيه ه او حق جهاد كرمه فيه كما قال هذه الاضا
وجاهدوا في الله فلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص
ولما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه يفعل لوجهه ومن اجله
صحت اضافته اليه ه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله ه
ويوم شهدناه سليما وعامرا اى في الكشاف ه قال القرطبي
وقال مقاتل هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم
ه وكذا قال هبة الله ان قوله حق جهاده وقوله في الاية الاخرى
حق تقاته منسوخ بالتخفيف الى الاستطاعة وهذه الاوامر
ه ولا حاجة الى تقدير النسخ فان هذا هو المراد من اول الحكم ه وحق
جهاده ما ارتفع عنه الحرج ه وقد روى سعيد بن المسيب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم ايسره ه وقال ابو جعفر
النحاس وهذا مما لا يجوز ان يقع فيه نسخ لانه واجب على الانسان
كما روى حيوة بن شريح يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال المجاهد من جاهد

نفسه عز وجل ۞ وكما روى ابو غالب عن ابى امامة ان رجلا
سال النبى صلى الله عليه وسلم اى الجهاد افضل عند الجمرة الاولى فلم
يجبه ثم سأله عند الجمرة الثانية فلم يجبه ثم سأله عند جمرة العقبة
فقال صلى الله عليه وسلم اين السائل فقال انا ذا فقال صلى الله عليه وسلم
كلمة عدل عند سلطان جائر انتهى كلام القرطبى ۞ هو اجتباكم
اختاركم لدينه ولنصرته وما جعل عليكم فى الدين من حرج ضيق
بل رخص لكم فى جميع ما كلفكم من الطهارة والصلاة والصوم والحج
۞ بالتيمم والايماء والقصر والافطار بعذر السفر والمرض وعدم الماء
والراحلة ۞ كذا فى المدارك ۞ قال الزمخشرى فتح الله باب التوبة
للمحرمين وفتح بانواع الرخص وبالكفارات والديات والاروش
ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم يعلم يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
۞ وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الامة المرحومة الموسومة بذلك
فى الكتب المتقدمة ۞ وقال الامام فخر الدين الرازى قوله تعالى وما
جعل عليكم فى الدين من حرج هو كالجواب عن سؤال يذكر وهو ان
التكليف وان كان تشريفا لكنه شاق شديد على النفس فاجاب الله تعالى
ما جعل عليكم فى الدين من حرج ۞ وروى ان ابا هريرة رضى الله عنه
قال كيف قال الله ما جعل عليكم فى الدين من حرج مع انه منعنا عن الزنا
والسرقة فقال ابن عباس بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل
وضع عنكم ۞ قال ملا ما المراد بالحرج فى الاية الحوالة قيل
هو الاتيان بالرخص فمن لم يستطع ان يصلى قائما فليصل جالسا ومن لم
يستطع ذلك فليومئ ۞ واباح للصائم الفطر فى السفر والقصر فيه ۞ وانشا

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
يعنى من

فقد جعل

وقال ص

فقد جعل الله لكل مذنب مخرجا اما بالتوبة او بالكفارة ۞ وعن
ابن عمر رضى الله عنهما من اتاه رخصة فرغب عنها كلف يوم القيمة
ان يحمل ثقل من حتى ينقضى من الناس ۞ وعن النبى صلى الله عليه وسلم
اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله ايسرهما ۞ وعن كعب اعطى الله
هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا الانبياء جعلهم شهداء على الناس ۞ وما جعل
عليكم فى الدين من حرج ۞ وقال ادعونى استجب لكم انتهى ۞ قال
القرطبى هذه الاية تدخل فى كثير من الاحكام وهى مما خص الله بها هذه
الامة ۞ روى معمر عن قتادة قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم
يعطها الا نبى ۞ كان يقال للنبى اذهب فلا حرج عليك وقيل لهذه
الامة وما جعل عليكم فى الدين من حرج ۞ والشهداء والنبى شهيد على
امته ۞ وقيل لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس ۞ وقال للنبى
سل تعطه ۞ وقيل لهذه الامة ادعونى استجب لكم ۞ قال القرطبى
واختلف العلماء فى هذا الحرج الذى رفعه الله ۞ فقال عكرمة هو ما احل
من النساء مثنى وثلاث ورباع وما ملكت يمينك ۞ وقيل قصر الصلاة
والافطار للمسافر ۞ وصلاة الايماء لمن لا يقدر على غيره ۞ وحط الجهاد عن الاعمى
والاعرج والمريض والعديم الذى لا يجد ما ينفق فى غزوه ۞ والمغرم وحمل
الديات ۞ وحط الاصر الذى كان على بنى اسرائيل ۞ وقد مضى بعض اكثر هذه
الاشياء ۞ وروى عن ابن عباس والحسن البصرى ان هذه وتقديم الاهلة
وتاخيرها فى الفطر والاضحى والصوم ۞ فاذا اختلفت الجماعة هلال ذى
الحجة فوقفوا قبل عرفة بيوم او وقفوا يوم النحر اجزاهم عند خلاف فيه
۞ وكذلك الفطر والاضحى لما روى حماد بن زيد عن ايوب عن محمد بن المنكدر

وسماكم المسلمين فاذا شهد امة محمد للانبياء قالوا يارب بم شهدت لنا فوجب حقهم فاذن الله في الشفاعة لهم بقول الله تعالى انا اولى لهم لانهم يشهدون لي بالتوحيد منذ سنين كثيرة وارخلهم الجنة برحمتي وجاء العاصي المبتلى لك في الدنيا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله وبشر الصابرين وفي فتح الباب للملائكة بقولوا ابشروا بالجنة وفي القيامة الرب بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان واخبار وان خصكم الله بهذه الكرامة والاثرة فاقيموا الصلوة بواجباتها واتوا الزكاة بشرائطها قال الرازي وهو اهو النوع في شرح ما يجري مجرى المؤكد لما مضى واعتصموا بالله ثقوا بالله وتوكلوا عليه بالصلوة والزكاة هو مولاكم مالكم وناصركم ومتولي امركم فنعم المولى حيث لم يمنعكم ربكم بعصيانكم ونعم النصير اي الناصر هو حسبكم اعانكم على عاقبته وقد افلح من هو مولاه وناصره ثم هذا اخر ما يسر الله وتوفيقه على يد مؤلفه

الفقير الى الله المعين ابو البقاء بن احمد بن العينتابي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي
في يوم الاحد ثامن جمادي الاولى عام ثلثة وخمسين وثمانمائة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Esad Ef.
Eski 60
Yeni 297/1

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوطس اكبر يوم تقطرون واصحاكم يوم تفحمون اخرجه ابو داود والدارقطني ولفظه ماذكرناه والمعنى اضحاكم من عبر خرج بكم فكم وقد روى الا بيه انه صلى الله عليه سئل يوم النحر عن اشياء فما سئل عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم بعض الامور على بعض واشباهها الا قال فيها افعل ولا حرج قال في العرطي قال العلما رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع واما السلامة والنطاعة والسارقية واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهو جاعلوه على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم حرجا من الزام ثبوت رجل لا يتنس بسبب الله ومع صحة اليقين وحرية العزم ليس بحرج انتهى كلام القرطبي ملة ابيكم ابرهيم يعني اتبعوا ملة ابيكم او نصب على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم وسماه ابا وان لم يكن ابا لامته كلها لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابا لامته لان امة الرسول كحكم اولاده قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد نعوذ سماكم المسلمين اي الله بدليل قراءة ابي الله سماكم من قبل اي في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القرآن اي فضلكم على سايرالامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم وقيل الضمير يرجع الى ابرهيم اي سماكم هو سماكم المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا وهو معنى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علما الامة ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم رسالة ربكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل

رسالة